المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى – مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



الرهبانية عند النصارى : تاريخها، تطورها ومظاهرها

دراسة نقدية في ضوء الإسلام

إعداد الطالب:

محمد بن أحمد الدنكير

الرقم الجامعي: ٤٢٧٨٠٣٥١

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبدالله حسن علي بركات

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: "الرهبانية عند النصارى: تاريخها، تطورها ومظاهرها (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)"
مقدمة لنيل درجة الماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين بقسم العقيدة/جامعة أم القرى–مكة المكرمة

نشأت الرهبانية النصرانية أواخر القرن الثالث لميلاد المسيح عليه السلام على يد زهاد متوحِّدين لما اشتد الاضطهاد الروماني على النصارى. انتشرت بعد ذلك انتشار النار في الهشيم، وتطورت تطورا سريعا حتى أضحت مؤسسة منظمة ذات قوانين دقيقة وجماعات شتى لبعضها تأثير ديني، اقتصادي واجتماعي؛ وقد ظلت في تغيّر وتطوّر في أغلب تاريخها.

هذه الرسالة:

- تبين مفهوم الرهبانية النصرانية وظروف نشأتها وتطورها.
- تُعرِّف بأهم مظاهرها وأدلتها عندهم بمنهج نقدي مستعينا بنقود البروتستانت.
- رصد واقع الرهبانية النصرانية في العصر الحديث.
- بيان موقف الإسلام المجمل والمفصل من الرهبانية النصرانية ومظاهرها.

ومن أهم النتائج والتوصيات:

١ -الرهبانية عند النصارى تُعدّ عند فرقة الأرثوذكس والكاثوليك الصورة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه النصراني "الكامل" بينما يراها البروتستانت هرطقة وبدعة.

٢ -ما استدلوا به من نصوص الكتاب المقدس على مظاهر الرهبانية من خلال تفاسيرهم لا تقوم بها الحجة.

٣ -موقف الإسلام من الرهبانية النصرانية أنها بدعة مرفوضة جملة وتفصيلا، ولا يتفق سوى مع المعنى العام الذي هو بذل النفس لله تعالى والانقطاع إليه بمفهوم شامل كامل تام يسع الجميع من غير تناقض بين تحقيق العبودية لله والزهد في الدنيا، وعمارة الأرض والسعي فيها.

٤ -أهمية نشر دراسات نقدية تحليلية بلغات متعددة عن النصرانية من مصادرهم المعتمدة.

٥ -أهمية نشر دراسات منهجية بلغات متعددة تهتم بإبراز الدين الإسلامي بكماله وشموله.

والحمد لله على نعمة الإسلام، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الطالب:

محمد بن أحمد بن أحمد الدنكير

Summary of thesis

Title: *''Christian Monasticism: Its History, Evolution and Aspects: A Critical Study from an Islamic Perspective''*

This thesis was submitted for obtaining a master's degree from the department of *Aqida* of the College of *Da'wa and Usul-ud-Din* in Umm al-Qura University -Makkah - Kingdom of Saudi Arabia.
Christian monasticism appeared at the end of the third century when some Christian ascetics fled Roman persecution. It spread quickly, and evolved continually, until it became an organized institution with clear rules and various monastic communities. Some of these communities had a great influence in religious, economic and social affairs.

This thesis proposes:

- An understanding of the concept of Christian monasticism and the circumstances of its origin and evolution.
- Defining the various aspects of Christian monasticism and its biblical basis using a method based on critical Protestant rebuttals.
- An observation of the situation of contemporary Christian monasticism.
- Islam's general and detailed position in relation to monasticism and its various aspects.

Following this research, the main conclusions and recommendations are:

١- Catholics and Orthodox Christians consider monasticism to be a state of "perfection," while Protestants consider it a heresy.

٢ - The biblical texts offered as a basis for Christian monasticism are not sufficient evidence to support the practice.

٣ - The position of Islam is that Christian monasticism is a heresy and categorically rejected. The only part that Islam validates is the broad, general concept of self-sacrifice and total devotion to God. However, in Islam, there is no conflict between servitude to God, asceticism, and working and building upon this Earth.

٤ - The importance of spreading systematic critical studies about Christianity in different languages. This research should be based on reliable Christian sources.

٥ - The importance of propagating well-researched studies which throw light upon the religion of Islam and its completeness in all of its aspects. These studies should be made available in different languages.

Praise be to Allah for the blessing of Islam, and may peace and blessings be upon our Prophet Muhammad, his family and companions.

Mohamed Ahmed Ahmed Ed-Denguir

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد **أن** محمدا عبده ورسوله،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠ – ٧١)

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

إن الله تعالى خلق الخلق على الفطرة السوية، ولحكمة بالغة هي عبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين له جل جلاله ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: ٣٠)

والميل الفطري إلى العبادة والاستسلام لحكم الله لا يكفي للاهتداء إلى تفاصيل الحق والصواب، ولذا احتاج الناس إلى إرشاد ودلالة ممن اصطفاهم الله وكلّفهم ببيان تفاصيل الأمر والنهي ليسير الناس على هدى؛ ذلك أن الإنسان ظلوم جهول كما قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢)، وكلّما ابتعد عن نور النبوة فإنه يقع في أحد طرفين لا محالة: إما التفريط والانسلاخ من الدين، أو الإفراط والغلو فيه؛ فهذه الأجيال بعد آدم عليه السلام ظلوا عشرة قرون كلهم على هذه الفطرة السوية وهي

الإسلام والصراط المستقيم[1]، فلما ابتعدوا عن نور النبوة انحرفوا بالغلو في الصالحين فأرسل الله نوحا عليه السلام وعلى إثره رُسُلاً تَتْرا، وأنزل الكتب لتستبين البشرية الصراط المستقيم من سبيل المجرمين. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده وتخفيفه على الناس، لأن كلا الطرفين فيه مشقة وحرج، ولا يتحمله جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الحج: ٧٨)، وقال تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (طه: ١ – ٢)، وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء: ٢٨).

أما ميل فئة قليلة إلى مزيد من التعبد والتنسك فلا بد أن يكون له ضابط واضح يتفق مع الفطرة البشرية إذ قد يكون الحماس والشِّرَة، وهي النشاط والهمة، يقود العبد إلى تحريم الحلال وتكليف نفسه ما لا تطيق، فيسقط في إحدى الهاويتين: إما إلى خروجه من العقل إلى الحمق، أوارتداده على أدباره فيخرج من الدين والاستقامة بالكلية. وهذه حقيقة مستقرة في كل من خرج عن المنهج الرباني الذي يراعي جانبي الروح والجسد. فقد ذُكِرَ لرسول اللَّه ﷺ رجالٌ يَنْصَبُونَ في العبادة من أصحابه نصبا شديدا، فقال رسول اللَّه ﷺ: " تلك ضراوة الإسلام وشِرَّتُهُ، ولكلِّ ضَرَاوَةٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَة[2]، فمن كانت فَتْرَتُهُ إلى الكتاب والسّنّة فلأَمٍّ[3] مَا هُوَ، ومن كانت فَتْرَتُهُ إلى معاصي اللَّه، فذلك الهالك"، وفي رواية: " فمن كانت فَتْرَتُهُ إلى اقتصاد وسنّة" [4].

وقد وجد عبر التاريخ أقوام حرّموا الطيبات ويستحبون العزلة عن المجتمعات من أجل التنسك وممارسة أنواع من الرياضات والإماتات، اشتهر منهم الهنود بشتى نحلهم. وقبل مبعث الرسول ﷺ ببضعة قرون اتخذ أتباع عيسى ابن مريم سبيلا قريبا من ذلك هي الرهبانية التي أخبر الله بها في قوله ﷻ:

---

[1] أخرج الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢١٣) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين..."، ج٤، ص٢٧٥. وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم عسق، وقال عقبه: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. انظر السلسلة الصحيحة، رقم:٣٢٨٩. وهذا القول من ابن عباس وإن كان موقوفا عليه فإنه في حكم المرفوع إذ ليس مما يقال بالرأي، ثم إنه قول ترجمان القرآن في التفسير.

[2] قال ابن الأثير: "أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات"، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي حسن الحلبي، (الرياض: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ)، ص٦٩٠

[3] بكسر اللام وضمّ الهمزة وتشديد الميم المكسورة المنونة، يقول أحمد شاكر: "أي أنه من الأمومة، فقال: "فلأُمّ ما هو" أي يرجع إلى أصل ثابت عظيم أشار إليه بكلمة "أم". وتنكيرها دلالة التعظيم". المسند: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م)، ج٦، ص١١١

[4] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما)، رقم: ٦٥٣٩، ٦٥٤٠؛ وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح"، ج٦، ص١١١؛ وكذا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم: ٥٦، ٥٧.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحديد: ٢٧). وتبوأت الرهبانية النصرانية منذ نشأها مكانة مرموقة في غالب تاريخ النصرانية بكنيستَيْها الرئيستَيْن الأرثوذكسية والكاثوليكية، بل وَجَدت الكنيسة كثيرا من أنصارها ورجال كهنوهما وأحيانا حتى باباواهما في الأديرة والصوامع.

ولذا كانت محل الاهتمام في هذا البحث لإلقاء الضوء عليها لما في الموضوع من إشكالات علمية غير قليلة. والله اسأل السداد والتوفيق.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

زعم أنصار الرهبانية أن واضع نسق هذه الحياة هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأنها مستقاة بأصولها وفروعها من الكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد، وقال آخرون منهم بل هي بدعة وهرطقة تضر بالدين والأخلاق والمجتمع البشري.

واختلف أهل التفسير من المسلمين في قوله تعالى: ﴿...وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ...﴾ (الحديد: ٢٧) هل هي بدعة ابتدعوها، تشددوا فشدد الله عليهم فكتبت وفرضت؟ أم هي بدعة حقيقية ما كتبها الله عليهم ولكنهم أرادوا خيرا بإحداثها؟

تطورت الرهبانية عند النصارى في مظاهرها تطورا سريعا، ونظّر لها وصنّف فيها، ودعا إليها كبار آباء الكنيسة. وأصبحت جزءا لا يتجزأ من تاريخ الكنيسة حتى قيل عن القرون الوسطى أنها كانت "زمن الرهبان".

وادّعى سالكي الرهبانية النصرانية أنهم فَرُّوا من الدنيا زهدا فيها طمعا في التنسك والتعبد، بيد أن تاريخهم يشهد على كثير منهم بالغنى والترف والفسوق.

وفي العصر الحديث الذي يشهد تحوّلات كبيرة في الكنيسة عموما وفي الرهبانية تبعا، وإعجاب فئام من المسلمين بالرهبان حتى وصفهم بعضهم ب"الأولياء" أو "رجال الله"...

كل ذلك وغيره دعاني لاختيار هذا الموضوع وإفراده بالبحث، إذ كثرت الدراسات الجامعية عن النصرانية من جوانب شتى ولكن في حدود ما وقفت عليه لم تُفرد الرهبانية النصرانية برسالة علمية مستقلة مع وفرة المصادر فيها والإشكالات العلمية المتعلقة بها. ومن كتب فيها لم يستوف الموضوع حقّه من جهات:

١ - الاكتفاء بما كتب بالعربية مع وفرة المراجع غير العربية وكثرة البحوث والمقالات العلمية فيها.

٢ -إغفال جوانب من مظاهر الرهبانية عند النصارى وهي كثيرة.

٣ -الإسراع في الحكم منذ الشروع في البحث من غير بسط وتحقيق العديد من المسائل الهامة التي تتصل بالموضوع.

٤ -النقد العام من غير تفصيل.

فبعد مشاورة أساتذتي الأكارم والاطلاع على بعض ما صنّف في هذا الموضوع باللغة الفرنسية خصوصا استخرت الله تعالى ليشرح صدري وييسر أمري، فكان العزم على جمع شتات الموضوع في بحث مستقل محاولا تحقيق جملة من الأهداف:

- الاهتمام بتاريخها وأهم تطوراتها.
- تحقيق مسألة التأثيرات الخارجية الذي فيه جدال طويل.
- مناقشة الأدلة التي استدلوا وأصّلوا بها أهم المظاهر الرهبانية.
- النقد المفصل على ضوء مصادرهم والاستفادة من نقود البروتستانت.
- بيان موقف الإسلام من أهم المظاهر الرهبانية.
- رصد حال الرهبانية اليوم وأهم تطوراتها.
- إبراز كمال الإسلام وعظمته وشموله وأنه يصلح لكلّ زمان ولكلّ مكان.
- الاستفادة من هذا الموضوع والتخصص فيه وفي النصرانية عموما.

الدراسات السابقة:

أولا: الرسائل العلمية:

بعد البحث والاستعلام من مركز الملك فيصل لم أقف في جامعات المملكة العربية السعودية على من أفرد هذا الموضوع بالبحث. بيد أني وقفت على رسالة قدمها الباحث: عمر وفيق الداعوق بعنوان: "**الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها**" لنيل درجة الدكتوراة في تخصص العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة - بجامعة أم القرى عام ١٤٠٧هـ[١]، وبعد الاطلاع عليها وجدته خصص الباب السابع للرهبانية النصرانية وضمّنه تسعة فصول. ناقش في الفصول الثلاثة الأولى ما يتعلق بالعقائد النصرانية وعوامل انحرافها. وخصص الفصل الرابع للحديث عن "أثر الانحراف العقدي على

[١] تقع في حدود ٦٠٠ صفحة مع الفهارس، وهي مودعة في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية: جامعة أم القرى – قسم الرسائل الجامعية، رقم: ١٣٥٤

نظرة الرهبانية إلى النفس البشرية، والزواج، والمرأة ونقدها". وبيَّن بإيجاز علاقة عقيدة الصلب والفداء بالنظرة الرهبانية، وبعض التأثيرات الخارجية.

وتناول في الفصل الخامس أثر الاضطهاد في ظهور الرهبانية. وبحث في الفصل السادس الأنظمة والقوانين الديرية: نشأتها تطورها آثارها ونقدها حيث ذكر فيه نشأة الرهبانية والتطور عموما كما تناول فيه النذور الثلاثة.

وما من شك أن الباحث قد أجاد وأفاد إلا أنه يبقى أن نلحظ جملة من الأمور:

- كما لا يخفى من عنوانها فإن الباحث جزاه الله خيرا تناول الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة على وجه العموم بدءا من الرهبنة المصرية القديمة إلى الرهبانية النصرانية مرورا برهبنة أديان الهند واليونانية واليهودية.
- وعلى هذا كان التركيز والاستفاضة في هذا الجانب وكان الإجمال النسبي في تاريخ الرهبانية النصرانية ومظاهرها وتطورها.
- وبين الوقت الذي كتب فيه الرسالة واليوم قريب من ربع قرن، استجدت معلومات كثيرة وصدرت كتب متخصصة في هذا المجال ما يصعب حصره وتعداده. وإن كان الباحث يشتكي في المقدمة من قلة المصادر المتخصصة وندرتها فإني أشتكي اليوم من كثرتها وتشعبها ولعلها أكثر صعوبة واجهتني في هذا البحث.

ثانيا: المصنفات المفردة:

الكتاب الوحيد الذي وقفت عليه تناول موضوع الرهبانية النصرانية من منظور إسلامي هو ما صنفه الدكتور أحمد علي عجيبة بعنوان: "الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها" ضمن سلسلة "موسوعة العقيدة والأديان رقم٦"[1].

وهي رسالة اشتملت على ثلاث فصول ومقدمة وتمهيد مع خاتمة. تقع في حدود ١٥٠ صفحة من غير الفهارس. تناول في التمهيد تعريف الرهبانية لغة واصطلاحا، وبحث في الفصل الأول ظاهرة الرهبنة في الأديان ما قبل النصرانية، وفي الفصل الثاني تحدث عن الرهبانية النصرانية بدءا بتعريف النصرانية مؤكِّدا الفرق بين ما دعا إليه المسيح عليه السلام حقيقة وبين ما أحدثه بولس الذي صاغ النصرانية التي نعرفها اليوم، ثم شرع في الحديث عن الرهبانية نشأة ومظاهرا ومبادئا ليختم بأصل الرهبانية النصرانية. وخصص الفصل الأخير لبيان موقف الإسلام عموما.

[1] صدرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م بدار الآفاق العربية، القاهرة.

لقد استفدت من هذه الرسالة إذ تعتبر عصارة للموضوع وإن كانت هناك نقاط خلاف معدودة فستذكر في محلها. ويبقى أنها مختصرة جدا إذ موضوع الرهبانية النصرانية موضوع متشعب وواسع الأطراف. ولذا كانت الكتابات المتخصصة فيه التي وقفت عليها لا تتناوله بإطلاق إلا قليلا، فغالبها مقيد بالزمان أو المكان، وأحيانا كلاهما، وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على وفرة مصادر الرهبانية وضخامة موروثها. يقول الباحث عمر الداعوق في مقدمة رسالته:
"وإني أعترف أن هذا الموضوع المتشعب لا يمكن أن يوفى حقه بمؤلف واحد بكثرة أبحاثه ومباحثه المتنوعة، ولتعلقه بالعقائد والطقوس والشعائر والقوانين الديرية والعادات والتقاليد والأخلاق والمعاملات وما إلى ذلك".

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث مناهج متعددة للحاجة إليها نحو موضوع متفاوت الأبعاد يدخل في تخصصات مختلفة.
أول ما قمت به هو استقراء ما كتب في موضوع الرهبانية بالإجمال والتقييد، وأقصد بالتقييد ما صنَّفه البعض خاصا في فترة من الفترات مثل القرن الثالث إلى الخامس، في العصور الوسطى، العصر الحديث، أو في أماكن معينة في الشرق، أو في الغرب، ورجعت إلى بعض الموسوعات النصرانية المهمة عند النصارى والتي لها مقالات مطولة وموثوقة عن الرهبانية النصرانية، كما أني استفدت كثيرا من الشبكة العنكبوتية سواء من المقالات العلمية أو الكتب المصورة.
وإن كنت أعتمد على المنهج الوصفي في غالب فصول الرسالة إذ أنقل ما هو كائن متوخيا العدل والإنصاف قدر الطاقة، فإني أسلك أيضا المنهج التحليلي حيث حاولت كثيرا إلى تحليل ما أصف من وقائع تاريخية وكذا التعريفات والمظاهر، ثم أقوم بالاستنباط إذ احتجت إلى ذلك في مواطن لاستخراج الضوابط والمبادئ من خلال التتبع للقوانين الديرية مثلا، وكذا في موقف الإسلام من بعض المظاهر، كلّ ذلك مصحوب بالمنهج النقدي فلا أسلِّم لكل ما ذكر سواء من النصارى أنفسهم أو غيرهم ممن كتب عنهم، وتوخيت غالبا تلخيص المباحث والفصول عند نهايتها بذكر أهم ما جاء فيها.
وقد عمدت في الرسالة إلى جملة من الأمور:

- وضع الآيات القرآنية بالرسم العثماني وعزوها إلى مواضعها من السور ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث؛ فإن وردت في الصحيحين اكتفيت بذكرهما، وإلا ذكرت تخريجه من كتب الحديث المعتمدة بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث مع بيان حال الحديث من حيث الصحة والضعف معتمدا في ذلك بأقوال أئمة هذا الشأن من القدماء والمعاصرين.

- استخدمت لنصوص الكتاب المقدس ترجمة سميث وفاندايك غالبا، وذلك من البرنامج الالكتروني على موقع شبكة الكنيسة. ثم أذكر في الهامش اسم السفر كاملا، ويليه رقم الإصحاح، ثم رقم الفقرة.
- في ذكر المراجع فإني أكتفي بذكر المعلومات المتعلقة بها كاملة عند أول ذكرها، ثم أكتفي باسم الكتاب مع المؤلف أو اسم الكتاب وحده ورقم الجزء والصفحة، وبالنسبة للمراجع الأجنبية فإني أكتبها كما هي في الأصل لكني أصُفّها إلى اليسار، وفي حالة تكرار المرجع فإني أستخدم ثلاثة مصطلحات:
  - *Ibid* إن كان التكرار دون فاصل مع ذكر الجزء والصفحة.
  - *Loc cit.* إن كان التكرار من نفس الجزء والصفحة.
  - *Op.cit* إن كان التكرار بفاصل، مع ذكر اسم المصنف والجزء والصفحة.
- ترجمة غالب الأعلام من الأقدمين والمعاصرين قدر الطاقة. وبالنسبة للأعاجم فإني أثبت في صلب الرسالة اسمه بالحروف العربية مضبوطا بالشَّكْل، وفي الهامش أبدأ باسمه بالحروف اللاتينية مع ذكر تاريخ الولادة والوفاة بين قوسين قبل الحديث عنه.
- التعريف ببعض الأماكن والبلدان الواردة في البحث.
- التعريف بالمصطلحات النصرانية والعلمية.
- التعريف ببعض الألفاظ الغريبة الواردة في البحث.
- ضبط ما أشكل من بعض العبارات والألفاظ العربية والأعجمية.
- وقد وضعت في الأخير الفهارس العلمية.

خطة البحث:

تشتمل الرسالة على مقدمة، وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة احتوت على نتائج البحث، وقد احتاجت الخطة الأولى المعتمدة إلى تعديل لمصلحة البحث، وهي على النحو التالي:

المقدمة: فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له، وعرض الدراسات السابقة له، وخطة الرسالة مع بيان المنهج الذي سرت عليه في إعداد الرسالة، وأختم بالشكر والتقدير.

التمهيد: وفيه مبحثان:

الأول: تعريف الرهبانية لغة واصطلاحا.

الثاني: ظاهرة الرهبنة في التاريخ البشري.

الفصل الأول: نشأة الرهبانية عند النصارى وتطورها. وهو مكون من خمسة مباحث، وتحت كل مبحث عدة مطالب، وهي كالتالي:

المبحث الأول: مراحل نشأة الرهبانية عند النصارى. وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد: ظاهرة الزهد في القرون الميلادية الأولى من بعد رفع المسيح عليه السلام إلى أواخر القرن الثالث.

المطلب الأول: أثر الاضطهاد والفساد في نشأة الرهبانية.

المطلب الثاني: أثر مصادر النصرانية في نشأة الرهبانية.

المبحث الثاني: تطور الرهبانية عند النصارى. وفيه تمهيد وخمسة مطالب هي:

المطلب الأول: مرحلة التوحّد.

المطلب الثاني: مرحلة الشبه الديرية.

المطلب الثالث: مرحلة الديرية.

المطلب الرابع: مرحلة القوانين الديرية.

المطلب الخامس: مرحلة الجماعات الرهبانية.

المبحث الثالث: انتشار الرهبانية. وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: انتشار الرهبانية حسب أهم المناطق.

المطلب الثاني: أسباب انتشار الرهبانية.

المبحث الرابع: التأثيرات الأجنبية في نشأة الرهبانية. وفيه خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: أديان الهند.

المطلب الثاني: الفلسفة اليونانية.

المطلب الثالث: فرقة الحسديين اليهودية.

المطلب الرابع: الوثنية المصرية.

المطلب الخامس: المانوية.

المبحث الخامس: موقف الكنائس المختلفة من الرهبانية. وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: موقف الأرثوذكس والكاثوليك من الرهبانية.

المطلب الثاني: موقف البروتستانت من الرهبانية.

الفصل الثاني: مظاهر الرهبانية عند النصارى. وهو مكون من ستة مباحث، وتحت كل مبحث عدة مطالب، وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: النذور الثلاثة. ويتكون من خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: النذر لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: النذر في الرهبانية.

المطلب الثالث: أدلة النذر.

المطلب الرابع: نقد النذر.

المطلب الخامس: أنواع النذور عند الرهبان.

المبحث الثاني: العزلة. وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: العزلة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أدلة العزلة.

المطلب الثالث: نقد العزلة.

المبحث الثالث: الصمت. وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: الصمت لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أدلة الصمت.

المبحث الرابع: اللباس. وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: اللباس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أدلة لباس الرهبان.

المبحث الخامس: قوانين الرهبان. وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: الجانب التنظيمي.

المطلب الثاني: الجانب الروحي.

المبحث السادس: نشاط الرهبان. وفيه خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: النشاط العلمي.

المطلب الثاني: النشاط التنصيري.

المطلب الثالث: النشاط الاقتصادي.

المطلب الرابع: النشاط الاجتماعي.

المطلب الخامس: النشاط العسكري.

المطلب السادس: نقد أنشطة الرهبان.

الفصل الثالث: الرهبانية عند النصارى في العصر الحديث. وفيه ثلاثة مباحث جعلتها على النحو التالي: **المبحث الأول: الرهبانية عند الكاثوليك في العصر الحديث.**

المبحث الثاني: الرهبانية عند الأرثوذكس في العصر الحديث.

المبحث الثالث: الرهبانية عند البروتستانت في العصر الحديث.

الفصل الرابع: موقف الإسلام من الرهبانية عند النصارى. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف الإسلام المجمل. وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: الموقف المجمل من الرهبانية عند النصارى في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الموقف المجمل من الرهبانية عند النصارى في السنة النبوية.

المبحث الثاني : موقف الإسلام المفصل. وفيه سبعة مطالب هي:

المطلب الأول: مفهوم الكمال في الإسلام.

المطلب الثاني: موقف الإسلام من البتولية.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الفقر.

المطلب الرابع: مفهوم الطاعة في الإسلام.

المطلب الخامس: موقف الإسلام من العزلة.

المطلب السادس: موقف الإسلام من الصمت.

المطلب السابع: موقف الإسلام من اللباس.

المبحث الثالث: حال الرهبان في ظل حكم الإسلام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

كلمة شكر،

وأختم بشكر الله – تعالى– أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، فلولا الله لما اهتديت ولا ما تعلمت ولاما تيسرت كتابة هذه الرسالة، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد كله من قبل ومن بعد، له الحمد السرمد لا يحصيه العدد، ولا يقطعه الأبد، كما ينبغي له أن يحمد، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

ثم الشكر والدعاء للوالدين الكريمين العزيزين الذَيْن ما فتئا يمدانني بكل ما آتاهما الله من قوة مادية ومعنوية، ولا يزالان داعِيَيْن الله – تعالى – التيسير والسداد في جميع المراحل التعليمية، فالله أسأل أن يرحمهما كما ربياني صغيرا، وأن يبارك لهما في عمرهما على طاعته

والشكر أيضا لأهلي التي لم تترك جهدا في خلق الجو المناسب للدراسة والبحث مع مشقة العناية بالبيت والأطفال والدراسة الجامعية. وقد كانت خير عون وخير مستشارة في إعداد هذه الرسالة فأسأل الله تعالى أن يجزيها خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان للمشرف الذي كان لتوجيهاته وإرشاداته الأثر الواضح في إخراج الرسالة بهذا الشكل مع أني أعترف بالتقصير نحوه وعصيان أوامره لكنه يعفو ويصفح، فالله أسأل أن يبارك في علمه وعمره وأسرته.

كما أتقدم بالشكر للمناقشين الجليلين فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن علي سمك وفضيلة الدكتور سعد بن علي الشهراني لتفضلهما بقبول قراءة هذه الرسالة ومناقشتها وتوجيهي لما يكمل نقص هذه الرسالة مع ضيق الوقت وكثرة مشاغلهما.

والشكر موصول إلى منسوبي جامعة أم القرى من مدير ووكلاء وعمداء ورؤساء الأقسام، وأخص بالذكر معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها الذي قضيته فيه العامين الأولين في هذه الأرض المباركة، ثم كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة. وكذا كل من أسدى إليّ معروفا برأي أو كتاب أو دعاء، والله أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

المبحث الأول:

تعريف الرهبانية لغة واصطلاحا

أ) تعريف الرهبانية لغة:

مصدر كلمة رهبانية في اللغة العربية "الراء والهاء والباء"، وهذا الأصل دائر على معنيين هما[١]:

أولاً: **الخوف**، تقول: "رَهِبْتُ الشيءَ رَهَباً ورَهْباً ورُهْباً ورَهْبَةً: أي خِفْتُه وتقول: "الرَّهباء من الله والرَّغْباء إليه"، وفي حديث الدُّعاءِ: "رَغْبَةً ورَهْبَةً إليك"[٢]؛ وأَرْهَبَ فلاناً ورَهَّبَه واسترْهَبَه: أي أَخافَه وفَزَّعه؛ وترهَّبَ الرجلُ والتَّرَهُّب: إذا صار راهباً يَخْشَى الله وهو أَحدُ رُهْبانِ النصارى كانوا يَتَرَهَّبُون وهو التعبد".

وفي الكتاب آيات بهذا المعنى، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ (البقرة: ٤٠) أي فاخشون[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٤) أي "للذين يخافون الله، ويخشون عقابه علـــى معاصيه"[٤].

ثانياً: **دقّة وخفّة**: ومنه: "الرَّهْب: الناقة المهزولة، قال الشاعر:

وَأَلْوَاحُ رَهْبٍ كَأَنَّ النُّسُو ... عَ أَثْبَتْنَ فِي الدَّفِّ مِنْه سِطَارَا

والرِّهاب: الرِّقاق من النِّصال واحدها رَهْبٌ، قال أبو ذؤيب:

قَدْ نَالَهُ رَبُّ الكِلاَبِ بِكَفِّهِ ... بِيضٌ رِهَابٌ رِيشُهُنَّ مُقَزَّعُ

والرَّهاب على وَزْنِ السَّحابةِ: عُظَيْمٌ في الصَّدْرِ مُشْرِفٌ على البطن مثلُ اللِّسان".

---

[١] تهذيب اللغة: الأزهري، تحقيق محمد خفاجي ومحمود فرج العقدة، (الدار المصرية للتأليف والترجمة)، ج٦، ص٢٩٠-٢٩٤؛ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل)، ج٢، ص٤٤٧؛ القاموس المحيط: الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ -١٩٩٧م)، ص١١٨ بتصرف.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد (٩٧)، باب قول الله تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء: ١٦٦] (٣٤)، رقم: ٧٤٨٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء (٤٨)، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (١٧)، رقم: ٢٧١٠.

[٣] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، تحقيق عبد الله التركي، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج١، ص٥٩٨-٥٩٩

[٤] المرجع السابق، ج١٠، ص٤٦٧

والرّهْبَانِية منسوبة إلى الرَّهبان فهو فَعْلان من رَهِبَ كالخَشْيان من خَشِيَ، وقد ضبطت الكلمة بالضم "الرُّهْبانية" نسبة إلى الرُّهْبان وذكروا أنها قراءة في آية الحديد[١]، وهو على هذا جَمْع راهب كرَاكِب ورُكْبان، ويجوز أن يكون واحدا على وزن فُعْلان فيكون جمعه رَهَابِين ورَهَابِنَة[٢].

والأولى أن يكون بالفتح منسوبا إلى رَهْبان فلو كان منسوبا لِرُهْبان الجمع لرُدَّ إلى مفرده، إلا إن كان قد صار كالعلم فإنه ينسب إليه كالأنصار والله أعلم[٣].

أما معنى الرهبانية في اللغات اللاتينية فالكلمة المستخدمة هي *مُونَاشِيزْم* ***monachisme*** باللغة الفرنسية ولا تخلو في اللغات المتفرعة من اللاتينية من *مُون* ***-mon***، و *إيزْم* ***ism-***، وهي كلمة مركبة من كلمتين:

الأولى: *مُونَاخُوس* ***monachos*** وأصلها باليونانية مأخوذة من *مُونُوس* ***monos*** التي تطلق على ما هو وحيد، فريد في نوعه[٤].

الثانية: *إيزْم* ***isme-*** وتطلق على النظام، العقيدة، المنهج، منهج حياة أو فكر أو اتجاه، كما يطلق في الفلسفة على الغنوصية *أغْنُوسْتِيسِيزْم* ***agnosticisme***، وفي الأديان على النصرانية *كْرِيسْتَيَانِيزْم* ***christianisme***، وفي النظم الاقتصادية على الرأسمالية *كَابِيتَالِيزْم* ***capitalisme***...[٥].

فالمعنى اللغوي المركب في اللغات اللاتينية يرمي إلى منهج الوحدة أو فكر الوحدة أو اتجاه الوحدة، وسيأتي التعريف الاصطلاحي ليلقي الضوء على المعنى المراد عند النصارى بهذا الإطلاق.

ب) تعريف الرهبانية اصطلاحاً:

ليس من السهل إعطاء تعريف جامع مانع عن الرهبانية عند النصارى، ولعل ذلك يرجع إلى أمور ثلاثة:

١- اختلاف طرائقها اختلافا واسعا في الشرق والغرب.

٢- تطور المفهوم مدة تمتد إلى أكثر من ثمانية عشرة قَرْناً.

---

[١] تفسير الماوردي أو النكت والعيون: الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ج٥، ص٤٨٤

[٢] لسان العرب: ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (القاهرة: دار المعارف) ج٤، ص١٧٤٨-١٧٥٠ بتصرف.

[٣] الدر المصون في علم الكتاب المكنون: السمين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، (دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م)، ج١٠، ص٢٥٦-٢٥٧ بتصرف.

[٤] *Nouveau petit Larousse*, (Paris: Librairie Larousse ١٩٧٠), p.٦٦٥

[٥] موقع التحليل والمعالجة الرقمية للغة الفرنسية *A.T.I.L.F* تحت إشراف المعهد الوطني للغة الفرنسية *I.N.A.L.F.* والمركز الوطني للبحث العلمي *C.N.R.S*:

(http://atilf.atilf.fr/dendien/scripts/tlfiv٥/visusel.exe?٨٦;s=٢٦٥٧١٨٩٥٠٥;r=٢;nat=;sol=٤)

٢ –لا نجد فيما كتب عنهم – في حدود ما وقفت عليه – من يعرِّف الرهبانية تعريفا اتفقوا عليه متناقل بينهم ولكن نجد تعريفات كلّ يعرِّف قدر ذوقه وعلمه.

وقد نقل **"قاموس الروحانية"**[١] في تعريف الرهبانية النصرانية قول الأب فِكْتُور دَامَنْتْز في اجتماع الآباء البندكتيين عام ١٩٧٧م قوله في تعريف الراهب: "يستحيل إعطاء تعريف قانوني للراهب، فأي تحديد يعتبر تحكّم"[٢].

ومن ثم فسنأتي على دلالات مصطلح الرهبانية والراهب في أصل استعماله باللغات اللاتينية، وذلك من الناحية التاريخية منذ ظهوره لنرى المعاني التي أطلقت عليه. ثم نأتي على التعريفات التي وقفت عليها.

أصل المصطلح قبل القرن الرابع والخامس الميلادي، وهي فترة يطلق عليها "الفترة ما قبل الرهبانية" أي قبل ظهور الرهبانية كمؤسسة نصرانية مستقلة. فقد أطلقت كلمة *مُونَاخُوس* ***monachos*** باليونانية الموازية لكلمة "الراهب" بالعربية على معاني[٣]:

١– العَزَب[٤]:

يشهد لهذا الاستعمال االترجمة اليونانية للكتاب المقدس التي قام بها سيماخوس المترجم سِيمَاك[٥] في حدود ١٧٠م حيث استخدم في سفر التكوين في النص الذي يصف عزوبة آدم عليه السلام: "وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم *وحده* فاصنع له معينا نظيره"[٦]. فقد ترجم كلمة *وحده* من العبرية إلى اليونانية بكلمة *مُونَاخُوس* *monachos*[٧].

---

[١] وهو معجم يقع في سبعة عشر مجلدا ضخما مع الفهارس، ٦٠٠٠٠ صفحة و٩٠٠٠ مقالا. نشر بين ١٩٣٢م و١٩٩٥م وكتب فيه ١٦٣٤ باحثا وكاتبا، يعتني بكل ما يتعلق بالمذاهب الروحانية في الأديان لكن التركيز على النصراينة كما اشتمل على تراجم لشخصيات نصرانية وغيرها كثيرة.

[٢] *Dictionnaire de spiritualité: Ascétique et Mystique, Doctrine et Histoire*: (Beauchesme-Paris : ١٩٨٠), tome X, p.١٥٤٧

[٣] *Aux origines du monachisme chrétien*: Antoine Guillaumont, *collection : spiritualité orientale n°٣٠*, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine ١٩٧٩), p.٢١٨-٢٢٧

[٤] يقال عازب وأعزب، والعَزَبُ أجود. وهو من ليس له زوج رجلا أو امرأة، جمعه عُزَّاب. انظر المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية بمصر، (مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥–٢٠٠٤م)، ص٥٩٨

[٥] *Symmaque*: يهودي تنصر على مذهب الأبيونيين. عاش في أواخر القرن الثاني الميلادي. وكان يرى أن المسيح ابن مريم إنسان وليس بإله. من أهم أعماله ترجمة العهد القديم باليونانية، وقد اعتمد جيروم في ترجمته "السبعينية" عليها. تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري، ترجمة القمص مرقص داود، (القاهرة: مكتبة المحبة)، ص٢٦٤ (الكتاب السادس، الفصل١٧)؛ *Dictionnaire de spiritualité*, t. X, p.١٥٣٩

[٦] سفر التكوين، (٢: ١٨)

[٧] *Aux origines du monachisme chrétien*: Antoine Guillaumont, p.٢١٩

٢- المتبتل[١]**:**

استخدم لهذا المعنى في الترجمة القبطية لإنجيل توما[٢]، وأبقت الكلمة اليونانية *مُونَاخُوس* ***monachos*** وعنت به "الزاهد المتبتل"[٣]. ويؤكد هذا المعنى نصوص كثيرة في ثقافة النصارى السريان الذين عاشوا في بلاد الشام والعراق، فقد استخدموا *إِيحِيدَايَا* ***ihidâyâ*** باللغة السريانية، أي "المُتوحِّد"، وأطلقوها على الرهبان. وكان المقصود أيضا الذي يعيش وحيداً متبتلا كما جاء في نصوص من كتاب أفراهاط[٤] يصف الرهبان باسم *إِيحِيدِيِي* ***îhîdâyê*** جمع *إِيحِيدَايَا* ***ihidâyâ*** وأنهم زهاد سائحون يعمرون أوقاتهم بالصلوات والدعوة وكانوا لا يتزوجون تعبدا[٥]. ويعتبر التبتل سمة أساسية للرهبانية عند النصارى حتى قيل:" لا راهب بلا تبتل"[٦].

٣- المتوحّد المنقطع:

في أواخر القرن الثالث فما بعده أصبحت كلمة *مُونَاخُوس* ***monachos*** تطلق على "الزاهد الذي يبحث عن الوحدة والانفصال عن الدنيا"[٧] سواء منفردا أم مع جماعة.

---

[١] التبتل لغة مطلق الانقطاع، وعن الزواج تركه زهدا فيه؛ وتبتل إلى الله: تفرغ للعبادة. انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وغيره، (إستانبول: دار الدعوة)، ج١، ص٣٨ بتصرف.

[٢] من أقدم الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة (أبوكريفا)، ينسب إلى الرسول يهوذا الاسخريوطي، اكتشف شبه كامل ضمن مخطوطات نجع حمادي في مصر سنة ١٩٤٥م باللغة القبطية، يقال أنه نسخ في منتصف القرن الثالث الميلادي. انظر إنجيل توما: حجازي السقا، سلسلة الأناجيل المرفوضة (٢)، (المنصورة: مكتبة الإيمان)، ص١٢-١٣

[٣] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.٢١٩

[٤] المعروف بالقديس أفراهاط الحكيم الفارسي، اسمه يعقوب. راهب سرياني عاش في المنتصف الأول من القرن الرابع الميلادي، ما يعرف عن سيرته إلا القليل. وتعتبر كتاباته من أقدم ما وصلنا عن الأدب السرياني، اشتهر بكتابه ***Exposés*** أو ***Démonstrations*** أي "البيانات" حيث تكلم فيه عن العقائد النصرانية وذكر أخبارا عن الرهبان السريانيين. طبع الكتاب في مجلدين حققه Marie-José Pierre بدار Edition du Cerf باريس ١٩٨٩م.

انظر مقالة في موقع: "رب المجد" التابع ل"كاتدرائية السيدة العذراء مريم ورئيس الملائكة ميخائيل بالمنصورة" بمصر: (http://www.rabelmagd.com/vb/others/Patrology/afrahat/Aphraates.htm)

[٥] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Ephèse*: Vincent Desprez, *collection: spiritualité orientale n°٧٢*, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٨), p.١٠٢

[٦] قالها البروفسور أنطوان جيومون *Antoine Guillaumont*: أستاذ بجامعة *Collège de France* بباريس، وكان قبل ذلك باحثا في "المركز الوطني للبحث العلمي" (*C.N.R.S*) وأشرف على بحوث في اللغة السريانية والعبرية والآرامية. تخصص في الرهبانية الشرقية القديمة بشمال شرق بلاد الشام بين القرن الرابع والسابع الميلادي، والتي بشمال بلاد مصر من القرن الرابع إلى الخامس الميلادي. حقق مع زوجته سلسلة كاملة لمصنفات الراهب Évagre le Pontique (٣٦٦-٣٩٩م) ومن مصنفاته المطبوعة باللغة الفرنسية: "مفهوم الصحراء عند رهبان مصر" ١٩٧٧م، "تاريخ رهبان القلالي" ١٩٧٧م، "مصادر الرهبانية النصرانية" ١٩٧٩م وغيرها كثير. توفي في ٢٥/٨/٢٠٠٠م وعمره ٨٦ عاما. من مقالة Michel Tardieu من الموقع الرسمي لجامعة *Collège de France*: (www.college-de-france.fr/media/ins_dis/UPL٥٤٩١٤_homguill٢.pdf)

[٧] *Le monachisme primitif*,, p.١٠٢

وهكذا نرى أن هذه المعاني الثلاثة حملتها كلمة "الرهبانية" في اللسان اليوناني واللاتيني، والكلمة لا زالت تطلق على الرهبانية والرهبان النصارى إلى يومنا هذا، وهذه الدلالات لا تزال مرتبطة بالكلمة إلا عند جماعات وأفراد لهم اجتهاداتهم ونظرهم.

أما تعريفات الرهبانية المتداولة اليوم فهي كثيرة أذكر بعضها:

١- "الزهد في متع الحياة الدنيا، والبعد عن نعيمها، واعتزال حياة المادة، وقطع الصلة بين المترهب وبين مشاغل الحياة وعوائق الصفاء، وكل هذا رغبة في تطهير النفس والسمو بها إلى درجات عالية"[١].

٢- "شكل من أشكال الحياة الدينية عند غير المسلمين تعزل فيها جماعة نفسها عن الحياة العامة سعيا إلى تطبيق تعاليم دينها تطبيقا تاما ويسمى من يتبع هذا النمط من الحياة راهبا"[٢].

٣ -"كل حياة منظمة لهدف روحاني يتجاوز الأهداف الدنيوية، ويعتبر هذا الهدف هو المبتغى الوحيد"[٣].

٤ -"حركة دينية منظمة يحاول المنتسبون إليها القيام بأعمال هي أكثر مما يقوم به العلمانيون والزعماء الروحيون في دينهم، يغلب عليها الزهد و التبتل، فالراهب أو الراهبة يستقل بنفسه عن المجتمع إما للعيش كمُتَوَحِّد أو بالتحاق جماعة من الذين سلكوا نفس النهج. وقد أطلق أولا لفظ الرهبانية على جماعات نصرانية باللاتينية واليونانية، ثم أصبح اليوم يطلق -مع الفارق- على ما يقوم به أهل الملل مثل البوذية، الهندوسية، الجينية والطاوية"[٤].

٥ -"حياة جماعية أساسها النذور الثلاثة: نذر الطاعة لرئيس الدير، ونذر الفقر، ونذر البتولية، ولا تقتصر على الرجال بل تشمل النساء أيضا، عرفت في البوذية واللامائية قبل المسيحية وكان الرومان يرغمون العذارى على عدم الزواج لكي يكرسن حياتهن لخدمة النار المقدسة"[٥].

---

[١] المسيحية: أحمد شلبي، سلسلة مقارنة الأديان رقم:٢، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط. العاشرة ٢٠٠٠م)، ص٢٨٨

[٢] الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩-١٩٩٩)، ج١١، ص٢٩٢

[٣] *Dictionnaire de spiritualité*, tome X, p.١٥٢٥

[٤] *The New Encyclopaedia Britannica*, *Micropaedia-ready reference*, (١٥th edition, ٢٠٠٣), vol. ٨, p.٢٤٥-٢٤٦; *The New Encyclopaedia Britannica*, *Macropaedia-Knowledge in Depth*, (١٥th edition, ٢٠٠٣), vol. ٢٦, p.١٠٢٣-١٠٣٦

[٥] الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر) ص٨٨٢

مناقشة التعريفات:

إن التعريف الأول تعريف غير دقيق فهو عام يشمل رهبنة الملل كلها إذ تجتمع جميعها على الزهد والانقطاع من أجل صفاء النفس والروح، ثم إن الزهد لا يلزم معه الرهبانية لأن الزهد أعم من الرهبانية.

وأما التعريف الثاني فنقف معه وقفات:

الأولى: أنه أضاف قيودا مهمة حيث أخرج المسلمين من الرهبانية إذ لا رهبانية في الإسلام كما سيأتي تقريره.

الثانية: أفادنا أن الدافع هو تطبيق تام للدين، وهذا المعنى يلتقي مع ما يذكره الكثير من المتقدمين والمحْدَثين من النصارى الذين جعلوا الرهبانية الصورة الحقيقة للنصرانية الكاملة وكأنها تعكس حياة العهد الأول من الحواريين كما وُصِفُوا في الكتاب المقدس في عهده الجديد، ومن هذه التعريفات قول لويس بويي[١]:

"الحياة الرهبانية ليست إلا الحياة النصرانية الكاملة لا أقل ولا أكثر، هي حياة نصرانية تُقْبِلُ كاملةً إلى الكلمة –أي المسيح -عليه السلام- من غير رد ولا تأخير"[٢].

وهذا الحد للرهبانية فيه إشكال نشير إليه ونرجئ مناقشته إذ يلزم من كلام بُويِي ألاّ سبيل للكمال إلا عن طريق التَّرَهُّب. وبعبارة أخرى لا تطبيق كامل للنصرانية إلا بالانخراط في الحياة الرهبانية. ويعني هذا أنه لا نصيب للنصراني العامي من هذا الكمال مهما فعل. وأذكر كلمة الراهب الإيرلندي المشهور كولمبانوس (ت٦١٥م) والذي سئل عن نجاة العلماني فكان جوابه بالإثبات بشرط أن يكونوا "بجوار الأديرة حتى تكفر ذنوبهم بدخولهم فيها وتحملهم مشاقّ حياة الرهبان، فإن لم يفعلوا فالواجب عليهم طلب الدعاء من الرهبان وتمويل الأديرة بعطايا كريمة"[٣]. وكانت هذه الدعوى مدخل كبير لمناوئي

---

[١] *Louis Bouyer* (١٩١٣- ٢٠٠٤م): لاهوتي كاثوليكي فرنسي، درس اللاهوت البروتستانتي وعين قسا في ١٩٣٦م. في ١٩٤٤م تحول إلى الكاثوليكية وكان أستاذا في المعهد الكاثوليكي في باريس كما درس في بريطانيا، وإسبانيا والولايات المتحدة. عينه البابا عضوا في اللجنة الدولية للاهوت (*C.T.I*) وكان مستشارا في مجمع فاتيكان الثاني. وله كتابات كثيرة منها: في الرهبانية والحياة الروحانية.

Trois liturgistes. Héritage et actualité : Louis Bouyer، *Pierre Jounel*، *Pierre-Marie Gy* : Revue La Maison-Dieu n° ٢٤٦, (٢٠٠٦), p.١٨٣; (http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_Bouyer)

[٢] *Le sens de la vie monastique* : L. Bouyer, p.٢٩; cité par René H.ESNAULT : *Luther et le monachisme aujourd'hui*, nouvelle série théologique n°١٧, (Genève: Labor et Fidès ١٩٦٤), p.٦٢

[٣] *L'essor du christianisme occidental*: Peter Brown, traduit par Paul Chemla, *collection « Faire l'Europe »*, (Paris: Edition du Seuil ١٩٩٧), p.١٩٣

الرهبانية وناقديها. ومن إجابات أنصار الرهبانية على الإشكال بأن منذ بداية دعوة المسيح حسب ما روته الأناجيل فإنه يظهر طبقتين من المؤمنين به: طبقة تبقى في حياتها العامة، وأخرى تترك كل شيء لمتابعته[١].

ومن الملحوظات على التعريف الثاني أيضا تخصيص ما ذكره بجماعة، والواقع أن الرهبانية تشمل حياة المتوحدين، المنعزلين، السائحين كما تشمل من يعيش جماعة في أديرة كما سيأتي.

أما تعريف "قاموس الروحانية" الذي قام به مجموعة من علماء النصارى فإنه قد ركز على الهدف الذي من حوله نظمت حياة روحانية، وهذه قضية مهمة إلا أن التعميم يشمل جميع صور الرهبنة في الملل والنحل ولا يعطينا تصورا دقيقا عن الرهبانية لدى النصارى مثل التعريف الأول.

وتعريف الموسوعة البريطانية أكثر دقة حيث ذكرت التبتل وهو ركن أساسي في الرهبانية عند النصارى، وجمعت بين المنهجين: منهج المتوحّدين والديريّين، كما أشارت إلى وجود ذلك في الجنسين الرجال والنساء. وأفادتنا أن هذا المصطلح لم يستخدم للملل غير النصرانية إلا مؤخّرًا فهو مصطلح نصراني في الأساس وهي معلومة نفيسة.

وأخيرا أضافت الموسوعة العربية قضية النذور الثلاثة التي هي سمة بارزة وبوابة رئيسة لا بد لمن يلج الحياة الرهبانية الديرية أن يلتزم بها وسيأتي تفصيلها في الفصل الثاني.
والذي يظهر لو أردنا تلخيص تعريف الرهبانية عند النصارى في نقاط:

١ -في الأساس هي **الانقطاع عن الدنيا والوحدة**، وذلك بالمفارقة مطلقا كالمتوحدين والسائحين، أو جزئيا كمن يعيش جماعة في إطار تنظيم وقانون يجب الانصياع له والطاعة لرئيس الجماعة والدير. ومن مظاهر الانقطاع الجماعي العيش من وراء جدران في دير أو غيره، وبالنسبة للشخص فإنه يتميز بلباسه وشعره.

٢ - الغاية والمبتغاة هي **التفرغ للعبادة لتطهير النفس** من أدرانها والتأمل في الإله.

٣ -ولتحقيق ما سبق يلزم **قطع جميع العلائق الدنيوية** ومصادر الهموم كما يقولون فتأتي النذور من تبتل وفقر للوصول إلى هذا الهدف، كما أن الراهب يترك أهله وأقاربه وجميع علاقاته، وأما الطاعة فهي وسيلة لتحقيق الرهبانية في إطار جماعي وليست غاية.

وهذا التعريف للرهبانية ينسجم مع ما ذكره الإمام الشاطبي من أن الرهبانية هي:

---

[١] *<u>L’ordre monastique des origines au XIIe siècle</u>*: Ursmer Berlière, *collection « pax » vol.* ١, (Maredsous: Abbaye de Maredsous, ١٩٢٤), p.٢

"اعتزال الخلق في السياحة وإطّراح الدنيا ولذاتها من النساء وغير ذلك، ومنه لزوم الصوامع والديارة — على ما كان عليه أمر النصارى قبل الإسلام- مع التزام العبادة"[١].

وتعتبر الوحدة قضية محورية في الرهبانية النصرانية، ففي بداية ظهور الرهبانية نجد من أطلق عليهم بالمتوحِّدين يولون الوحدة والانقطاع اهتماما كبيرا، فقد سئل أحدهم عن سبب هروبه حتى من الرهبان الآخرين فأجاب: "إن الإله يعلم أني أحبكم، ولكن لا يمكن لي أن أكون مع الإله ومع الناس"[٢]. ومن ثم نجد البستاني يعرف الرهبانية عند النصارى بقوله: "إنما هي الاعتزال عن الدنيا وأمورها العادية لإشغال النفس بالعبادة وبالأشياء الدينية"[٣]. وعلى هذا فإن التبتل والفقر تابع لهذا الأصل، ولا أدل على ذلك من وجود ظاهرة التبتل عند النصارى منذ القرن الأول والثاني لكن بلا ترهب. ونذكر في هذا المقام نصوصا من مُنَظِّري الرهبانية النصرانية وأوائل من كتب عنها حين عرفوا أو وصفوا الراهب، يقول القديس جيروم[٤]: "هكذا يكون الراهب: يمتنع عن المرأة، لا ينجب ولدا ولا بنتا، بل ليكن جندا للمسيح، مُخلَّص من المادة، مُحرَّر من الهموم، مُعفَى من كل انشغال [دنيوي]"[٥]. ويقول يوحنَّا كاسيان[٦]: "كما أنهم امتنعوا عن الزواج وابتعدوا عن آبائهم وعن الحياة سموا رهبانا بسبب هذه الحياة الصارمة بلا أهل في الوحدة"[٧].

يبقى بعض المسائل متعلقة بالتعريف أذكرها في النقاط التالية:

١- قد يعترض معترض ويذكر نذر الطاعة الذي هو سمة من سمات الرهبانية الجماعية وهي الغالب على الرهبانية عبر التاريخ، ومن ثم عرفت "موسوعة الدين والأخلاق" الرهبانية بأنها: "حياة جماعية أساسها

---

[١] الاعتصام، تحقيق أحمد عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١١-١٩٩١م)، ج١، ص٢١١

[٢] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.٢٢٣

[٣] دائرة المعارف، (بيروت: دار المعرفة)، ج٨، ص٦٨٨

[٤] *Jérôme* (٣٤٧-٤٢٠م): يعتبر من كبار آباء الكنيسة الغربية، ومن أعلم الآباء اللاتينيين. من أهم أعماله ترجمة الأناجيل من الآرامية والعبرية إلى اللاتينية بتكليف البابا داماسوس الأول (ت٣٨٤م) والمعروفة بالفلجات *La Vulgate*. وله مؤلفات معتمدة كثيرة. معجم آباء الكنيسة وقديسيها:

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=٤٠٠)

[٥] *Base de la vie monastique*: Évagre, du *Dictionnaire de spiritualité*, t. X, p.١٠٤٩

[٦] *Jean Cassien* (٣٦٥-٤٥٨م): من المراجع الهامة لدى الرهبان النصارى، وحلقة وصل بين الشرق والغرب حيث إنه بكتاباته نشر الرهبانية الجماعية في الغرب. من أهم مصنفاته: المحاضرات *Conférences*، *المؤسسات الجماعية* *Institutions cénobitiques*.

Saint Jean Cassien: Sa doctrine spirituelle: Sœur Marie-Ancilla, (Marseille : La Thune, ٢٠٠٢), p.١١-٢٠

[٧] *Conférences XVIII* : Jean Cassien, ٥, sc٦٤, p.١٦, de *Dictionnaire de spiritualité*, t.X, p.١٠٤٩

النذور الثلاثة: نذر الطاعة لرئيس الدير، ونذر الفقر، ونذر البتولة.."[١] وقد اختار هذا التعريف الباحث عمر وفيق الداعوق في رسالته: "الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها"[٢].

لكن الذي يظهر أن طاعة رئيس الدير مع ما أضفَوْا عليها من الهالة ليست من ذات الرهبانية أساسا وليست مقصودة لذاتها أصلا، وإنما ظهرت لما كانت الحياة الجماعية والديرية لا تستقيم إلا برئيس تجب طاعته للمصلحة. فتعريف الموسوعة يختص بالرهبانية الجماعية وليست الرهبانية عند النصارى بإطلاق. أما وجود منذ النشأة ما عرف بالإرشاد والإشراف من قبل الراهب الكبير والأقدم تجربة ليتم توجيه الرهبان في حياتهم الروحية، فقد كانت طاعته أمرا عرفيا ضمنيا لا صريحا. ومما يؤكد هذا أن هناك أشكالا من الحياة الدينية لدى النصارى تشتمل على هذه النذور الثلاثة وليسوا رهبانا.

٢- ذكر بعض المفسرين تعليلات عن العلاقة بين الخوف الذي هو أصل كلمة الرهبانية في اللغة العربية وبين المعنى الاصطلاحي فمن ذلك:

- أنهم أحدثوا تلك المناهج والتزموا بها في الأصل "خوفاً من الله ورَهَباً من سخطه"[٣].

- وقيل للخوف من الجبابرة من اليهود والوثنيين الرومان الذين اضطهدوهم وأذاقوهم ألوانا من العذاب فخافوا أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية"[٤].

- وقيل خوفاً من "مخالفة دين النصرانية"[٥]. وكل ذلك وارد خصوصا الأولان.

وهذا لا يتنافى مع المعنى اليوناني واللاتيني لكنه يتكامل، فاللفظ اليوناني أطلق على حال الرهبان وهو الوحدة والانعزال والتفرد، واللفظ العربي والقرآني أطلق على الدافع لهذه الوحدة وهو الخوف والخشية، والله - تعالى- أعلم.

---

[١] *Encyclopaedia of religion and ethics*: Hastings James and others, (C. Scribner's sons. T. & T. Clark, ١٩٢٤-١٩٢٧), vol.٨, p.٧٨١

[٢] وهي رسالة قدمها الباحث لنيل درجة الدكتوراة في تخصص العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٠٧هـ. مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية: جامعة أم القرى – قسم الرسائل الجامعية، رقم: ١٣٥٤، ص٤

[٣] أحكام القرآن: ابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ج٤، ص١٨٢

[٤] الكشاف: الزمخشري، (بيروت: دار المعرفة)، ج٤، ص٦٩

[٥] تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤)، ج٢٧، ص٤٢٢

المبحث الثاني:
ظاهرة الرهبنة في التاريخ البشري

أولا: في تاريخ مصر القديم:

نجد في تاريخ مصر القديم الذي حكمه سلالات الفراعنة في طبقة الكهان مظاهر ما يمكن تسميتها بالرهبنة وإن كان هذا المصطلح لا وجود له بعد.

كانت الحياة الدينية في مصر مبنية على عبادة الظواهر الطبيعية وعبادة الحيوانات وغيرها، وقد أضفى الشعب على الحاكم صفات الألوهية إذ يعتبر عندهم الوسيط بين الآلهة وبين الناس والمسؤول العام عن إقامة العبادة لهذه الآلهة عن طريق القرابين والطقوس المختلفة. ولما كانت المملكة واسعة الأطراف عَيَّن الحُكّام رجالا هم الكهان ليقيموا الشعائر التعبدية لهذه الآلهة في الهياكل التي تعتبر بيوتها في الأرض. والكهان ليسوا على درجة سواء، فقد أوصل بعضهم وظائفهم المختلفة إلى مئة وخمسة وعشرين وظيفة، ومِنْ هؤلاء مَن انقطع للعبادة.[١]

ثانيا: في أديان الهند:

١) الهندوسية:

ترجع أديان الهند إلى زمن سحيق، فيرى بعضهم أنها ترجع إلى ما بين الألف الرابعة والألف الثالثة قبل الميلاد، وقد عبدوا الظواهر الطبيعية كالشمس والنار وعدد لا يحصى من الآلهة التي تختلف حسب المناطق، وكلها ترمز إلى الإله الأكبر "براهما" الموجد الأكبر. يطلق على الديانة الهندية القديمة "الفيدية" نسبة إلى الكتاب المقدس الموسوم ب"الويدا" والذي يعتبر أقدم كتاب مقدس في العالم، ويجزم الباحثون الغربيون أنه كتب على مراحل ما بين (١٥٠٠ق م) و(١٠٠٠ق م)، ويرى آخرون أنه دون ذلك فيما يقارب (٢٥٠٠ق م)[٢]. وللكتاب أقسام عديدة وعليه تفاسير ليس هنا محل بحثها[٣]، وقد أثبتت الآثار أن كهان وسدنة معابد النيران كانوا يتولون تقديم القرابين للإله ولكن ليس هناك تفاصيل عنهم[٤].

---

[١] الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها: عمر وفيق الداعوق، ص١٢-٢٠؛ الله: عباس العقاد، موسوعة العقاد الإسلامية، (بيروت: دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٩٧٠م)، ج١، ص٨٢

[٢] فصول في أديان الهند: محمد ضياء الرحمن الأعظمي:، (المدينة المنورة: دار البخاري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ص٢٣

[٣] انظر للمزيد في المرجع السابق و أديان الهند الكبرى: أحمد شلبي، مقارنة الأديان رقم:٤، (القاهرة: مكتبة النهضة العصرية، الطبعة الحادي عشرة ٢٠٠٠م)، ص١٠٣-١٢٥

[٤] الديانات القديمة: محمد أبو زهرة، محاضرات في الأديان: القسم الأول، (دار الفكر العربي)،ص٢٢-٢٣

أما الحياة الرهبانية فليس هناك حياة منظمة موحدة وإنما هي مناهج مختلفة. ففي عهد الويدا (١٥٠٠-٦٠٠ ق م) هناك أشكال من الرهبنة[١]:

١ -**زهاد متوحدون**: يعيش في قعر الغابات في مكان ثابت، يسمح للراهب بمصاحبة زوجته لكن لا يمسها. يقضي وقته في تلاوة الويدا، تقديم القرابين، الاغتسال اليومي، يعتبر هذا العيش مؤقت كالاعتكاف وليس انقطاع تام عن المجتمع.

٢ -**زهاد سائحون متسولون**: ويطلق عليهم "رافضون" إذ رفضوا المجتمع مطلقا حتى الحياة الدينية العلمانية، ليس له من المال شيئا إلا صحنا يتسول به لطعامه، ويستوي عنده المعطي والمانع وكذا المقل والمكثر.

يلتزم الرهبان الهنود بنذور منها الأصلية وأخرى فرعية. فأما الأصلية فهي:

١ -عدم الإيذاء.
٢ -عدم السرقة.
٣ -ضبط النفس.
٤ -الكرم.

وأما الفرعية:

١ - روح المساواة.
٢ -طاعة الرئيس.
٣ -اللّطْف.
٤ - النظافة.

يضاف إلى ذلك نذر الصمت الذي يلتزم به البعض، وآخرون -وهم قلة- ينذرون نذر الاحتباس في زنزانة لا يرى أحداً، وعموما فإن التقيد بهذه النذور يختلف باختلاف الرهبان فيتسم من يطلق عليهم *vishnouites* بالمرونة ويتسم *shivouites* بالتشدد. وغالب عمل الراهب مقصور على الصلوات والتأمل، يلبسون اللباس الزعفراني، وليس هناك حياة جماعية في أديرة، وما يوجد من أديرة إنما هي في الأماكن المقدسة المقصودة تختص بضيافة الزوار والرؤساء *gurû* ومريدوه الملتزمون.
ودور الرئيس الإشراف على المريدين روحيا، يعلِّم النصوص المقدسة تلاوة وشرحا، ويدرب على "اليوجا": ضبط التنفس والحركات والتأمل.

[١] *Dictionnaire de spiritualité, ascétique et mystique : doctrine et histoire*, (Paris : Beauchesme ١٩٨٠), t.١٠, p.١٥٢٧-١٠٢٩

أما الدافع لهذا الضرب من الرهبنة فهو الاعتقاد بأن كل إنسان أصله من الإله فروحه أزلية، وإذا مات الإنسان وفارقت روحه جسده فإنها تتقمص جسدا آخر لتثاب على الأرض أو تعاقب، ويسمّى هذا ب"الكارما" أي "قانون الجزاء"، ويبقى هذا الدور مستمرا كلما مات حتى يتخلص الإنسان من كل ما له وعليه فيصل إلى النجاة "النرفانا" لتنطلق روحه فتتحد وتفنى في الإله "براهما". وإن كان الكون والزمان عندهم لا ينتهي بل هو حلقة مستمرة وكلما انتهى دور بدأ آخر[١].

إن قضية الرهبنة والرهبان لها علاقة وطيدة بالطبقية عندهم، فهي تختص بالطبقة الأولى من الطبقات الأربع أي طبقة البراهمة أو طبقة رجال الدين الذين فيهم الرهبنة. وهم من خلقوا على حد قولهم من"فم الإله"، وهم الطبقة العليا والسادة في المجتمع الهندوسي لا يجوز مسهم بسوء مهما ارتكبوا من الجرائم والفواحش، وأقصى ما يقدر عليه السلطان حالة فساد أحدهم هو طرده[٢].

ولهذه الطبقة أدوار يمر بها البراهمي في تكوينه لأداء مهمته ككاهن ورجل دين، تنقسم إلى أربعة أدوار[٣]:

الأول: دور التربية والتعليم – "بَرَهْمَا جَارَيا آشَرَمْ"

يبدأ هذا الدور إذا بلغ الطفل ثماني سنوات، وتختص هذه الفترة بجانبين هما: التربية والتعليم. أما الجانب التعليمي ففيه يتلقى تعاليم الويدات بملازمة أحد المشايخ فيدرس على يديه ويخدمه بكل احترام وتعظيم. وفي الجانب التربوي يُعوَّد الطفل على الخشونة في المشرب والمأكل والملبس فلا يشرب الخمر ولا يأكل اللحم ويكتفي بوجبة واحدة في اليوم. يؤمر بتجنب العطور وتزيين المظهر ويروض على الذلة والمسكنة بالتسول، كما يجب على الطالب السيطرة على شهوته بالابتعاد عن النساء فيحرم النظر إلى امرأة بشهوة. وفي حالة زواجه خلال هذا الدور فإنه لا يقرب زوجته ولا يبيت معها. وهذا الدور قد ينتهي في تسع سنوات كما أنه قد يستمر إلى ست وثلاثين سنة، وتختلف هذه الفترات إذا كان الطالب بنتاً. ويرى الزعيم الهندي غاندي تفضيل هذه الحياة إلى الأبد. ومَن التزم في هذه الفترة بالأحكام والآداب فإنه لا يعود إلى الدنيا مرة أخرى.

الدور الثاني: الحياة العائلية – "كِرْهَسْتا آشَرَمْ"

الأصل عند الهندوس هو قطع العلائق المادية والدنيوية ما أمكن، وهذه النظرة تتفق تماما مع أصولهم إذ يعتقدون أن ما دام أن هناك أي علاقة بالمادة فإن العودة بعد الموت حاصلة. ومن صور قطع علائق المادة الابتعاد عن الزواج لكن رأى بعضهم أن في ذلك خطورة على الهندوسية؛ فبعدم استمرار النسل

---

[١] فصول في أديان الهند، ص١٠٠-١٠١

[٢] المرجع السابق، ص٥٥-٦٥

[٣] الديانات القديمة: محمد أبو زهرة، ص٤٧-٤٨؛ و المرجع السابق، ص٧٤-٨٢

لن يبقى على وجه الأرض هندوسيا مع مرور الزمن. ومن هؤلاء "منو" و"ديانند"، فقد فضّلا هذا الدور على سائر الأدوار. وعلى البرهمي في هذا الدور التزوج وكسب عيشه له ولمن يعول.

الدور الثالث: التربية الجسدية والروحية – "بان برست آشرم"

إذا مر البرهمي بالدورين السابقين وبلغ من الكبر عِتِيّا واشتعل رأسه شيبا وصار له أحفاد فإنه يسلك درجة النسك والعبادة فيترك كل شيء ويذهب إلى الغابة ليعيش عيش الحيوانات ليقهر جسمه تاركا شعره، في الليل يفترش الأرض ملتحفا جلود الغزال، وفي النهار يظل واقفا تحت حر الشمس أو مبتلاً تحت غيث السماء، يأكل يوما ويصوم أياما، يسد رمقه بورق الشجر والأعشاب.

ويبقى كذلك حتى يطعن في السن منتظرا إشراقا لينتقل إلى الدور الرابع.

الدور الرابع: الحياة الرهبانية والمعلمية – " سنياس آشرم"

وفي هذا الطور يخرج من إنسانيته ويكون روحا لا جسدا حيث وصل إلى القمة المبتغاة وهي الاتحاد باللاهوت، ويصبح شيخا كاملا مطاعا.

ومن أحكام هذه المرحلة أنه يحلق رأسه ولحيته وشواربه، ويقلم أظافره، و يسيح متسوِّلا حاملا معه الكشكول كأنه أصبح أهلا أن يؤخذ منه، وبذلك يحصل له "النرفانا" فلا عودة إلى الدنيا إذا انقضت أنفاسه.

٢) **الجينية**[١]:

بعد ما طال الأمد على طبقة البراهمة لدى الهندوس وظهر استبدادهم وظلمهم بسبب الامتيازات التي ينعمون بها ظهرت ردة فعل من قبل طبقة "الكشتريا" خصوصا وهي الطبقة التي تلي البراهمة.

تأثر مؤسس الجينية "مها ويرا"[٢] (٥٩٩–٥٢٧ ق م)[٣] بزهد النساك والرهبان الذين كانوا يرتادون بيت أبيه، فلما مات أبوه تخلى عن كل شيء، حلق رأسه وتقشف وذهب هائما معتزلا مدة ثلاث عشرة شهرا، ثم أصبح "مها بِير سوامي" وتعني "المقاتل الشجاع" الذي قتل رغباته وشهواته.

الرهبنة عند الجينية مرتبطة بعقيدة النجاة وإن كان هناك اختلاف بينهم، فالدجامبرية[٤] ترى الوصول إلى النجاة عن طريق بلوغ درجة العُرِي الكامل الذي يحصل بالتخلي المطلق عن الدنيا وملذاتها فينطلق

---

[١] أديان الهند الكبرى: أحمد شلبي، ص١٠٣–١٢٥

[٢] وتعني الزيادة. المرجع السابق.

[٣] وقيل ٥٤٠–٤٨٦ ق م. فصول في أديان الهند: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص١٥٢

[٤] وتعني أن لباسهم السماء. المرجع السابق، ص١٥٤

أحدهم سائحا، عاريا، حاملا معه الكتاب المقدس، لا يأكل إلا مرة في اليوم مما يقدمه الناس إليه وبأيديهم فقط فلا يرون استخدام الأواني.

ومما يميزهم عن الفرقة الأخرى هو اعتقادهم أن المرأة لا تنجو ما دامت في قالَبها النسائي، فتحتاج روحها إلى حياة أخرى في قالب رجل لحصول النجاة.

أما فرقة السوتامبرية[١] فلا ينقطعون عن الضروريات من لباس وفراش وعصا، يأكلون مرتين في اليوم ويستخدمون الأواني.

٣) **البوذية**[٢]:

تنسب البوذية إلى"سذ هاتا" (٥٦٣-٤٨٣ ق م) الذي أصبح بعد حياة الترهب "غوتاما" أي الراهب، ثم أصبح بعد إشراقه "بوذا" أي العارف المستيقظ. نشأ منعّما في بيت شرف وثراء، ولما بلغ ٢٩ سنة ترك كل شيء ليعيش عيش التأمل في الغابات. بقي على ذلك ست سنوات حتى كاد أن يهلك من كثرة تعذيب نفسه ومجاهدتها، ولما عزم على الرجوع إلى حياته الأولى -إذ لم يجد بغيته من تلك التأملات- جاءه الإشراق فألزم نفسه الرهبنة داعيا إليها منتقلا بين القرى لمدة خمس وأربعين سنة حتى وفاته.

تلقى عنه تلاميذه إرشادات ومواعظ جُمِعَت بعد وفاته إلا أنه لم يمر ثلاثة قرون من موته حتى اختلفوا وانقسموا إلى ثماني عشرة فرقة أشهرها اثنتان[٣]:

هنايان "العربة الصغيرة":

تتميز هذه الفرقة -حسب ما ذكره الشيخ أبو زهرة وغيره- باعتقاد إنسانية بوذا وأنه بشر ولد من أب وأم، وإنما تميز بصفات أوصلته إلى مرتبة قدسية، وتعتبر هذه الفرقة أقرب إلى ما كان عليه بوذا وأصدق قولا فيه، انتشرت في المناطق الجنوبية من الهند وجزيرة سيلان.

ماهايان "العربة الكبيرة":

تعتقد إلهية بوذا وأنه الإله الأكبر، وما هو إلا نور في صورة جسم، يرون كل راهب إلها من دون الله؛ ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أنه لا اعتماد على ما يذكرونه عن بوذا، ذلك أنهم ضلوا ضلالا بعيدا عما كان عليه بوذا وأضفَوْا عليه كثيرا من الخرافات.[٤]

---

[١] وتعني الذين اختاروا اللباس الأبيض، المرجع السابق.

[٢] الأديان القديمة: محمد أبو زهرة، ص٥٢-٧٨؛ أديان الهند الكبرى، ص١٣١-١٧٩؛ *Dictionnaire de spiritualité*, t.١٠, p.١٥٢٩-١٥٣١

[٣] فصول في أديان الهند، ص١٤٥-١٤٧

[٤] الأديان القديمة، ص٧٨

انتشرت في المناطق الشمالية من الهند والتبت ومنغوليا والصين واليابان.

ما جاء به بوذا لا يختلف في جوهره عما كان عليه الهندوس وإنما يسّر تلك العلوم، ألغى الطبقية وجاء بنظرية أو فلسفة جديدة في الحياة تتلخص في الآتي[١]:

أولا: الحياة مليئة عذابا وشقاء.

ثانيا: هناك سبب لهذا العذاب والشقاء.

ثالثا: هذا السبب قابل للزوال.

رابعا: الوسيلة لإزالته موجودة لمن يختار.

تعتبر البوذية دين رهبنة أساسا فلا بوذية من غير رهبان إذ يعتقدون أنه لا يصل إلى السلامة على وجه الكمال إلا الراهب، أما غيره فيصل إلى النجاة بخدمة الرهبان لكي يكون في حياة ما راهبا فينجو. وأساس الرهبنة البوذية مبني على التخلص والتحرر من المتاعب للوصول إلى النرفانا فينعتق حتى لا يولد مرة أخرى. وحياة الراهب تختلف حسب المناطق، فيركزون في عباداتهم على التأمل المنظّم للوصول إلى الانعتاق، يعيشون في أديرة –تكون عادة قريبة من المدن إلا قليلا منها في الغابات– جماعات أو فرادى حياة أكثر قسوة وتأملية، ليس لديهم نذور سوى الالتزام بالبتولية إلا عند بعضهم في اليابان كما أنه حر للعودة إلى الحياة.

فالرهبنة في البوذية –بشتى فرقهم– متعلقة بهذه النظرة التشاؤمية للحياة، فقد رأى بوذا أن عمر الإنسان كله أحزان وأكدار من الولادة إلى الموت، وسبب ذلك هو الأمنية الكاذبة والشهوات المهلكة، وهي بدورها تؤدي إلى الولادة من جديد. والسبيل إلى الخلاص تتلخص في الآتي:

- إماتة الشهوات.
- اجتناب الحاجات الزائدة.
- السعي في قطع العلاقات الدنيوية واختيار العزلة التامة.

ولحصول النجاة وضعوا منهجا في ثمانية أصول تشتمل على جانب نظري وعملي منها[٢]:

- ترك الدنيا ولذاتها فيحرمون العمل ويعيشون بالتسول.
- مراقبة بوذا وذكره واستحضاره بالقلب وتركيز النظر إلى تمثاله.
- اجتناب محرمات عشرة وهي: قتل النفس، السرقة، الكذب، الغش، شرب الخمر، الأكل بعد الظهر، الرقص والموسيقى، التطييب، الجلوس في الشارع والمكان المرتفع، قبول الهدايا من الذهب والفضة.

[١] "الله" : عباس العقاد، موسوعة العقاد الإسلامية، ج١، ص٩٤-٩٥

[٢] انظر: فصول في أديان الهند، ص ١٣٦-١٣٧

ثالثا: عند فلاسفة اليونان[١]:

نجد عند الفلاسفة اليونان فِرَقا أو جماعات عاشت ضربا من الرهبانية نذكر هنا مثالين هما:

١) الأورفية:

في حدود القرن السابع قبل الميلاد ظهر اتجاه ديني صوفي رأى تغيير العلاقة بين الإنسان والآلهة من علاقة العبد بسيده إلى علاقة تَقَرُّبٌ فاتحاد بالإله، وذلك رجاء نيل سعادة الآلهة لينتهي التعارض الموجود بين الرهبة والخوف اللّذَيْن يملآن قلوب العباد في الحياة وبعد الممات وبين سعادة الآلهة.

أشهر هذه النحل نحلة "الأورفية"، ظهرت في إيطالية الجنوبية وصقلية، وإن كانت المعلومات عنها تعتبر ضئيلة مما وصل إلينا عن طريق تمثيليات أريسطوفان (ت ٣٨٥ ق م) وحوارات أفلاطون (ت ٣٤٦-٣٤٧ ق م)، وكذا شهادات ثيوفراست (ت ٢٨٨ ق م).

عُرِفَت الأورفية بالشعوذة والغموض والسرية، ومن ثم لا يمكن الجزم بما هو منقول عنهم، يروى عنهم الاهتمام بالعلم الروحاني والطهارة الباطنة، تكلموا في وجوب خلاص الإنسان من الشر، ولما كان هذا عسيرا في حياة واحدة قالوا بالتناسخ، اكْتُشِفَتْ صحائف ذهبية في مقابر جنوب إيطاليا عليها إرشادات للميت لتدله على الطرق والصلوات لكي ينجو من الولادة مرة أخرى. تزامن ظهورها بالوقت الذي انتشرت البوذية في الشرق، فلعلها أخذت منها التناسخ مباشرة أو بواسطة، أما تأثيرها فمن المحتمل أنها مهدت للفلسفة العقلية الروحية على أيدي فيثاغوراس وسقراط وأفلاطون.

ويذهب وِلْ دِيُورَانْد إلى أن الأورفية أدت إلى الفلسفة الأخلاقية والرهبنة في الرهبانية المسيحية فيما بعد بواسطة رجال الأفلاطونية الجديدة بالإسكندرية الذين كان بحوزتهم "مجموعة كبيرة من الكتابات الأورفية اتخذوها أساسا للاهوتهم وطقوسهم وتصوفهم"[٢]، كما أن هناك تأثيرات أخرى في العقائد المسيحية مثل عقيدة العشاء الرباني وهو أكل جسم الإله ودمه وقدسيته.

---

[١] تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الخامسة ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م)،ص٦-٨؛ و موسوعة المورد: منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٠م)، ج٧، ص١٧٦؛

L'orphisme et ses écritures: Philippe BORGEAUD, Claude CALAME et André HURST, *Revue de l'histoire des religions*, ٤/٢٠٠٠,

(http://rhr.revues.org/document٥٢٠٣.html.)

[٢] قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (بيروت: دار الجيل)، ج٦، ص٣٤٦-٣٤٧

٢) الفيثاغوريون[١]:

ينتسب الفيثاغوريون إلى فيثاغوراس (٥٧٢ – ٤٩٧ ق م) الفيلسوف الرياضي والفلكي المشهور. أنشأ في إيطاليا الجنوبية فرقة دينية علمية صوفية سياسية شبيهة بالأورفية، غرضه كان إنشاء علاقة بين الإنسان والإله من أجل إصلاح المجتمع.

عاش الفيثاغوريون في عفة وبساطة بموجب قانون ينص على الملبس والمأكل والصلاة والترتيل والدرس والرياضة البدنية، يلتزمون الصمت ولا يصدرون إلا عن رأي المعلم، جعلوا العلم وسيلة لتهذيب الأخلاق وتطهير النفس[٢].

ومن مذهب الفيثاغورية القول بالتناسخ، فالروح عندهم بعد الموت تتطهر بالعذاب ثم تعود إلى الأرض في جسم إنسان أو حيوان أو نبات حتى تتطهر، يُرْوى عن بعضهم تحريم أكل الحيوان وبعض النبات. لكن يرى البعض أن كثيرا مما يروى عنهم لا يُعْتمد عليه ويؤخذ على حذر بسبب فقدان جميع مصنفات فيثاغوراس إذ اضْطُهِد هو ونحلته وأحرق مركزهم لما كان لهم من نشاط إصلاحي، فقد حاولوا فرض نظامهم على الدولة وحكموا مدينة كرُتُونَا[٣] مدة قصيرة[٤].

والمصنفات المنسوبة إليه منحولة، كذا ما ينسب لتلاميذه، وقد نسجت حوله وجماعته أساطير ومعجزات نجد الكثير يضع عليها علامات استفهام والله – تعالى– أعلم.

وسيأتي الحديث عن جماعات رهبانية يهودية في الفصل الأول التأثيرات الأجنبية في نشأة الرهبانية النصرانية

والخلاصة من هذا التمهيد أمور:

١ –تبين أن الرهبانية اصطلاحا: "الانقطاع عن الدنيا والوحدة بقطع جميع العلائق الدنيوية من أجل التفرغ للعبادة ".

٢ –معنى الرهبانية موجود بصور مختلفة في الأديان والحضارات قبل النصرانية كما عند المصريين، وفي أديان الهند والمذاهب الفلسفية اليونانية.

---

[١] تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص٢٠-٢٦

[٢] *Histoire des croyances et des idées religieuses*: Mircea Eliade, (Paris, ١٩٧٨), t.٢, p.١٩٠, cité par *Dictionnaire de spiritualité*, t.١٠, p.١٥٢٦

[٣] في جنوب إيطاليا حاليا. (http://fr.wikipedia.org/wiki/Crotone)

[٤] تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، (بيروت: المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧م)، ص٣٢-٣٣

الفصل الأول:

نشأة الرهبانية عند النصارى وتطوّرها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : مراحل نشأة الرهبانية عند النصارى

المبحث الثاني : تطوّر الرهبانية عند النصارى

المبحث الثالث : انتشار الرهبانية

المبحث الرابع : التأثيرات الأجنبية في نشأة الرهبانية

المبحث الخامس: موقف الكنائس المختلفة من الرهبانية

المبحث الأول:
مراحل نشأة الرهبانية عند النصارى

التمهيد: ظاهرة الزهد في القرون الميلادية الأولى:

الحديث عن نشأة الرهبانية عند النصارى يقودنا إلى الحديث أهم المراحل التاريخية التي سبقت ظهور الرهبانية لدى النصارى في أواخر القرن الثالث لنأتي بعد ذلك على أثر كلٍّ من الاضطهاد والفساد، وكذا التعاليم النصرانية في نشأة الرهبانية عند النصارى.

أولا: في القرن الأول:

بعد رفع المسيح ﷺ بقي الرسل وعموم الأتباع يعيشون ما يسمونه "بالشركة"[١]. ويروي لنا سفر أعمال الرسل أنهم كانوا على قلب رجل واحد يشتركون في الأموال، ولم يعد أحد منهم يملك شيئا لنفسه حيث جُمِعَتْ الأموال لدى الرسل وعلى رأسهم الرسول بطرس، ولم يُبْقِ أحدٌ شيئا إلا أحضره أو أحضر ثمنه "عند أرجل الرسل" حتى يوزع على بعضهم قدر الحاجة فلم يَبْقَ فقيرٌ بينهم حسب تلك الرواية[٢].

ومن جهة العبادة والتنسك فقد وصفوا في تلك الحقبة بهذه الكلمات: "كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة"[٣]، يصلون بالليل جماعة[٤].

وهذه الحياة الجماعية كما سبقت الإشارة في المبحث السابق هي نواة للحياة الرهبانية المشتركة كما يزعم كثير ممن كتب عن الرهبانية، فقد جزم بذلك مؤرخ النصرانية يوسابيوس القيصري كما مر بنا في الكلام عن المجامع، وإن كان اعتبار ذلك بالفعل يحتاج إلى بسط ونظر من وجوه عديدة سيأتي الحديث عنها في موضعه.

وهناك شخصيات برزت في جانب الزهد والتقشف في تلك الحقبة:

- الرسول يعقوب الكبير ابن زبدي وشقيق يوحنا الحبيب الذي قتل في ٤٤م وصف بأنه: "حَافَظَ على البتولية طوال حياته"[٥].
- الرسول يعقوب الصغير أو البار ابن حلفي، عُرِف بالزهد والتعبد فهو "لم يشرب خمرا ولا

---

[١] سفر أعمال الرسل: (٢: ٤٢)

[٢] سفر أعمال الرسل: (٤: ٣٢-٣٥)

[٣] سفر أعمال الرسل: (١: ١٤) و (٢: ٤٢)

[٤] سفر أعمال الرسل: (١٢: ١٢)

[٥] الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: الأنبا يؤانس، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م) ص٤١٧.

مسكرا، ولا أكل لحما، لم يعل رأسه موسى، ولم يدهن نفسه بالزيت ولم يستحم"، ملابسه من الكتان، "كثيرا ما كان يوجد جاثيا على ركبتيه...حتى صارت ركبتيه خشنتين كَرُكَب الجمل نتيجة انحنائهما المستمر في عبادة الله"[١].

- الرسول بولس الشهير الذي كان متبتلا أيضا وممن دعا إليه في إصحاح كامل من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

وقد وقفت على نصوص كثيرة تدل على وجود فئة في أواخر القرن الأول من الرجال والنساء في المجتمع النصراني انقطعت للتعبد. وقد عرفت النساء اللائي لم يتزوجن قط ب"العذارى"، كما استخدمت كلمة "راهب" باللغة اليونانية في القرن الأول حيث أطلقت على فئة من النصارى عاشوا في وحدة داخل المجتمع لكن على هامشه زهاد متبتلون ومنقطعون للعبادة.

صُنِّف في تلك الفترة رسالتين تعرف ب"رسالات إلى العذارى" منسوبة إلى رابع أساقفة روما المدعو كليمنت روما[٢]، ولقد كانت هاتان الرسالتان مرجعا للرهبانية الجماعية في العصور اللاحقة، وله أيضا "رسالة إلى الكورنثيين" ينصح فيها المتبتلين بأن لا يغتروا بمدح أنفسهم[٣].

وفي رسالة مجهولة الكاتب لكنها مكتوبة في القرن الأول وجدت باسم:"عقيدة الرسل الاثنى عشر" تذكر دعاة النصرانية الأولين تصفهم بالزهد لا يملكون شيئا، وكانت هذه علامة صدقهم وصحة دعوهم[٤].

والخلاصة أن هناك زهاد من النصارى في القرن الأول، وكونهم متنسكين إلى حد أن بعضهم يلتزم بالبتولية يؤكد تأثّرهم بالتعاليم وسير بعض من ينتمي لتلاميذ المسيح عليه السلام، لكنها تبقى ظاهرة ليست منتشرة إذ تعتبر تلك الفترة فترة تأسيس للكنيسة النصرانية مع الأخذ في الاعتبار الاضطهاد الذي أحاط بها من كل جانب.

---

[١] تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري، ترجمة القمص مرقص داود، (القاهرة: مكتبة المحبة)، ص٨٥ (الكتاب الثاني، الفصل ٢٣، ٥-٦)

[٢] *Clément Ier* (٣٠-١٠٠م): ثالث البابوات، قيل أنه استشهد في عهد الإمبراطور تْرَاجَان. معجم أعلام المورد: منير البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)، ص٣٦٨.

[٣] *Lettre aux Corinthiens*: Clément de Rome, trad. A. Jaubert (SC ١٦٧), p.١٦٣, de *Le monachisme primitif*,, p.١٠٣- ١٠٥

[٤] *Doctrine des douze apôtres*. traduction A. Tuilier, p.١١, ٤-٦; *Ibid*, p.١٠٤

ثانيا) بين القرن الأول والثاني:

أرضية الزهد في القرن الثاني أكثر ظهورا وأشد أثرا حتى وصف الأستاذ جَان دَانْيَال دِي بْوَا[١] زهد تلك الفترة بأنه "شديد غاية الشدة"[٢].

غالب تيار الزهد في هذه الحقبة ممثلا بجماعات مختلفة حكمت الكنيسة عليها بالهرطقة، لا لكونها زاهدة ولكن لخروجها عن الأرثوذكسية. ومن ثَمّ كانت المعلومات التي وصلتنا عنهم عن طريق آباء الكنيسة[٣] تغفل جانب الزهد والتنسك وتبرز انحرافهم عموما. ولنقف على بعض تلك الفرق والجماعات:

• الأبيونيون - *Ebonite* :

أصل الكلمة من العبرية *إِيونِيم* ***Evyonim*** التي تعني "الفقراء"، أو نسبة إلى زعيمها أَبْيُون، أطلقت على طائفة من اليهود المتنصرين، ليس هناك أي أثر عنهم سوى الردود التي وُجِّهت إليهم إذ اعتبرتهم الكنيسة وآباء الكنيسة من الهراطقة لإيمانهم أن عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر التي بشرت به أسفار العهد القديم وليس إلها، ويتمسكون بالعهد القديم وينكرون جُلّ العهد الجديد ويرون أن بولس مرتد عن الشريعة فلا يقبلون رسائله. لهم إنجيل غير قانوني ينسب إليهم يطلق عليه "إنجيل العبرانيين"، يمدحون الفقر وينهون عن الغنى، كانوا يبيعون كل ما يملكون على غرار فعل الرسل[٤]. موطن انتشارهم في بلاد الشام حول فلسطين من القرن الأول إلى القرن الخامس الميلادي[٥] .

---

[١] *Jean-Daniel Dubois*: مدير دراسات في قسم العلوم الدينية في جامعة السربون بباريس. له مصنفات متخصصة في تاريخ الأديان وفي الأقباط فمن ذلك:

- *Nag Hammadi – Évangile selon Thomas :Textes gnostiques aux origines du christianisme*. Editions du cerf ١٩٨٧

- سلسلة دفاتر الأناجيل: "نجع حمادي – إنجيل يهوذا: نصوص غنوصية في أصول النصرانية"

- *Introduction à la littérature gnostique*, Edition du cerf, ١٩٨٦

- "مدخل إلى الأدب الغنوصي"

[٢] من محاضرة بعنوان: "الغنوصية: الصراع داخل كنيسة القرن الثاني" ألقاها في ١٨/١١/١٩٩٥م، منشورة بموقع رعية منطقة أوتيل – فرنسا- الكنيسة الإصلاحية:

(http://www.erf-auteuil.org/conferences/les-heresies-avant-les-heresies.html)

[٣] في اصطلاح النصارى هم معلمو الكنيسة وأساتذتها وكتبتها في القرون الستة الأولى، وقيل إلى الثامن. ومن أشهرهم كليمنت، يوحنا فم الذهب ويوحنا الأنطاكي وغيرهم. معجم لأعلام الشرق والغرب، ص١ بواسطة مصادر النصرانية: دراسة نقدية، ص١١٤.

[٤] *Dictionnaire de spiritualité*, tome VI, p. ٣١-٣٩

[٥] المرجع السابق؛ وانظر الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام: لمحاد حياطة، (دمشق: دار الأوائل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م)، ص٧٧؛ و الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٠٨، ١٢٤

• **الغنوصية:**

تعني في اللغة اليونانية المعرفة، واصطلاحا هي:"التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا"[١].

الغنوصية حركة فلسفية قديمة إلا أنها تسربت في مختلف العقائد والأفكار، فقد أثرت في فرق يهودية كما أثرت في طوائف نصرانية وطوائف تنتسب إلى الإسلام.

أضافت الغنوصية في الزهد النصراني معانٍ جديدة مستوردة مبنية على "فلسفة ثنائية تقول إن العالم الملموس المادي شر، ولا يمكن أن يكون الله هو خالقه، بل خلقته كائنات أقل مركزا تسمى ديمارج، أما الله فهو يحيا منفصلا انفصالا تاما عن العالم المادي الشرير، ويسكن في عالم الروح النوراني، **أما خلاص الإنسان فهو بهروب الإنسان من العالم المادي إلى عالم الروح بواسطة المعرفة**..."[٢] فكان من شأنهم أن كل ما هو سبب في إبقاء الدنيا يجب أن يترك ويزهد فيه كالزواج إذ منه النسل الذي يزيد البشر على وجه الأرض فيفسدون فيها. كما أن عمارة الأرض يوجب استبطاء القيامة.[٣]

ومن الجماعات النصرانية التي حملت هذا الفكر بصور متفاوتة في القرن الثاني الميلادي وما بعده:

١) أتباع ماركيون[٤]:

عاشوا في القرن الثاني الميلادي حياة الزهد والتقشف يُحرِّمون اللحم والخمر والزواج، للدخول في نحلتهم لا يتم التعميد للمتزوج حتى يفارق زوجه، فيجب رفض الزواج وعمارة الأرض لتقوم الساعة. ولا يعلم عنهم كثير من التفاصيل إذ عاشوا منعزلين، ومع أن الكنيسة شنت عليهم حربا شعواء. بقوا مؤثرين خصوصا في بلاد الشام حتى القرن الخامس الميلادي، وانقرضوا في القرن العاشر. ارتبط زهدهم بعقيدة الاحتجاج ضد خالق الكون المادي الذي يطلقون عليه "إله العهد القديم". أما "إله العهد الجديد" فهو إله المحبة الذي أرسل ابنه المسيح ليخلص البشرية تعالى الله عما يقولون عُلُوّا كبيرا[٥].

---

[١] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص١١١٣

[٢] تاريخ الكنيسة: جون لويمر بواسطة جذور الشيعة وجيش المهدي: تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية: محمود المراكبي، سلسلة الظاهر والباطن (٢)، (الطبعة الثانية ١٩٩٦م)، ص٤٠

[٣] *Le monachisme primitif,* p.١٠٣

[٤] *Marcion* (٨٥-١٦٠,١٦١م) ولد ماركيون في سِينُوب الواقعة على شاطئ جنوب البحر الأسود بآسيا الصغرى، كان قسيسا حتى حكمت الكنيسة عليه بالهرطقة عام ١٤٤م فأنشأ كنيسة مستقلة. يرفض العهد القديم ولا يقبل من العهد الجديد سوى رسائل بولس. المرجع السابق، ص١٠٩؛ تاريخ الكنيسة: جون لوريمر، ج١، ص١١٤-١١٨بواسطة الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها: أحمد علي عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان رقم٦، (القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م)، ص٦٤

[٥] الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص٨٠-٨١؛ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٢١-١٢٢، و *Le monachisme primitif,* p.١٠٩

٢) الإنكراتيون **Encratite**:

نسبة إلى *الإِنْكَرَاتِيزْم* - ***encratism*** باليونانية: *إِنْكَرَاتِيزْ* ***enkratès*** وتعني: ضبط النفس والتبتل[١].

مذهب ظهر في القرن الميلادي الثاني على يد تاتيان السرياني[٢]، يدعو إلى زهد قاس ويرى النجاة برفض الدنيا كليا وأن الزواج دعارة أوحاها الشيطان وسنها آدم، ومن ثَمّ فهو يرى التبتل من لوازم الإيمان يجب على كل من دخل النصرانية الالتزام به، وحرّم أكل اللحوم وشُرب أي مسكر[٣].

دعّم فكريا هذه الاتجاهات كلها بكتابات أبوكريفية[٤] انتشر منها: إنجيل يهوذا، أعمال اندراوس، أعمال يوحنا، أعمال بولس، أعمال بطرس وغيرها[٥].

والذي يظهر بعد هذا العرض أن الزهد في القرن الثاني الميلادي مرتكز على التبتل وتحريم بعض المأكولات والمشروبات، وهناك اتجاه فلسفي ثنائي ممثلا في الغنوصية.

وقد ظهرت في هذه الحقبة استخدام كلمة راهب باليونانية: *مُونَاخُوس* ***monachos*** والتي أطلقت على الرهبان بعد ذلك. فقد وردت اللفظة في إنجيل يهوذا في مواضع ثلاث، استخدمت لوصف المتبتل في موضع، ولمن وحّد قلبه واتجاهه إلى ربه في موضع آخر[٦].

---

[١] *Encyclopédie Larousse :*
(http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/encratite/٢٩٢٦٢)

[٢] ***Tatien le syrien***(١٣٠-؟م): ولد في أرض أشور بسوريا في أسرة وثنية شريفة غنية، تعلم البلاغة والفلسفة اليونانية وتضلع فيها لكن فساد الفلاسفة في روما أحزنه وأثر فيه، تتلمذ على يد الفيلسوف النصراني يوستين المعروف بيوستين الشهيد (ت١٦٥م) دخل في النصرانية، ولما مات أستاذه مقتولا أثناء الاضطهاد تأثر بموته. ففي ١٧٢-١٧٣م ترك الكنيسة واستقل فأقام جماعته النسكية الزهدية. اشتهر بعمَلَيْن: الأول: رسالته "خطاب إلى اليونانيين" ***Discours aux grecs*** بسط فيه نقودا منهجية على الثقافة اليونانية وأظهر فيه أنه لا وجه للمقارنة بينها وبين النصرانية؛ والثاني: إنجيله الرباعي أو "دياتسارون" ***Diatessaron*** كتبه باللغة السريانية، وهو جمع توفيقي للأناجيل القانونية الأربعة مع حذف القليل منها، كان المرجع الأساس للكنيسة السريانية حتى القرن الخامس. حكمت الكنيسة عليه بالهرطقة، وعلى رأسهم ايرينيؤس أسقف ليون (ت٢٠٢م) صاحب كتاب "ضد الهرطقة"- ***Adversus Hæreses*** ومن جاء بعده ناقل عنه.

Le monachisme primitif, p.١١٠-١١١

و قاموس آباء الكنيسة:

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=٦٥٥)

[٣] *Op. cit.*,V. Desprez, p.١١٠-١١١

[٤] كلمة يونانية تعني "الخفي"، أو "السري"، أو"المكتوم". وتطلق عند النصارى على الأسفار غير القانونية أو المخفية أو المنحولة، لكن الحكم عليها بذلك يختلف من طائفة لأخرى فقد يرى الأرثوذكس والكاثوليك قانونية أسفار يخالفهم فيها البروتستانت والعكس. انظر مصادر النصرانية: دراسة نقدية، ج١، ص١٤٣

[٥] *Op. cit.*,V. Desprez, p.١١٢

وهذه الأعمال كلها طبعت محققة في ألمانيا بين ١٨٩١-١٩٠٣م باسم: ***Acta apostolorum apocrypha*** بتحقيق مجموعة من الباحثين. منشورة مصورة في مكتبة ***google*** الاكترونية:

(http://books.google.fr/books?id=VtxJAAAAMAAJ&pg=PR١٠&dq=Acta+apostolorum+apocrypha)

[٦] *Op.cit*, V. Desprez, p.١١٧

وأخيرا فإن الكتابات النصرانية في تلك الفترة لم تذكر لنا إلا الشيء اليسير عن هذه التيارات إذ المشروع الكبير لمثقفي وكتّاب النصارى لم يكن سوى ترسيخ الدعوة إلى النصرانية والكلام عن عودة المسيح، وتثبيت النصارى الذين سيقوا للتعذيب[١].

ثالثا) بين القرن الثاني والثالث:

بعد ظهور تلك التيارات الزهدية الغالية ردّ آباء الكنيسة على ما أطلقوا عليه "الهرطقة" من جهة، كما دعوا في رسائل توجيهية إلى الاعتدال في الزهد من جهة أخرى، وكتاباتهم إن دلت على شيء فإنما تدل على حركة زهدية مخالفة واسعة حتى احتاجوا إلى الكتابة والرد والبيان.

وهناك شخصيات نصرانية بارزة أسهمت في هذه الفترة وتعتبر شاهدة على هذه الحركة في مناطق من الدولة الرومانية المختلفة منها شمال أفريقيا (مصر) وبلاد الشام، فمن هؤلاء:

كليمنت الإسكندري[٢]: تعد كتاباته مرجعا أساسا في الروحانية الرهبانية، ردّ على الغنوصية وما ذهبوا إليه هم وغيرهم من تحريم الزواج، فهو يرى الزواج أفضل من العزوبة وتكوين الأسرة أولى من بحث المرء سلامة نفسه فقط[٣]، يؤكد هذا ما يُروى عنه: "المسيحي الحقيقي هو من يخضع للحياة العادية بدلا من إلغائها متخذا في ذلك الرسل قدوة، يشربون ويأكلون ويتزوجون. الرجولة لا تظهر في حياة الوحدة، إنما البَطَلُ حقا من هو زوج وأب، ومع ذلك يترفع عن الشهوات والمتاعب ليبقى متعلقا بحب الله. يواجه الفتن التي تأتيه من قِبَلِ أهله وأطفاله وعبيده وأمواله."[٤]

ومن المفارقات أنه بهذا الكلام ينقض الرهبانية لكنهم يأخذون ما يروق لهم ويذرون غيره.

ويذكر عنه *فنسانت ديبري* أنه أول كاتب معروف يستخدم كلمة زهد وعرّفه بقوله: "تجنب كل ما يتعلق بالشهوات...، الأكل الذي يشعل الرغبات الفاسدة...، الحياة الفارهة والشهوات المؤدية إليها"[٥].

أوريجين أو أوريجانوس[٦]: يقول كْرُوزِل في كتابه: "أوريجين: سابق أو رائد الرهبانية": "لعل صورة الروحانية الأوريجينية مصدر من مصادر المثالية الرهبانية الأولى"[٧]. يوصف أوريجانوس بأنه فيلسوف

---

[١] *Loc cit.*

[٢] *Clément d'Alexandrie* (١٥٠-٢١٥م): من آباء الكنيسة، أحد مؤسسي المدرسة الاسكندرانية في اللاهوت. درس فيها ودرّس حتى اضطر إلى الفرار من الاضطهاد. معجم أعلام المورد، ص٣٦٨.

[٣] *Op.cit,* p.١٣٢

[٤] <u>*Le monachisme : ses origines païennes, ses erreurs fondamentales, son influence néfaste sur la religion, la morale et la société*</u>: James Hocart, p.٦-٧.

[٥] *Op.cit,* p.١٣٣-١٣٤

[٦] *Origène* (١٨٥-٢٥٤م): من آباء الكنيسة وأحد اللاهوتيين. له رسائل وشروح على الكتاب المقدس. معجم أعلام المورد، ص٧٤

[٧] *Ibid,* p.١٤١

لاهوتي كبير ومربٍّ زاهد متقشف، درّس في الإسكندرية ثم القيصرية في فلسطين. يقول عنه يوسابيوس القيصري وقد خصص له الكتاب السادس من تاريخه: "...باع كتب الأدب القديمة الثمينة التي كان يمتلكها لكي لا يحتاج إلى مساعدة من أحد، وكان يقنع بالحصول من المشتري على أربع أوبوليات[١] كل يوم، وقد ظل على هذه العيشة الفلسفية سنوات طويلة، مبتعدا عن كل الرغبات والملذات الشبابية، وكان طول النهار يتحمل الكثير من التدريب العنيف، ويقضي معظم الليل في دراسة الأسفار الإلهية، وكان يكبح جماح نفسه على قدر استطاعته بالحياة الفلسفية الصارمة، أحيانا بالصوم، وأحيانا بالإقلال من النوم. و بسبب غيرته المتأججة لم ينم على فراش قط، بل كان ينام على الأرض..." إلى أن قال: "كان يلبث في البرد والعرى وذهب في الفقر إلى أقصى حدوده حتى أذهل من حوله"[٢].

وقد تتلمذ على يديه الجم الغفير من الطلاب صاروا بعده على نهجه في الزهد والتقشف مع الاعتناء بالعلم[٣]. ويُذكَر عن أوريجانوس أنه عاش حياة جماعية مع بعض خواص تلامذته في القيصرية لكنه مع ذلك كان لا يرى العزلة، وأُثِر عنه في خطبه قوله: "لا يُبْحَث عن الله في مكان معين وإنما في الأعمال، الحياة والأخلاق"[٤].

تَرتُلْيان[٥]: من أوائل من كتب باللاتينية في تاريخ الكنيسة، وآثاره كبيرة في المصطلحات اللاهوتية النصرانية باللغة اللاتينية، له كتابات تشهد وجود كبير من المتبتلين. أكثر النصوص في هذا الموضوع في رسائل له ثلاث[٦]:

- حول حجاب العذارى (*De virginibus velandis*)
- إلى زوجته (*Ad uxorem*)
- في زينة النساء (*De Cultu Feminarum*)

---

[١] عملة يونانية، وهذه القيمة لم تكن تكفي للقوت الضروري لكنها كانت تكفيه لتقشفه الشديد. بتصرف من تعليق القمص مرقس داود مترجم تاريخ الكنيسة ليوسابيوس، هامش ص٢٥١

[٢] تاريخ الكنيسة، ص٢٥١، (الكتاب السادس، الفصل ٣، ٩-١١)

[٣] *Op.cit*, V. Desprez, p.١٤٢

[٤] *Ibid*, p.١٤٠

[٥] *Tertulillian* (١٦٠-٢٢٠م): ولد في قرطاجة (بلاد المغرب). من أوائل اللاهوتيين النصارى المشتهر بقوة البيان. حكمت الكنيسة عليه بالهرطقة لميله إلى مذهب المنتانوسية نسبة إلى مونتانس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد. زعم منتانس أنه هو الفراقليط الذي وعد به المسيح عليه السلام، أو هو صوته، وأن عودته قريبة ولذا دعا إلى التوبة والاستعداد بترك الزواج وغير ذلك. الموسوعة العربية الميسرة: ص٥٠٤؛ و موسوع المورد، ج٧، ص٥٧.

[٦] جميع مؤلفاته منشورة باللغة اللاتينية والإنجليزية والفرنسية وغيرها في موقع مخصص له مسمى بمشروع تَرتُلْيان: *The Tertullian Project* (http://www.tertullian.org/index.htm)

قسّم التبتل إلى ثلاثة أنواع[١]:

الأول: بكورة من الولادة.

الثاني: تبتل مع الزواج بعد التعميد.

الثالث: الأرامل.

ترك في رسائله مواعظ موجهة إلى المتبتلات يعظهن بالحشمة وترك الزينة، وقد كان يرى أن العذارى في الكنيسة يرتدين الحجاب مثل المتزوجات. يقول في رسالته حول الحجاب: " أنتن زوجات المسيح، له وهبتن أنفسكُنّ، إليه ملّكتم كبر سنكن، فَسِرْنَ كما يريد زوجكن. فالمسيح هو الذي يريد من الزوجات ومخطوبات الرجال أن يكن متحجبات، فهل سيرضى أقل من ذلك لزوجاته؟"[٢]

ويذكر تَرتُلْيان في موضعَيْن من رسائله أن فئة من العذارى أعلنَّ بتولتهن لله، فهل هذا نذر تبتل معلن؟ يجيب دِبْيِرِي أن هذا نادر ولا يقارن بنذر التبتل المصطلح عليه في الكنيسة في القرن الرابع والخامس[٣].

سيبريان القديس[٤]: كان خطيبا مفوّها. وعندما تنصّر فرّق أمواله على الفقراء وبقي متبتلا. تقلد أسقفية قَرْطَاجَنَّة[٥] في ٢٤٨م. يلاحظ في عهده أن المتبتلات يمثلن فئة مستقلة يعشن في بيوتهن وسمتهن البارزة هي حفظ البكارة لا التخلي عن الأموال، كتب سيبريان على منهج تَرتُلْيان إلا أنه اعتمد على نصوص الكتاب المقدس أكثر في تقريراته، كتب رسالة في حدود ٢٤٧-٢٤٨م[٦] سماها: "في سلوك العذاراى " *De habitu virginum* " يمدحهن في مستهل الرسالة قائلا:

"هن زهرة شجرة الكنيسة، الحلية والشرف للفضل الروحي. إنهن بهجتنا، أبدعهن من في السماء لا يفسدن أبدا. بطهارتهن هن صورة الإله في الأرض وأشرف جزء من قطيع المسيح... كلما ازداد عدد العذارى ازدادت فرحة أمهن - الكنيسة-"[٧].

---

[١] *Opcit*, V. Desprez, p.١٢٠

[٢] *Du voile des vierges* : Tertullien, traduit par E.-A. de Genoude, XVI, ٣٠١, voir: (http://www.tertullian.org/french/g٣_٠٩_de_virginibus_velandis.htm.)

وانظر:

Op.cit, V. Desprez, p.١٢١

[٣] *Idem*

[٤] *Saint Cyprien* (**٢٠٠-٢٥٨م**): أسقف مدينة قرطاج منذ عام ٢٤٩ م. من آباء الكنيسة وكتاب النصرانية.

[٥] بلد قديم شمال شرق بلاد المغرب، شمال دولة تونس حاليا. معجم البلدان، ج٤،ص٣٦٧-٦٨. وانظر الموقع الرسمي للمدينة: (http://www.municipalite-carthage.tn/ar/carthage.htm)

[٦] *Œuvres complètes de Saint-Cyprien:* M.N.S. Guillon, (Paris: J.Angé et Cie éditeurs ١٨٣٧), t.I, p.١

[٧] *Ibid*, t.I, p.٤-٥

نستخلص من ظاهرة الزهد في القرون الثلاثة الأولى أمور:

أولا: نلاحظ في القرن الأول فئام من النصارى اختاروا حياة الزهد لكن أبرز الفئات هن النساء، وأظهر المظاهر هو التبتل.

ثانيا: في القرن الثاني أصبح الزهد منهجا بارزا يتصف بالشدة والقسوة. رفض المنتسبون إليه الدنيا كليا منتظرين قيام الساعة.

ثالثا: انتقل الزهد ومظاهره من الاستحباب إلى الوجوب لدى بعض الجماعات.

رابعا: يلاحظ التأثير الخارجي خصوصا في الجماعات الغنوصية، وأما دور الكنيسة فإنها مع تصديها لهذه التيارات ليس لها قوة إلزام، والنصارى أقليات متناثرة في الإمبراطور ية الرومانية.

خامسا: القرن الثالث أنتج كتابات غذّت المؤسسة الرهبانية في القرون اللاحقة وأصبحت مراجعها الأساسية. وبدأت فئة المتبتلات تعشن جماعات على هامش المجتمع برضا الكنيسة وغطائها.

سادسا: يلاحظ دعوة إلى الاعتدال وعدم العزلة الكاملة من الحياة لدى كليمنت وأورجين وهما مصدر من مصادر الرهبان.

كل ذلك -مع عوامل أخرى سبقت ولحقت- كان تمهيدا لظهور الحركة الرهبانية في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع.

المطلب الأول: أثر الاضطهاد والفساد في نشأة الرهبانية:

أ/ الاضطهاد:

بدأ الاضطهاد في عهد المسيح ﷺ واستمر قرونا ثلاثة بشكل متفاوت حتى عام ٣١٣م بعد ما سمي بمرسوم ميلانو في عهد قسطنطين.

يقسم بعض المؤرخين والباحثين الاضطهاد إلى فترتين[١]:

الأولى: من ٦٤ إلى ١٩٢م، توصف بالعفوية إذ ليس لها سمة معينة عامة، تختلف حسب المناطق والحاكم.

الثانية: في القرن الثالث أصبح الاضطهاد نظاما مقنّنا عاما يطبق في جميع أنحاء الإمبراطور ية، يوصف بالشدة والنكاية إلا أنه بحسب الحاكم أيضا إذ تذكر المصادر فترات هدوء نسبي.

ويذكر لنا روبيرت جولي[٢] في دراسة عن أصول وتطور التعصّب الكاثوليكي[٣]: أن الدولة الرومانية على وجه العموم كانت متسامحة مع الأديان الأخرى، ويستدل لذلك على حال اليهود الذين نعموا بحرية دينية في أغلب أوقاتهم يمارسون طقوس دينهم ولا يمسُّون بسوء إلا نادرا، ويجزم أن الرومان لم يسلكوا الاضطهاد إلا ضد النصارى معللا ذلك بدوافع الاضطهاد الروماني الموجه إلى النصارى والتي أوصلها إلى ستة:

١ -حرص النصارى على دعوة غيرهم.
٢ -التشريع الروماني كان يؤيد تكثير النسل والنصارى يفضلون التبتل.
٣ -كثير من المواطنين النصارى يرفضون الخدمة العسكرية.
٤ -عدم مشاركتهم في المناسبات العامة للدولة المشتملة على طقوس وثنية، وكان يعد ذلك من الواجبات الوطنية التي يقدسها المواطن الروماني.

---

[١] *Histoire de l'église du Christ : I. L'église des apôtres et des martyrs*: Daniel-Rops, (Paris : Fayard ١٩٤٨), p.٢٦٨

وانظر: الفكر المصري في العهد المسيحي: رأفت عبد الحميد، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠-٢٠٠٠م)، ص٢٦٦.

[٢] *Robert Joly*: أستاذ معاصر في الجامعة الحرة ببروكسل *ULB* وجامعة مدينة *Mons* ببلجيكا. له مصنفات عديدة في النصرانية والفلسفة في العهد القديم. من ذلك :

Christianisme et Philosophie (Éd. de l'ULB, ١٩٧٣), *Propos pour mal pensants* (Espace de Libertés, ١٩٩٨)

الموقع الرسمي للجامعة الحرة ببروكسل:

(http://www.ulb.ac.be/cal/edl/editions/liberte/librepenseesansevangile.html)

[٣] *Origines et évolution de l'intolérance catholique*, (Bruxelles: Editions de l'Université de Bruxelles ١٩٨٦), p.١٢٥

٥ -عدم زواج النصارى بغيرهم من الوثنيين.

٦ -الفرق النصرانية الغالية والخلافات فيما بينهم[١].

فهذه الأمور مع تفاوتها خلقت جوا معاديا، وقد أطلق عليه المؤرخ النصراني دانيال روبس[٢] "الاضطهاد الاجتماعي"[٣]. فالشعب الروماني الوثني رُبِّيَ على تقديس الانتماء للوطن ويعتبره دينا يدين به، والنصارى على عكس ذلك يرون ذلك وثنية مقيتة بغيضة، فلا يندمجون في المجتمع مجتنبين المشاركة العامة، علاوة على غموض عقائدهم وطقوسهم بالنسبة لهم، وسرية اجتماعاتهم.

وقد كتب بعض الكتاب النصارى من أجل ترسيخ وتنظير هذا الرفض، وهناك نصوص تحرم للنصراني الانخراط في السلك العسكري وتدعوا إلى حمل السلاح ضد الدولة الرومانية.

ومن ثم فالنصارى خالفوا الذوق العام، فاتجهت نحوهم الأنظار بريب وازدراء ومقت، وكلما وقعت واقعة توجهت إليهم أصابع الاتهام. يقول تَرتُلْيان واصفا هذا الوضع:

"إذا فاض نهر التبر أو لم يفض نهر النيل. وإذا أمسكت السماء أو زلزت الأرض. إذا أهلكت الحرب حرثكم أو كَسَحَتْ المجاعة مدنكم، ليس لكم إلا صرخة واحدة: "الموت للنصارى، الموت للنصارى""[٤].

وقد أصبح الاضطهاد أمرا مألوفا لأجيال من النصارى في القرون الأولى؛ هدّمت كنائسهم وأحرقت كتبهم المقدّسة، وقد تناقلوا وسطروا القصص والسير بكل افتخار على من أطلقوا عليهم "الشهداء" تملأ الكتب التاريخية النصرانية، تروي ثباتهم وصنوف التعذيب التي سيقوا إليها "محتقرين الحياة الحاضرة"[٥] والتعذيب والموت، بل إن أغلى أمنية كانوا يتمنونها على ما يذكرون هو نيل "الشهادة"[٦].

---

[١] *Ibid*, p. ١٦-٢١

[٢] *Daniel Rops* (١٩٠١-١٩٦٥م): مؤرخ وأديب فرنسي معاصر، درس القانون والتاريخ والجغرافيا. عُيّن أستاذا في معاهد عدة في فرنسا إلى ١٩٤٥م ثم تفرغ للكتابة والتأليف. حاز على جائزة في الأدب لدى الأكاديمية الفرنسية في ١٩٤٦م وانتخب عضوا في الأكاديمية في ١٩٥٥م. كان مديرا للمجلة الفرنسية النصرانية ***Ecclesia*** من ١٩٤٨م إلى وفاته في صيف ١٩٦٥م. ومن أهم مصنفاته : "تاريخ كنيسة المسيح" في تسع مجلدات. من الموقع الرسمي للأكاديمية الفرنسية:

(http://www.academie-francaise.fr/immortels/base/academiciens/fiche.asp?param=٦٠٦)

[٣] *Histoire de l'église du Christ : I. L'église des apôtres et des martyrs*, p.١٧٢

[٤] *Aux Nations* : Tertullien, traduit par E.-A. de Genoude, Livre premier, IX, p.٤٨٢, (http://www.tertullian.org/french/g٢_١٥_ad_nationes١.htm).

[٥] قالها يوسابيوس القيصري في تاريخه: ص٣٥٩، (الكتاب الثامن، الفصل السابع، ١)

[٦] قالها الفيلسوف النصراني جستين النبلوسي (ت بين ١٦٢-١٦٨م) واصفا نصارى عصره. انظر:

Cité par R. Walzer : *Galen on Jews and Christian*, p.١٥ dans *Le renoncement à la chair*: Peter Brown, traduit de l'anglais par Pierre Emmanuel Dauzat et Chritian Jacob, (Paris : Editions Gallimard ١٩٩٥), p.٥٨

ووضعت بعد ذلك كثير من التقاويم الخاصة بذكر الشهداء وأعيادهم، لكنها نالت نقدا عنيفا حتى من بعض النصارى أنفسهم لاختلاط التاريخ فيها بالأسطورة[١]، وهذا لا ينفي وجود فئات لم تصبر على الاضطهاد بل ارتدت على أدبارها وفضلت كتمان إيمانها والنطق بكلمة الكفر أو فعله لتحفظ نفسها ومن تعول بدلا من التعرّض للاضطهاد[٢].

والذي يهمنا في هذا المقام أن القرن الثالث، حيث كان حالة أزمة شديدة تعرف بأزمة القرن الثالث أصدر الإمبراطور ديكوس[٣] -ولأول مرة- مرسوما عاما بالاضطهاد في حدود ٢٥٠-٢٥١م، وبعد بضعة سنوات تجدد الاضطهاد تحت حكم فاليريان[٤] حيث أصدر في صيف ٢٥٧م مرسوما، وبعدها بعام اشتد الأمر تارة أخرى حتى بلغ ذروته في عهد دقلديانوس الذي حكم بين ٢٨٤-٣٠٥م[٥].
تجاه هذا الاضطهاد الشديد ظهرت في صفوف النصارى مقاومتان:
الأولى: مقاومة الشهداء الذين كما قلنا سالفا سيقوا إلى التعذيب أو القتل أو كلاهما.
الثانية: مقاومة المتوحِّدين الذين فرّوا بدينهم إلى الجبال والكهوف، وإلى الفيافي والقفار. فكانوا سببا في ظهور الرهبانية والنواة الأولى لها، وقد سمى بعضهم هذه المقاومة ب"الشهادة البيضاء"[٦].
يقول يوحنا كاسيان: "كما أن الشهداء يحمدون الرب بكل طهارة في عالم الأحياء، فكذلك الرهبان

---

[١] يذكرون أن أول من سن رصد أسماء الشهداء هو البابا كليمنت الرومي (٨٨-٩٧م) يُكْتَب في هذه التقاويم عادةً: الاسم، المكان، اليوم ونوع شهادة كل قديس، ويرتب حسب يوم كل عام. ومن أشهر التقاويم في تاريخ الكنيسة الأولى ما ينسب إلى مؤرخ الكنيسة يوسابيوس القيصري (ت٣٤٠م) ترجمه إلى اليونانية القديس جيروم (ت٤٢٠م)، لكنه خاص بشهداء فلسطين في عهد اضطهاد ديقلطس (٢٨٤-٣٠٥م) وقد طبع غير كامل مترجما باللغة الإنجليزية في ١٨٦١م بباريس، ترجمه William Cureton وهو منشور في الشبكة العنكبوتية في موقع مؤسسة تَرتُلْيان:

(http://www.tertullian.org/fathers/eusebius_martyrs.htm)

أضيف إلى هذا النوع من التقاويم من قدَّستهم الكنيسة، وفي بعضها سيرة القديسين. كان يُقْرأ في الكنيسة الكاثوليكية يوميا عند الصلاة الثالثة *prime* في الصباح ليذكروا قديس اليوم متشفعين به ومتوسلين. لا قيمة تاريخية لهذه التقاويم تذكر حتى إن البابا بندكت الرابع عشر (١٧٤٠-١٧٥٨م) وكان عالما، صرّح أن الكنيسة لا تضمن الصحة التاريخية لهذه التقاويم.

Dictionnaire de théologie: M. L'Abbé Bergier, (Liège: La société typographique ١٧٤٠), t.V, p. ١٧٥-١٧٧ ; Histoire de l'église du Chris : I. L'église des apôtres et des martyrs, p.١٨٣

[٢] ذكرهم يوسابيوس في مواطن من كتابه الثامن في تاريخه.

[٣] *Décius* (٢٠١-٢٥١م): إمبراطور روماني من ٢٤٨ إلى ٢٥١م. اشتهر باضطهاده النصارى.

Nouveau petit Larousse, (Paris: Librairie Larousse, ١٩٧٠), p.١٢٨٨

[٤] *Valérien* (ت٢٥٩ أو ٢٦٠م): إمبراطور روماني من ٢٥٣ إلى ٢٥٩ أو ٦٠م. أسره ملك الفرس وقتله.

Ibid, p.١٧٥٤

[٥] تاريخ الكنيسة: يوسابيوس، ص٣٥٣ (الكتاب الثامن، الفصل الثاني، ٤-٥)

[٦] انظر الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٠

الذين يرتلون ليلا ونهارا أمام الرب يجب أن تكون طهارتهم مثل الشهداء إذ هم أيضا شهداء"[١].

وسبب الاضطهاد في ظهور الرهبانية يكاد يكون باتفاق من كتب عنهم، فلا تخلو كلمات الباحثين إما بالقول أنه السبب المباشر في اضطرار الناس إلى الوديان والقفار، وإلى قمم الجبال وجوف الصحاري لسلوك هذا النسق من الحياة الزهدية كما يقول د.رأفت عبد الحميد ود.جوزيف نسيم يوسف؛ أو أنه عامل من عوامل انتشاره كما يقول د. حكيم أمين وغيره[٢].

وليس بين القولَيْن تعارض إذ كما أن الاضطهاد كان سببا من أسباب النشأة فقد كان سببا من أسباب انتشاره بعد ذلك، فلو لاحظنا حالات الاضطهاد والاضطراب التي عاشها النصارى بعد هذه الفترة فيما بينهم، في القرن الرابع الميلادي وما بعده، نجد أن الأديرة التي انتشرت انتشار النار في الهشيم كانت تمتلئ بالرهبان، ويصعب نفي الارتباط بين الفتن والاضطهاد وهذه الظاهرة مع وجود أسباب أخرى.

وهنا حديث يُستأنس به يرويه المفسرون في تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ (الحديد: ٢٧)، ويؤكد هذا السبب. وهو الحديث المروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قَال:

"قَالَ لِي رَسُول اللَّه ﷺ: " يَا اِبْن مَسْعُود "، قُلْت لَبَّيْكَ يَا رَسُول اللَّه. قَالَ: "هَلْ عَلِمْت أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيل اِفْتَرَقُوا عَلَى اِثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة ؟ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا ثَلَاث فِرَق قَامَتْ بَيْن الْمُلُوك وَالْجَبَابِرَة بَعْد عِيسَى اِبْن مَرْيَم عليه السلام فَدَعَتْ إِلَى دِين اللَّه وَدِين عِيسَى اِبْن مَرْيَم فَقَاتَلَتْ الْجَبَابِرَة فَقُتِلَتْ فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَة أُخْرَى لَمْ تَكُنْ لَهَا قُوَّة بِالْقِتَالِ فَقَامَتْ بَيْن الْمُلُوك وَالْجَبَابِرَة فَدَعَوْا إِلَى دِين اللَّه وَدِين عِيسَى اِبْن مَرْيَم فَقُتِلَتْ وَقُطِّعَتْ بِالْمَنَاشِيرِ وَحُرِّقَتْ بِالنِّيرَانِ فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَة أُخْرَى لَمْ يَكُنْ لَهَا قُوَّة بِالْقِتَالِ وَلَمْ تُطِقْ الْقِيَام بِالْقِسْطِ فَلَحِقَتْ بِالْجِبَالِ فَتَعَبَّدَتْ وَتَرَهَّبَتْ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ "[٣].

ويلاحظ أن هناك فريق من كتاب النصارى يفضلون ذكر أصالة الرهبانية النصرانية، وأنها نابعة من التعاليم والرغبة في "النسك العليا" وما هي إلا "امتثال المشورات الإنجيلية" بدلا من ذكر الاضطهاد[٤].

---

[١] *Conférences*: XVIII, ٥, sc٦٤, p.١٤-١٦ de *Dictionnaire de spiritualité*, tome X, p.١٥٥١-١٥٥٦

[٢] الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٩.

[٣] أخرجه الطبري في التفسير، ج٢٢، ص٤٣٠؛ والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير (٢٨)، باب بيان الفرق الناجية من بين سائر الأمم (١٤٧٢)، رقم: ٣٨٤٢؛ وغيرهما. وفي سنده ضعف كما قال الألباني لكن له متابعات وشواهد يتحسن بها. انظر ظلال الجنة في تخريج السنة، (بيروت–دمشق: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠ – ١٩٨٠م)، ج١، ص٣٥ (٧٠).

[٤] انظر تاريخ الكنيسة الشرقية: الأب ألبير أبونا، (الموصل: المطبعة العصرية ١٩٧٣م)، ص١٦٦–١٦٧، والأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها: عمر وفيق الداعوق، ص ٤٠٥، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر: رؤوف حبيب، (القاهرة: مكتبة المحبة)، ٢٤–٣٢

وأكتفي بذكر نص مهم يؤكد من جهة أثر الاضطهاد، ويكشف لنا من ناحية أخرى ما قد يتبادر إلى ذهن كل باحث في هذا الموضوع، وهو لماذا كانت الأراضي المصرية هي الأصل في نشأة الرهبانية وانتشارها دون غيرها كما سيأتي:
يقول مترجم "تاريخ الكنيسة" معلِّقا على وصف الاضطهادات التي ذكرها يوسابيوس في مدينة طيبة: " ما يقاس أي جزء في العالم المسيحي أثناء تلك السنوات ما قاسته منطقة الظالم مكسيميان[1] الذي كان يحكم على مصر وسوريا"[2].

ويذكر مؤرخ النصرانية، وهو شاهد عيان لاضطهادات أواخر القرن الثالث وبداية الرابع، أن نصيب مصر كان أشد من المناطق الأخرى فيقول: "من المستحيل وصف التعذيبات التي تكبدها الشهداء في طيبة، فقد كانت تكشط أجسادهم بالمحار بدل المناجل حتى يموتوا، وكانت النساء توثقن من إحدى القدمين ويرفعن في الجو بماكينات خاصة، وبأجسامهن عارية ويعرض هذا المنظر المخجل القاسي لكل المتفرجين..." إلى أن قال: "استمرت كل هذه الأمور لا أياما قليلة أو وقتا قصيرا بل سنوات طويلة. وفي بعض الأحيان كان يحكم بالإعدام على أكثر من عشرة، وفي أحيان أخرى على أكثر من عشرين. وفي بعض الأحيان كان العدد لا يقل عن ثلاثين، بعد ذلك وصل إلى ستين. وفي أحيان أخرى كان يقتل في يوم واحد مائة رجل عدا الأطفال والنساء، بعد أن يعانوا ألوانا مختلفة من التعذيب"[3].

ولتوضيح هذه القضية فإن الشخصيتين الهامتين في تاريخ الرهبانية النصرانية باعتراف الجميع هما بولس الطيبي وأنطونيوس الكبير، وهما قد خرجا في هذه الفترة نفسها أو قبلها بقليل، فدعوى أن هذه الظاهرة لم تظهر إلا بناء على التعاليم يكفيه اعتراضا القول بأنه على فرض صحتها لِمَ لم تظهر الرهبانية قبل ذلك وأسباب نشأتها موجودة كما تزعمون؟ ولِمَ لم يأت بها الأولون من أتباع المسيح عليه السلام وهم أفقه وأعلم وأتقى من الذين جاؤوا من بعدهم؟!
فلا يبقى –والله أعلم– إلا الرأي الذي يفرض نفسه، وهو أن الاضطهاد له أثر كبير في نشأة الرهبانية وهو بلا ريب من إفرازاته، فالحقيقة التاريخية واضحة لم يظهر مؤسسوا قوانين الرهبانية وناشروها إلا في منتصف القرن الرابع وبداية الخامس حين اشتدت وطأة الاضطهاد بشهادتهم أنفسهم، كما نستأنس بالحديث السابق مع ضعفه النسبي. ومع ذلك كله فإننا لا ننفي بالكلية أثر تعاليم العهد الجديد وإنما نثبت هنا أثر الاضطهادات في نشأة وظهور الرهبانية.

---

[1] *Maximien* (٢٨٥–٣١٠م): إمبراطور روماني بين ٢٨٦ إلى ٣٠٥م، ومن ٣٠٦ إلى ٣١٠م.
Nouveau petit Larousse, p.١٥٢٢

[2] تاريخ الكنيسة، هامش رقم١ من ص ٣٦٠

[3] المرجع السابق، ص٣٦١، (الكتاب الثامن، الفصل التاسع، ١–٣)

ب/ الفساد:

ذكر غير واحد هذا الأثر أو العامل من عوامل نشأة الرهبانية ألا وهو الفساد الذي عمّ في المجتمع الروماني في القرن الرابع من الميلاد، فلعله أيضا من دوافع الفرار من الحياة العامة إذ سبقت الإشارة أن عموم نصارى القرون الأولى لم يندمجوا في المجتمع الروماني. ولو تصوّرنا حالة النصراني في ذلك المجتمع الوثني كيف يعيش التناقض التام بين تعاليم المسيح ﷺ -مع تحريفها- وبين الواقع الاجتماعي الذي حوله[١]. يذكر الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور هذا الفساد بإجمال وتعميم[٢]، وخصصه جون لوريمر وحبيب سعيد في فساد الكنيسة أي فساد رجالها[٣]، وجعله الدكتور أحمد علي عجيبة السبب الثالث في ظهور الرهبانية وأطلق عليه: "عدم الرضا عن الكنيسة"[٤]. ففي ضوء ما سبق يمكن إذا تقسيم الفساد الذي كان عاملا من عوامل نشأة الرهبانية إلى ضربين هما: فساد المجتمع الروماني و فساد الكنيسة.

١) فساد المجتمع الروماني:

كان المجتمع الروماني يعيش طبقية مقيتة قسمت الناس إلى أغنياء غنى فاحشا وهم الحكام ومن حولهم من كبار الضباط ورجال الدولة، وطبقة أخرى تحتها بمراحل تمثل السواد الأعظم من الشعب تكدّ لتجد لقمة العيش. فالطبقة الأولى - وهم قلّة - يعيشون في بذخ يملك أحدهم الثروات الهائلة لمجرد كونه مقرّبا من الدولة ويتوارثها أبناؤه من بعده، وعلى سبيل المثال فإن محافظة أفريقيا الرومانية كان يتقاسم نصف أراضيها ستة من رجال الدولة فقط[٥]. كثرت العبيد بسبب الحروب التي تخوضها الدولة وحقوقهم المدنية والدينية كانت مفقودة، وقد أصبح معتادا أن يتفرج الناس على سيد يجلد مملوكه إلى الموت ثم يرميه بدم بارد في البحر لتأكله الحيتان[٦].

ومن صور فساد الذوق العام ووحشية أخلاقهم أن المناظر البشعة لتعذيب النصارى كانت تقع أمام الجموع الغفيرة من المتفرجين وكأنها نوع من المسرحيات لإلهاء الشعب، ومن صور التعذيب والقتل إطلاق الوحوش الضارية على المتهَّم تجري وراءه فتلتهمه قطعة قطعة، أو كشط أجساد المتهمين بالحديد، أو يوثَقون من أقدامهم عراة إلى الموت. ولا فرق في كل ذلك بين الصغير والكبير ولا بين الذكر والأنثى[٧]. فلا شك أن هذا الوضع يؤدي بمن يريد المحافظة على دينه أن يتجنب المجتمع بأي ثمن كان.

---

[١] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، (بيروت: دار النهضة المصرية ١٩٥٩م)، ص١٢٧-١٢٨

[٢] المرجع السابق

[٣] انظر الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٠-٧١

[٤] المرجع السابق، ص٧٠-٧٤

[٥] *Histoire de l'église du Christ : I. L'église des apôtres et des martyrs*, p.١٥٠

[٦] *Ibid*, p. ١٨٨

[٧] تاريخ الكنيسة: يوسابيوس، ص٣٦٠ (الكتاب الثامن، الفصل الثاني)

٢) فساد الكنيسة:

أصاب الكنيسة –سواء طبقة رجال الدين أو عموم الشعب– فتور وتراخي في فترات الهدوء، وهذا قبل الاضطهاد الشديد في أواخر القرن الرابع، أما بعد مرسوم ميلانو واعتراف قسطنطين بالنصرانية كدين له الحرية في إظهار شعائره فكان التراخي والفتور أشدّ؛ ولذا يصف مؤرخ النصرانية يوسابيوس تلك الحقبة بأَلَم وحزن حتى خشي من النقمة الإلهية بسبب هذا التراجع والتقهقر، وكأنه يقول: إن الاضطهاد كان مصيبة كُتِبَت عليهم بما قدمت أيديهم، فيقول: "وكان المرء يستطيع أن يرى قادة الكنائس ينالون أعظم إكرام من الولاة والحكام..." إلى قوله: "ولكن عندما سقطنا في التراخي والكسل بسبب زيادة الحرية وصرنا نحسد ونُهِينُ بعضنا بعضا، ونشهر العداء ضد بعضنا البعض، فالرؤساء بالكلمات القارسة كالحراب، والشعب يؤلب الأحزاب ضد الشعب. وبلغ الرياء والنفاق أعظم حدود الشر. فإن العدل الإلهي ممتزجا بالصبر والاحتمال وطول الأناة سمح بإزعاج الأسقفية بلطف واعتدال. بدأ هذا الاضطهاد بالإخوة الذين في الجيش. ولكننا لم تكن لنا الغيرة الكافية للدفاع عن اللاهوت، كأننا قد فقدنا كل إحساس، وظن البعض كالملحدين أن شؤوننا متروكة بغير رعاية، وهكذا أضفنا شرّا إلى شرّ. والذين كانوا يوقرون رعاتنا نبذوا قيود التقوى فصاروا يحاربون بعضهم بعضا، ولم يفعلوا شيئا آخر سوى تكديس المنازعات، والتهديدات، والغيرة، والعداوة، والبغض نحو بعضهم البعض..."[١].

وقد رأى يوسابيوس أن لا يروي لنا جميع ما حصل فيقول بعد ذلك:

"وليس هذا مجالنا لوصف البلايا التي حلت بهم أخيرا، لأننا لا نراه لائقا أن نسجل انقساماتهم وتصرفاتهم المعيبة بعضهم نحو بعض قبل الاضطهاد؛ ولذلك اعتزمنا أن لا نروي عنهم شيئا إلا ما نراه ضروريا لإظهار العدل الإلهي"[٢].

ويقول جيبون عن تلك الحقبة نقلا عن المؤرخ الوثني أميان مرسلين[٣]: "أن العداوة القائمة بين المسيحيين كانت أشد من هياج الوحوش الكاسرة ضد الإنسان"[٤].

وهذا الواقع أثّر على فئام من النصارى حيث خرجوا إلى الصحاري والقفار "لينجوا بأنفسهم ويسعَوْا إلى خلاصها بالاعتزال عن العالم لحياة" بعيدا عن هذه الفتن[٥].

---

[١] تاريخ الكنيسة، ص،٣٥٢ (الكتاب الثامن، الفصل الأول، ٥-٨)

[٢] المرجع السابق، ص٣٥٣، (الفصل الثاني، ٢)

[٣] *Ammien Marcellin* (٣٣٠-٤٠٠م): من أهم مؤرخي آخر العهد القديم، ومن أواخر المؤرخين الوثنيين. كتب تاريخا يغطي بين ٩٦ إلى ٣٧٨م.

Nouveau petit Larousse, p.١١١٧

[٤] اضمحلال الإمبراطور ية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة: محمد أبو علي الدرة، سلسلة الألف كتاب الثاني ٢٥٨، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٧م)، ج١، ص٤٦١-٤٦٢

[٥] انظر الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧١

وقبل ختام هذا المبحث لا بد أن نقف مع ما ذكره البعض من أن الانحراف الذي أصاب الكنيسة في الجانب العقدي -من تأليه المسيح عليه السلام وما تقرر في مجمع نيقيا عام ٣٢٥م- كان سببا في فرار بعض النصارى إلى الصحاري ليعيشوا نصرانية مستقيمة[١]، فإن كان هذا صحيحا في حق بعض الرهبان الذين كانوا على التوحيد ودين المسيح عليه السلام، فإنه لا علاقة له بنشأة الرهبانية إذ أن أخبار الرهبان المؤسِّسين الأوّلين عموما يثبت غير ذلك، فهناك نصوص تُظْهِر الرهبان أنصارا للتثليث والكنيسة فقد كانوا أنصارا مخلصين لأثناسيوس (ت٣٧٣م) أسقف مدينة الإسكندرية، والذي شارك في مجمع نيقيا وهو من كبار أنصار التثليث، توسل له أنطونيوس — رائد المتوحِّدين- لدى الإمبراطور قسطنطين، ووجد ملاذا عند الرهبان أثناء نفيه كما سيأتي، ومؤرخو الرهبانية يذكرون زيارة الراهب أنطونيوس في ٣٣٨م مع جماعة من الرهبان إلى الإسكندرية لمواجهة الآريوسيين[٢] مع أثناسيوس[٣]. وكذا حال غيرهم من الرهبان الذين اضطهدوا من قبل الحاكم فالنس الذي كان على مذهب آريوس مما اضطر الرهبان إلى الفرار[٤].

يقول متّى المسكين:

"والتاريخ يحكي لنا أن أشد الناس تمسكا وغيرة على إيمان نيقية كانوا هم متوحدو ورهبان مصر والشرق، الذين كانوا يعتبرون المقارَيْن القيسَيْن الكبير والاسكندراني مع إيسيذرورس وبامو، وهِيرَاكْلِيد وسائر تلاميذ الأنبا أنطونيوس كحماة وكرؤساء إيمان؛ هؤلاء لم يحفظوا لأنفسهم نقاوة الإيمان والتمسك به فقط، بل واستخدموا السلطان الذي كان لهم على الشعب بفضل سيرة حياتهم..." إلى أن قال: "لهذا السبب يقال أن مؤمني مصر كانوا يكرهون الأريوسية كرها شنيعا بسبب مشاعر التبعية الروحية لرهبانهم القديسين"[٥].

وذكر متّى المسكين أن مقاريوس الكبير - وهو من رؤساء الرهبان في مصر- لم يرد عنه من دعاء المسيح عليه السلام والاستغاثة به. ومثله عن أنطونيوس أبي الرهبان، ونقل نصوصا في ذلك منها قوله:

---

[١] انظر المرجع السابق، ص٧٣

[٢] فرقة من فرق النصارى تنتسب إلى آريوس الليبي (ت٣٣٦م) الذي كان كاهنا في مدينة الاسكندرية. كان على مذهب خالف فيه الكنيسة الأرثوذكسية حيث يرى أن المسيح بن مريم عليهما السلام "كائن حي" ورسول وليس فيه أي معنى من معاني الألوهية؛ ولذا فإن أنصار الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية يعتبرونه من الهراطقة. وقد حورب أتباعه واضطهدوا لكنهم ظلوا موجودين عبر قرون بأسماء مختلفة. انظر الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام: نهاد خياطة، ص٨١-٨٣؛ ومصادر النصرانية: دراسة نقدية: عبد الرزاق ألارو، ج٢، ص٧٣٧-٧٤٤

[٣] اضمحلال الإمبراطور ية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة: لويس اسكندر، (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر)، ج٢، ص٣١٩؛ الفكر المصري في العهد المسيحي: رأفت عبد الحميد، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠-٢٠٠٠م)، ص٢٨٠

[٤] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار: متى المسكين، (وادي النطرون: مطبعة دير القديس أنبا مقار، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م)، ص١٠٤-١١٠

[٥] المرجع السابق، ص١٠٥

"إننا نرى الماء يغلب قوة النار ويطفئها، هكذا أيضا إذا طرحنا ضعفاتنا عند أقدام معونة ربنا يسوع المسيح ملجأنا وقوة صليبه التي لا تقهر، فإنها تطفىء جميع خدع مكر الشيطان وتمنح قلبنا حرارة وغليانا في الروح، وبالإيمان المملوء بهجة وتهليلا"[1].

وينقل عنه أيضا:

"والآن يا ابني جاهد في كل عمل، فقد قال أبا أنطونيوس: إنه ينبغي في هذا الزمن أن يجعل كل واحد من نفسه كنيسة، أي أن يضع الإنسان كل قوته في تنقية نفسه التي هي كنيسة الله، لكي نرسل إلى فوق التسابيح للثالوث الأقدس بصوت خاشع إلى الله ربنا باعترافنا الثابت بالإيمان الأرثوذكسي"[2].

لقد أبان أنطوان جيومون في مبحث عَنْوَنَ له ب"دعاء المسيح عند رهبان مصر"[3] أصالة دعاء الرهبان الأولين في مصر للمسيح باسمه. فقد وجد هذا الدعاء في نصوص منسوبة إلى تلميذ أنطونيوس المدعو أموناس وغيره[4].

كل ذلك يؤكد أن مرجعية الرهبان -على الأقلّ، وفي مصر على وجه التحديد- وقتئذ من أنصار عقيدة التثليث وليسوا كما قد يتصور البعض أنهم ممن هجر الكنيسة إذ رأوها ضلت عن العقيدة الصحيحة التي دعا إليها المسيح عليه السلام وجميع الأنبياء، ونؤكد هنا أنه لا نشك في وجود رهبان كانوا على الحق وما كان عليه المسيح عليه السلام من التوحيد.

---

[1] المرجع السابق، ص١٥٠

[2] المرجع السابق، ص١٥٧

[3] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.١٢٧-١٣٤

[4] *Ibid*, p.١٢٧

المطلب الثاني: أثر مصادر النصرانية في نشأة الرهبانية[1]

يزعم أنصار الرهبانية من الكاثوليك أو الأرثوذكس قديما وحديثا أن الرهبانية مستقاة من رسالة المسيح عليه السلام والكتاب المقدس. فنجد الانتساب لأنبياء بني إسرائيل مبكرا لدى الرهبان، والاستدلال بالنصوص من العهدين في القوانين الديرية القديمة أمر شائع كما سيأتي توضيحه في محله. يقول دي مُنْتَلُمْبِرْت[2] بعدما استدل بنصوص من العهد الجديد التي يراها أصلا في الرهبانية:"لما سيطرت هذه النصوص على نفوس ألمع الآباء والدكاترة والمجامع، صرّحوا جميعا بأن مؤسس الحياة الدينية[3] هو عيسى نفسه وعمل بها الرسل[4] من بعده. وقد اتفقت أعلى السلطات الدينية على الاعتراف بأنها نشأت مع الكنيسة و لم تزل معها"[5].

---

[1] أغفلت الحديث عن المصادر تعريفا وتقسيما عملا بتوجيه لجنة المناقشة، وهو رأي وجيه إذ لا حاجة لتضخيم الرسالة به وقد كثرت البحوث حولها منذ زمن بعيد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤١٨)؛ محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، (القاهرة: دار الفكر العربي الطبعة الثالثة)؛ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: دار نهضة مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م)؛ اليهودية: أحمد شلبي، سلسلة مقارنة الأديان (١)، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م)؛ المسيحية: أحمد شلبي، سلسلة مقارنة الأديان رقم:٢، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط. العاشرة ٢٠٠٠م)؛ دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة)؛ مصادر النصرانية: دراسة نقدية: عبد الرزاق ألارو، سلسلة الرسائل الجامعية (٦)، (الرياض: دار التوحيد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧م).

[2] *Charles Forbes de Montalembert* (١٨١٠-١٨٧٠م): صحفي، ومؤرخ، وفيلسوف، وسياسي فرنسي. انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية في ١٨٥١م إلى وفاته ١٨٧٠م. له مؤلفات كثيرة في الكاثوليكية وعلاقتها بالدولة والبابوية، فمع انتمائه للكنيسة فهو من أنصار العلمانية فقد كان يرى بقوة ما يسمى بالحرية المَدَنية كحرية الإعلام والتعليم والسياسة، وينتمي إلى الاتجاه الليبرالي الكاثوليكي. الموقع الرسمي للأكاديمية الفرنسية:
(http://www.academie-francaise.fr/immortels/base/academiciens/fiche.asp?param=٣٩٥)
وموسوعة وكيبيديا الحرة: (http://fr.wikipedia.org/wiki/Charles_de_Montalembert)

[3] "الحياة الدينية" مصطلح نصراني يشمل رجال الدين كلهم من رجال الاكليروس إلى الرهبان، يعرفها توماس الأكويني بقوله:
" ونسمي المتدين باللازم أنه هو الذي يخصص نفسه كليا للخدمة الإلهية بأن يهب نفسه للإله مثل الذي يقدم نفسه إلى المحرقة *holocauste*". وسيأتي مزيد توضيح.

La somme de théologie: Thomas d'Aquin, (Les Editions du Cerf, ١٩٩٩), t.III, p.١٠٦٧

[4] يستخدم النصارى كلمة "رسول" ويقصدون بها الحواريين وهم خواص المسيح عليه السلام ويسمون أحيانا "التلاميذ". انتخبهم المسيح عليه السلام حسب ما ورد في العهد الجديد ليكونوا أنصارا له ملازمين له. أطلق عليهم وصف الرسالة للعهد الذي أخذه عليهم المسيح عليه السلام بالدعوة كما يرويه سفر متى: (١٠: ١-٤٣)، ومن ذلك قوله: "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب ". عددهم اثنا عشر ذكرت أسماؤهم في الإصحاح العاشر من سفر متى. لكن بعد خيانة يهوذا الاسخريوطي وضعوا متياس مكانه بعد قرعة بينه وبين برساباس كما ورد في أعمال الرسل:"ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الأحد عشر رسولا" (١: ٢٦) زادوا على هذا العدد بولس، واسمه الحقيقي شاؤول اليهودي الذي كان من ألدّ أعداء المسيح وأتباعه، ثم ظهر له المسيح حسب زعمه فتاب وأصبح من أكبر دعاة النصرانية إلى غير اليهود وهو منظر نصرانية ما بعد مجمع نيقيا إلى يومنا هذا. وإذا أطلق "الرسول"فإنما= = يقصدون به بولس. انظر أعمال الرسل: (٩: ١-٦) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة: ص٧٦-٧٧؛ المسيحية: أحمد شلبي،٢ ص٢٠٥-٢٠٦

[5] *Les moines d'Occident depuis saint Benoît jusqu'à saint Bernard*, (Paris : Jacques Lecoffre et Cie Librairies ١٨٦٠), t.١, p.٤٦

ويقول الراهب الأرثوذكسي إيميليانوس تيميادس[١]: " أول من شقّ الطريق إلى تعلم الرهبانية رجل ليس كالرجال، إنه ابن الله نفسه: عيسى. هو المؤسس لنمط الحياة الرهبانية، وهي أعلى أنواع الحياة الروحية"[٢]. ويقول الراهب الكاثوليكي فِينْسَنْت دِيبْرِي[٣] وهو ممن اعتنى بتاريخ الرهبانية النصرانية ومصادرها: " إن التمحيص الدقيق للواقع يبين أن الزهد الأرثوذكسي نابع من قلب الوحي اليهودي-المسيحي، ومن تعليم المسيح والاقتداء به"[٤].

والمقصود بالأرثوذكسية هنا إنما هو "ضد الهرطقة" كما سيأتي. ونفهم من سياق حديثه أنه يدخل الرهبانية النصرانية في الزهد، علما أن الزهد لا يلزم منه الرهبنة إذا قلنا بأن الزهد كما نقل بنفسه عن كليمنت أنه "تجنب ما له علاقة بالشهوات، الأكلات التي تؤجج الرغبات السيئة، حياة الرفاهية والشهوات الموصلة إليها"[٥]. فهو معنى أوسع من الرهبانية، وليس كل زاهد راهب، وكل راهب في الأصل زاهد. بل يذكر الراهب البندكتي أَدَلْبِرْت دِي فُوجْوَي[٦] في كتابه عن الرهبانية الغربية أن أسقف يُدْعى أَسْتَرْيُس[٧] ادّعى أن أول راهب هو آدم عليه السلام، وذلك قبل خلق حواء[٨].

---

[١] *Emilianos Timiadis* (١٩١٦-٢٠٠٨م): كان أسقفا في بلجيكا بين ١٩٥٢-١٩٥٩م، ثم أصبح ممثّلا للبطريركية القسطنطينية الأرثوذكسية المسكونية في سويسرا بين ١٩٥٩ و١٩٨٤م. ترهب في دير *Bosé* في شمال غرب إطاليا في ١٩٩٥م مع نشاطه في الحوار بين الكنائس النصرانية.

الموقع الرسمي لمجلة "الخدمة الأرثوذكسية للصحافة" *Service Orthodoxe de Presse*:

(http://www.orthodoxpress.com/index.php?group=display&action=document&numero=٣٢٧&page=٧)

[٢] *Le monachisme orthodoxe : hier, demain*: Emilianos Timiadis, *collection : Deux milliards de croyants*, (Paris : Bucher/Chastel ١٩٨١), p. ٤٠

[٣] *Vincent Desprez*: راهب فرنسي معاصر في دير *Ligugé* غرب فرنسا منذ ١٩٦٢م. كان مهندسا، وبعد ترهبه تخصص في تاريخ الرهبانية النصرانية القديمة و القوانين الديرية الغربية، له فيها مؤلفات عديدة.

[٤] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Éphèse*: Vincent Desprez, *collection spiritualité orientale, n°٧٢*, (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٨), p.٣٨

[٥] *Ibid*, p.١٣٣-١٣٤

[٦] *Adalbert De Vogüé*: ولد في ١٩٢٤م، ترهب منذ ١٩٤٤م. نال الدكتوراه في اللاهوت في ١٩٥٩م فأصبح قسيسا. ومنذ ١٩٧٤م يعيش متوحدا قريبا من دير *Pierre-qui-vire* في شمال شرق فرنسا. وألّف سلسلة متخصصة في تاريخ أدب الرهبانية في أحد عشر مجلدا وله مؤلفات في القانون البندكتي وغيرها. موقع الدار التي تطبع مؤلفاته *Editions du Cerf*:

(http://www.editionsducerf.fr/html/fiche/ficheauteur.asp?n_aut=١٢٨٣)

[٧] *Asterius*: لاهوتي عاش في القرن الرابع للميلاد. قيل إنه كان من منظري الآريوسية ثم رجع إلى التثليث فأصبح أسقفا. ينقل عنه جيروم تفاسير للكتاب المقدس. الموسوعة الحرة ويكيبيديا:

(http://fr.wikipedia.org/wiki/Ast%C%٣A٩rios_le_Sophiste)

[٨] *Le monachisme en occident avant Saint Benoît*, *collection : Vie monastique n°٥*, (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٨), p.٥٤.

وهذه الدعوى قولهم بأفواههم سنأتي عليه لمناقشته بإذن الله –تعالى–.

وفي المقابل نجد أن البروتستانت[١] –وهم ممن أعلنوا الحرب على الرهبانية– كما سيأتي في موقف الكنائس من الرهبانية، فإنهم يزعمون أن لا علاقة للرهبانية بالكتاب المقدس بل يدّعون أنها مستقاة من أديان الهند التي تلقفها عنهم فرقة الإيسينيين[٢] من اليهود، وتبعهم زهاد النصارى الأولون. يقول جيمس هوكارت[٣]: "إن معرفة ولو شكلية عن تاريخ الأديان يعلّمنا أن الزهد والتنسك كانا لهما شأن قبل النصرانية في الأديان الوثنية خصوصا لدى البرهمية والبوذية... وانتقل الزهد من الوثنية إلى اليهودية، وقبل أن يبدأ المسيح بدعوته نشأت جماعة الإسينيين الرهبانية على ضفاف البحر الميت، عاشوا متحدين على الصلاة والتقشف والعمل"[٤].

ووقفت مؤخرا على قول يمكن اعتباره وسطا أو انتهج التفصيل مفاده أن الرهبانية عند النصارى: تنصير لأسلوب حياة موجود قبل النصرانية وبعده، يقول الراهب جان لِكْلِيرْك[٥]:
"والملاحظة الثانية التي تفرض نفسها أن الرهبانية تنصير لأسلوب حياة وجد قبل النصرانية ولا يزال إلى يومنا، بأساليب مختلفة في جميع الأديان الكبرى... يمكن الوقوف في الأناجيل على إشارات تسير باتجاه هذا الأسلوب: بلا زيادة؛ ولا شيء يدل على أن الرب اهتمّ به أو دعا إليه"[٦].

---

[١] فرقة نصرانية توصف بالإصلاحية نشأت في القرن السادس عشر الميلادي، اعترضت على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في مسائل. وسيأتي المزيد في موقف الكنائس من الرهبانية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص٦٢٥–٦٣٥؛ دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، ص٣١٤–٣١٥.

[٢] فرقة يهودية ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد، اعتزلت المجتمع كليا وعاشوا حياة مشتركة على الزهد والتقشف ونبذ جميع مُتَع الجسم. سيأتي المزيد من الحديث عن التأثيرات الأجنبية. موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية: عبد الوهاب المسيري، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م)، ج٥، ص٤٩٢–٤٩٣؛ الأسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام: علي عبد الواحد الوافي، ص٦٧.

[٣] *James Hocart*: قسيس بروتستانتي حر في مدينة بروكسل عاش في القرن التاسع عشر. لم أقف على ترجمة له وإنما كتب على غلاف الكتاب هذه المعلومة. له مصنفات مطبوعة بالفرنسية في الإلحاد، اليهود وغيرها، وهي منشورة في الشبكة العنكبوتية. وكتابه ضد الرهبانية منشور في الشبكة العالمية في موقع الأرشيف الأمريكية، انظر:
(http://www.archive.org/details/MN٥٠٤٧ucmf_٥)

[٤] *Le monachisme : ses origines païennes, ses erreurs fondamentales, son influence néfaste sur la religion, la morale et la société*: James Hocart, (Paris : Librairie Fischbacher ١٩٠٣), p.١٧.

[٥] *Jean Leclercq* (١٩١١–١٩٩٣م): راهب بلجيكي، رئيس دير Clervaux في لكسمبورج، متخصص في تاريخ الكنيسة والروحانية الرهبانية. كان أستاذا في الجامعة الأسقفية الغريغوريا *PUG* في روما وله كتابات كثيرة. موقع دار Cerf للنشر والتوزيع: (http://www.editionsducerf.fr/html/fiche/ficheauteur.asp?n_aut=٩٩١)

[٦] *Moines et moniales : ont-ils un avenir*, *collection « tradition et renouveau » (٦)*, (Bruxelles : Editions Lumen vitae ١٩٧٠), p. ٣٥

وسأستعرض هنا طرفا مما اعتمدوا عليه من مصادرهم، وهي نصوص الكتاب المقدس من العهدين القديم والجديد، وكذا المجامع على مظاهر من الرهبانية والتي يحتمل أن كانت ذا تأثير في نشأة الرهبانية.

١) العهد القديم والرهبانية:

يقول القديس جيروم:

" أما نحن فعندنا من الرؤساء المتبوعين في أمرنا هذا [الرهبانية] كلّ من بولس، أنطونيوس، جوليان، هيلارون[١] و ماكير. أما للرجوع إلى سلطان النص فإن رئيسنا هو إيليا وأليشع هما منا. وقدواتنا هم أبناء الأنبياء ساكنوا الجبال والصحاري، الذين نصبوا الخيام قرب نهر الأردن، ومن جنسهم أيضا أبناء ركاب الذين لم يشربوا خمرا ولا نبيذا، عاشوا في الخيام، وبأرميا يحمدون الله"[٢].

و من أهم ما يستشهدون به:

١ -الاغتراب في قصة إبراهيم ﷺ [٣]

يذكر الأب فوزي نصري اليسوعي في مقالة عن أنطونيوس[٤] هذا النص رابطا بينه وبين ما قام به أنطونيوس الراهب لما ترك كل شيء وذهب متجها إلى حياة الرهبنة[٥].

٢- من قصص أبناء الأنبياء

يذكرون عن أبناء الأنبياء الذين جاء ذكرهم في أسفار الملوك أنهم يعيشون مستقلين على شكل جماعة في ضواحي بيت المقدس، أَريحا[٦] ومنطقة نهر الأردن. ومما استند إليه رهبان مصر فيما ورد عن أبناء الأنبياء هو إسباغ الكمال على الحياة في الصحراء[٧]، كما جاء في سفر إشعياء: (٤٠: ٣): " صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا"".

---

[١] *Hilarion* (٣١٥- ٣٦٧م): أسقف مدينة بواتييه جنوب غرب فرنسا. لاهوتي وأحد آباء الكنيسة في القرن الرابع.
Encyclopedia of Early Church: E. Ferguson, ٢nd edition

نقلا عن معجم آباء الكنيسة:

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=١٨٨٨)

[٢] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Éphèse*, p.٢٥.

[٣] سفر التكوين: (١٢: ١-٤)

[٤] يعده النصارى أول راهب، أو بوابة الرهبانية النصرانية حيث جعل قدوة الرهبان. عاش في القرن الثالث وبداية الرابع. اشتهر بالسيرة التي كتبها عنه بطريرك الاسكندرية أثناسيوس. وسيأتي الحديث عنه مزيد تفصيل.

[٥] مقال بعنوان: قراءة في حياة القديس أنطونيوس الكبير(١)، موقع جمعية التعليم المسيحي بحلب:

(http://www.talimmasihi.com/ahadis_٢٠٠٢-٢٠٠٣_antonios١.htm)

[٦] مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس. هي أول مدينة فتحها يوشع بن نون، يزعم النصارى أن المسيح تعمد فيها. معجم البلدان: ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠-١٩٩٠م)، ج١، ص١٩٦-١٩٧.

[٧] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Éphèse*, p.٣٣.

برز في أبناء الأنبياء اثنان هما إلياس واليسع عليهما السلام، أما إلياس فقد جُعِل قدوة للرهبان على وجه الخصوص حتى إن الراهبة إِلْيَان بْوَارُو أَلّفت كتابا مستقلا: "إلياس، أسوة الراهب: من أجل مصادر نبوية للحياة الرهبانية"[١].

وأسباب اتخاذهما قدوة أذكرها هنا بالإجمال:

- وصف إلياس عليه السلام بالفقر، لا يعيش إلا برزق يأتيه من الله فكانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحا وبخبز ولحم مساء[٢].
- اغترابه في الصحراء بعدما هددته إيزابيل زوج الملك بالقتل، فمشى مدة أربعين يوما وليلة إلى جبل الإله حوريب، ودَخَلَ هُنَاكَ الْمَغَارَةَ وَبَاتَ فِيهَا[٣]، وقد كان في طريقه دعا بالموت على نفسه بعد أن أصابه اليأس مما عليه بنو إسرائيل زيادة على ما توعّدته زوجة الملك من هدر دمه.
- رداؤه رَمْزُ زُهْدِهِ[٤] حتى جعله الرهبان المصريون الأولون صفة من صفاقم[٥].
- وأما اليسع عليه السلام فمن أبرز ما يستشهدون به تركه لأهله لاتباع إلياس عليه السلام[٦].

٣ -النذر

النذور الثلاثة من أبرز مظاهر الرهبانية، وقد استندوا في العهد القديم على نصوص كثيرة تتعلق بالنذر، ومن ذلك:

- يوسف عليه السلام نذير من بين إخوته [٧].
- ذكر شمشون "يكون نذيرا للإلاه" وهو في بطن أمه[٨].
- أنواع النذر: أبدي ومؤقت[٩].
- أحكام متعلقة بالنذير خوطب بها موسى عليه السلام [١٠].

---

[١] *Elie, archétype du moine: pour une resource prophetique de la vie monastique*, *collection spiritualite orientale n°٦٥*, (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٧)

[٢] سفر الملوك الأول : (١٧ : ٦).

[٣] سفر الملوك الأول: (١٩: ١-٩)

[٤] ورد ذكر هذا الرداء في مواضع من سفر الملوك: (١: ١٣,١٩)؛ (١: ١٩,١٩)؛ (٢: ٢، ٨)؛ (٢: ٢، ١٣)

[٥] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Éphèse*, p.٣٢.

[٦] سفر الملوك الأول: (١٩: ١٩-٢١)

[٧] سفر التكوين: (٤٩: ٢٦)، وسفر التثنية: (٣٣: ١٦)

[٨] سفر القضاة: (١٣: ٥)

[٩] المرجع السابق مع (١٤: ١-٨)

[١٠] سفر العدد: (٦: ١-٢١) و سفر المزامير: (٧٦: ١١)

٢) العهد الجديد والرهبانية:

يعتبر العهد الجديد أساسا عند مُنظِّري الرهبانية النصرانية، منه استنبطوا كثيرا من مظاهر الرهبانية، نذكر هنا نماذج مما اعتمدوا عليه ونُرجئ التفصيل في الفصل القادم إن شاء الله[١]:

- يحيى عليه السلام قدوة للرهبان:

هو نذير ونبي مثل صموئيل، شبيه بإلياس عليه السلام، يقضي شبابه في البراري، غير متزوج، يصوم، يصلي...[٢]

- مريم عليها السلام قدوة في الزهد والتبتل:

دعا كل من أمبرواز، أثاناس، أوريجين، جيروم إلى اتخاذها قدوة لكونها متبتّلة، منقطعة، صامتة صوّامة[٣].

- المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام المؤسس الأول للرهبانية[٤]:

هناك جملة من النصوص استشهدوا بها منها:

- تضحية المسيح: "ليس له أين يسند رأسه"[٥].

- طعامه أن يعمل بمشيئة الذي أرسله[٦]، غير متزوج.

- أمره بترك كل شيء ومتابعته: "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كتر في السماء وتعالى اتبعني"[٧].

- العزلة في الصحراء[٨]، وعلى جبل[٩].

- الدعوة إلى الكمال: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل"[١٠].

- الدعوة إلى مفارقة الأهل وبغضهم: "فاني جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكَنَّة ضد حماها، وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها. ومن أضاع

---

[١] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Ephèse*, p. ٨١-١٠٠.

[٢] سفر لوقا: (١: ١٥-١٧، ٨٠)؛

Op. cit., V. Desprez, p.٨٣.

[٣] سفر لوقا: (١: ٣٤) وانظر المرجع السابق، ص٨٦

[٤] *Le monachisme orthodoxe : hier, demain*: Emilianos Timiadis، p. ٤٠.

[٥] سفر متى: (٨: ٢٠)

[٦] سفر يوحنا: (٤: ٣٤)

[٧] سفر متى: (١٩: ٢١) وردت إجابته هذه على الشاب في مواضع ثلاث: نجيل متى، وأيضا في سفر مرقس: (١٠: ١٧-٢٢) و سفر لوقا: (١: ١٨-٢٠)

[٨] سفر مرقس: (١: ١٢-١٣)؛ سفر متى: (٤: ١-٢)

[٩] سفر مرقس: (٦: ٤٦)

[١٠] سفر متى: (٥: ٤٨)

حياته من أجلي يجدها"[١]، "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضا، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا. ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذا"[٢].

وسيأتي التعليق على هذه النصوص وغيرها في الحديث عن المظاهر.

– الرسل قدوة للحياة الرهبانية الجماعية[٣]:

– "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا؛ إذ لم يكن فيهم أحد محتاجا لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج. ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ وهو لاوي قبرسي الجنس إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل."[٤]

– بولس ينظِّر التبتل[٥]:

– "وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحَسَنٌ للرجل أن لا يمسّ امرأة"[٦].

– "ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حَسَنٌ لهم إذا لبثوا كما أنا"[٧].

– " هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ"[٨].

– "فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقا. غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا. وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها. هذا أقوله لخيركم ليس لكي ألقي عليكم وهقا بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك"[٩].

---

[١] سفر متى: (١٠: ٣٥-٤٠)؛ "والكَنَّةُ بالفتح: امرأة الابن، وتجمع على كَنائنَ كأنَّه جمع كَنينَةٍ". الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م)، ج٦، ص٢١٨٩

[٢] سفر لوقا: (١٤: ٢٦-٢٧)

[٣] *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Ephèse*, p.٩٤-٩٥

[٤] أعمال الرسل: (٤: ٣٢-٣٧)، وانظر أيضا (٢: ٤٢-٤٧)

[٥] *Op. cit*, p.٩٦-٩٧.

[٦] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: (٧: ١)

[٧] المرجع السابق: (٧: ٨)

[٨] المرجع السابق: (١٤: ٤)

[٩] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: (٧: ٣٢-٣٥)

يتبين أن العهد الجديد يحتوي على مادة ليست بالقليلة يغلب عليها الروحانية والدعوة إلى التطهر والارتفاع من قيود الأرض ونوازع الشهوات. وهذه النصوص نفهمها من خلال قضيتين:

الأولى: إن المسيح ﷺ ما أرسل إلا "إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" كما جاء النص بذلك في كتابهم المقدس[1] والمقصود بهم اليهود. ولما كان المدعوون هم اليهود وقد اتصفوا بالتطرف في الماديات وأضاعوا كثيرا مما أمرهم الله به في التوراة وحرفوا وبدلوا. بل وصل بهم الأمر إلى أن الإيمان باليوم الآخر لم يكد يذكر في كتابهم المقدس لشدة تعلقهم بالدنيا ومُتَعِها. تعاملوا بالربى، وأكلوا السحت، وقتلوا الأنبياء[2] تركوا كثيرا من حدود ما أنزل الله إليهم... وقد ورد في كتاب الله ما يؤكد هذه الحال في آيات، ووصف الله قلوبهم بأنها كالحجارة أو أشد قسوة، وأن قلوبهم قد أشربت حب العجل. فالخطاب إذاً الذي واجه به عيسى ﷺ بني إسرائيل ركز على الجانب الروحي لعل قلوبهم ترق، فتستسلم لله تعالى وتذعن لحكمه وترجع عن غيها وإن لم يحصل ذلك في الواقع إلا لفئة قليلة منهم. ولذا نجد أن الله تعالى ذكر عن أتباع المسيح ﷺ أن فيهم رأفة ورحمة، وأن منهم من إذا سمع آيات الله تتلى عليه فاضت عيناه مما عرف من الحق، يقول الله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحديد: ٢٧)

ويقول ﷻ:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (المائدة: ٨٢ – ٨٣)

الثانية: على فرض صحة اعتماد هذه النصوص على المسيح ﷺ تأصيلا للرهبنة في زعمهم، فإنها لا تدل لزاما على صحة الرهبانية كما يزعمون، ولا يلزم أن تفهم كما فهمها الرهبان بالوقوف عند ظواهرها. فلو قرأنا النصوص في سياقها، وضُمَّ بعضها إلى بعض لخرجنا بنتائج أخرى. وسيأتي ذلك بإذن الله تعالى في الفصل القادم.

وعلى كل حال فإن هذه التعاليم قد أثرت من قريب أو بعيد في نشأة الرهبانية، فأتباع المسيح ﷺ ومن انتسب إليه في ظل الاضطهاد كما سيأتي عاشوا منذ القرن الأول منعزلين عن المجتمع ولو نسبيا.

---

[1] سفر متى: (١٥: ٢٤)

[2] وهذه الحقيقة مذكورة في العهد القديم، انظر سفر الملوك الأول: (١٩: ١٠)

وقد وجدوا في نصوص العهدين ما يغذي الجنوح إلى الانعزال وترك الأموال. وإن كثيرا من منظري الرهبانية كانوا يرون أن الرهبانية ما هي إلا المسيحية الكاملة وأن "منطق الإنجيل" كما يرى باسيل القيصري[١] "تقود إلى الحياة الرهبانية[٢].

٣) المجامع والرهبانية:

يعتقد كل من النصارى الكاثوليك والأرثوذكس أن ما يصدر من المجامع المسكونية مُلزِم، بل هو إيمان، سواء كان في الجانب العقدي الإيماني أو التشريعي. كما أن لها الدور الأساس في وضع القوانين لحفظ النظام في الإدارة الكنسية[٣]. وبالنسبة للرهبانية فهذا أَدَلْبِرْت دِي فُوجْوَي يذكر أن القديس يوحنا كاسيان (ت٤٥٨م)، وهو من كبار منظري الرهبانية، يرى أن أصل وجوب الحياة الرهبانية الجماعية ترجع إلى المجمع الأول المسمى بالمجمع الأورشليمي[٤]. يقول في كتابه "الرهبانية في الغرب قبل القديس بندكت" عن كاسيان أنه : " كان يرى بداية الرهبانية في مصر متابعا في ذلك التفسير النصراني الذي قدمه المؤرخ يوسابيوس القيصري (٢٦٥-٣٤٠م) فيما قصه فيلون عن اليهود الثيرابوت الذين عاشوا حول الإسكندرية. الآن يرى -كاسيان- ولادة الحركة الرهبانية في فلسطين، كنتيجة للمجمع الأورشليمي المذكور في سفر أعمال الرسل"[٥].

وبالرجوع إلى كتاب كاسيان وجدته يؤصل هذا الرأي بناء على مقدمتَيْن:

الأولى: أن الرسل وعموم النصارى في اللحظات الأولى، أي بعد رفع المسيح عليه السلام، وهم القدوة، عاشوا حياة رهبانية جماعية كما وصفهم لوقا: " وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد يقول إن شيئا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا.... لم يكن فيهم أحد محتاجا لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزَّع على كل واحد كما يكون له احتياج"[٦].

---

[١] *Basile de Césarée* (٣٣٠-٣٧٩م): أحد آباء الكنيسة اليونانية المشهورين. عاش في منطقة كبادوكيا، شارك في معارضة الأريوسية وله مصنفات منها القانون المطول والمختصر أو الكبير والصغير. الموسوعة العربية الميسرة، ص٣١٢

[٢] *Encyclopédie des religions*: sous la direction de Fréderic Lenoir et Ysé Tardan-Masquelier, (Paris : Bayard Editions ٢٠٠٠), p.٤٣٧

[٣] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص٥٨٦؛ ومجموع الشرع الكنسي: حنانيا إلياس كساب، ص١ نقلا من مصادر النصرانية: دراسة نقدية، ج٢، ص٧١١

[٤] وردت رواية المجمع في موضعين من العهد الجديد: في سفر أعمال الرسل: (١٥: ١-٣٥) و رسالة بولس إلى أهل غلاطية: (٢: ١-١٠)

[٥] *Le monachisme en occident avant Saint Benoît*, p.٧٨

[٦] سفر أعمال الرسل: (٤: ٣٢-٣٥)

الثانية: لما انتشرت الدعوة في الوثنيين تعاملوا معهم بتنازلات، يقصد في مجمع أورشليم. فلم يطلبوا منهم سوى الامتناع "عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منـــها فنعمّـــا تفعلون"[١].

فيرى كاسيان النتيجة أن "الكثير منهم اقتنعوا بأن ما تنازلوا به للوثنيين إحسانا بهم كان جائزا من قبل، وأن ليس هناك أي إثم في أن يحفظ المرء ممتلكاته مع اتباع دين المسيح"[٢]. ثم يواصل مبينا أن من تلـــك اللحظة واصل من كان يرى وجوب البقاء على ما كان عليه الرسل وأتباع المســـيح في العهـــد الأول فانعزلوا تاركين كل شيء. فكاسيان اعتمد المجمع الأول، مجمع أورشليم، بداية لولادة الحركة الرهبانية نتيجة الخروج عن الأصل، فقد كان الحال قبل المجمع نفي الملكية وتـــرك المـــال شـــرطا للـــدخول في النصرانية. فلما أجاز المجمع الملكية وتنازل للوثنيين ظهرت فئة يقول عنهم كاسيان: "الـــذين احتفظـــوا على حماسة العصر الرسولي لم ينسَوْا كماله. إنهم ابتعدوا عن المدن وعن الذين رضوا بحيـــاة أســـهل في الكنيسة. انسحبوا في عزلة لمتابعة ما كان عليه الرسل، ومارسوا ذلك بحماس. انجذب إليهم كثير مـــن الأتباع الذين تجنبوا الفتور العام ليقتدوا بهم وازداد عددهم تدريجيا. ولما انفصلوا عـــن غيرهـــم مـــن المسيحيين وتخلوا عن الزواج وأسرهم والعالم سمي بالراهب الذي كان يعيش على هذا النحو في عزلـــة. والذين عاشوا جماعة سموا *cénobites*[٣]. لقد كان هؤلاء هم أول رجال الدين سواء من جهة الأولية أو الفضائل، تكاتفوا على الكمال حتى عهد الرؤساء بولس وأنطونيوس. وما زلنا نرى بقيتهم في بعض الأديرة"[٤]. لكن كاسيان بخطابه الإنشائي قد قفز قفزات تاريخية ليست قليلة. فالمعلوم يقينـــا أن نشـــأة الرهبانية تأخرت عن هذا الوقت بقرنين تقريبا كما سيأتي. والذي يبدو أنه إنما يسوّق للرهبانية محـــاولا أيضا طمأنة الرهبان بربطهم بالرعيل الأول ليس إلا.

أما بقية المجامع سواء العامة منها أو المحلية فإنها عبر القرون، خصوصا من القرن الرابع إلى هذا القرن، لا تخلوا في كثير منها عن أحكام صدرت في حق الرهبان، أو رؤساء الأديـــرة، أو الأديـــرة، أو القـــوانين الديرية. ومعرفة بعض ما ورد في هذه المجامع كما سيأتي يعتبر مصدرا موثوقا لمعرفة واقع الرهبانيـــة في فترات تاريخها[٥].

---

[١] المرجع السابق: (١٥: ٢٩)

[٢] من كتابه: (*Conférences II*, XVIII, ٥) المنشور في الموقع الرسمي لدير القديس بندكت في سويسرا: (http://www.abbaye-saint-benoit.ch/saints/peres/cassien/cassien٠٢.htm#_Toc١٠٣٥٠٤١١٥)،

[٣] كلمة مأخوذة من اليونانية "كينوبيون"، وهي مركبة من *koïnos*= الشركة، و *bios*= الحياة. وأصبح مصطلحا على الحياة الرهبانية الجماعية كما سيأتي. *Nouveau petit Larousse*, p.١٨٠

[٤] *Op. cit*, *Conférences II*.

[٥] *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle*: trad. et notes Vincent Desprez, *collection: Vie monastique (٩)*, (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٨٠), p.٢١

والخلاصة من هذا المبحث أمور:

١ –مهّد لظهور الرهبانية قَرْنان وجد فيهما تيارات زهدية مختلفة، وثقافات مكتوبة في الزهد.

٢ – الاضطهاد والفساد كانا سببا رئيسا في نشأة وظهور الرهبانية.

٣ –الانحراف العقدي الذي أصاب الكنيسة وإلزام الناس به ليس سببا في نشأة الرهبانية وانتشارها إذ كان منظروها على التثليث، وإن كان سببا لعزلة بعض المضطهدين من الموحّدين.

٤ –زعم أنصار الرهبانية من النصارى بأن الرهبانية مستقاة من مصادرهم الأصلية وفق النصوص التي ذكروها من كتابهم المقدس والمجامع.

المبحث الثالث:

تطور الرهبانية عند النصارى

تمهيد:

من الصعب إعطاء حد فاصل بين التيارات الزهدية ونشأة الرهبانية، إلا أن هذه الأخيرة كانت امتدادا للأولى وكأنها تطور لها حتى أضحت مؤسسة الرهبانية في أواخر القرن الثالث الميلادي ظاهرة الملامح بينة الأركان، وظلت نامية بصفة مستمرة في الغالب. ومن المؤكد بما وصل إليه البحث العلمي أن الرهبانية نشأت أول ما نشأت من جهة المكان في مصر، وهذا الرأي يكاد يكون باتفاق من كتب عنها من المؤرخين وغيرهم الذين جعلوا نقطة البداية على يد بولا أو بولس الطيبي كأول المتوحِّدين، وإن كان الأدق أن يقال: إنه أول من وصل إلينا خبره، إذ المتوحدون كانوا كثيرين أفرادا منتشرين أينما وصلت النصرانية، لكن الذي برز وحفظ التاريخ ذكره هو بولس الطيبي. ثم إن الاسم الثاني هو أنطونيوس كأول من نشر ولقّن غيره هذا النهج فكان "أول أب لأول دير في العالم"[١] كما قيل، وكلاهما مصري وسيأتي مزيد حديث عنهما[٢]. ولكن هناك من نازع هذا الرأي وذهب إلى أن الرهبانية نشأت في مواطن مختلفة في نفس الوقت تقريبا، يقول الأب أَرْمَنْد فِيُو [٣]: " القول الذي لقي قبولا عاما إلى ما قبل أربعين سنة تقريبا، والذي يقضي بأن مهد الرهبانية النصرانية كان في مصر ثم انتشر إلى بلدان أخرى في الشرق والغرب أصبح اليوم متروكا. فإننا نعلم الآن أن الرهبانية نشأت في نفس الوقت تقريبا في أماكن مختلفة، فيما بين النهرين، في الشام، وفي مصر وكبادوكيا[٤]، وكذلك في الغرب. والقول بعد ذلك بأن تأثير التقليد المصري كان أرجح في جميع البلدان تقريبا، فهذا مما لا شك فيه، ولكن في كلّ من بلدان الشرق والغرب ظهرت الرهبانية وتطورت ذاتيا وباستقلال قبل هذا التأثّر"[٥].

---

[١] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص٤٧، ٤٩

[٢] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٢٨؛ الفكر المصري في العهد المسيحي: رأفت عبد الحميد، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠-٢٠٠٠م)، ص٢٦٥؛ لمحة سريعة عن رهبنة مصر: الأب متى المسكين، (وادي النطرون: مطبعة دير القديس أنبا مقار، الطبعة الأولى ١٩٨١م)، ص١٢ من الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ٦٢-٦٣

[٣] *Armand Veilleux* : قس ورئيس دير سكورمنت في بلجيكا التابع لجماعة السيسترسيان. في السبعينات من عمره، أصله كندي لكنه تجول بعد ترهبه في العشرينات من عمره بين الأمريكتين وأفريقيا وأوروبا حتى استقر في بلجيكا، يتقن بضعة لغات حية وميتة، حقق قانون باخوم وله مقالات علمية واجتماعية كثيرة في لغات مختلفة. من اللقاء به في سبتمبر ٢٠٠٨م في مقر الدير.

[٤] *Cappadocia*: إقليم قديم في الجزء الشرقي من آسيا الصغرى. كانت ولاية فارسية قبل أن يحتلّه الرومان في ١٩٠ق م. يشكل اليوم أواسط تركيا الحديثة. موسوعة المورد، ج٢، ص١٦٧

[٥] *Monachisme et gnose en Egypte*, *revue Laval théologique et philosophique*, Vol: ٤١, num ١, février ١٩٨٥, (http://www.ftsr.ulaval.ca/ltp/art_details.asp?lng=&codearticle=١٤٢٤)

وذهب إلى هذا الرأي وقرره المؤرخ المعاصر Vööbus في كتابه: "تاريخ الحياة النسكية في الشرق السرياني"[١]، وذكره كلّ من الأب ألبير أبونا و أنطوان جِيُومُون [٢].

ويستند هذا الرأي إلى وجود التيارات الزهدية في أواسط القرن الثاني وقد سبق الحديث عن بعضها. فقد ذُكِر وجود بعض المتوحدين في بلاد الشام وما بين النهرين ممن أطلق عليهم باللغة السريانية *Iḫidâye* يذكرهم المؤرِّخ أفراهاط الحكيم الفارسي يصفهم بأنهم زهاد سائحون يعمرون أوقاتهم بالصلوات والدعوة وكانوا لا يتزوجون تعبدا كما ذكرنا في التعريف[٣].

ولكن يعارَض هذا المذهب بالقول أنه إذا كان الحديث عن أفراد مغمورين فقد وُجِد أيضا متوحدون في بلاد مصر وفي وادي النطرون في صحراء نتريا في نفس الفترة إذا سلمنا بما نقله الأمير عمر طوسون (ت١٩٤٤م) وغيره عن كلّ من الأب شينو وكورزن أن من أوائل النساك كان "فرونونيوس" (١٣٨-١٦١م) ومعه سبعون ناسكا[٤]. فالذي يظهر –والله أعلم- أن أَرْمَنْد فِيُو ومن نحا نحوه إنما يقصدون الزهاد والمتوحدين الذين كانوا من ضمن التيارات الزهدية التي أشرنا إليها، ولكنها محدودة النطاق والتأثير ولا يمكن بحال مقارنتها بما حصل بعد قرن من الزمن في مصر خصوصا على يد أنطونيوس و باخوميس وغيرهما كما سيأتي. فمن هذه الأحضان انطلقت التجربة الرهبانية في أرجاء الشرق والغرب. إضافة إلى أن ظهور الديرية والنهج الرهباني الذي ينتمي إلى التقليد المصري لم يظهر في بلاد ما بين النهرين إلا على أيدي تلامذة المدرسة المصرية أمثال اوجين الذي قضى وقتا في الأديرة الباخومية في صعيد مصر[٥]. وكذلك بالنسبة للغرب إذ يعتبر أسقف الإسكندرية أثناسيوس أول من دعا إلى الرهبانية في الغرب فقد قضى هناك سبع سنوات (بين ٣٣٩ و٣٤٦م) في نفيه الثالث يتنقل بين روما و غالة[٦] ومعه راهبان مصريان كما تقول الروايات[٧].

---

[١] *History of Asceticism in the Syrian Orient. A Contribution to the History of Culture in the Near East, I. The Origin of Asceticism. Early Monasticism in Persia*, (Leuven: Peeters publishers, ١٩٥٨)

[٢] تاريخ الكنيسة الشرقية، ص١٧٢؛ و

Aux origines du monachisme chrétien, p ٢١٨-٢١٩

[٣] *Ibid*, p ٢١٩

[٤] قديسي مصر، ج١، ص٤٧٤؛ زيارات أديرة الشرق، ص٧٦ نقلا من تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم: رؤوف حبيب، (القاهرة: مكتبة المحبة)، ص٣٥؛ وانظر: وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة، سلسلة: صفحات من تاريخ مصر (١٩)، (القاهرة: مكتبة مدبولي ١٤١٦-١٩٩٦م)، ص٢٢؛ الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٥

[٥] روحانية التسبحة: بفنوتيوس السرياني، ٥/٥٩-٦٠، نقلا عن قاموس آباء الكنيسة وقديسيها:

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=) ٣٥١

[٦] تطلق على المناطق التي سكنها الشعوب الغالية والتي تشمل حاليا كل من فرنسا، بلجيكا، شمال إيطاليا وجزء من ألمانيا.

Nouveau petit Larousse, p.١٣٦٣-١٣٦٤

[٧] تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٢٦٢

وأخيرا يمكن القول مع د/ رأفت عبد الحميد أن مصر "قد أهدت إلى المسيحية حياة الرهبانية ونُظُم الديرانية"[١].

ونذكر هنا المراحل التي مرت بها الرهبانية منذ نشأتها باعتبار أن تطوّر مرحلة ما من الرهبانية لا يعني اندثار المرحلة السابقة، فالواقع أن جميع هذه المراحل بقيت ولا تزال إذ أصبحت ضربا من الرهبانية أو شكلا من أشكالها إلا أن بعضها قلّت وانحصرت إلى حد كبير مثل التوحّد وشبهه، كما أن بعض المراحل متزامنة متداخلة في الظهور نسبيا.

مراحل تطور الرهبانية:

المرحلة الأولى: التوحّد

إن أول مراحل تطور الرهبانية هي ما أُطلق عليها "التَّوحُّد"، وباللغة اليونانية *أناكُوريزِس* ***anachorèsis***، وهي كلمة مركبة تعني في أصلها اللغوي: "طلب الابتعاد"[٢]. ثمّ أُطلِقت على "الزاهد الذي يعيش منفردا بعيدا عن المجتمع"[٣].

وقد أُطلق هذا المصطلح في مصر الرومانية على من يبتعد عن المجتمع إما فِرَاراً من الضرائب والإتاوات الباهظة التي ألزم بها الفلاحون، أو على العبيد الذين فروا من ظلم أسيادهم، أو على السرّاق الذين هربوا خوفا من القبض عليهم، وكان ملاذهم جميعا الصحراء يكوِّنون جبهة مضادة للحياة الاجتماعية. ولم تطلق بهذا المعنى الديني إلا متأخرا، فكانت مرادفة للزاهد والراهب الذي سلك نهج الوحدة والانفراد مقابلة بالذي عاش حياة جماعية ديرية[٤]. ومن خصائص هذه المرحلة عدم وجود نظام محدد ولا قانون، وإنما ذلك يرجع إلى كل راهب وتجربته وذوقه.

وهناك أنواع من المتوحّدين يلحقون بهم، فمنهم:

"**السيّاح**": وهم الذين ليس لهم مكان يَقَرّون فيه، وحيث غشيهم الليل استتروا في الكهوف والمغارات، يوصف تقشفهم بغاية الشدة[٥].

---

[١] الفكر المصري في العهد المسيحي، ص٢٦٥

[٢] *Nouveau petit Larousse*, p.٤٣

[٣] *Ibid.*

[٤] *Histoire de l'église du Christ : I. L'église des apôtres et des martyrs*, p.٦٠٥; *Les hommes ivres de Dieu* : Jacques Lacarrière, collection sagesses ٣٣, (Paris : Fayard, ١٩٧٥), p.١٤

و انظر أيضا: مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي: مصطفى العبادي، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٥م)، ص٣٣٤ نقلا عن: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص ٦٧

[٥] انظر الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص٦٩

"**الحبساء**": وهم ممن حبسوا أنفسهم في زنزانة صغيرة أو صومعة ضيقة، وبعضهم يُحْكِم إغلاقها إلا منفذا صغيرا لإدخال ما يحتاج إليه لقوته[١].

"**العموديون**": وهو لون من ألوان الرهبنة اشتهرت في بلاد الشام رائدها سمعان العامودي (ت٤٥٩م) الذي عاش فوق عامود بلغ من الارتفاع في آخر عمره عشرين مترا[٢].
ارتبطت نشأة التوحّد عند النصارى بشخصيتين أبقى ذكرهم التاريخ ويعتبرهم النصارى رواد الرهبانية هما: بولس الطيبي وأنطونيوس الكبير. ولنقف مع هاتَيْن الشخصيتين لأهميتهما في تاريخ الرهبانية النصرانية:

أ/ بولس أو بولا الطيبي:

يصفه مترجمه جيروم في رسالة باللغة اللاتينية أسماها: "حياة القديس بولس أول المتوحدين"[٣] بأنه أول واضع لنسق الحياة الرهبانية[٤]، وهذا المصدر كغيره من المصادر في حياة القديسين لدى النصارى لا يُعتمد تاريخيا على تفاصيله لاختلاطه بكثير من المبالغات والخيالات، يقول د/سعيد عاشور عن هذه السيرة: "ويبدو أننا لا نستطيع الكلام بالتفصيل عن حياة القديس بولس نظراً لأن المتأخرين أضافوا عليه هالة واسعة من النور يصعب في ضوئها المصطنع تمييز الحقيقة من الخيال"[٥].
وملخص سيرة بولس أنه ولد في حدود ٢٢٩م بصعيد مصر في أسرة غنية، ولما بلغ خمسة عشر سنة مات والديه ولم يبق له أحد سوى أخته وزوجها، ويذكر جيروم أنه كان مثقفا بالثقافة اليونانية والقبطية ولم يعطنا أي تفاصيل أخرى. وفي حدود ٢٥١م إذ اشتد اضطهاد الحاكم ديكوس (٢٤٩-٢٥١م) انعزل في بيت قريب، فلما أحس أن أخا زوجته أراد الإبلاغ عنه رغبة في حقه في الميراث اضطر إلى الفرار إلى الصحراء ريثما يهدأ الاضطهاد ولكنه بقي منعزلا هناك في كهف إلى وفاته حدود ٣٤١م، أي ما يقارب تسعين سنة. وقد اشتملت قصته على غرائب وعجائب، ولذا فقد نالت نقدا لاذعا من قبل الكاتب والباحث الفرنسي *جَاك لَكْلاَرْيار* (ت٢٠٠٥م) في كتابه: "رجال سكارى بالإله". فهو يشكك في أصل وجود هذه الشخصية التي يراها من قبيل الأسطورة التي صنعها جيروم

---

[١] تاريخ الكنيسة الشرقية، ص١٧٤

[٢] المرجع السابق.

[٣] "*Vita s.Pauli primi eremitae*" منشور مع جميع مصنفاته المحققة باللغة الفرنسية في موقع دير القديس بندكت:
Œuvres de St Jérôme: M. Benoît Matougues, (Paris: Auguste Desrez, imprimeur éditeur ١٨٣٦),(http://www.abbaye-saint-benoit.ch/saints/jerome/mystiques/٠١٩.htm)

[٤] الفكر المصري في العهد المسيحي: رأفت عبد الحميد، ص٢٥٧

[٥] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٢٨

لتسويق الرهبانية، ويذكر أن السبب في تسطير هذه السيرة هو الغَيْرة التي دبت في جيروم مما كتبه الأسقف أثناسيوس عن القديس أنطونيوس، ثم يزعم *لكْلاَرْيار* أن المصادر التاريخية المعتمدة لم تذكر بولس الطيبي سوى ما وجد في رسالة اِلْتِماس إلى بعض الحكام كُتِبَت في أواخر القرن الرابع الميلادي طلبا السماح بالاحتفال بذكرى "بولس الذي كان له من الشهرة مثل أنطونيوس ولا نزال نحتفل بذكره"[١].

وبغض النظر عن صحة تفاصيل هذه الدعوى فمن الملفت للنظر بعد قراءة السيرتَيْن: سيرة أنطونيوس وبولس نجد هناك جملة من الملحوظات بمجموعها تميل بنا إلى القول بالشك في حقيقة هذه الشخصية، أذكرها على النحو التالي:

١ -إن جيروم في كل ما أعطانا من معلومات لم يذكر لنا مصادره ولو بالإشارة خلافا لما فعل أثناسيوس، ثم إن المصدر الوحيد هو أنطونيوس على فرض صحة لُقْياه ببولس، ونقل عنه تلامذته الذين أخذوا عنه، مع العلم أن أثناسيوس لم يذكر هذا اللقاء في سيرته، فمن أين جاءنا بتلك التفاصيل الدقيقة ومن نقلها حتى وصلت إليه؟

٢ -ركز في سيرته أيما تركيز على زيارة أنطونيوس وحرصه على اللقاء به، بل هي تسعة أعشار السيرة. وقد اشتمل ذلك على رسائل كأنه أراد إيصالها من خلال قصة اللقاء، منها:

- بولس هو أول متوحد على الإطلاق.
- أنطونيوس مع جلالة قدره يعتبر عالة عليه حتى إنه لما جاءه – حسب رواية جيروم- فإنه رفض أن يخرج إليه، وهذا موقف يُذكِّرنا بالسنة المتبعة لدى الرهبان إذ يتركون المريد أمام الباب ولا يفتحون له اختبارا لصبره وصدق رغبته في الرهبانية، فكأن أنطونيوس التلميذ وبولس الشيخ الأستاذ، إضافة إلى غرابة في النص إذ يذكر أن بولس أغلق الباب بالمفتاح؟! وأي باب بقفل ومفتاح في كهف داخل جبل وسط الصحراء؟
- يذكر جيروم أن بولس يأتيه طعامه من السماء، فيوميا يأتيه غُرَاب يرمي له نصف رغيف، لكنه لما زاره أنطونيوس رمى الغراب رغيفا كاملا. أما أنطونيوس -كما يذكر أثناسيوس- فيؤتى له بطعامه من قبل محبين له. وكفالة الغربان ببولس شبيهة بما جاء عن النبي إيليا وهو إلياس عليه السلام في سفر الملوك الأول :" وَكَانَتِ الْغِرْبَانُ تَأْتِي إِلَيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحاً وَبِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ"[٢].

---

[١] *Les hommes ivres de Dieu*, p.٧٢

[٢] سفر الملوك الأول: (١٧ : ٦)

٣ -التشابه الكبير بين سيرتي بولس وأنوطونيوس في النشأة. فكلاهما نشأ في أسرة غنية ومات أبواه و لم يبق معه إلا أخت ومع ذلك تركا كل شيء.

فبعد هذا إن القول باختلاق هذه السيرة أو كثير من تفاصيلها ليس ببعيد عن الصواب وإن كان يحتاج إلى بحث أكثر، وعلى كل حال فإن هذا لم يمنع من تأثير هذه السيرة تأثيرا كبيرا في نشر الرهبانية في بلاد الشام خصوصا وغيرها[١].

ب/ **أنطونيوس:**

يعتبر الشخصية الأولى بحق والبوابة للرهبانية عند النصارى على وجه العموم، وفي مصر على وجه الخصوص، وكلما ذكرت الرهبانية ذكر أنطونيوس كأول راهب أو"أبو الرهبان"[٢]، أو "أبو النساك"[٣]، أو "الأب لأول دير في العالم"[٤] إلى آخر الألقاب التي وسم بها.

و نذكره هنا كما سيذكر في مرحلة وسط بين التوحّد والجماعية أو الديرية إذ كان أيضا من رواد مرحلة الشبه الجماعية. ولأهمية هذه الشخصية نقف عليه بشيء من التفصيل.

أولا: مصادر سيرته وتعاليمه:

وصلت إلينا سيرته وأخباره من مصادر ثلاث:

الأولى: ما سطره أسقف الإسكندرية أثناسيوس (٢٩٦-٣٧٣م) وقد طبعت بعنوان: "حياة وسلوك أبينا أنطونيوس"[٥]. كتبها باللغة اليونانية بعد وفاة أنطونيوس بعام أي تقريبا ٣٥٧م وقد حُقِّقت هذه الرسالة وعليها دراسات[٦]. والنسخة العربية التي وقفت عليها باسم : "سيرة أبينا البار أنطونيوس"، ترجمها من اليونانية الأب ميشال نجم، منشورات النور ١٩٨٣م، وقد صدرت الطبعة الأولى منها في لبنان عن منشورات معهد يوحنا الدمشقي اللاهوتي ببَلَمَنْد.

ولهذه الرسالة أهمية تاريخية كبيرة في نشر الحياة الرهبانية حتى إن الأسقف ودكتور الكنيسة جريجوري

---

[١] الفكر المصري في العهد المسيحي، ص٢٥٧

[٢] *Le monachisme primitif*: Vincent Desprez, p.١٥٧

[٣] المسيحية، موسوعة الأديان في العالم: (بيروت: دار *Edito creps int.* ٢٠٠٠م)، ص٦٥

[٤] الرهبنة القبطية: متىّ المسكين، ص٤٩

[٥] " *Vita Antonii* "منشورة باللغة اليونانية والإنجليزية في موقع "الملفات الكاثوليكية" " *Documenta Catholica Omnia*":

(http://www.documentacatholicaomnia.eu/٢٠_٣٠_٠٢٩٥-٠٣٧٣-_Athanasius,_Sanctus.html)

[٦] *Op. cit.*, V. Desprez, p.١٥٨

دي نازيانس (ت٣٩٠م) وصفها بأنها: "القانون التشريعي للحياة الرهبانية بأسلوب القصة"[١]. وقد ترجمت إلى اللاتينية مرات عدة منها ترجمة إيفاغر[٢] قبل ٣٧٠م[٣].

وسبب كتابته استجابة لطلب الذين سماهم أثناسيوس في مقدمته "الإخوة في الأرجاء الأجنبية"[٤]، ويغلب على الظن أنهم من الغرب حيث قضى هناك سبع سنوات (بين ٣٣٩ و٣٤٦م) في نفيه الثالث يتنقل بين روما و غالة يصحبه راهبان مصريان[٥]، ويبدو من المقدمة أيضا أن صيت أنطونيوس قد انتشر ووصلت أخباره في كل مكان[٦].

وأما قيمة هذه الرسالة تاريخيا فإنها لا تعتبر وثيقة تاريخية موضوعية وإنما هي ضرب من الأساليب في الكتابة معروف في التراث اليوناني يطلق عليه باليونانية *أرِيطُوس* "*aretos*" وتعني "الخطبة المشيدة"، وكان أسلوبا يستخدم لتعظيم الحكيم أيا كانت ديانته، ويذكر *لَكَّارْيار* أن سيرة أنطونيوس تنهج النهج نفسه مثل ما كتب عن حياة فيثاغورث أو حياة السفسطائية، ليست الغاية في هذه الكتابات الحقائق التاريخية وإنما الغاية تعظيم شخصية أو مجموعة بإجراء الخوارق المختلفة على أيديهم، وتقويلهم خطب رنانة وتصويرهم بصورة الأبطال[٧].

وإن كان هذا لا يذهب بنا إلى التشكيك في حقيقة شخصية أنطونيوس كما ذهب إليه باحثون ألمان[٨]؛ ذلك أن هناك مصادر أخرى لسيرته مع تواتر أخباره، وإنما الغرض في هذا المقام معرفة قدر هذه الكتابات ومثيلاتها.

أما عن علاقة أثناسيوس بالرهبان وأنطونيوس، فبعد عام من اعتلاء عرش الأسقفية زار أثناسيوس "نساك الصحراء"[٩]، وتبعت هذه الزيارة مواقف عديدة تدل على صلة قوية بينه وبين الرهبان عموما وأنطونيوس على وجه الخصوص، فمن ذلك[١٠]:

---

[١] *L'idéal religieux de St Antoine et son actualité*: Etienne Betancourt, (A M Ermite, ١٩٥٦), p.٤٧

[٢] *Evagre* (٣٤٦-٣٩٩م): من أوائل من لخص ورتب ونظر فكر الرهبانية. كان شماسا قبل أن يترهب في القدس ثم في مصر حيث تتلمذ على يد الراهب ماكير الكبير. وظل في صحراء نيتريا إلى وفاته.

Dictionnaire de spiritualité, t.IV, p.١٤٩٧-١٥١٣

[٣] *Op. cit.*, V. Desprez, p.١٦٢

[٤] الفكر المصري في العهد المسيحي، ص٢٦٣

[٥] المرجع السابق، ٢٦٢

[٦] المرجع السابق، ٢٦٣

[٧] *Les hommes ivres de Dieu*: Jacques Lacarrière, p.٥٣

[٨] *Loc. cit.*

[٩] الفكر المصري في العهد المسيحي، ص٢٨٠

[١٠] المرجع السابق، ص٢٨٠-٢٩٤

– بعدما جاء قرار الإمبراطور قسطنطين بنفي أثناسيوس سنة ٣٣٥م يُروى أن أنطونيوس كتب رسالة التماس لدى الإمبراطور ليسمح للأسقف بعودته إلى بيعته.

– ولما عاد أثناسيوس من نفيه في صيف ٣٣٨م التقى بأنطونيوس في الإسكندرية مع جماعة من الرهبان.

– وبعد عام أنقذ الرهبان أثناسيوس من السلطات التي أمرت بعزله مرة أخرى، ثم أعانوه ليأخذ سبيله إلى روما ومعه راهبان.

– قضى في ٣٥٦م و٣٦٦م زيارتَيْن مطولتَيْن منفيا تحت رعاية الرهبان في صحراء مصر.

وهكذا نجد الاتصالات بينه وبين الرهبان كثيرة ووطيدة، وهي تدل أيضا على الدور الذي لعبه الرهبان في تلك الفترة الحرجة والتي ساندوا فيها عقيدة التثليث وأنصارها وكان من أبرزهم وقتئذ أثناسيوس.

الثانية: مجموعة أقوال أنطونيوس *أُبوتيمَا apopthegma*

يذكرون ٣٨ خطبة وكلمات منسوبة إليه لكن غالب أصولها مفقود، إلا أن كثيرا منها مذكور في سيرته أو رسائله كما نجد بعضها في "بستان الرهبان"[١]. والكل يصعب الجزم بنسبته إليه أو أنه من كلام "آباء الصحراء" كما يسمونهم وهم الرهبان الأولون[٢].

الثالثة: الرسائل السبع

عثر على سبع رسائل منسوبة إلى أنطونيوس، حُققت من أصول باللغة اللاتينية وغيرها ومقاطع باللغة القبطية، يرويها عنه بعض مريديه[٣].

ذهبت طائفة من الباحثين إلى التشكيك في صحة نسبتها إلى أنطونيوس بسبب بعض المصطلحات الفلسفية المستخدمة في الرسائل. ويُستبعد بداهة أن يكون أنطونيوس الأمي قد استخدم هذه المصطلحات خصوصا أن له موقف من العلوم عموما والفلسفة خصوصا[٤].

وأخيرا فإن هذه المصادر المتنوعة إن دلت على شيء فإنما تدل على أهمية هذه الشخصية في تاريخ الرهبانية النصرانية، وقد لعبت سيرته المكتوبة دورا بارزا في نشر الرهبانية في بلاد الغرب.

---

[١] بستان الرهبان عن آباء الكنيسة القبطية والأرثوذكسية ، (القاهرة: مكتبة مارمينا، الطبعة الثانية ١٩٥٦م)، ص٥-١٤ ابتدأ الكتاب بأنطونيوس وفيه غرائب لا يسلم بكثير مما جاء عنه من الأقوال سيأتي الكلام عن بعضه إن شاء الله تعالى.

[٢] *Les apophtegmes des Pères du desert* : J.-Cl. Guy, collection spiritualité orientale n°١, (Belle fontaine, ١٩٦٦), p.٢٠-٢٩ de *Le monachisme primitif*: Vincent Desprez, p.١٥٩

[٣] *Ibid*, p.١٦١

[٤] *Ibid*.

ثانيا: سيرة أنطونيوس:

ولد في ٢٥٢م في كوما (قيمان العروس حاليا) من أسرة فلاحين، لعل أصوله إغريقية فاسمه ليس اسما مصريا، ثم إن مترجمه أثناسيوس يقول إنه ولد بمصر وكأنه يشير إلى أن أصوله ليست مصرية. ويؤيد هذا أن ما ورثه من الأراضي يؤكد أنه روماني الأصل إذ معلوم أن الجنود الرومان إثر غزوهم البلاد المصرية منحهم الحاكم أراض واسعة[١].

ليس لنا معلومات عن نشأته العلمية سوى أنه كان يتردد على بعض الزهاد في القرية، والبيئة التي ترعرع في أحضانها بيئة اضطهاد. وفي شبابه مات أبواه وليس معه إلا أخت يعولها، وهذه الأحداث لا شك أنها أثرت في تكوين شخصيته.

وفي يوم من الأيام عام ٢٧١م وقد بلغ عشرين سنة تقريبا سمع أنطونيوس في كنيسة قريته نص من إنجيل متى[٢]: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». فاتخذ هذا النص وكأن الخطاب موجه إليه وانطلق ليبيع أملاكه ويوزع المبلغ على الفقراء إلا قليلا منه لأخته. ثم سلم أخته وأودعها إلى جماعة من النساء "العذارى". وقد أشرنا من قبل إلى وجود جماعات من النساء يعشن حياة زهد وعبادة في بيوت.

تدرّج أنطونيوس في توحّده عبر مراحل من الأشدّ فالأشدّ:

المرحلة الأولى: اقتصر على الانعزال في أطراف القرية مع أحد الزهاد القدماء في كوخ، ومن هذا يظهر أن العزلة والزهد الفردي كان شائعا في حياة النصارى كما سبق ذكره، وكأن العادة تفرض على من يرغب سلوك هذا الطريق أن ينضم أوّلاً مع أحد القدماء ليتعلم منه قبل التوحُّد (ولم أقف على أي معلومات عن هذا الزاهد) يذكر أثناسيوس أن في هذه المرحلة كان أنطونيوس يخرج من كوخه لزيارة متوحِّدين وزهاد كما كان يُزار، ويصف هذه الفترة بوساوس شيطانية ومجاهدة أنطونيوس لها مجاهدة البطل الصابر[٣]، وبقي على هذا مدة سنتين.

المرحلة الثانية: كان يتردد في مقابر حتى استقر في إحداها لمدة ثلاثة عشر سنة؛ وهنا وصف شدة عداوة الشياطين حتى ضُرِب وزاره صاحب له فوجده مطروحا على الأرض ملطخا بالدماء كأنه خاض مضاربة.

---

[١] <u>*Commencer dans la vie religieuse avec Saint Antoine*</u>: BOUREUX Christophe, (Paris : Cerf ٢٠٠٣), p.٣٦-٣٨

[٢] سفر متى: (١٩: ٢-١٦)

[٣] <u>سيرة أبينا البار أنطونيوس</u>: أثناسيوس، ترجمة ميشال نجم، (منشورات النور ١٩٨٣م)، ص١٨.

والحق أن الوصف الدقيق الذي يتناول به أثناسيوس هجوم الشياطين، واتخاذهم صور حيوانات مفترسة وضارية كالأفاعي وغيرها، إضافة إلى كلام وخطابات يسطرها على لسان هؤلاء الشياطين الذين يصدون أنطونيوس عن مواصلة زهده وتوحده، مع الحديث الذي يضيفه إلى أنطونيوس، كل ذلك يؤكد بُعْد هذه السيرة عن الواقعية والموضوعية وأن الغاية تشييد الحياة الرهبانية وتزيينها.

المرحلة الثالثة: في ٢٨٦م يترك المقبرة من أجل رهبنة أشق فيتعمق في الصحراء شرقا حتى وصل إلى قلعة مهجورة على ضفاف النيل وقعد فيها عشرين سنة تقريبا لا يلتقي فيها بأحد وإنما يأتيه خبز كل ستة أشهر من أحد أصدقائه.

المرحلة الرابعة: تتسم هذه المرحلة بالعطاء وكأنه بلغ مرحلة متقدمة فيشعر بالمسؤولية نحو أمته. ففي ٣٠٦م وعمره قد ناهز الخمسين يقبل المريدين فيخرج إليهم ويشفي المرضى ومن به مسّ، يقعد مع الزائرين، ويعظ ويرشد. وفي ٣١١م يأتي الإسكندرية في عهد اضطهاد ماكسيمين الثاني (ت٣١٣م) ليشد من عضد من يُساقون إلى الموت فيُثبِّت هذا ويُطمْئِن ذاك ويشهد المحاكمات.
ومع ذلك، لما كثر المريدون حوله والأتباع اضطر في ٣١٣م إلى أن يلحق بجبل القلزم ويطلق عليها "جبله الداخلي" حيث لا يلتقي فيه بأحد. وإذا أراد لقاء الزوار يترل إلى بيسبير"جبله الخارجي" على الضفة الشرقية من النيل. وكان يزور التجمعات الرهبانية بانتظام وكأنه المشرف عليها.
في ٣٣٨م يرحل إلى الإسكندرية بطلب من الأساقفة للرد على الآريين، فذهب وناظر أمام الملأ والجميع يسرع لرؤيته فيبرئ هذا وينصح ذاك، يتبرك الناس به حتى أن بعض الوثنيين يتنصرون.
وفي ٣٤١م وعمره قريب من التسعين ينعزل ومعه اثنين من المريدين لظروفه الصحية. وبقي كذلك إلى وفاته في ١٧ يناير ٣٥٦م وعمره قد ناهز المائة. وقبره معروف بمدينة الزعفرانة في محافظة البحر الأحمر شرق مصر.

هكذا وصفوه، ويظهر من هذه السيرة أن أثناسيوس أراد بذلك دعوة عموم الكنيسة النصرانية بأن أنطونيوس ومن حوله من المتوحّدين إنما هم أنصار الكنيسة الأرثوذكسية وعقيدة التثليث، وأن تنسكهم وتركهم الدنيا لم يمنعهم من التأثير على الواقع بوقوفهم جانب الكنيسة وأسقفها. وهذه الرسالة قد وصلت وانتشرت إذ نرى بعد قرن من الزمن الرهبانية مؤسسة قوية الأركان لا يخلو بلد من بلاد النصارى إلا وفيه دير بل أديرة رجالية ونسائية.

المرحلة الثانية: شبه جماعية

تعتبر هذه المرحلة وسطا بين التوحد والحياة الجماعية أو الديرية. سماها بعضهم ب"نصف توحدية"[١]، ذلك أن الرهبان المتوحدين كثروا في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع فنشأت الحاجة إلى الاجتماع مع المحافظة على التوحّد ولو نسبيا. وصورته أن كل راهب له صومعته وهي عبارة عن قَلاَّيَة[٢] وكل واحدة منها تبتعد عن الأخرى مسافة تحول دون رؤية بعضهم لبعض وسماع بعضهم لبعض. وكل راهب يبقى في قلايته متعبدا لا يجتمع مع الآخرين إلا يومي السبت والأحد في الكنيسة، وإذا غاب أحدهم عُلِم أنه مريض فيقوم البعض بزيارته[٣]. ويبدو أن أنطونيوس الذي ظل ما يزيد عن ثلاثين سنة متوحدا خرج لِيُلَبِّي حاجة من الْتَفَّ حوله من المتوحدين الذين رغبوا في اتخاذه رئيسا لهم ليأخذوا منه طريقة التنسك فيكون مشرفا على هذه الجماعات من المتوحدين. والأسلوب الذي سلكه في الإشراف هو الزيارات الخاصة فيرشد ويوجه ويُسأل فيجيب إلخ، وكان ذلك تقريبا في سنة ٣٠٥م. وهناك مراكز ثلاثة في مصر اشتهرت على هذا النظام وكلها في وادي النطرون[٤]:

- **منطقة نتريا** وهي الآن مركز من مراكز دمنهور بين مدينتي طنطا والإسكندرية.
- **القلالي** التي تبعد عن نتريا بضعة عشر كيلومترا من جهة الجنوب الغربي.
- **الإسقيط** في وسط الطريق الصحراوي بين القاهرة والإسكندرية.

---

[١] *L'Egypte monastique*: Archimandrite Placide Deseille, (Paris ٢٠٠٥)

وهو مقال علمي منشور باللغة الفرنسية في موقع "الكنيسة الأرمينية" كتبه مؤسس ورئيس دير أنطونيوس الكبير في جنوب شرق فرنسا. وهو لاهوتي فرنسي له مصنفات وكتب في الرهبانية الأرثوذكسية الشرقية.

(http://www.eglise-armenienne.com/Articles/Spiritualite/Egypte_monastique.pdf)

[٢] جمع قَلِيَّة، قال ابن منظور:"القَلِيَّةُ: كالصومعة ، قال: كذا وردت ، واسمها عند النصارى القَلاَّيةُ ، وهي تَعْريب كَلاذةَ ، وهي من بيوت عباداتهم". لسان العرب، ج٥، ص٣٧٣٣

[٣] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١٩٢

[٤] وهي اليوم إحدى مراكز محافظة البحيرة شمال مصر غرب الدلتا. الموقع الرسمي للمحافظة: (http://www.behera.gov.eg).

المرحلة الثالثة: الدَّيْرية

سميت باليونانية "كينوبيون"، وهي كلمة مركبة من كُيُنِسْ koïnos= الشركة، وبُيِسْ bios= الحياة[١].
وهي عكس التوحد بحيث يجتمع الرهبان تحت سقف واحد يعيشون حياة مشتركة منظمة في الأكل والنوم وأوقات الصلوات والعمل، يرأسهم من أسموه بالأب وهم يسيرون على قانون ونظام يستحق من خالفه العقوبة التي قد تصل إلى الفصل. وأطلق عليه بالعربية الدَّيْرِية نسبة إلى الدَّيْر[٢] وهو المبنى والسكن الذي يسكن فيه الرهبان[٣].

وقد اتصل بهذه المرحلة اسم باخوميوس (٢٩٢-٣٤٦م) الذي أنشأ هذا النوع من الحياة الرهبانية بوحي أُوحي إليه -على حد زعمه- حتى يَجمع المتوحدين الهائمين في الصحاري والقفار[٤]، أثَّر عليه في ذلك تجربته مع الجند الرومان، فقد كان جنديا شارك مع حملة قسطنطين في ٣١٢م لإخضاع الأحباش وأثناء هذه الحملة تأثر بموقف كان سببا في اهتدائه إلى النصرانية إذ كان وثنيا، ففي الطريق جاع الجنود وعَطِشوا وإذا هم بنصارى منطقة طيبة يقدمون لهم طعاما وشرابا "فسأل باخوميوس: كيف أمكن لهؤلاء أن يتحنّنوا علينا وهم لا يعرفوننا قط؟ فقيل له إنهم مسيحيون وأنهم يفعلون ذلك من أجل إله السماء، فلما سمع باخوميوس هذا الكلام قرر في نفسه أنه لو أتيحت له فرصة يصير مسيحيا ويخدم المحتاجين"[٥]. فما أن سرّح الملك الجند حتى تعمد ثم سار راهبا على يد المتوحد بلامون (ت٣٣٠م). وقد ظل تحت إشرافه متوحدا سبع سنوات يتلقى منه زهدا شديدا قاسيا مما أثر على منهج باخوميس بعد ذلك[٦]، وبعد ما تركه - في حدود ٣١٨م - كثر المريدون حوله فبدأ ينظمهم مُنْشِئاً أول دَيْر رهباني في طبانسين[٧]. وفي نفس الوقت أنشأ ديرا للنساء مع أخته، وبعد وقت قصير كثر الرهبان حتى احتاج إلى إنشاء أديرة أخرى وصلت إلى تسعة أثناء حياته. وقد نسب إليه وضع أول قانون بوحي -كما زعموا- كتب بعد وفاته، إضافة إلى أنه كان رائد نظام الجماعات الرهبانية التي انتشرت في الغرب إذ وضع "دَيْر رئيس" يعتبر أُمُّ الأديرة الأخرى التي تسير على قانون واحد، منه تصدر التعليمات ويعقد فيه اجتماعات

---

[١] *Nouveau petit Larousse*, p.١٨٠

[٢] قال الجوهري: "ودَيْرُ النصارى، أصله الواو، والجمع أَدْيارٌ". الصحاح، ج٢، ص٦٦١

[٣] انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس، الجزء الثالث: الرهبنة القبطية وأشهر رجالها: الأنبا غريغوريوس، إعداد: منير عطية، (القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس ٢٠٠٣م)، ص٥٦، ١٠٠؛ تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص١٦٣

[٤] المرجع السابق.

[٥] بستان الرهبان، ص٢٩-٣٠

[٦] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.٢١٢

[٧] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص٤٣. وقيل ٣٢٤م كما في:

Ibid, p.٢١٢

وتقع طبانسين على ضفاف نهر النيل شرقا في الصعيد، (انظر خريطة رقم ٥ من الرهبنة القبطية)

سنوية يحضر فيه جميع رؤساء الأديرة التابعة له من صنع باخوميوس.[١]

وأخيرا فإن هذا الطور هو الذي كتب له البقاء والانتشار إلى يومنا هذا وتسير عليه أغلب الأديرة. أما نظام التوحد فلا زال موجودا إلا أنه أصبح داخل أسوار الدَّيْر وهو قليل بالنسبة للنظام الجماعي ويختص بفئة قليلة من الرهبان القدامى المتمرسين[٢].

المرحلة الرابعة: القوانين الديرية

من التطور الذي شهدته الرهبانية ظهور القوانين الديرية، ومن أجمع التعريفات التي وقفت عليها ما ذكره المؤرخ مارك ديسينو[٣]: "القانون هو النص الذي يحدد التنظيم المادي والروحاني لجماعة رهبانية"[٤].

رهبانية"[٤].

فالقانون الديري يهدف إلى تنظيم جانبين هما:

- **الجانب المادي**: وهو ما يتعلق بإدارة الدير والجماعة الرهبانية، أي تسيير الدير وممتلكاته وتعيين المسؤولين كرئيس الدير ونائبه والمحاسب والمسؤول عن المُؤَن... وكذا الأوصاف التي ينبغي على أساسها اختيارهم والتفاصيل الإجرائية، وغير ذلك مما يتعلق بغير عبودية الراهب.

- **الجانب الروحي**: وهو تحقيق الهدف من الرهبانية أي كل يتعلق بالنذور وأوقات الصلوات والصيام والطاعة.

والقوانين الديرية كثيرة وتختلف اختلافا واسعا في التفاصيل، والطول والقصر، حسب كاتبيها وواضعيها، وحسب الظروف التاريخية التي كتبت فيه، لكن يمكن القول أن عموم موضوعاتها ترجع إلى جملة من الموضوعات وهي[٥]:

١ -القيادة: أي ما يتعلق برئيس الدير ونوابه، وواجبهم تجاه الإله وتجاه الجماعة والعكس، وكيفية انتخابهم، والواجب نحوهم من الطاعة والانقياد.

٢ -الجماعة والعلاقة فيما بين الرهبان.

---

[١] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص١٧٣

[٢] *Encyclopédie des religions*, p.٤٤٣

[٣] *Marc Déceneux* (ت٢٠٠٩م): مؤرخ وكاتب فرنسي معاصر، متخصص في تاريخ الفن الديني وعلم الآثار. له كتابات عديدة عن الأديرة الفرنسية في القرون الوسطى. موقع الدار التي تطبع كتبه *Editions Ouest-France* :

(http://www.edilarge.fr/٠٢-pages/٠٢-Cat_٤Fiche١.html?titreID=٦٢٧٩&tracking=)

[٤] *Moines et vies monastiques*: Marc Déceneux, (*Le grand livre du mois*) (Rennes: Editions Ouest-France ١٩٩٩), p.٣٢

[٥] *Règles monastiques d’occident IVe-Vie siècle*, p.٢٩-٥٠

٣ -الانقطاع عن الدنيا: أي ما يتعلق بالخروج من الدير والدخول فيه.
٤ -استقبال وامتحان وتدريب المريد وراغب الترهب.
٥ -الصلوات والتلاوة.
٦ -الطعام والصيام.
٧ -اللباس.
٨ -الممتلكات: وفيه جانب تسليم الراهب كل ما يملك للدير فلا أحد يملك شيئا، وفيه المسؤولون يتولى تسيير وإدارة الممتلكات حسب الحاجة، ويكونون من داخل الدير وأحيانا من خارجه.
٩ -العمل والخدمات.
١٠ -المرضى والضيافة: أي الاعتناء بالمرضى من تعيين الممرض أو الممرضة إلى الاستثناءات المتعلقة بهم في الطعام والنوم، والضيافة تنظم سياسة ضيافة الدير تحت نظر رئيس الدير.
١١ -الانضباط والتأديب والذي يبدأ بالاعتراف والتنبيه فالحرمان، وقد يصل إلى الجلد أو إلى الطرد.

وسنأتي بإذن الله -تعالى- في الفصل القادم على جوانب تفصيلية من هذه القوانين.

أصل فكرة القانون الديري نشأت مع نشأة الديرية الذي تولى القيام بها الراهب باخوميس في حدود ٣٢٠م، و يعتقدون أن هذا القانون الأول إنما أُوحي إليه، فهذا بلاديوس (ت٤١٢م) وهو من نقله يصدِّر القانون بقوله[١]:
"باسم التثليث المقدس. القانون الذي وصّى به ملك الرب إلى الأب باخوم...فقد ظهر له ملك الرب فقال له: "فيما يخصك، فقد قمت باللازم؛ ولا حاجة الآن من البقاء في غار. اخرج إذاً، اجمع شباب الرهبان واسكن معهم؛ علِّمهم حسب القانون الذي سأسلمك. فسلَّم له لوحة من نحاس حيث كتب فيها ما يلي..." فذكر القانون[٢].
ويوصف قانونه بأنه "نظام صارم دقيق موحَّد: في يقظتهم، ونومهم، وصلواتهم، و أصوامهم[*]، وطعامهم، واجتماعاتهم، وعملهم..."[٣].

---

[١] في كتابه "تاريخ اللوزياك" ***Histoire Lausiaque*** والذي يعد مرجعا أساسا لتاريخ رهبان الشرق.
[٢] ***Règles des moines***: Jean Pie Lapierre, *collection Points*, *série Sagesses (٢٨)*, (Paris: Editions du Seuil ١٩٨٢), p.٢٥

وانظر: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص١٦٣
[*] الصواب "صيامهم"، يقول ابن منظور: " صامَ يَصُوم صَوْماً وصِياماً واصْطامَ، ورجل صائمٌ وصَوْمٌ من قومٍ صُوَّامٍ وصُيّامٍ وصُوَّمٍ، بالتشديد، وصُيَّم، قلبوا الواو لقربها من الطرف؛ وصِيَّمٍ؛ عن سيبويه، كسروا لمكان الياء، وصِيَامٍ وصَيَامى، الأَخير نادر، وصَوْمٍ وهو اسمٌ للجمع، وقيل: هو جمعُ صائمٍ". لسان العرب، ج٤، ص ٢٥٢٩
[٣] موسوعة الأنبا غريغوريوس، الجزء الثالث: الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص٥٦

لكن هذا القانون ليس له أوَّلية مطلقة فقد وجدت قبله في مرحلة الشبه الجماعية ما يمكن تسميته تجوُّزا بقوانين، وإنما هي في حقيقتها عُرِف الرهبان أو تقليد شفوي تعارفوا عليه مثل طاعة الرئيس أو الخضوع للمرشد، ويسير عليها الرهبان لكنها لم تكن مسطرة[١]. وعلى غرار قانون باخوميس نشأت قوانين لا تكاد تحصر؛ إذ ما من رئيس دير قبل نشأة الجماعات الرهبانية المشهورة إلا وهو يكتب قانون أو يُكتب له؛ ففي الرهبانية الشرقية برز قانونان هما قانون باخوميس وقانون باسيل، ولكن تتميز الرهبانية الشرقية بقلة القوانين.

أما الرهبانية الغربية فقد تدفقت فيها القوانين بعدد الأديرة تقريبا، وذلك إلى حين تدخلت مجامع *لاتران* *Latran* في ١١٢٣، ١١٣٩، ١١٧٩، و١٢١٥م، والتي توصلت في الثاني منها إلى "القوانين المعترف بها" وهي قانون باسيل وبندكت بالنسبة للرهبان، وقانون "أوغسطين"[٢] بالنسبة لغيرهم[٣].

فالقانون البندكتي الذي فرض نفسه أو فُرِض على جميع الأديرة الغربية في فترة من الفترات ولا يزال إلى يومنا هذا هو المعمول به في غالب الأديرة الغربية.

سمي القانون "البندكتي" نسبة إلى بندكت النورسي (٤٨٠-٥٤٣م) الذي أنشأ أديرة معدودة ووضع قانونا في أواخر حياته، ولم يكن في باله أنه سينتشر. ويذكرون في سبب انتشاره هذا الانتشار الواسع ثلاثة أسباب[٤]:

الأول: يعتبر من أجمع القوانين إذ اعتمد على من سبقه وزاد عليها وكتبها بلغة سهلة وواضحة، ووصف أيضا بالمرونة، ولما كان القانون يولي اهتماما كبيرا للعمل فقد كان الرهبان البندكتيون عبر القرون الوسطى عُمّار أوروبا في شتى الميادين: التجارة، إحياء الأرض الموات، تعبيد الطرق، نسخ المخطوطات...

ثانيا: نشر الراهب البندكتي غريغوريوس الكبير[٥]-الذي تقلّد البابوية- القانون بإنشائه أديرة تعمل به إضافة إلى جعله الأديرة مراكز تنصيرية فساعد ذلك كله على بروز القانون حتى غطى على القوانين السابقة عليه.

ثالثا: سعي الراهب بندكت الأَنْيَني (ت٨٢١م) لتجديد القانون البندكتي بالتعاون مع الإمبراطور لويس

---

[١] انظر: <u>الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار</u>: متى المسكين، ص١٥٦

[٢] *Augustin* (٣٥٤-٤٣٠م): لاهوتي وفيلسوف، يعد كبير آباء الكنيسة ومفكريها. اعتنق النصرانية في ٣٨٦م وأصبح من كبار المدافعين للكنيسة. خلف آثارا عديدة العقائد وتفسير الكتاب المقدس وغيرهما. <u>معجم أعلام المورد</u>، ص ٧٦.

[٣] *<u>Dictionnaire de spiritualité</u>*, tome XIII, p.٢٩٤-٢٩٥

[٤] Voir: *<u>Les ordres monastiques et religieux au moyen âge</u>*: Marcel Pacaut, *série histoire*, (Paris : Editions Nathan ١٩٩٣), p.٣٠, ٥٩-٧٠

[٥] *Grégoire le Grand* (٥٤٠-٦٠٤م): يعد من كبار قديسي الكنيسة ومصلحيها في مرحلة حرجة من تاريخها. <u>موسوعة المورد</u>، ج٥، ص٣٣

الملقب بالوَرِع حيث توصلوا في صيف ٨١٧م في اجتماع مع جميع رؤساء الأديرة إلى فرض القانون على جميع أديرة الإمبراطور ية.

المرحلة الخامسة: الجماعات الرهبانية

الجماعة الرهبانية هي ما يطلق عليه بالفرنسية *أُورْدْر مُوناسْتِيك* ***ordre monastique*** وبالإنجليزية *مُوناستيك أُورْدِر* ***monastic order*** والتي من أهم خصائصها الناحية الإدارية وهي المركزية، بحيث تتوحد المرجعية المكونة من رئيس الجماعة مع مجلس إدارة ورؤساء الأديرة الذين يجتمعون مرة أو مرتين سنويا، إضافة إلى أن الأديرة التابعة للجماعة تتفق في تعليماتها، صلواتها والقانون الديري الذي تسير عليه.

ومن جهة التاريخ فقد سبقت الإشارة إلى أن باخوميس أول من شقّ طريق الديرية في الرهبانية النصرانية، وأيضا قد وضع اللَّبِنَة الأولى للجماعات الرهبانية حيث أنشأ أديرة متفرقة تابعة لدَيْر رئيس الذي يُعدّ أُمُّ الأديرة الأخرى، والجميع يسير على قانون واحد. وهناك اجتماعات سنوية يحضر فيها جميع رؤساء الأديرة التابعة له أو نوابهم[١]، وعلى غرار هذه التجربة ظهرت الرهبانية الغربية في القرن الثاني عشر فقط مصطلح الجاماعات وما تفرع عنها[٢]. ولعل نقطة البداية –والله أعلم– على يد جماعة السِّيسْتِرْسِيَان ***Cistériciens*** الذين سطروا هذا النظام على شكل مواثيق.[٣]

والاجتماعات بين رؤساء الأديرة التي وقعت من قبل لم تكن علاقة مركزية الإدارة وإنما من باب المشاورة في وقائع عينية كما حصل في القرن التاسع الميلادي. ومع انتشار الأديرة التي وحدت قانونها على القانون البندكتي لم يكن هناك إدارة مركزية، فكان الدير مستقلا نسبيا إذ لا نقصد هنا التأثير الإمبراطور ي أو أمراء المناطق على الأديرة وما خلفه من فساد عريض. يقول *غِي دِي فَالو*:

"يغلب على الظن أن مسألة العلاقة بين أب الآباء (رئيس الجماعة الرهبانية) و الأب للدير لم تشغل القديس بندكت (صاحب القانون). وذلك أنه لم يدع (في القانون) في حالة وجود رئيس دير سيء إلى اللجوء إلى رئيس فوقه ولكنه دعا إلى الاستعانة بالأتباع (رئيس دير مجاور أو حتى الأسقف...). وإلى آخر القرن الثامن يظهر أنه لم يكن هناك محاولة تغيير أو تطوير نظرة القديس بندكت فيما يتعلق بالعلاقات أو غيابها بين الأديرة التي تسير على قانونه"[٤]. و"الجماعات الرهبانية" عند الكاثوليك تدخل تحت ما يسمونه ب"الجماعات الدينية" ***Ordres religieux*** . وتعرف الجماعات الدينية بأنها

---

[١] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص١٧٣

[٢] *Histoire des ordres religieux* : Henry Marc-Bonnet, p.٢٣

[٣] *Les origines de Citeaux* : Dom Berlière, *Revue d'histoire ecclésiastique* ١٩٠٠, p.٤٥٦

[٤] *Le monachisme clunisien des origines au XV· siècle*, t. II, p. ٢

"المؤسسات للحياة المنذورة" أي التي تجمع فئة من النصارى الذين وهبوا أو نذروا حياتهم من أجل الإله والكنيسة. ومنهم الرهبان وآخرون ليسوا رهبانا كجماعة الأوغسطين. ويندرج تحت مصطلح الجماعات الدينية قسمان كبيران هما[١]:

الأول: الجماعات التأملية : وهدفها التأمل فقط من خلال الصلوات، فهي في الأصل منغلقة على نفسها؛ ولو كانوا يباشرون أعمالا من أجل الرزق فإنهم يتجنبون الاتصال بالعالم الخارجي. وتدخل الجماعات الرهبانية في هذا القسم والتي من أهمها الجماعات التي تعمل بالقانون البندكتي. ونذكر هنا أمثلة منها:

١) جماعة "الكلونيزيين" *Clunisien*[٢]:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مكان أول دير لها وهي في مدينة كلوني الواقعة في وسط شرق فرنسا. يرجع أساس الجماعة إلى أن أمير منطقة الأكيتان *Aquitaine* (جنوب غرب فرنسا) المدعو غِيُوم التقي *Guillaume le Pieux* (ت ٩١٨م) أوقف أرضا لبناء دير يسير على القانون البندكتي في ٩٠٩م. ويذكر المؤرخون أن غِيُوم نصّ على أنه يهدي ثوابها إلى الرسولَيْن: بطرس وبولس. وذلك إنما كان يعني الاستقلال التام أي عدم تدخل الكنيسة بأساقفتها وحتى البابا نفسه في شؤون الدير الذي كثر في تلك الحقبة من الزمن. كما أنه نص على أن رئيس الدير هو الراهب البندكتي بَرْنُون دِي بُوم *Bernon de Baume* (ت ٩٢٧م)، ثم يرشح الرهبان من يرون مناسبا. واختيار هذه الشخصية والرجوع إلى ترشيح الرئيس من قبل الرهبان كما نص عليه قانون بندكت دل أيضا على رغبة في تجديد الرهبانية التي طال عليها الأمد بعد تجديد بندكت الأنييي في القرن التاسع كما أشرنا.

وظل الدير نشيطا في تجديد وإحياء الانضباط بقانون بندكت خلال القرن العاشر فلم ينته القرن حتى كان عدد الأديرة المنتسبة للجماعة سبعين ديرا. ويُعد القرن الحادي عشر ونصف الثاني عشر عصر تمكين للجماعة حيث ضمت بين عشرة إلى اثنى عشر ألف راهب. ويمكن تلخيص أهم ما تميزت به الجماعة في نقاط:

١ -للأديرة التابعة للجماعة رئيس واحد هو رئيس الجماعة فليس للأديرة استقلال إلا الأديرة التي كانت تحت إشراف وليست تابعة مما جعل المركزية أساسا مهما في نظام الجماعة،
٢ -كان لرؤساء الجماعة المتتابعين علاقات متميزة مع الحكام وأمراء المناطق إذ خرج أغلبهم من الأسر الشريفة،

---

[١] *Les ordres monastiques et religieux au moyen âge* : Marcel Pacaut, p.٣-٦ ; *Moines et monastères en Occident au Moyen Âge*: Philippe Racinet, *collection Initiation à…*, (Paris : Editions Ellipses ٢٠٠٧), p.١٤-١٥

[٢] *Op. cit*, Marcel Pacaut, p.٧١-١٠٩; *Op. cit*, Henry Marc-Bonnet,p.٢٣-٢٨

٣ -اتجهت الجماعة إلى العمل العلمي أكثر من العمل اليدوي الذي كان سائدا قبل ذلك بسبب نوعية الرهبان الذين أغلبهم من القسيسين،

٤ -كان للجماعة دور كبير النظام الإقطاعي مما جعلها غنية غنى فاحش،

٥ -شجعت الجماعة رؤساء الإقطاع والأمراء في التمويل والمشاركة في الحروب الصليبية واستعادة الأندلس، وقد كان لها جهودا مباشرة في تمويل الحروب بقرض الجنود أموالا ليشاركوا في الحروب شريطة رهن أملاكا من بويت وأراضي وغيرهما،

٦ -خرج البابا غريغوري التاسع (ت١٠٨٥م) من صفوف الجماعة فكان لهم دور بارز في محاولات البابا في إصلاح فساد رجال الدين.

لكن في منتصف القرن الثاني عشر مع بروز جماعات أخرى التي تريد العودة إلى الفقر الحقيقي والعزلة المطلقة قل تأثير الكلونيين شيئا فشيئا.

٢) **جماعة الشارطرو *Chartreux* أو الكارتوزيين *Cartusien***:[١]

نسبة إلى المكان لذي أنشئ فيه الدير الأول في وادي "لاَ غْرَانْد شَارْطرُوز" *La grande chartreuse* في جنوب شرق فرنسا. أنشأها الراهب الألماني *برونو Bruno* (ت١١٠١م) في ١٠٨٤م مع ستة من أصحابه. أسسوا رهبانية على النظام الشبه التوحدي كما سبق التعريف به، ويسيرون على قانون قريب من القانون البندكتي من الناحية التنظيمية لكنهم كتبوا على يد خامس رؤساء الجماعة *غِيغِيسْ Guigues* (ت١١٣٧م) نظاما يتناسب مع غايتهم التوحدية فاستقوا من التقليد الرهباني ككتابات جيروم وكاسيان.

غايتهم إحياء نظام التوحد والزهد القاسي لكن بإشراف، فكل راهب يعيش وحده في بيت صغير فيه طبقتان، فالأرضي للعمل كالنجارة أو السراجة، وفي الدور العلوي غرفة نوم وغرفة للصلاة والقراءة ونسخ المخطوطات. ومنها باب يؤدي إلى الكنيسة للصلوات التي تكون جماعة ثلاث مرات في اليوم والليلة. فالراهب يقضي باقي وقته في بيته حيث يحضر إليه طعامه وشرابه. يعيش في الدير رهبان ومتدينين الذين نذروا أنفسهم لخدمة الرهبان. ومن الملفت في نظامهم الصمت الشبه الكامل فلا يحدث بعضهم بعضا إلا نادرا. خرجت هذه الجماعة عن المألوف رغبة في انغلاق تام ومقاطعة للعالم مما جذب إليها رهبانا وراهبات من كل حدب وصوب. فقد وصل عدد الأديرة التابعة لهذه الجماعة إلى ٣٩ في ١٢٠٠م، وإلى ٢٠٠ في أواخر القرن الخامس عشر. وبقي هذا العدد ثابتا إلى الثورة الفرنسية حيث أغلق كثير منها كما أغلق غيرها من الأديرة.

---

[١] *Op. cit*, Marcel Pacaut, p.١٢٨-١٣١

٣) جماعة "السيسترسيان" Cistercien [١]

سموا سيسترسيان نسبة إلى الدير الرئيس للجماعة في مدينة سِيتُو *Citeaux* شرق فرنسا. أنشئ دير سيتو في ١٠٩٨م على يد الراهب البندكتي رُوبيرْت دِي مُلِزْم *Robert de Molesme* (ت١١١١م) ومعه جماعة من الرهبان. وبدأ ضم الأديرة التابعة للدير في ١١١٢م، وفي سنوات قليلة أصبحت الجماعة تضم ١٢ ديرا، و لم ينته القرن حتى كان عدد الأديرة التابعة لهم ٥٣٠ ديرا حتى احتاجوا إلى وقف التوسع في ١٢٢٨م لعدم القدرة على إدارة هذا العدد الكبير.

نشأت الجماعة في ظروف قوة جماعة الكلونيزيين لكن علت ضدهم أصوات بسبب علاقاتهم بالحكام وكثرة أموالهم، فكانت بداية انحدار مكانة الجماعة إذ الرغبة تارة أخرى رجعت لتجديد وعودة الرهبانية إلى روح قانون بندكت.

اشتهر من هذه الجماعة والذي يعد الأب الروحي لها بِرْنَارْد دِي كلِيرْفُو *Bernard de Clairveaux* (ت١١٥٣م). أهمية هذه الشخصية ترجع إلى تأثيرها الكبير في جوانب شتى، فقد خرج عن المعهود إذ يقضي أوقاتا غير قليلة خارج الدير. فهو مرة يتدخل في الانشقاق بين البابوَين إنوسنت الثاني (ت١١٤٣م) والبابا الآخر أنكليت (ت١١٣٨م)؛ ومرة يتدخل في مجامع محلية ناصحا الأساقفة بالالتزام بمهمتهم وترك البذخ في حياتهم؛ ثم يتدخل للإصلاح بين الملك لويس السابع (ت١١٨٠م) وأحد أمراء المناطق؛ وأخيرا لما تولى البابوية أوجين الثالث وكان راهبا سيستريا أوكل إلى برنارد الدعوة إلى الحرب الصليبية الثانية فألقى خطبة مدوية في يوم عيد القيامة عام ١١٤٦م حيث وعد بمن حمل الصليب وشارك في الحرب بمغفرة الذنوب جميعها، فأجج العواطف وأيقظ الهمم فاستجاب كثير من الأمراء والحكام فضلا عن عوام النصارى. وكان له دور بارز قبل ظهور الدومنيكان في دعوة فرقة الكاثار وسيأتي مزيد عنها. ومما تميزت به الجماعة:

- لباسهم من الصوف الخشن باللون الأبيض،
- لا يقبلون الأراضي الموهوبة إذا لم يقدروا على حرثها بأنفسهم،
- يزعمون العودة إلى حياة زهد قاس بعيدا عما وصل إليه إخوانهم من الكلونيزيين،
- حاولوا استعادة استقلال الدير بالتقليل من السلطة المركزية ونظموا ذلك بمواثيق كما أسلفت،
- استعادوا لعمل الزراعة مكانته في الرهبانية البندكتية وأبدعوا فيها واشتهروا بإحياء الأرض وتنظيم الزراعة وتطويرها مما جعلهم من كبار التجار في العصور الوسطى.

[١] *Op. cit*, Marcel Pacaut, p.١٣٩-١٦٠; *Op. cit*, Henry Marc-Bonnet, p. ٣١-٣٤

الثاني: الجماعات النشطة: والتي من أهدافها الأنشطة الخيرية المختلفة من تدريس، وتطبيب وغيره، يندرج تحت هذا النوع جماعات رهبانية كثيرة وأكتفي بذكر نموذجين اثنين، الأول منهما من أطلقوا عليهم "جماعات المتسولين"، ويندرج تحت هذا المسمى "الإخوة الصغار" وهم "الفرنسيسكان"، وكذا "الإخوة الدعاة" وهم "الدومنيكان". والثاني "الجماعات العسكرية"، ومن أشهرها "الهيكليون".

وينبغي التنبيه تأكيدا أن جماعات الكهان القانونيين أو المتدينين، والمقصود بهم رجال الاكلريوس الذين يعيشون جماعة على قانون أوغسطين (ت٤٣٠م) فإنهم لا يلحقون بالرهبان إذ يجوز في حقهم التملك ولهم رواتب. ولعل القاسم المشترك بين الجميع هو النذور والحياة الروحانية المنظمة بقوانين والزهد في الدنيا.

وقد وجدت البعض يتوجس حتى من إطلاق الرهبان على بعض الجماعات النشطة أمثال الفرنسيسكان والدومنيكان والهيكليون ويلحقونهم بالجماعات الدينية والمتدينين. ذلك أن الرهبان يختص من الناحية النظرية على الأقل بالبحث عن الوحدة وقطع الصلة والاتصال الممكن مع العالم، والعيش منعزلين متوحدين أو مع جماعة من الرهبان في دير. وقلت من الناحية النظرية لأن الظروف التاريخية أخرجتهم من عزلتهم أو بالأصح الفطرة البشرية التي تأبى إلا أن تكون اجتماعية نشطة. ولذا يمكن اعتبار ظهور الجماعات النشطة تطورا مهما في الرهبانية النصرانية حيث تغير الهدف الأصيل للرهبانية الذي هو العزلة والانقطاع إلى حياة نشطة بشتى الأعمال كما سيتضح.

أما طبيعة الأنشطة التي يمارسونها فهي تختلف اختلافا واسعا فقد يكون تعليميا، أو تمريضيا، أو خاص بالضيافة أو حتى بالأعمال العسكرية. ومن الأمثلة على هذه الجماعات:

١) جماعات "المتسولين"[١]:

سميت بالمتسولين لأنهم يعيشون من التسول وصقات الناس فلا يملكون شيئا كأشخاص وكجماعات خلافا للجماعات السابقة التي إن كان الأشخاص فيها لا يملكون شيئا فإن الدير والجماعة يملكون الأموال الطائلة. ظهرت الجماعات المتسولة في ظل صعود الجماعات البندكتية من الكلونيين والسيترسيان لكن بسبب الثروات التي كانوا يملكون ومشاركاتهم في النظام الإقطاعي مع رضى الكنيسة بدأت فرق تقاوم هذا الانحراف عن تعاليم النصرانية أبرزهم فرقة الكاثار[٢] وفرقة الفودواز

---

[١] *Op. cit,* Marcel Pacaut, p.١٦٩-١٧٠; *Op. cit,* Henry Marc-Bonnet, p. ٣٧-٤١

[٢] *Cathares*: فرقة نصرانية غنوصية نشأت في منتصف القرن ١٢م. انتشرت في غرب أوروبا عموما، وكثروا في جنوب فرنسا. عقائدهم قريبة من عقائد أتباع ماركيون، يعتبرون أنفسهم أتباع الرسل الحقيقيين، يرفضون كل الشعائر التي أحدثتها الكنيسة من تعميد، قداس وغيره. عاشوا زهدا قاسيا مما سبب في تأثيرهم على العوام. حكمت الكنيسة الكاثوليكية عليها بالهرطقة وحاربتهم واضطهدتهم أيما اضطهاد. *Nouveau Petit Larousse*, p. ١٧٧

Vaudoise[١] واللتان حكمت عليهما الكنيسة بالهرطقة. ظل تأثير الفرقتين قويا في العوام وأصبحت مناطق من جنوب فرنسا كاملة على المذهب الكاثاري الحملات بالبيان والسنان من قبل الكنيسة ضدهم لم تعط ثمارها.

في ظل هذا الوضع ظهرت الحاجة إلى دعوة بالفعل والقدوة أكثر منها إلى بيان وخطاب. ومن هنا استغلت الكنيسة جماعات المتسولين إذ مع دعوتهم إلى الفقر والزهد فإنهم لم يخرجوا من سلطة الكنيسة بل كانوا من دعاتها وأنصارها. ومن أهم هذه الجماعات:

أ –جماعة الدومنيكان *Doménicain* أو الإخوة الدعاة *Les frères précheurs*[٢]:

سميت جماعة الدومنكان نسبة إلى المؤسس الإسباني دومنيك غزمان (١١٧٠-١٢٢١م)، وأطلق عليهم الإخوة الدعاة لأن دعوة الهراطقة هو الهدف الأول من النشأة.

أما المؤسس فقد نشأ في بيت شريف وتلقى تعليمه في أحسن المدارس وتثقف بثقافة دينية لاهوتية حتى رسم قِسّا. وفي عودة من سفر بدأ في ١٢٠٣م إلى شمال أوروبا مع أسقف منطقته وقفوا في روما حيث منحهم البابا إنوسانت الثالث (ت١٢١٦م) الموافقة على مؤازرة جماعة السيترسيان في مواجهة الهراطقة. وبعد سنوات من الدعوة توصل دومنيك أنه يجب أن يبدأ بتعليم الدعاة تعليما مؤصلا وسلوكا مستقاة من التعاليم النصرانية من أجل التأثير. ففي ١٢١٥م أنشأ مع ثمانية من الدعاة جماعة مهمتهم الأولى كما سطروها في قانونهم: "طرد فساد الهرطقة، تخلية الأخلاق السيئة، تعليم قانون الإيمان وتربية الناس على السلوك السليم". وبين ١٢١٦-١٢١٧م حصل على موافقة البابا لإنشاء جماعته التي أسسها على قانون المتدينين الأوغسطيني مع فروق، وأهم الأسس التي يتميز بها الدومنيكان ثلاث نقاط:

الأولى: الإماتات بالصلوات والزهد.

---

[١] نسبة إلى مؤسسها الفرنسي بطرس فالديز (ت١٢١٧م). كان تاجرا غنيا في مدينة ليون الفرنسية ولما سمع سيرة أحد القديسين سلم أمواله إلى زوجته وذهب سائحا مع بعض المحبين يدعون إلى اتباع المسيح اتباعا مطلقا بالفقر التام وسموا ب"فقراء ليون". ولما بدأ الأتباع في ازدياد وإعلانهم النقد لرجال الكنيسة بسبب البذخ الذي يعيشونه حكم مجمع فيرونا في ١١٨٤م بطرد أتباع فالديز من الكنيسة، ثم جاء قرار مجمع لاتران في ١٢١٥م بالحكم على أن الفرقة من الهراطقة. يتفقون مع الكنيسة الرومانية بالقول بالتثليث إلا أنهم خالفوها في أمور من أهمها أن الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد للنصارى من غير واسطة الكنيسة الرومانية الفاسدة، وأن المسيح هو الشفيع الوحيد فاعتبروا دعاء القديسين من الشرك. عاشوا عبر تاريخهم مضطهدين مختفين إلى منتصف القرن التاسع عشر حيث منحهم أحد الملوك الحرية. وقد اختلطوا منذ القرن السادس عشر مع الكنائس البروتستانتية، واليوم هم في انسجام مع الكنيسة المنهجية البروتستانتية في دعوتهم، ويعد أتباعهم بين ثلاثين إلى أربعين ألف حول العالم. انظر:

Nouveau Petit Larousse, p. ١٧٦٠; *HISTOIRE DE L'EGLISE VAUDOISE DEPUIS SON ORIGINE ET DES VAUDOIS DU PIÉMONT JUSQU'A NOS JOURS:* Antoine Monastier, (Lausanne: Chez Georges Bridel ١٨٤٧), (http://www.info-bible.org/livres/Histoire.Eglise.Vaudoise.٢/١٦.htm)

[٢] *Op. cit,* Marcel Pacaut, p.١٦٣-١٧٠; *Op. cit*, Henry Marc-Bonnet, p.٤٩-٥٧

الثانية: الحياة الجماعية.

الثالثة: الخدمة وهي الدعوة والتعليم ولذا فإنهم يتمركزون في المدن الكبيرة كما أنه لا استقرار في قوانينهم.

الرابعة: عدم المبالاة بالرزق فلا يهتمون بالعمل كما هو حال الجماعات البندكتية.

وفي ١٢٢١م عند موت المؤسس ورئيس الجماعة يعد المنتمون للجماعة ما يقرب ٥٠٠ رجل وما يربو عن مئة امرأة.

ولقد كان للدومنيكان شأن كبير في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، فقد اعتمد البابوات عليهم وعلى الفرنيسيكان في تولي محاكم التفتيش مع مساندة الحكام والملوك، تولوا التدريس في كبرى الجامعات الأوروبية في باريس وغيرها، وخرج منهم دكتور الكنيسة توماس الأكويني، كما شاركوا في الحملات التنصيرية في شتى بقاع الأرض. وسيأتي مزيد في الحديث عن الأنشطة.

ب- جماعة الفرنسيسكان *Fransiscain* أو الإخوة الأصاغر *Les frères mineurs*[1]:

سميت كذلك نسبة إلى المؤسس فرَنْسَوا الأسيزي ، وسموا بالإخوة الأصاغر نسبة إلى نص متى الذي فيه: "...فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ""[2]. وسياق النص في يوم القيامة والمقصود بهؤلاء الأصاغر هم المتواضعون الضعفاء والفقراء كما يقول يوحنا فم الذهب.[3]

اسم المؤسس الحقيقي هو جَان بَرْنارْدُون *Jean Bernardone* وهو إطالي، ولد في ١١٨١م ونشأ في بيت تجارة وغنى، وكان طموحه منذ شبابه أن يصبح فارسا. ولما بلغ العشرين من عمره شارك في مواجهات بين القرية التي كان يسكنها وأخرى مجاورة فأسر بضعة أشهر. ولما أطلق سراحه وعاد إلى أهله مرض مرضا شديدا فكان سببا في عودته إلى النصرانية ورأى أن توبته لن تصح حتى يتغير تغيرا جذريا من الغنى والترف الذي كان فيه إلى التذلل والافتقار.

بدأ في الاعتزال في ١٢٠٥م، وبعد عام ذهب حاجا إلى روما بلباس مقطّع كأفقر فقير وكان يتسول ليجد قوت يومه. وفي ١٢٠٨م تبرّأ حتى من أبيه في الكنيسة أمام الجمهور حيث خلع ملابسه وسلمها إلى أبيه علامة على أنه لم يبق ابنا له بعد تلك اللحظة.

أسس فرنسوا الأسيزي في ١٢٠٩م جماعته على أصلين هما: التواضع والفقر، وقد كتب بنفسه أن

---

[1] *Op. cit*, Marcel Pacaut, p.١٦٣-١٧٠; *Op. cit*, Henry Marc-Bonnet, p.٤٩-٥٧

[2] سفر متى: (٢٥: ٤٠)

[3] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean*: Saint Thomas d’Aquin, (Paris : Louis Vivès Editeur ١٨٥٦) (http://docteurangelique.free.fr/)

هدفه يتلخص في ثلاثة نصوص من العهد الجديد هي:

-"إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي"[١]

-"لاَ تَحْمِلُوا شَيْئاً لِلطَّرِيقِ لاَ عَصاً وَلاَ مِزْوَداً وَلاَ خُبْزاً وَلاَ فِضَّةً وَلاَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ ثَوْبَانِ"[٢]

-"إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتْبَعْنِي"[٣]

وعلى هذا فإنه كان معاديا التعمق في الدراسات اللاهوتية ويفضل البساطة والتركيز على ضرورة الفقر. فعاش مع أتباعه على العمل والتسول ولم يكونوا يقبلون الأموال مطلقا وإنما يأخذون ما يأكلون ويشربون فقط. أضافوا إلى الزهد النشاط الدعوي بموافقة من البابا إنوسانت الثالث مباشرة بشرط عدم طرح المسائل العقدية. وقد تابع البابا هذه الجماعة الجديدة باهتمام لتكون في خدمة الكنيسة التي فقدت كثيرا من مصداقيتها وأرقتها مواجهة الهراطقة كما أشرت سالفا.

تزايد الأتباع تزايدا سريعا حيث وصل عددهم في ١٢١٧م ما يزيد عن خمسة آلاف. وفي ١٢٢١م كتب المؤسس قانون الجماعة الذي يركز على الروحانيات لا الترتيبات العملية للجماعة، فأعيد كتابة القانون بإشراف الكنيسة وإقرار البابا لضبط الجماعة. ولم يمت المؤسس في ١٢٢٦م حتى كان للجماعة وجود في غالب المدن الأوروبية الغربية الرئيسة.

تطورت الجماعة عبر القرون وأصبح كثير من رجالاتها من الأساقفة والقساوسة، شاركوا مع الدومنيكان في محاكم التفتيش، ورغم تحذير المؤسس من التعمق في الدراسات فقد دخل الجامعيين في الجماعة واهتمت بالعلوم فخرج منهم العالم التجريبي والفيلسوف روجي بيكون (ت١٢٩٤م).

٢) الجماعات العسكرية[٤]:

هناك جماعات عسكرية كثيرة لكن أغلبها أقرب إلى الجماعات المتدينة منها إلى الجماعات الرهبانية. فمن أشهر الجماعات العسكرية التي جمع المنتسبون إليها بين وصفهم "رهبانا" و"فرسانا" هي "جماعة الهيكليين" أو "فرسان الهيكل" التي تسير على قانون بندتكتي معدل ليتناسب مع طبيعتها العسكرية.

سميت جماعى الهيكليين نسبة إلى هيكل سليمان عليه السلام في مدينة القدس مكان نشأتهم. فقد أنشأ جماعة من الفرسان الفرنسيين بعد الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م) تنظيما مهمتهم حراسة حجاج النصارى الذين يقصدون القدس من قطاع الطريق وغيرهم. استحسن ملك القدس بودوان الثاني فأهدى لهم بيتا يقال إنه في مكان هيكل سليمان عليه السلام. وذلك في حدود ١١١٨-١١١٩م.

---

١ سفر متى: (١٩: ٢١)

٢ سفر لوقا: (٩: ٣)

٣ سفر متى: (١٦: ٢٤)

٤ *Op. cit*, Marcel Pacaut, p.١٣٦-١٣٧; *Op. cit*, Henry Marc-Bonnet, p.٣٤-٣٦

ولما كان الجمع بين مهمة عسكرية حراسية وبين النذور الثلاثة: البتولية والفقر والطاعة أمرا غير معهود توجهوا إلى الغرب ليجدوا اعتراف الكنيسة بهذه الجماعة الرهبانية العسكرية، وليجدوا في نفس الوقت دعما ماديا ومريدين جدد. وقف رئيس جماعة السيسترسيان القديس برنارد دي كليرفو معهم فاستطاع في مجمع ترُوَا الذي عقد في ١١٢٩م أن تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالجماعة. وكتب برنارد ديك ليرفو لهم رسالة تزكية سماها "مدح فرقة الحرس الجديدة" حيث مدحهم فيها واصفا إياهم بأنهم "جنود المسيح". كان لهذا التأييد الأثر البالغ في إقبال الفرسان عليهم من كل مكان إضافة إلى العطايا والنذور التي سرعان ما أصبحت الجماعة من أغنى الجماعات. وأمدها بعد ذلك عدد من القرارات المجمعية منحت الجماعة استقلالا تاما فلا أحد يحق له متابعتها سوى البابا نفسه. وبانتشار فضائلهم عند أرباب الأموال تطورت مهمتهم من حراسة قاصدي القدس إلى بنوك يحرسون الأموال وينقلونها بين الغرب والشرق.

بلغ عددهم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ١٥٠٠٠ "فارس راهب" مقسمين على عشرة مناطق سبعة منها في الغرب وثلاثة في الشرق.

لكن سرعان ما قضي على الجماعة لأسباب كثيرة منها قوتهم الاقتصادية والعسكرية التي تخيف الملوك والأمراء، ومنها غموض طقوسهم. فأصدر ملك فرنسا فيليب الرابع (ت١٣١٤م) قرارا يأمر بإيقاف كل من ينتمي إلى الجماعة ومصادرة أملاكهم. وبضغط الملك على الباب كليمنت الخامس (ت١٣١٤م) يصدر من مجمع فينيا في ١٣١٢م قرار إلغاء جماعة الهيكليين وتسليم أملاكهم إلى جماعات عسكرية أخرى.

والخلاصة في هذا المبحث أمور:

١ -تعد مصر مسقط رأس الرهبانية ومنها انتشرت إلى نصارى العالم،

٢ -مرت الرهبانية بمراحل تطورت فيها مع بقاء شكل المراحل السابقة وهي:

١) التوحّد

٢) شبه التوحّد.

٣) الديرية.

٤) القوانين الديرية.

٥) الجماعات الرهبانية.

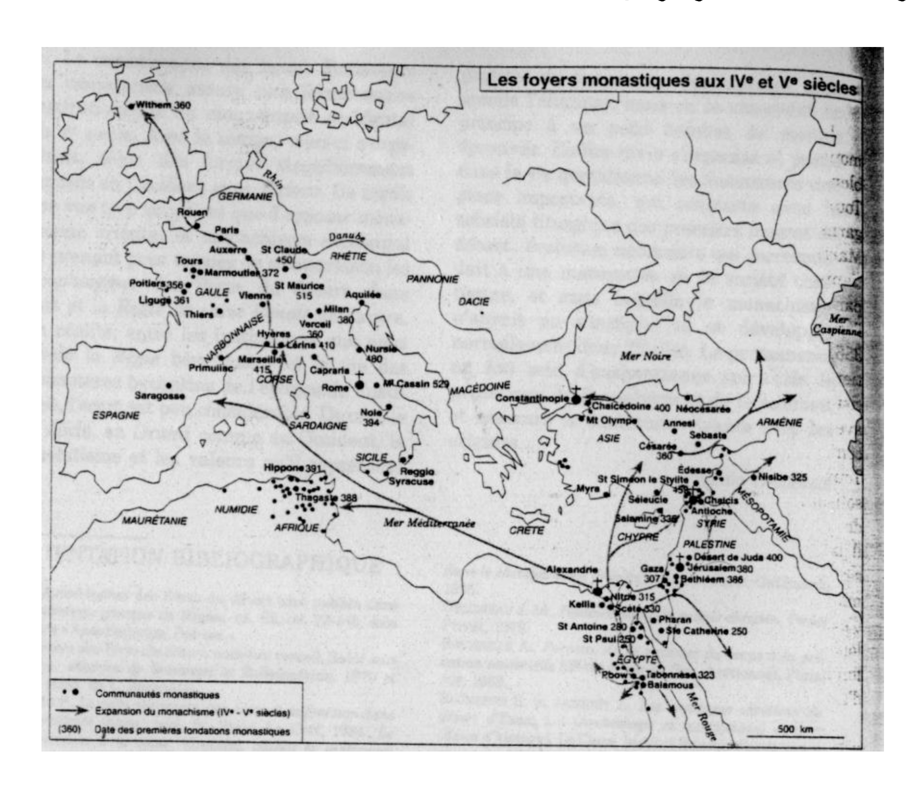
٣ -تنوعت أنشطة جماعات الرهبان وتفرعت حتى خرجت عن الهدف الأول للرهبانية.

المبحث الثالث:

انتشار الرهبانية النصارنية

من الملحوظ أن الرهبانية لما قامت كمؤسسة انتشرت في القرن الرابع وما بعده انتشار النار في الهشيم. أنشئت الأديرة في كل مكان وجد فيها النصارى شرقا وغربا. واتصل تاريخ الكنيسة بهذه المؤسسة الفتية حتى اختلط في أحايين كثيرة.

ولإلقاء الضوء على جوانب من هذا الانتشار يصعب استيعاب ألف وستمائة من السنين في هذا البحث المتواضع، لذا فسأحصر الحديث في نقطتين عَلَّها تكفيان -بإذن الله تعالى- لإعطاء صورة عامة. أما الأولى فهي الحديث عن نماذج من انتشار الرهبانية حسب المناطق، والثانية فهو عرض أسباب انتشار الرهبانية. والله أسأل التيسير والتوفيق...



هذه خريطة تصور الانتشار بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين من موسوعة الأديان[١]، يظهر فيها الانتشار من مصر إلى الجنوب والشمال شرقا وغربا، والنقاط السوداء تعبر عن أديرة مشهورة، أما الأديرة الصغيرة فهي بنقط صغيرة، وأما المراكز مثل طبانيس، الإسكندرية، أنطاقيا تور وغيرها فهي بنقاط أكبر. ويلاحظ العدد الهائل للأديرة خلال هذين القرنَيْن.

---

[١] *Encyclopédie des religions*, p.٤٤٢

المطلب الأول:

انتشار الرهبانية حسب أهم المناطق:

أ/ في مصر:

أما مصر فلها قصب السبق في انتشار الرهبانية، ففي القرنين الخامس والسادس لم يكن المسافر من الإسكندرية شمالا إلى أسوان جنوبا في حاجة إلى زاد لما بين ضفتي النيل من أديرة وقلالي عامرة بالرهبان حتى إن بعض أسماء المدن إلى يومنا هذا سميت بدير مثل: دير تاسا، دير الجنادلة، دير ريفا وغيرها.[١]

وقد ذُكِرَت أعداد من الرهبان في القرن الرابع، فالكاتب رُوفِين *Rufin* (ت٤١٠م) الذي زار وادي النطرون في حدود ٣٧١م يذكر ثلاثة آلاف راهب وخمسين ديرا، ذكر كلّ من جيروم وبلاديوس *Palladius* (ت٤٣١م) عدد خمسة آلاف راهب في حدود ٣٩٠م[٢]، وجاء في تاريخ البطاركة أن الأديرة في غرب الإسكندرية وصلت إلى ستمائة دير ملأى بالرهبان والراهبات[٣].

مع العلم أن ازدهار القرن الرابع لم يدم طويلا، فبعد أقل من قرن أصاب الرهبان مصيبتان:

الأولى: اضطهاد الآريوسيين بتغطية وسند من الحكام في حدود ٤٤٩م وقد اضطر كثير من الرهبان إلى التروح من هذه المناطق إلى فلسطين وغيرها[٤]، وهذا يؤكد تارة أخرى انتساب عموم الرهبان إلى عقيدة التثليث النيقية.

الثانية: غارات البرابرة على الأديرة، وقد وصفت بالوحشية والسلب والقتل، ومن ثم بدأت الأديرة تسور أبنيتها بأسوار عالية اتقاء هؤلاء، وبنيت الحصون الداخلية المسماة ب "الجواسق" التي لا تزال قائمة إلى اليوم[٥]. ولذا اهتم الحكام والبطارقة في أواخر القرن السادس وبداية السابع بإصلاح الأديرة وإعادة بنائها محاولةً في إرجاع تلك المناطق إلى ما كانت عليه من إقبال على الرهبانية إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك[٦].

وهنا سؤال جدير بالطرح عن سبب هذه الغارات التي شنّها البرابرة على قوم يوصفون بترك الدنيا وبالتقشف؟ وللإجابة على هذا السؤال فإنه يمكن احتمال سببَيْنِ هما:

---

[١] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص٤١، ٨٣

[٢] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١٨٠؛ والمرجع السابق، ص٥٩

[٣] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص١٣٦

[٤] المرجع السابق، ص١٨١، ١٩٣

[٥] المرجع السابق، ص٨١-٨٢

[٦] المرجع السابق، ص٨٣، ١٠٠

أولا: طلب الأموال:

لا ريب أنه من الغريب طلب الأموال في مؤسسة نذرت الفقر فماذا عسى أن نجد عندهم سوى حصير وخبز يابس وماء؟ هكذا يتصور أي إنسان يقرأ ما كتبوه عن أنفسهم، ومعلوم أن هذا الانقطاع عن الدنيا يفرض على الرهبان نذر الفقر فيترك جميع ما يملك كما سيأتي توضيحه، إلا أن ذلك وإن كان صحيحا في حق الأفراد فإنه بالنسبة للدير والجماعات الرهبانية ليس كذلك، فقد سجل التاريخ ما أغدق به الحكام والأمراء والأغنياء الأديرة بإيقاف الأوقاف ونذر النذور الفاخرة والأموال النفيسة والقرابين الكثيرة تبركا بالرهبان ورغبة في شفاء أو غيره... حتى أضحت في القرون الوسطى مجالا واسعا للتسابق والتحاسد بين الجماعات الرهبانية الكبيرة في أوروبا، وفي ذلك قرارات مجمعية حاولت ضبط الوضع سيأتي الحديث عنها في نذر الفقر. هذا على وجه العموم ولا ينفي وجود من يرفض ذلك ويتشبث بالعهد الأول.

ومن النماذج مما كان موجودا في هذه الأديرة من نفائس الأموال، ولعلها هي السبب في جلب هؤلاء البرابرة لاقتحام الأديرة وإلا فما الغاية والفائدة في ذلك. يذكر د/ رؤوف حبيب أن امرأة غنية مريضة من تسالونيكي تركت كيسا كبيرا مليئا بالقطع الذهبية للراهب مقار الإسكندري (ت٣٩٣م)؛ ويصف دير سانت كاترين وأن في كنيسته تابوتَيْنِ من فضة وُسِم على غطاء كل منهما صورة القديسة كاترين مصنوعة من الذهب الخالص ومرصّع بأحجار كريمة، هذا علاوة على ما يحضره الراهب من أمواله عند دخوله الدير فتصبح مِلْكا للدير خصوصا إذا كان من الأغنياء[١]، فيستبعد أن يكون البرابرة إنما يهجمون من غير فائدة مادية وجدوها في هذه الأديرة.

ثانيا: طلب المتعة:

ومن الغريب أيضا أن يحتمل طلب المتعة في أماكن الأصل فيه الفرار من المتعة ونذر العفاف والبتولية وترك كل ما من شأنه أن يخرم الزهد الذي التزموا به، لكن الواقع الذي يشهد له النصارى أنفسهم فضلا عن غيرهم خلاف ذلك. والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة جدا، فهذا الشَّابُشْتِي[٢] في كتابه الدَّيَّارَات[٣] لا يكاد يذكر دَيرا إلا ويصف ما فيه من المتعة واللهو والزنى والخنا حتى أن كثيرا من فساق المسلمين كانوا يقصدون الأديرة طلبا للمتعة. حتى إن محقق الكتاب أفصح أنه لما رأى أن متن الكتاب

---

[١] المرجع السابق، ص١٤١

[٢] هو أبو الحسين علي بن محمد، وقيل أبو عبد الله محمد بن إسحاق المعروف بالشابشتي (ت٣٨٨ هـ): صاحب خزانة كتب العزيز بن المعز العبيدي بمصر. كان أديبا له مصنفات لكن لم يصل منها سوى الديارات. معجم الأدباء: شهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م)، ج٥، ص٢٤٢٦-٢٤٢٧؛ وفيات الاعيان: ابن خلّكان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر ١٤١٤-١٩٩٤م)، ج٣، ص٣١٩

[٣] الديارات، تحقيق كوركيس عواد، (بغداد: منشورات مكتب المثنى، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦م)

احتوى على "أدب مكشوف" و"حكايات وتعابير وألفاظا مدارها على الجواري والغلمان والتغزل بالرهبان والراهبات" دعته نفسه إلى إسقاطها لكنه أبى إلا أن يبقيها للأمانة وذكر فيما ذكره في دير يسمى دير العذارى، يقول عنه: "ولا يخلو من متره يقصُدُه للشرب واللعب. وهو من الديارات الحسنة، وبقعته من البقاع المستطابة. وإنما سمي بدير العذارى، لأنه فيه جوار متبتلات عذارى، هُنّ سكانه وقطانه، فسمي الدير بهن. وذكر يموت بن المزرَّع[١]، عن الجاحظ، قال: حدثني ابن فرج الثعلبي، أن قوماً من بني ثعلب، أرادوا قطع الطريق على مال السلطان فأتتهم المعاينة، فأعلمتهم أن السلطان قد نذر بهم، فساروا ثم أزمعوا على الاستخفاء في دير العذارى، فصاروا إلى الدير ففتح لهم، فما استقروا حتى سمعوا وَقْع حوافر الخيل في طلبهم. فلما أمنوا وجاوز بهم الخيل، خلا كل واحد منهم بجارية هي عنده عذراء، فإذا القسّ قد فرغ منهم، فقال بعضهم في ذلك:

وألوَط من راهبٍ يدّعي	بأن النساء عليه حرام
يحرِّم بيضاء ممكورةً[٢]	و يغنيه في البضع عنها غلام
إذا ما مشى غضّ من طرفه	وفي الدير بالليل منه عُرام[٣]
ودير العذارى فضوحٌ لهنّ	وعند اللصوص حديث تمام"[٤]

ونقل من شعر ابن المعتز[٥] في هذا الدير:

"خليلي قُمْ حتىّ نموت من السّكر	بحانة خمار مماتاً بلا قبْر
و نشرب من كرخيةٍ ذهبيةٍ	ونصفح عن ذنب الحوادث والدهر
ألا رُبّ أيام مضين حميدةً	بدير العذارى والصوامع والقصر
وكم من ليال مسعدات لذي الهوى	جسرت على اللذات فيهن بالجسر
خليلي فلا تطلب فلاحي وخلّني	فما لي على ما لُمْتَنِي فيه من صبر

ولبعضهم، فيه:

قام عذري في ظبي دير النصارى	حين أبصرْتُ عاشقيه حيارى
فتنةٌ عمّت الخلائق واستو	لت على مسلميهم والنصارى[٦]

---

[١] هو ابن أخت الجاحظ توفي ٣٠٣ وقيل ٣٠٤ هـ. أديب نحوي أخباري له ملح وأخبار. معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤٥.

[٢] الممكورة: المستديرة الساقين، المدمجة الخلق. محقق الديارات. لسان العرب، ج٦، ص٤٢٤٨

[٣] العُرام: الشرس. المرجع السابق، ج٤، ص٢٩١٣

[٤] الديارات، ص١٠٧-١٠٨

[٥] هو عبد الله بن الزبير: توفي في ٢٩٦هـ. كان أديبا وافر الأدب، نفيس النفس، حسن الأخلاق. له "كتاب البديع في صناعة الشعر"؛ و"كتاب الزهر والرياض"؛ وغيرهما. معجم الأدباء ، ج٤، ص١٥٢٥-١٥٢٦.

[٦] المرجع السابق، ص١٠٩.

ويكتفى هنا ليأتي مزيد في الحديث عن نقد البتولية، وهو يعطي صورة عما كانت تعج به بعض الأديرة مما يؤيد كونها مقصودة مطروحة لطلب المتعة أكثر منها طلبا للعبادة.

وأخيرا فإن كل من الأمير عمر طوسون[١] ود/ رؤوف حبيب[٢] ذكرا أن العلامة المؤرخ تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ) ذكر أن سبعين ألف راهب خرجوا من وادي النطرون ليتلقوا الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ بالطرانة[٣] وهو راجع من الإسكندرية[٤]. ويكون هذا في حدود ٦٤٠م. وقد استبعد الكاتبَيْن هذا العدد وأنه مبالغ فيه بدليل ما ذكره معاصرون من عدم تجاوز ٣٥٠٠ راهب في أواسط القرن السادس الميلادي وأن البطريرك بنيامين قد زار الموقع في ٦٣٠م ووجد الرهبان قليل بسبب هجوم البرابرة المتواصلة.

وعلى أي حال فإن المقريزي –رحمه الله– لم يجزم من جهة بهذا العدد إذ قال ذلك بصيغة التمريض: "ويذكر أنه خرج منه سبعون ألف راهب..."[٥]، ثم إنما يدل على كثرة و"نشاط رهباني كبير في هذه المنطقة" كما قالت الكاتبة القبطية د/ سوزان قسطندي[٦] والله أعلم.

ب/ في بلاد الشام:

أما فلسطين فإذا ذكرت الرهبانية ذكر هلاريون الغزي (٢٩١-٣٧١م) الذي ينسب إليه إدخال الرهبانية في فلسطين كما يقول جيروم الذي كتب سيرته في ٣٩٠م[٧]. كان شابا بلغ عمره خمسة عشر سنة فأرسله أبواه ليدرس في الإسكندرية، ولما سمع هناك بأنطونيوس أسرع إليه وجلس معه بضعة أشهر يتدرب على حياة الزهد والرهبنة ثم رجع إلى موطنه فقضى ٢٢ سنة متوحدا في كوخ جنوب غزة، ولما كثر حوله المريدون أنشأ ديرا على نظام شبه جماعي ثم انتشرت في فلسطين[٨].

ومن مشاهير أعمدة الرهبانية في فلسطين *Euthymus le grand* (٣٧٧-٤٧٣م) الذي كان

---

[١] وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة، ص٣٩

[٢] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص٦٠

[٣] في محافظة المنوفية حاليا، في وسط الدلتا بين فرعي النيل رشيد و دمياط. الموقع الرسمي لمحافظة المنوفية: (http://www.monofeya.gov.eg/مدن%٢٠المحافظة/default.aspx)

[٤] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، سلسلة صفحات من التاريخ، (القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٨م)، ج١، ص٥٢٤

[٥] المرجع السابق.

[٦] مقال بعنوان: الرهبنة القبطية وتأثير الأوضاع السياسية (٢-٣)، نشر في موقع "الأقباط متحدون" في عدده الأسبوعي ١٥٩٨ بتاريخ ٢٠٠٩/٣/١٣م (http://www.copts-united.com//article.php?I=١٣&A=٤٨٩)

[٧] *Le monachisme orthodoxe, hier demain*: Emilianos Timiadis, (*collection Deux milliards de croyants*), (Paris : Buchet/Chastel ١٩٨١), ١٣٨-١٤١

[٨] *Loc cit.*

قسيسا في فاران قريبا من القدس، ولما بلغ ٢٨ سنة ترهبن وظل سائحا عشرين سنة حتى استقر في أحد الكهوف، واجتمع حوله الأتباع وأنشؤوا ديرا ظل نشيطا إلى الحروب الصليبية[١].

واشتهر أيضا في بلاد الشام الرهبان العموديون نسبة إلى العمود إذ كانوا يعيشون فوق عمود لا يترلون منه، يُرفع إليهم ما يحتاجون إليه، اشتهر من بينهم سمعان العمودي (٣٩٠-٤٥٩م) الذي عاش فوق عموده ثلاثين عاما، كان يقضي أيامه ولياليه في تأمل وتعبد واقفا، على رِجْل، أو جالسا، قصده الناس من أماكن شتى وازدحموا تحته رغبة في نصيحة أو شفاء أو دعاء، ولا تزال قاعدة عاموده موجودة اليوم في سوريا قريبا من مدينة حلب في قلعة سمعان، وانتشر هذا الضرب من الرهبان خصوصا في بلاد الشام بعده إلى القرن الثاني عشر الميلادي[٢]. وقد وُجد عموديون في القرن السادس عشر ميلادي في جبل أطوس في بلاد اليونان[٣].

ويذكر البعض أن الرهبانية كادت أن تنمحي في القرن الثامن من بلاد الشام إما بسبب دخول الإسلام وإما بسبب غارات الأعراب[٤].

ج/ في العراق:

وفي بلاد ما بين النهرين انتشرت الرهبانية أيضا في حدود منتصف القرن الرابع الميلادي عن طريق أُوجِين المصري تتلمذ على أنطونيوس وباخوميوس وكان وراء إنشاء أديرة في الموصل وبلاد العرب وفي أرمينيا وفارس[٥]. ومن الأسماء الهامة في إنعاش الرهبانية في البلاد الفارسية من لُقِّب بأبي الرهبان إبراهيم الكشكري (ت٥٨٦م) الذي مر بالمدرسة المصرية، ولما عاد إلى وطنه أنشأ ديرا في جبل ايزلا وأصبح ديره مدرسة نشرت الرهبانية في جميع أنحاء بلاد فارس[٦]. وقد بقيت الأديرة العراقية عامرة إلى ما بعد الفتح الإسلامي فقد كتب الشَّابُشْتِي وغيره عن الأديرة، وذكر بضعة وثلاثين ديرا في العراق.

ج/ في آسيا الصغرى:

من الأسماء اللامعة في رهبانية هذه المناطق باسيل القيصري الذي فُرضت قوانينه الرهبانية نفسها على سائر الأديرة الأرثوذكسية إلى يومنا هذا. يعتبر ما قام به باسيل مرحلة مهمة في الرهبنة الشرقية؛ يقال أنه نظر فيما وضعه أنطونيوس وباخوم فلم تعجبه فأنشأ قوانين تقضى على حياة العزلة داخل الدير وزاد

---

[١] *Ibid*, p.١٥٣

[٢] تاريخ أوروبا الوسطى، ج١، ص١٦٥؛ تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص٩٩؛ مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هـ. آيدرس بل، ترجمه عبد اللطيف أحمد علي، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٣م)، ص١٦٨

[٣] *Op. cit*, p.١٩١

[٤] *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٧٦

[٥] تاريخ الكنيسة الشرقية، ص١٧٥-١٨٣؛ تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، ص٩٨

[٦] المرجع السابق.

في الحياة الجماعية اشتراكها في الحياة العامة، ووضع ضوابط في قبول الرهبان، ولتحقيق ذلك قام بأعمال منها:

١ -أقام الأديرة في المدن أو قريب منها.

٢ -حث على عناية الراهب بنفسه فحرّم تعذيب النفس وحث على النظافة والعمل.

٣ -وجه نشاط الأديرة إلى خارج أسوارها بمساعدة الفقراء والمحتاجين.

٤ -اشترط لقبول الراغب في الرهبنة الاستئذان من الزوج أو الزوجة، وفي حالة الرفض ينصح بعدم الالتحاق بالرهبان وإبقاء كل من الزوجين مع بعضهما استنادا إلى قول بولس: " وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأته"[١].

٥ -يشترط أن يكون الراهب ممن بلغ ١٦ أو ١٧ سنة لقبول النذور منه[٢].

٦ -وكان لا يرى إلا الحياة الديرية المشتركة ويعتبر التوحد أنانية لا تتفق مع تعاليم النصرانية[٣].

وبحكم ثقافته وتكوينه العلمي فقد خرجت كتاباته متأثرة بالأسلوب الأدبي اليوناني من ناحية، ومن ناحية أخرى مؤصلة من نصوص العهدين القديم والجديد، طبعت مؤلفاته في ثلاث مجلدات بين ١٧٢١ و١٧٣٠م بباريس، وأعيد طباعتها بين ١٨٣٥ و١٨٤٠م في سلسلة الأب *Migne*[٤] .

ومما يدل على انتشار الرهبانية وتوغلها في آسيا الصغرى أن المجمع المكاني المقام في جانجرا (جنوب تركيا حاليا) في ٣٤١م، نظر في انخراط كثير من الرجال والنساء في الأديرة ممن ترك واجباته الاجتماعية كزوج يترك أهله أو عبد فر من سيده، فأصدر عشرين قانونا يحكم على مخالفيها بالهرطقة، كلها تقصد رهبانا تشددوا وأصبحوا يمثلون فئة متعصبة تحتقر كل من لم يكن على شاكلتهم ومنهم رجال الكنيسة[٥]، وفي ذات الوقت استنت الحكومة قانونا بتحريم دخول الأديرة على اللائقين عسكريا[٦].

ومن مواقف رهبان هذه المنطقة ما اشتهر في القرن الثامن والتاسع من تحريم الحاكم ليون الثالث

---

[١] الرسالة الأولى إلى كورنثوس: (٧: ١٠-١١) انظر: *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٩٥

[٢] *Ibid*, p.١٩٨

[٣] *Encyclopédie des religions*, p.٤٣٧

[٤] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج١، ص١٦٥؛ *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٦٠-١٧١

وقوانينه وبعض مؤلفاته منشورة على شبكة الانترنت في موقع:

(http://jesusmarie.free.fr/basile_de_cesaree.html)

[٥] نص المجمع منشور باللغة الفرنسية في موقع الكنيسة الأرمينية:

(http://www.eglise-armenienne.com/Dogmatique/Conciles/Concile_Gangres.htm)

[٦] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٣٢

(ت٧٤١م) عبادة الصور، فاصطدم أول ما اصطدم مع الرهبان الذين كان لهم مصلحة في هذه الصور؛ ذلك أنه إذا وجد في دير صورة لقديس قصدها الناس وتبركوا بها فيتصدق الناس على الدير، أو يشترون من الرهبان صورا منسوخة للقديس. ولما تولى الحكم ابن ليون الثالث قسطنطين الخامس (ت٧٥٥م) اضطهد المخالفين بالقوة فسجن وعذّب وقتل كثير من الرهبان، وأحرق وهدم بعض الأديرة، وكان في مدينة القسطنطينية وحدها ما يزيد عن ثلاث مائة دير[١].

د/ في الغرب:

يعتبر أثناسيوس الكبير بطريرك الإسكندرية -الذي قضى سبع سنوات (٣٣٩-٣٤٦م) أثناء نفيه الثالث متنقلا ومعه راهبان مصريان كما أسلفت- هو القناة الرئيسة التي منها وصلت الرهبانية إلى روما، غاليا وشبه جزيرة أيبيريا[٢]، إضافة إلى كتاباته باليونانية والتي ترجمت مباشرة باللاتينية كما سبقت الإشارة إليه. ولا ننس أيضا أسماء مهمة في نشر الثقافة الرهبانية بكتاباتهم أمثال جيروم، روفين (ت٤١٠م)، وكاسيان (ت٤٣٥م) الذين قضوا وقتا في مصر وفلسطين يتابعون الحركة الرهبانية[٣]، وكان تأثيرهم بأحد هذه الطرق الثلاثة:

- كتاباتهم عن الرهبانية من خلال السير؛ كما هو حال أثناسيوس الكبير سالف الذكر وجيروم بسيرتَيْه عن بولس الطيبي وهيلاريون الغزي.
- أو بالترجمة، كما ترجم روفين مؤلفات باسيل القيصري، وترجمة جيروم للأنظمة الباخومية.
- أو بالتأليف كما هو حال يوحنا كاسيان بسِفْره "المؤسسات الرهبانية" *De Institutis cœnobiorum* وغيره.

كل ذلك كان له أكبر الأثر -خصوصا في الطبقة المثقفة- في نشر الرهبانية في بلاد الغرب قبل بندكت (ت٥٤٣م) الذي كثيرا ما جُعِل نقطة البداية خطأ في الحديث عن الرهبانية الغربية.

فيظهر أن هناك تأثير جلي من رهبانية الشرق إلا أن الطبيعة اللاتينية شكلت رهبانية كان لها ملامحها الخاصة كما يقول فِينْسَنْت دِيبْرِي[٤]، ويقسِّم هذا الأخير تاريخ الرهبانية في الغرب إلى فترتين[٥]:

الأولى: فترة رواد الرهبانية ومفكريها بين منتصف القرن الرابع إلى منتصف الخامس الميلاديين.

---

[١] *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٧٦-١٧٧; *Le monachisme*, *James Hocart*, p.١٧٨-١٨٠

[٢] شبه جزيرة جنوب غرب أوروبا تضم إسبانيا والبرتغال. الموسوعة العربية الميسرة، ص٢٧٦

[٣] *Les ordres monastiques et religieux au moyen âge*: Marcel Pacaut, *série histoire*, (Paris : Editions Nathan ١٩٩٣), p.١٨

[٤] *Le monachisme primitif*, p.٥٠٣

[٥] *Ibid*, p.٥٠٣-٥٠٤

الثانية: فترة التأسيس بين منتصف الخامس إلى القرن السادس الميلاديين.

ولعل مارتن التوري (ت ٣٩٧م) من أبرز رجال الفترة الأولى؛ فهو الذي شق طريق الديرية في بلاد الغالة، فقد بدأ متوحدا ثم لما كثر المريدون أنشأ ديرا متواضعا في مدينة لِجُوجِي[١] وهو أقدم دير في بلاد الغرب، ثمّ عُيِّن مارتن أسقفا لمدينة طور وكان له أثر كبير مع مريديه من الرهبان في تنصير مناطق من غاليا، ويذكر تلميذه الذي كتب سيرته ***Sulpice Sévère*** (ت ٤١٠ أو ٤٢٩م) أن عدد الرهبان في جنازته بلغوا ألفَيْن[٢].

ومن الشخصيات البارزة في جنوب شرق بلاد الغال (جنوب شرق فرنسا حاليا) أُنُورا الأرلي *Honorat d'Arles* (ت٤٣٠م) الذي بعد توحُّد -أيضا- أنشأ مع مريدين ديرا في جزيرة من جزر ليرين ***Lérins*** جنوب شرق فرنسا في حدود ٤٠٤م. وبعد ربع قرن أصبحت الجزيرة "ديرا عظيما" وقدوة في المنطقة يمد الكنيسة بالأساقفة[٣].

أما بندكت النورسي (٤٨٠-٥٤٣م) فهو رجل الفترة الثانية، ففي وسط إيطاليا على جبل كاسينو *Monte Cassino* أنشأ ديرا وقانونا بث في الرهبانية روح الاعتدال على حد قولهم؛ فأعطى للعمل مساحة واسعة في الحياة الديرية حيث يعمل الرهبان البندكت سبع ساعات يوميا، وينامون ثماني ساعات ليلا، إضافة إلى الطعام الكافي وشرب النبيذ بقدر معلوم [٤]. ومن الشخصيات الهامة أيضا في تلك الفترة في إيطاليا غريغوريوس الكبير وهو أول راهب يتقلد البابوية، قوَّى العلاقة بين الأديرة والكنيسة فثبّت أركان الرهبانية، واستند إلى رجالها لتنفيذ سياساته كما استعملهم في أعظم البعثات التنصيرية[٥].

وممن أدخل في الحياة الديرية "نسمات البهجة والجمال"، على حد قولهم، الراهب كاسيدور (٤٨٥-٥٨٠م) إذ كان مثقفا وعمل سياسيا قبل ترهبه ولم يكن يرى تعارضا بين حياة الزهد والتقشف وبين العلوم الدنيوية؛ زوّد الديرَيْنِ الذيْن أسسهما بمكتبات غنية بالكتب اللاهوتية وكتب التاريخ والجغرافيا والموسيقى والعلوم، إضافة إلى ما كان يقوم به الرهبان من نسخ المخطوطات فانتشر على أثر ذلك هذه الثقافة حتى "أصبحت الأديرة تمثل مراكز أساسية للحياة العلمية في غرب أوروبا"[٦].

[١] ***Ligugé*** تقع في الوسط الغربي من فرنسا قريبا من مدينة ***Poitiers***. وهذا الدير وإن كان تاريخه مضطربا بين هدم وإغلاق وطرد رهبانه إلا أنه رجع إليه رهبان في ١٩٢٣م وهو إلى اليوم قائم يعيش فيه ٢٨ راهبا. انظر موقع الدير:
(http://www.abbaye-liguge.com/index.php?lang=en)

[٢] *Le monachisme en occident avant saint Benoît* , p.٢١-٢٣

[٣] *Le monachisme primitif*, p.٥١٤-٥١٧

[٤] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٣٦-١٣٨

[٥] معالم تاريخ الإنسانية: ولز، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧-١٩٥٦م)، ج٥، ص٧٣١-٧٣٣؛ والمرجع السابق، ص١٣٩

[٦] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٣٨-١٣٩؛ وانظر معالم تاريخ الإنسانية، ص٧٣٣-٧٣٤

وفي اليونان مركز من مراكز الرهبانية الأرثوذكسية في جبل أطوس في جزيرة جنوب شرق اليونان أطلق عليه "باب السماء" و"جنة مريم البتول" أو "الجبل المقدس". عاش فيه قبل القرن العاشر متوحِّدون متفرقون في الكهوف والغيران، ثم أُسِّس أول دير في ٩٦٣م ومنح الحكام تلك الجزيرة استقلالا إداريا فأصبحت دولة مستقلة للرهبان وإن كانت تابعة للكنيسة الأرثوذكسية القسطنطينية، وهو كذلك إلى يومنا هذا. تضم الجزيرة عشرين ديرا عاش فيها في القرن العاشر ٤٠٠٠ راهب، واليوم يقدرون بألفين مع عدم وجود أي أرقام رسمية عن عددهم الفعلي[١]. ولا ننس أيضا ما قام من أديرة في كل من إيرلندا وبريطانيا على يد كولمبانوس (ت٦١٥م)، وما اتصف منهجها بالتشدد في الزهد والعبادة كما عرف بنشاط تنصيري واسع[٢].

وأخيرا فإن العصور الوسطى كانت في الغرب عموما رهبانية، خصوصا في القرن السادس، الحادي عشر والثاني عشر، وبداية الثالث عشر إذ أثّر الرهبان في تاريخ أوروبا غاية التأثير، يقول المؤرخ مارسيل باكو[٣] واصفا رهبانية الغرب في العصور الوسطى: " ...فإن العصور الوسطى كانت أكثر من غيرها زمان الرهبان ورجال الدين: لا تخلو مدينة منهم، قليل من القرى هم عنها غائبون، لا بد لأي شخص أن يكون قد التقى بهم مِرَارا، قليل من الأفكار المتداولة تخلو من ذكرهم. وقد حذا هذا الوضع إلى إنشاء أدب كثير يتناولهم خصوصا بعد المؤلَّف المشهور لدِي مُنْتَلُمْبِرْت المسمّى "رهبان الغرب" في خمس مجلدات"[٤]. **ج/ روسيا:**

بدأ التنصير في روسيا في القرن الخامس الميلادي على يد بطريك القسطنطينية يوحنا فم الذهب[٥] (٤٠٧م) ولكن النصرانية لم تطل برأسها إلا عندما تنصرت الأميرة أولجا (ت٩٦٩م) في ٩٥٣م ثم انتشرت على يد حفيدها فلاديمير الأول (ت١٠١٥م). وفي تلك الحقبة وصل رهبان من اليونان لينشئوا دير *Spasski* قريبا من كييف عاصمة أوكرانيا حاليا، ثم تتابعت الأديرة يبنيها الملوك والأمراء والأشراف. تتبع رهبانية روسيا الكنيسة الأرثوذكسية، ولذا فإن القانون الباسيلي هو السائد، كما أن جبل أطوس هو الذي مد تلك المناطق بالرهبان ولا يزال[٦].

---

[١] *Le monachisme orthodoxe, Emilianos Timiadis* , p.١٨١; *Nouveau petit Larousse*, , p.١١٤٦

[٢] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٤٠-١٤٣

[٣] *Marcel Pacaut* أستاذ في جامعة ليون بفرنسا *Université Lumière Lyon II*. متخصص في التاريخ الديني، له كتابات في البابوية والجماعات الدينية.

[٤] *Les ordres monastiques et religieux au moyen âge*, p.٦

[٥] *Jean Chrysostome* (٣٤٧-٤٠٧م): أحد آباء الكنيسة، لقِّب بفم الذهب لبيانه وفصاحته. كان بطريك القسطنطينية بين ٣٩٨ و٤٠٤م. معجم أعلام المورد، ص٣٢٨؛ و قاموس آباء الكنيسة: (http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=١٩٩٣)،

[٦] *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٨٧-١٩١ ; *Dictionnaire de spiritualité*, tomeX, p.١٥٩٣

المطلب الثاني:
أسباب انتشار الرهبانية:

هناك أسباب كثيرة ذكرها غير واحد ممن كتب عن تاريخ الكنيسة أو الرهبانية، وهناك تداخل بين أسباب النشأة وأسباب الانتشار لدى البعض؛ ومن ثم فسأقتصر على سببين رئيسين وهما الاقتصاد وما سمي بالشهادة البيضاء، ثم أذكر ما تيسر من أسباب أخر إشارة.

أما الأسباب الرئيسة فمنها:

١– الاقتصاد:

من الأسباب الرئيسة لانتشار الرهبانية الحياة الاقتصادية، ذلك أن شريحة عريضة من المجتمع الروماني كانت تعيش حياة قاسية، وقد بقي الحال كذلك في القرون الوسطى. وأعتقد لو أننا عملنا جدول رسم بياني لوجدنا أنه كلما كانت الحالة الاقتصادية رديئة كان انتشار الرهبانية أقوى، كما أنه كلما حسنت الحالة الاقتصادية كلما قلت الرهبانية، هذا ما لاحظه جل من كتب عن تاريخ الرهبانية كما سيأتي، ثم تشهد الأرقام حاليا بهذه الحقيقة، ففي الدول الغربية إفلاس كبير في الأديرة وأغلب سكانها شيوخ قليلون، بينما الدول الأفريقية الفقيرة، وكذا في آسيا وجنوب أمريكا تشهد نهضة ديرية نسبية كما سيأتي. وإن كان هذا ليس نفيا مطلقا عن وجود أغنياء وغير أغنياء اختاروا الرهبانية لأسباب أخرى، وإنما الحديث هنا عن الغالب. يقول المؤرخ الانجليزي إدوارد جيبون (ت١٧٩٤م):

"إن الأديرة كانت مليئة بجمهور من الدهماء المغمورين الحقراء الذين كانوا يربحون في أديرتهم أكثر بكثير مما ضحوا في دنياهم، فالفلاحون والعبيد والصناع كانوا يهربون من الفاقة والازدراء إلى مهنة شريفة يخفف من محنها الظاهرة حكم العادة، واستحسان الناس، والتراخي الخفي في النظام ، كما أن رعايا روما الذين تعرضت ثرواتهم وأشخاصهم لخراج باهظ غير متكافئ كانوا يهربون من ظلم الحكومة الإمبراطور ية...كان كل هؤلاء يجدون في الأديرة مأوى وغذاء، وهكذا غصت هذه الأماكن الدينية المقدسة فرق كاملة من هؤلاء الناس"[1]. ويقول جون لوريمر:

"ومع أنهم لم يصبحوا جميعهم رهبانا إلا أن ندرة فرص العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت كثيرين على أن يجربوا حياة الرهبنة في الصحراء وفي الجبال"[2].

---

[1] اضمحلال الإمبراطور ية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة: محمد أبو علي الدرة، سلسلة الألف كتاب الثاني ٢٥٨، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٧م)،ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦؛ وانظر الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها، ص٤١٨

[2] الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٦

وممّا يؤكد هذا أن الوقت الذي كثر فيه عدد الرهبان قد وافق قانونا وضعه قسطنطين سنة ٣٢٠م إذ أعفى العزاب ومن لا نسل له من الضرائب، وكان المستفيد الأول من هذا القانون هم الرهبان. تقول المؤرخة النصرانية بتشر عن هذا القانون: "وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبي النفس والمال إلى الامتناع عن الزواج بل ساعدهم على الشر والفساد، إذ جاء في فقرة أخرى منه أن اللقطاء يُرَبُّون على نفقة الحكومة"[١].

وقد كان الأمراء والأغنياء يغدقون الأموال ويوقفون الأوقاف على الأديرة، وكل ذلك يمثل ضمانا لمن يأوي إلى هذه الأديرة.

٢- الشهادة البيضاء أو الخضراء:

لما ذهب عهد الاضطهاد وشرارته والذي ربى في النصارى ما يمكن تسميته بثقافة الشهادة، ذهب سبب من أسباب البطولة التي طالما كان يتمناها فئام من النصارى، ينسب إلى بطريك الإسكندرية أثناسيوس قوله: "كثيرا ما يقال فيما بينكم: أين الاضطهاد لنكون شهداء؟ كن شهيدا بالضمير، مت بسبب الذنب، اقهر جوارح الدنيا تكن شهيدا بالنية"[٢].

وقد نشر ثقافة استبدال ما سُمِّي بالشهادة الحمراء بالشهادة البيضاء كبار منظري الرهبانية أمثال جيروم، كاسيان وغيرهما[٣]. يقول جون لوريمر: "إنه بعد انقطاع الاضطهاد نمت الحاجة اللاشعورية عند بعض المسيحيين إلى نوع من الاستشهاد نظرا لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه، فقد نبتت الرهبنة من رغبة المسيحي في أن يكون شهيدا، وقد عرفت الرهبنة بأنها الشهادة الخضراء أو البيضاء التي حلت محل الشهادة الحمراء"[٤].

وهناك أسباب أخرى تضاف إلى ما سبق فمنها:

١ -الفتن التي وقعت فيما بين النصارى من تفرق واضطهاد بعضهم ببعض كما سلف وقد وُصِف بكونه أشد من "هياج الوحوش الكاسرة ضد الإنسان"[٥] مما زاد في انتشار الراغبين في الفرار من هذا الواقع إلى الرهبانية.

---

[١] كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها: ا.ل. بتشر، (الفجالة: مطبعة مصر ١٩٠٠م)، ص٢٧٦؛ وانظر الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٧

[٢] *Sentences des Pères du désert, Nouveau recueil, num.* ٦٠٠, (Solesmes ١٩٧٠), p.١٣٥, de *Dictionnaire de spiritualité*, tome X, p.١٥٥٢

[٣] *Ibid.*

[٤] تاريخ الكنيسة، ج٢، ص١٢٤ من الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٧٠

[٥] راجع ص ٥٤

٢ -الشخصيات الهامة التي دعت إلى الرهبانية ومهدت لها أمثال أسقف وبطريرك الإسكندرية أثناسيوس في القرن الرابع والبابا غريغوريوس الكبير في القرن السادس وغيرهما.

٣ -وجود الأديرة في طريق قاصدي بيت المقدس وما كان يقدم فيها من خدمات.

٤ -الكتابات حول الرهبان والرهبانية مثل كتابات كلّ من أثناسيوس، جيروم، كاسيان، روفين وغيرهم.

٥ -الهروب من التتبع كما حصل لكثير من المملوكين والمجرمين وغيرهم.

٦ -طلب المتعة لما كان في الأديرة من فساد مما جعلها قبلة أهل الخلاعة والمجون.

والخلاصة من هذا المبحث أمور:

١ -انتشرت الرهبانية في جميع أنحاء العالم التي كان فيها نصارى بسرعة فائقة.

٢ -أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الانتشار:

- الحالة الاقتصادية .
- ما سمي بالشهادة البيضاء.
- الاضطهاد بين النصارى أنفسهم.
- الهروب من المسؤوليات.

المبحث الرابع: التأثيرات الأجنبية في نشأة رهبانية النصارى

تطرق الباحثون في الرهبانية النصرانية عن موضوع التأثير الأجنبي أو الخارجي عن النصرانية ومصادرها في نشأة الرهبانية ومظاهر الرهبانية. والذي نتناوله هنا هو التأثير في النشأة على وجه الإجمال.
البحث المنهجي عن التأثير الأجنبي في نشأة الرهبانية بدأ عند المناوئين للرهبانية النصرانية خصوصا البروتستانت الذين أعلنوا العداوة والبغضاء للرهبانية وأهلها، ثم حدا بهذا المؤرخين والمتخصصين في الأديان إلى البحث في مراجع الرهبانية الرئيسة التي لم تكن سوى أدوات للرهبان في حياتهم الروحية ثم أصبحت محل النقد النصي والتاريخي فاستبعدت نتائج وأكدت أخرى[١].
أهم التأثيرات التي نقف معها هي:

المطلب الأول:

أديان الهند:

لا ريب أن رهبنة أديان الهند من هندوسية وبرهمية وبوذية هي من أقدم ما نعلمه في هذا الباب، والتشابه مع الرهبان النصارى ملفت للنظر في مظاهر مختلفة. لكن السؤال الذي نحاول الإجابة عنه هو "هل أثرت فعلا على نشأة الرهبانية عند النصارى؟"
يجزم بعض المناوئين للرهبانية النصرانية أمثال جيمس هوكارت البروتستانتي وغيره بذلك من غير تردد، يقول جيمس هوكارت في كتابه: "الرهبانية: أصولها الوثنية، أخطاؤها الرئيسة، تأثيرها السلبي على الدين والأخلاق والمجتمع"[٢] : "الدرجة الرابعة والأخيرة من الكمال البرهمي مثلا هو إنكار كامل للذات؛ ففي عزلة مطلقة لا يقترب الشيخ البرهمي من منازل الناس إلا ليطلب ما يسد رمقه لجسد منهك، ويجب عليه القعود متأملا بلا رغبة في حياة أو موت حتى يصل إلى الاستغراق في الروح الأزلي؛ وانتقل الزهد من الوثنية إلى اليهودية، وقبل أن يبدأ المسيح بدعوته نشأت جماعة الإسينيين الرهبانية على ضفاف البحر الميت، عاشوا متحدين على الصلاة والتقشف والعمل..." إلى أن قال: " الرهبانية لها أصل وثني وليس لها أصل آخر". ولم يأت لنا بتفصيل آخر على هذه الدعوى، وسيأتي الحديث عن الفرقة اليهودية التي أشار إليها. ويقول أحمد شلبي: "والباحث في مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين في تصرفاتهم هذه اتبعوا المنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم هي سياسة الهندوسية والبوذية التي وصفناها بوضوح في كتابنا: "أديان الهند الكبرى""[٣].

---

[١] *Les origines du monachisme chrétien* :Armand Veilleux, (http://www.scourmont.be/Armand/arm-fra-١.htm)

[٢] *Le monachisme, James Hocart*, p. ١٨ , ٣٠

[٣] المسيحية، ص٢٥٩

الإشكال الذي يَرِد على هذه الدعوى هو إثبات العلاقة بين هؤلاء وهؤلاء إذ مجرد التشابه لا يكفي لإثبات التأثير، فالهندوسية والبوذية في أقصى الشرق، ومصر موطن نشأة الرهبانية النصرانية في الغرب، فكيف تأثر هؤلاء بأولئك؟ وهل هناك اتصال؟

أشار د/ أحمد عجيبة[١] إلى انتشار دعاة البوذية في بلاد اليونان، أنطاكية والإسكندرية في عهد الإمبراطور أشوكا، وأضاف أن مؤلفات البوذية انتشرت في أنحاء العالم في القرن الثاني قبل الميلاد تقريبا، وقال: "والواقع أن نشأة الرهبانية المسيحية في مصر لا يحول بينها وبين تأثرها بالديانة البوذية، خاصة إذا علمنا أنه في عهد بطليموس فيلادلفوس عزم أشوكا (٢٧٣-٢٣٢ ق م) إمبراطور الهند في ذلك الوقت أن ينشر التعاليم البوذية في بلاد العالم المعروفة آنذاك، وكانت مصر من بين بلاد البحر الأبيض المتوسط التي أرسل إليها أشوكا المبشرين ويدل على هذا أن كليمنت الإسكندري ويوحنا فم الذهب وآخرين من الكتاب المسيحيين الأُوَّل أشاروا إلى الهنود في الإسكندرية وتحدثوا عن عقائدهم"[٢].

وذكر أيضا العالم الأنتروبولوجي[٣] رالف لنتن (ت١٩٥٣م) هذا التأثير لكنه لم يكن جازما: "وفي بداية العصر المسيحي وصل بعض أولئك المبشرين البوذيين إلى الإسكندرية، وبالرغم من أن تعاليم البوذية لم تترك إلا أثرا ضئيلا لأن فلسفتهم لم تستطع أن تتفوق على ما كان يوجد فيها من النظم والأساليب المقنّنة للفلسفة اليونانية، إلا أنهم ربما كانوا السبب في ظهور كثير من أنواع النسك وتنظيم رهبان الأديرة التي امتازت به القرون المبكرة في تاريخ المسيحية في مصر"[٤].

فالاحتمال وارد لوجهين:

الأول: التشابه والتطابق في النظام وبعض المظاهر.

الثاني: العلم بحالهم موجود خصوصا في الإسكندرية التي كانت عاصمة من عواصم الثقافات المختلفة.

---

[١] الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٣١-٣٢

[٢] المرجع السابق، ص ١١٠، وأشار إلى المراجع التالية: دراسات في تاريخ الرهبانية، ص٢؛ الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، ص١٧٤؛ معالم تاريخ الإنسانية، ٢ج، ص٤٧٠

[٣] نسبة إلى "الأنتروبولوجية" ***anthropolgie*** وتعني حرفيا "علم الإنسان". وهو مصطلح ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين تعرفه الموسوعة العربية بأنه: "العلم الذي يدرس الخصائص الإنسانية الجسدية والنفسية والذهنية، آخذا في الحسبان ثقافة البشر في الزمان والمكان، وذلك في سبيل استخلاص الأنساق والنماذج السائدة في كل مجتمع إنساني، بمراعاة مستوى التقدم التقني والإدراك العقلي لأفراد هذا المجتمع، ورصد إنجازاته ومعتقداته ووسائل اتصاله من اللغة التي يتحدث بها الناس إلى الرموز والطقوس المتوارث عبر الاجيال". الموقع الرسمي للموسوعة العربية :

(http://www.arab-ency.com/index)

[٤] شجرة الحضارة: لنتون رالف، ترجمه فخري أحمد، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١ م)، ج٣، ص١٩٧، من الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص١١٠

المطلب الثاني:

الفلسفة اليونانية:

الحديث عن علاقة الفلسفة بنشأة الرهبانية النصرانية هو جزء من تأثير الفلسفة على عقائد النصرانية عموما، وقد اتصلت الفلسفة بالنصرانية منذ بدخول شاول اليهودي (ت٦٧م) المعروف ببولس في النصرانية، فقد كان متبحرا في لاهوتيات الإسكندرية الهلينية، متأثرا كما قيل "بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهيلينستية وبأساليب الرواقيين، وكانت لغته إغريقية"، وقد أدخل في النصرانية التي هي في الأصل امتداد لدعوة موسى وجميع المرسلين عليهم السلام، فحولها بولس إلى وثنية مفلسفة فأحدث حلول اللاهوت في الناسوت واخترع نظرية الأقانيم الثلاثة وغير ذلك[١]. أما تأثير الفلسفة على نشأة الرهبانية في مصر فنكتفي بإلقاء الضوء عليه من خلال الحديث عن أمرين هما "مدرسة الإسكندرية الفلسفية" و"فِيلُون وجماعة الثرابوت ***Thérapeutes***".

١) مدرسة الإسكندرية

كانت مدينة الإسكندرية تعج بخليط من الفلسفات مثل الأفلاطونية المحدثة، الغنوصية وغيرهما، وتعتبر كأثينا مركزا للفلسفة، جذبت مدارسها طلاب من مصر وخارجها.[٢] وكان فيها مدارس فلسفية عدة برز فيها اتجاهان هما "الفيثاغورية الجديدة التي تحاول التوفيق بين الأديان" و"الأفلاطونية الجديدة التي تحاول التوفيق بين أرسطو وأفلاطون مع ميل إلى الأفلاطونية"[٣].

والذي يهمنا من هذين الاتجاهين أنهما ينتهجان منحى فلسفي يمكن وصفه بالروحية الدينية ويهتم بالجانب العملي أكثر من الجانب النظري، وهو بذلك قريب من فلسفة الرهبانية عند النصارى. يقول د/ حربي عباس عطيهو: "ومارس الفيثاغوريون المحدثون وأقرانهم المؤمنون من الأفلاطونيين المحدثين الدّينَ الأرفيوسي[٤] والذي من أهم عقائده الأساسية فكرة مراقبة الروح في هذه الحياة الدنيا استعدادا لحياة الخلود، والرغبة في التطهير والدخول المقدس في الدين كشرط الخلود المبارك، وبعث الأرواح في أشكال دنيا أو عليا حسب حسنات أو سيئات الروح في الحياة الأرضية"[٥].

---

[١] انظر: معالم تاريخ الإنسانية: هـ ج ولز، ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٦٧-١٩٧٢م)، ج٣، ص٧٠٥-٧٠٦

[٢] مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هـ. آيدرس بل، ص٧١٠-٧١١

[٣] ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: حربي عباس عطيهو، (بيروت: دار العلوم العربية الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٢م)، ص١٢٦

[٤] نسبة إلى نحلة الأرفية. انظر ص٢١

[٥] المرجع السابق، ص١٢٧؛ وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص٣٢٤؛ و موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م)، ج١، ص٢١٤

وأهم ملامح هذه الفلسفة تطهير النفس وتنقيتها لتتحرر من ربقة عالم الأجسام المحسوس بالبعد عنه والزهد فيه، والسبيل إلى ذلك "إماتة البدن" لتحقيق الخلاص، والخلاص هو الاتحاد بالإله مبدأ وجوده وحياته[١].

ولما كانت مدرسة الإسكندرية ملتقى الثقافات والأديان فقد شهدت ما عُرِف بحركة التوفيق العقائدي (سَنْكرِيتِزْم *synchrétisme*) حيث كان هناك مزج ثقافي يحاول التوفيق والجمع بين الأديان المختلفة والفلسفات المنتشرة آنئذ، ولم تكن الرهبانية النصرانية في معزل عن هذا التأثُّر والتأثير[٢]. ومن الشخصيات النصرانية التي لعبت دورا هاما في ميدان التوفيق بين الزهد الفلسفي والزهد النصراني: بانتينس (ت٢٠٠م) الذي كان فيلسوفا رواقيا؛ وكليمنت الإسكندري تلميذه؛ وأوريجين الذي كان فيلسوفا أفلاطونيا. يقول A. Veilleux: " لقد كان لفيلون وأفلوطين[٣] الأثر البالغ في جميع التقاليد الصوفية النصرانية، وبواسطة أوريجين وإيفَاغْر انتقل التأثير على الرهبانية النصرانية، وبعد أيام من عيد العَنْصَرَة[٤] تكونت جماعة نصرانية في الإسكندرية، وفي ظل بيئتها الغنية تطورت المدرسة الإسكندرية مع بانتينس وكليمنت، وذلك قبل أن يعيش أوريجين مع تلامذته حياة ما يمنعنا من تسميتها بحياة رهبانية إلا اصطلاح المؤرخين"[٥].

ويقول د/ عبد القادر أحمد اليوسف: "والرهبنة في عصورها الأولى عبارة عن امتزاج بين تعاليم المسيحية والآراء الصوفية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة"[٦].

ويقول د/ أحمد عجيبة: "والمسيحية تأثرت بالأديان الهندية والمصرية والفارسية **وبعض الفلسفات اليونانية** ولهذا يمكن القول بأن الرهبانية المسيحية وليدة هذا التأثر بتلك الأديان والفلسفات الوثنية"[٧].

ولعل أبرز ما ناقشه الباحثون من مدرسة الإسكندرية وما كان أثره واضحا في أدبيات الرهبانية، هو

---

[١] تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية: نجيب البلدي، (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٣م)، ص١٠٢-١٠٣؛ و انظر موسوعة الفلسفة، ج١، ص٢١٤

[٢] الديانة اليونانية القديمة: ه روز، سلسلة الألف كتاب، ترجمة رمزي جرجس، (القاهرة: دار النهضة ١٩٦٥م)، ص١٤١

[٣] *Plotinus* (٢٠٥-٢٧٠م): فيلسوف روماني نشأ في مصر حيث تتلمذ على مؤسس الأفلاطونية المحدثة أمونيوس سكّاس. رحل إلى روما حيث تتلمذ عليه فرفوريوس. يعد من أبرز ممثلي الأفلاطونية المحدثة. معجم أعلام المورد، ص٦٠

[٤] عيد العَنْصَرَة: ويسمى عيد الأسابيع *pentecôte* من اليونانية *pentekostê* وتعني الخمسين. من أعياد النصارى يحتفلون به الأحد الخمسين بعد عيد القيامة (قيامة المسيح) وذلك بمناسبة ذكرى نزول روح القدس على الرسل كما جاء في سفر أعمال الرسل: ١/٢-١٣. قاموس الكتاب المقدس: (http://popekirillos.net/ar/bible/dictionary/read.php?id=٥٤١&name=عنصرةقاموس)

[٥] *Les origines du monachisme chrétien*, (http://www.scourmont.be/Armand/writings/Origines.html)

[٦] العصور الوسطى الأوروبية، ص٧٢؛ وانظر الرهبانية وموقف الإسلام منها، ص١١١

[٧] المرجع السابق، ص١١٢

الحديث عن الفيلسوف فيلون وجماعة الثرابوت التي وصفها في بعض كتبه.

ويذهب ول دِيُورَانْد إلى أن هذه الفلسفة أثرت من قريب أو من بعيد في الرهبانية المسيحية كما أشرت سالفا[١].

٢) فيلون وجماعة الثرابوت ***Thérapeutes***:

عاش فيلون بين ٤٠ ق م إلى ٤٠م تقريبا، وهو فيلسوف يهودي[٢] متأثر بالفلسفتين الأفلاطونية والرواقية. لقد حاول التوفيق بين الإيمان والفلسفة، وذلك باستخدام لغة الفلسفة في شرح العهد القديم[٣]. ويعد من أكبر ممثلي التأويل الرمزي في العهد القديم، فقد كان يشرح التوراة شرحا رمزيا.

والذي يهمنا من فلسفة فيلون أنه يمثل مع غيره "تيار التأمل في الإله عن طريق الابتعاد عن العالم"، وتنتهي الفلسفة عنده إلى التصوف عن طريق "تطهير النفس بالزهد، وعلى الأخص بالعبادة الباطنة"[٤].

ويبين أنطوان جِيُومُون في مقال مهم عن علاقة فيلون بالرهبانية النصرانية أن فيلون قد طرح في مؤلفاته الموضوعات الأساسية التي طرقها منظرو الرهبانية النصرانية بعده بقرون وهي[٥]:

- الحياة التأملية.
- ترك المال.
- ترك الأقارب والأوطان.
- الوحدة الكاملة.

---

[١] قصة الحضارة، ج٦، ص٣٤٦-٣٤٧

[٢] زعم يوسابيوس ومن تبعه أنه تنصر على يد الرسول بطرس في روما في حدود الأربعينات ثم رجع إلى مصر. لكن ذلك غير ثابت تاريخيا فإن فيلون قد اختفت آثاره في حدود الأربعين الميلادية. والثابت أن أول زيارة لبطرس في روما عام ٦٥م. إضافة أن مؤلفات فيلون ليس فيها ما يؤيد هذا من قريب أو بعيد فإن مجرد ذكر اسم المسيح لم يرد في مصنفاته والله أعلم. انظر:

Moines et sibylles dans l'antiquité judéo-grecque: Ferdinand Delaunay, (Paris : Didier et Cie, Librairies-Editeurs, deuxième édition ١٨٧٤), p. ٢٨-٣٢

[٣] تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية: نجيب البلدي، ص٨١-٨٣

[٤] المرجع السابق، ص ٨٧؛ وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص٣٢٣

[٥] *Philon et les origines du monachisme*, Lyon: ١١-١٥ septembre ١٩٦٦, (Colloques Nationaux du C.N.R.S.), (Paris : ١٩٦٧), p.٣٦١-٣٧٣

وقد طبع مع مقالاته المنشورة بين ١٩٦٦ و١٩٧٩م في مؤلف واحد باسم "مع أصول الرهبانية النصرانية":

Aux origines du monachisme chrétien, p.٢٥-٣٧

وقد خصص فيلون كتابا من كتبه أسماه: "حياة التأمل"– *De Vita contemplativa* [١] وصف بدقة مجموعة من اليهود الهلينيين اشتغلوا بالفلسفة وسلكوا حياة الزهد والرهبنة، عاشوا في القرن الأول الميلادي في مصر، قريبا من الإسكندرية بجوار بحيرة مريوط أُطلق عليهم اسم *Thérapeutes* وتعني "الخدمة والمعالجة" باللغة اليونانية. وقيل أنهم سموا كذلك لاشتغالهم بمداواة النفوس وأمراض القلوب[٢].

ومن الملفت أن حياتهم شبه متطابقة مع الحياة الرهبانية النصرانية على شكلها الشبه الجماعي والتي نشأت بعدهم بقرنين تقريبا، ولنقف على بعض أوصافهم. يقول فيلون:

"إن بيوتهم في غاية البساطة، لا متباعدة كل التباعد، ولا متقاربة كل التقارب، في كل منها صوامع، يعمل كل واحد منهم على الانفراد فيها لممارسة شعائر الحياة الكاملة، يعتكفون فيها للتفكر في الله، ويُصلّون إليه في اليوم مرَّتَيْن: مرة في الصباح ومرة في المساء، فعند طلوع الشمس يلتمسون أن تمتلئ قلوبهم بنوره السماوي وعند غروبها يلتمسون أن تتحرر من وطأة الإحساسات والمحسوسات ليتفرغوا كلية للحقيقة الكاملة"[٣].

وأذكر هنا أهم ما ذكره فيلون مطولا[٤]:

-هدفهم التأمل في الإله من خلال الصلوات وتفسير التوراة تفسيرا رمزيا.

-يقضون ستة أيام منفردين مع الفلسفة ويجتمعون يوم السبت رجالا ونساء.

-يتركون أهليهم من غير رجعة.

-يتنازلون طواعية عن إرثهم ويُسلِّمون أموالهم لأولادهم أو أقاربهم، فإن لم يكن لهم أحد فإلى أصدقائهم.

---

[١] طبع ضمن مؤلفاته مترجمة ومحققة :

Les Œuvres de Philon d'Alexandrie, n°٢٩, trad. P. Miquel, (Paris : Editions du Cerf ١٩٦٣)

والكتاب المذكور منشور في الشبكة العنكبوتية وعليه تعليقات نفيسة باللغة الفرنسية في موقع : "الحضارة اليونانية واللاتينية" "*Le site de l'antiquité grecque et latine*" الذي يضم آلاف المؤلفات الفلسفية القديمة وغيرها مترجمة من اليونانية واللاتينية والعربية إلى الفرنسية:

(http://remacle.org/bloodwolf/philosophes/philon/contemplative.htm)

[٢] *Nouveau petit Larousse*, (Paris: Librairie Larousse ١٩٧٠), p.١٠١٨

[٣] تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية، ص٨٦. وبعد مراجعة أصل النص المذكور المترجم باللغة الفرنسية وجدته مأخوذ بتصرف حيث دمج بين فقرات تاركا ما بينهما من التفاصيل، من:

(http://remacle.org/bloodwolf/philosophes/philon/contemplative.htm)

[٤] من مواضع من "حياة التأمل" من الموقع السابق، وانظر:

Le monachisme primitive: Vincent Desprez, p.٧١-٧٣

نكتفي بهذه النماذج والأمثلة، وهي كما يلاحظ متطابقة مع كثير من مظاهر رهبان النصارى عموما وفي منطقة وادي النطرون خصوصا، وفي القلالي ونيتريا على وجه التحديد، وهي منطقة نشأة الرهبانية الشبه الجماعية قريبة من بحيرة مريوط التي عاش فيها هؤلاء الزهاد[١].

وهذا التشابه أدى بمؤرخ الكنيسة يوسابيوس[٢] وعنه جيروم[٣] وكاسيان[٤] وغيرهما إلى القول بأنهم من اليهود الذين تنصّروا من كنيسة الإسكندرية التي أنشأها الرسول مرقس، بل ذهبوا إلى أن رهبان القرن الثالث والرابع ما هم إلا امتداد لهذه الجماعة. يقول مؤرخ الكنيسة يوسابيوس: "ونحن نعتبر أن هذه الحقائق التي يرويها فيلو –أي فيلون– تشير بوضوح وبلا نزاع إلى أبناء شركتنا، أما إن كان بعد هذه الإيضاحات لا يزال يوجد من يصر على إنكار هذه الإشارة فلينبذ شكوكه وليقتنع بأمثلة أقوى لا يمكن أن توجد إلا في ديانة المسيحيين الإنجيلية"[٥].

ويزيد الأمر تأكيدا بقوله: "أما أن فيلو عندما كتب هذه الأمور كان واضعا نصب عينيه سفراء الإنجيل الأوائل والعوائد المسَلَّمَة منذ البدء من الرسل فهذا أمر واضح لكل أحد"[٦].

ويضيف أن حياة الرهبان ما هي إلا امتداد لحياة أولئك النساك في قوله: "وهذه الأمور رواها المؤلف (فيلون) المشار إليه في كتابه، موضحا نوع الحياة التي لا زلنا وحدنا نحافظ عليها اليوم، ومُدوِّنا بصفة خاصة سهرات الليل التي يمارسونها بمناسبة العيد العظيم، والرياضة التي كانت تمارس خلال تلك السهرات، والترانيم التي اعتدنا تلاوتها، ومبينا كيف كان الواحد يُرنِّم في الوقت المحدد كان الآخرون يصغون في صمت ولا يشتركون في الترانيم إلا في آخرها، وكيف أنهم في الأيام المشار إليها كانوا ينامون على الأرض على فراش من قَشّ[٧] –وحسب تعبيره– لا يذوقون الخمر على الإطلاق ولا اللحم، بل الماء شرابهم الوحيد، وأطايبهم مع الخبز الملح والأعشاب"[٨].

والذي يظهر أن قرب عاداتهم لعادات رهبان النصارى، إضافة إلى قرب المكان كما ذكرت آنفا من القرائن التي تدل على أن فرقة الثرابوت لها علاقة بنشأة الرهبانية. لكن القول بأنهم كانوا نصارى كما

---

[١] انظر: الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١٩٢ وتأمل خريطة رقم ٣ من نفس الكتاب؛ و انظر:
Moines et sibylles dans l'antiquité judéo-grecque: Ferdinand Delaunay, p.٧

[٢] خصص لهم الفصل ١٦ و١٧ من الكتاب الثاني من تاريخه، ص٧٣-٧٧

[٣] *Op. cit.* Desprez, p.٧٥

[٤] لكنه لم يسمهم وإنما ذكر أوصافهم التي لا تنطبق إلا عليهم، وجعل أصلهم الرسول مرقس، انظر:
Institutions, II, ٥ (http://www.abbaye-saint-benoit.ch/frame.html)

[٥] تاريخ الكنيسة، الكتاب الثاني، الفصل ١٧، ص٧٦

[٦] المرجع السابق، ص٧٧

[٧] قال الفيروز آبادي: "والقَشُّ: رَدِيء النَّخْلِ، كالدَّقَلِ ونحوِهِ". القاموس المحيط، ص٦٠٢

[٨] تاريخ الكنيسة، ص٧٧

ذهب إليه يوسابيوس ومن تبعه بعيد، والنقد الموجه إليه كالآتي[١]:

١ -لم ينفرد فيلون أن هذه الفرقة يهودية الديانة، فقد ذكرها كلٌّ من العالم الروماني بلينيوس الأكبر[٢] في تاريخه، والمؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس[٣] في مواضع من تاريخه، وفي كتابه عن حروب اليهود[٤].

٢ -لو سلمنا بالقول أنهم نصارى تنصروا على يد الرسول مرقس كما يقولون فهذا يعني إذاً أنهم حديثو عهد بالنصرانية، أي ينتمون إلى الجماعة الأولى من النصارى. لكن المقرر والمعروف أن النصارى الأولين الذين كانت جوهر دعوتهم لا تزال وقتئذ على دعوة المسيح عليه السلام الحقّة كما أنزلت، ثم إن من أهم ملامحهم آنئذ الوضوح والبساطة، فإن أقررنا بذلك فكيف نُوَفِّق بما ذكره فيلون وغيره عنهم من أنهم أهل فلسفة وتأويل رمزي للتوراة؟ منكبّون على فلسفة اليونان كما وصفهم؟ بل لهم منهج مرسوم يسلكونه في طريقة تأويلهم؟ فلا ريب حينئذ أن ذلك لا يتفق مع الواقع الذي نعلمه. فالتشابه بين حالهم من جهة الزهد والسلوك لا يعني أنهم نصارى، بل لا تعدو أن تكون إحدى القرائن التي اعتمدها من ربط بين هذه الفرقة اليهودية الهلينية وبين نشأة الرهبانية إذ اجتمع قرب العادات وقرب المكان، إلى حد اللبس بينهم وبين النصارى.

فالذي نخلص إليه أنهم فرقة يهودية، وعلى هذا الأساس قدَّمهم فيلون وغيره، ويمثلون الاتجاه اليهودي الهيليني المتأثر بالفلسفة اليونان وغيرها من الثقافات المختلفة المصادر كالفارسية، والهندية والآشورية، وذلك ظاهر في نظامهم الدقيق وأعمالهم المنظمة التي ليست مأخوذة من مصادر يهودية يقينا؛ ومن ثم فقد قيل أنهم تأثروا بزهد الهنود ونظامهم لما انتشر من أخبارهم والحديث عنهم، حتى إن فيلون قد ذكر الزهاد الهنود وأشاد بشجاعتهم وحكمتهم العميقة، والمؤكد أن الثرابوت استمدوا ذلك من مجموعة من المصادر إلا أن الجزم بأثر جهة معينة أكثر من أخرى يصعب إثباته[٥].

---

[١] انظر: *Moines et sibylles dans l'antiquité judéo-grecque*: Ferdinand Delaunay, p.٣٢-٣٣

[٢] *Pline l'ancien* (٢٣-٧٩م): موسوعي روماني صاحب موسوعة "التاريخ الطبيعي" في ٣٧ مجلدا. معجم أعلام المورد، ص١١١

[٣] *Flavius Josèphe* (٣٧- ٩٥ أو ١٠٠م): كاهن ومؤرخ يهودي، عينه اليهود حاكما للجليل في ٦٦م. له من المصنفات: "حرب اليهود"، "تاريخ اليهود القديم"، "ضد أبيون" وغيرهما. الموسوعة العربية الميسرة، ص١٩٩٢

[٤] *Op. cit*, Ferdinand Delaunay, p. ٨

[٥] انظر المرجع السابق، ص٢٢-٢٣؛ مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، (الكلية الإكليركية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس : http://copticlibrary.١١٠mb.com/y١٤/١.htm)، ص١٢-١٣؛ و

L'ordre monastique: des origines aux XII ème siècle: D. Ursmer Berlière, collection « *PAX* » vol.I, (Abbayye de Maredsous, ٣ ème éditions ١٩٢٤), p.١٠

بقي أن هناك من نفى تأثير هذه المجموعة على نشأة الرهبانية أو مظاهرها، وهم أنصار أصالة الرهبانية النصرانية، يقول الأنبا يوأنس[١] : " وأخيرا فلم يكن هؤلاء المتأمِّلون النساك من اليهود الهيلينيين المتحضِّرين منفصلين فقط عن الرهبان المسيحيين من جهة الزمان بأكثر من قرنين، لكن كانت ملامحهم اليهودية المميزة جدا وعدم انعزالهم عن النساء وشغفهم بالفلسفة، وعدم شغلهم اليدوي يظهر الفرق الشاسع في قانونهم وسلوكهم بالقياس إلى الرهبان المسيحيين وطريقة حياتهم وعبادتهم في القرن الرابع المسيحي"[٢].

ويقول أُورْسْمِير بَرْلِيَار[٣] : "سكوت التاريخ على هذه المجموعة الزهدية دليل على انحصارها في المكان والزمان. ويستبعد بقاء اجتماع زهاد على مستوى علمي عال متميزين في الشكل والأسلوب؛ وهذا إذا سلمنا بحقيقة وجودهم أم أنه من خيال يهودي هليني أراد إعجاب عالم يوناني"[٤].

وأكتفي لمناقشة هذا الرأي بأمور:

١- أما ناحية الزمان فقد سبق أن ذكرنا أن الرهبانية عند النصارى لم تظهر فجأة بل هي بلورة وتطور لتيارات زهدية منتشرة في النصارى منذ القرن الأول، فليس غريبا أن تكون أخبار هذه الفرقة متداولة بين المهتمين بالزهد خصوصا المثقفين منهم ومن أخذ عنهم.

٢- ومن جهة الفرق بين الثرابوت ورهبان النصارى فلا شك في وجوده لكن يبقى أن الجو العام قريب من جو حياة رهبان النصارى الجماعية، وهذا يصعب إنكاره.

٣- إن نشأة الرهبانية أو بعض صورها في نفس المكان الذي وجد فيه فرقة الثرابوت قبل قرنين، وقريب جدا من شكله هل هي مصادفة أم هي إحياء لمنهج وتجربة في زهد جماعي أو شبه جماعي قد اندثر...

وأخيرا فإن فيلون لا يعتبر أصلا في هذه الآراء فما هو إلا حلقة وصل وممثل من ممثلي التيار الفلسفي

---

[١] راهب وأسقف مصري اسمه رمزي عزوز، وسمي بالراهب شنودة السرياني حين ترهَّب في دير "السيدة العذراء" السريان في برية شيهيت بمصر. ولد في ١٩٢٣م وتوفي سنة ١٩٨٧م. باشر كثير من الأعمال منها: الإشراف والتدريس في الكلية الإكليركية في القاهرة، سكرتير للبابا كيرلس السادس والبابا شنودة، أسقف الغربية، شارك في العديد من المؤلفات التي طبعت باسم دير السيدة العذراء وغير ذلك كثير. انظر موقعه الرسمي:

(http://www.uan.jeeran.com/index.html)

[٢] مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص١٣

[٣] *Ursmer Berlière*: قس وراهب بندكتي بلجيكي، من مؤسسي "المعهد التاريخي البلجيكي في روما " *IHBR* وأول مدير له بين ١٩٠٢-١٩٠٦م، عينه الملك ألبرت الأول على المكتبة الملكية في ١٩١٠م.

[٤] *L'ordre monastique: des origines aux XII ème siècle*, p.١٠

التأملي. والموضوعات التي طرحها قد سبقه إليها الفلاسفة الفيثاغوريون والأفلاطونيون، ولكنه لما كان يدين باليهودية ويربط بين الآراء الفلسفية ونصوص العهد القديم فإنه كان أقرب إلى النصارى من الفلاسفة. وقد أمدّ لغة الرهبانية النصرانية بالمصطلحات مباشرة أو من خلال من كتب من علماء النصارى الإسكندريين كما سبقت الإشارة إليه ويعد إيفاغْر (ت٣٩٩م) أكبر مثال على ذلك إذ وجد هو وغيره قوالب جاهزة لم يبق لهم سوى تغيير طفيف لوضع الصبغة النصرانية، فيكون على هذا تأثير في التنظير بعد نشأة وانتشار الرهبانية[١].

المطلب الثالث:

فرقة الأسينيين أو الحسيديين اليهودية ***Esséniens*** :

فرقة يهودية ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد، و"أسينيون" إما من الكلمة الآرامية "آسيا"، ومعناها "الطبيب" أو "المداوي"، أو أنها النطق اليوناني ل"أسيديم" للكلمة العبرية "حسيديم" ولعله الأقرب[٢]، وهذه التسمية هي السائدة في المصادر الغربية. أما "حسيد" أو "حسديم" فتعني المشفقين، وهي كلمة وردت في العهد القديم وتعني في اصطلاحهم: "الرجل التقي الثابت على إخلاصه للإله وإيمانه به". والاسم "حسيديم" يشتبه مع فرقة معاصرة انشقت عن الفريسيين التلموديين ظهرت في القرن الثامن عشر في أوروبا الشرقية على يد إسرائيل اليعازر (ت١٧٦٠م) المشهور بلقب "بعل شم طوب"[٣]. وهذه الأخيرة وإن كانت فرقة صوفية فيبدو أن لا علاقة لها بالفرقة التي عاشت حياة رهبانية مشتركة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى ٧٠م تقريبا.

مصارد المعلومات عن فرقة الأسينيين وصلتنا مثل فرقة الثرابوت عن طريق الفيلسوف فيلون اليهودي، والعالِم الروماني بلينيوس الأكبر والمؤرخ يوسف فلافيوس[٤]. ثم استجدت المعلومات باكتشاف

[١] *Philon et les origines du monachisme*: Antoine Guillaumont, p.٣٦٤ ; *Le monachisme primitif*: Vincent Desprez, p.٣٧

[٢] موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية: عبد الوهاب المسيري، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م)، ج٥، ص٤٩٢-٩٣؛ الأسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام: علي عبد الواحد الوافي، ص٦٧

[٣] دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، ص١٢٢-١٢٤

[٤] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٦٧؛ و

Op. cit. V. Desprez, p.٥٧

"مخطوطات البحر الميت"[1] بين ١٩٤٧ و١٩٥٦م.

أما ما يميز هذه الفرقة عن غيرها من اليهود فهي أمور كثيرة حتى قيل إنه "لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس"[2]، ومن أهمها:

- في العبادات: تحريم الأضاحي والقرابين التي اعتاد اليهود تقديمها للهيكل.
- في الشرائع والمعاملات: تقرر مبدأ المساواة بين الناس وأن إيذاءهم محرم أيا كانت أصولهم وديانانتهم.

كما أنها تُحرِّم الرق والملكية الفردية كما ترى أن الاشتغال بالتجارة محظور إذ يبعث في النفوس الجشع والحرص على المال. وأما نظام الأسرة فيرى د/ علي عبد الواحد الوافي أنهم يحرمون الزواج ويوجبون التبتل[3]، وتذكر "موسوعة اليهود واليهودية" أن التحريم للأغلبية لا للكل[4]، ويوضح فِينْسَنْت دِيبْرِي أن الذين تزوجوا منهم لم يفعلوه إلا لإبقاء النسل[5]. وقد اعتزل الأسينيون المجتمع كليا وعاشوا حياة مشتركة مبنية على الزهد والتقشف ونبذ جميع مُتَع الجسم، ومن ذلك أنهم لا يشربون الخمر ولا يأكلون اللحم إضافة إلى أن نظام الحياة الرهبانية المشتركة الذي أقاموه يقترب مما قام على يد باخوميس في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي. وأذكر هنا نقاط الاشتراك[6]:

- لا يقبلون الراغبين في الالتحاق بهم إلا باختبار وفترة تجربة وتعليم.
- الطرد من الجماعة في حالة المخالفة للقانون.
- النذور.
- لباسهم واحد.
- يشتركون في الأموال ويعيشون على عملهم وهو الزراعة.
- هناك إنذار للعمل، للصلاة والأكل.
- يسيرون على قانون يسمى "قانون الجماعة"، وقد اكتشف وحُقّق من مخطوطات البحر الميت.
- وهناك نظام دقيق في ترتيب الأعمال وتوزيع المهام.

---

[1] تطلق على مجموعات من المخطوطات القديمة (٨٠٠ مخطوط باللغة العبرية والآرامية)، والتي تم العثور عليها في كهوف الجبال الواقعة شمال غربي البحر الميت، في منطقة قمران بالضفة الغربية للأردن جنوبي مدينة أريحا. انظر: مخطوطات البحر الميت: أحمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الشروق ١٩٩٦م)، ص١٠؛ و *Op. cit.* V. Desprez, p.٥٤-٥٥

[2] الأسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام، ص٦٩

[3] المرجع السابق.

[4] موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ،ج٥، ص٤٩٣

[5] *Op. cit. V. Desprez, p.٤٦-٤٧*

[6] *Op. cit.* Ferdinand Delaunay, p.٥-٦;

موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، ج٥، ص٤٩٣

انقرضوا بعد هدم ما يمكن تسميته بديرهم في ٦٨م تقريبا، فيرى البعض أنهم آمنوا بعيسى عليه السلام كواحد من أنبياء بني إسرائيل المصلحين ولكنهم رفضوا دعوة بولس إلى العقيدة المستحدثة وظلوا متمسكين بالشريعة اليهودية، ويقال أيضاً إن الأبيونيين هم الأسينيون في مرحلة تاريخية لاحقة[١].

وأما عن أصالة نظامهم فيظهر أيضا كما سلف مع فرقة الثرابوت أن هناك تأثيرات خارجية مختلفة قد لحقت بهم من الفكر الهيليني وآراء البراهمة والبوذيين وغيرهم[٢].

وللإجابة عن إمكانية تأثيرهم على نشأة الرهبانية نقدم احتمالين:

الأول: إذا صح خبر تنصرهم فقد كانوا إذا من التيارات الزهدية التي انتشرت في نصارى القرن الأول والثاني، وقد يكونون من الأبيونيين، أو كما يرى آخرون أنهم انتشروا في بلاد العراق فكانوا النواة الأولى للرهبانية في بلاد العراق[٣]، وحينئذ فقد أثروا عموما وعمقوا الميل إلى الرهبنة بقليل أو كثير.

الثاني: أن باخوم نفسه أو بواسطة معلميه كانوا على علم بأخبار هذه الفرقة من خلال مصنفات فيلون ويوسف فلافيس و بلينيوس الأكبر الذين تطرقوا إلى ذكر حياتهم ونظامهم، أو من خلال ما يتناقله الناس، فكان إنشاء نظام ديري على غير مثال سابق في تاريخ النصرانية على غرار ما وصله عن هؤلاء والله تعالى أعلم.

---

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق.

[٣] *Aux origines du monachisme chrétien*: A. Guillaumont, p.٢١٦

المطلب الرابع:

حبساء معابد سيرابيس:

وهنا تأثير قد تولى الدفاع عنه وتقريره علماء متخصصون في مقارنة الأديان أو في الثقافة المصرية القديمة، فقد ذهب الباحث في جامعة *Breslau* ببولندا H. Weingarten وغيره إلى ربط نشأة الرهبانية بالحبساء (*katoxoi*) في معابد سيرابيس[١] في مصر التي عاشوا فيها زهدا منظما قريبا مما قام به باخوم في القرن الرابع الميلادي، يقول في مقاله[٢]: "الرهبانية النصرانية ليست ناشئة من البوذية، ولا هي تطبيق شعبي للفلسفة الأفلاطونية الجديدة، ولا هي حركة سلبية أفرزتها الاضطهادات بداية القرن الرابع، ولكنها تقليد للزهد السيرابي حين التقطت النصرانية المنتصرة إرث العبادات التي فقدت صلاحيتها، فيكون باخوم – مشرِّع الحياة الديرية – على هذا الاحتمال قد استمد قسطا لا بأس به من قوانينه من نظام خَدَمَة سيرابيس"[٣].

ومحاولة الربط بينهم وبين نشأة الرهبانية ترجع إلى أمرين[٤]:

أولا: إن باخوم قد حبس نفسه في معبد سيرابيس في مكان يدعى شنوبسكيون*Chenoboskion*[٥] أو *Schénésit*[٦].

ثانيا: الراهب يوحنا الأسيوطي (ت٣٩٤م) الذي انعزل وحيدا وحبس نفسه في مغارة يصعب الوصول إليها في بطن جبل قريب من أسيوط وكان إذا جاءه الزوار أخرج رأسه من كوّة ليتحدث معهم كما يفعل حبساء معبد سيرابيس.

وقد رد على ذلك الأنبا يوأنس وغيره بأن باخوم إذا كان قد قضى بعض الوقت في هذه الأماكن

---

[١] معبود مصري عند قدماء المصريين، ادعى كهنته النبوة وعلم الغيب وشفاء المرضى وإحياء الموتى. بنى الحاكم بطليموس (ت٢٨٥ ق م) له هيكل عظيم في الاسكندرية، وقد كان في القرن الثاني بعد المسيح ﷺ ٤٣ هيكلا له في مصر. دائرة المعارف: البستاني، ج٩، ص٥٤٦

[٢] نشر باللغة الألمانية عند افتتاح مجلة تاريخ الكنيسة: "*Zeitschrift für Kirchengeschichte*" عام ١٨٧٦م بعنوان:" أصول الرهبانية في عهد قسطنطين".

" *Der Ursprung des Mönchtums im nachconstantinischen Zeitalter* ": H. Weingarten, ZKG I (١٨٧٦) ١-٣٥; ٥٤٥-٥٧٤ par l'intermédiaire de: *Le Monachisme Egyptien: révélateur de l'âme copte*: Nagi Athanasios HENEIN, *Thèse de Doctorat*, (Université de Limoges: Faculté des Lettres et des sciences humaines ٢٠٠٦), p.١٦٢-١٦٣

[٣] *Loc cit.*

[٤] *Ibid*, p.١٦٠

[٥] موقعها الحالي: قصر الصياد مركز دشنا محافظة قنا. انظر مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، ص٩

[٦] في الصعيد الأعلى، المرجع السابق.

– على فرض صحة الخبر – إذ لم تذكر هذه الزيارة في السيرة اليونانية وإنما ذكرت في القبطية والعربية، كان ذلك ابتعادا عن الناس ورغبة في العزلة إضافة أن المعبد كان مهجورا[١]. وأضاف أُرْسمِير أن عزلة حبساء معابد سيرابيس كانت مؤقتة من أجل استشفاء أو حاجة تطلب من الإله[٢].

وقد رد علماء النصارى بأن لا علاقة بين هؤلاء وهؤلاء من جهة الدافع والهدف كما أشار أَرْمَنْد فِيُو[٣].

لكن الحديث هنا ليس في الهدف والدافع وإنما في الشكل والصورة؛ ولذا فقد ذكروا من أخبار هؤلاء الحبساء – من خلال برديات اكتشفت باللغة اليونانية وترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد – أنهم رجالا ونساء في معابد سيرابيس انقطعوا وانعزلوا للتأمل رغبة منهم وتدينا، ومما جاء عنهم[٤]: – يحبس أحدهم نفسه فلا يخرج من المعبد ولا يكلم الزائرين إلا من خلال كوّة ضيقة.

-يتركون أهليهم لكنهم لا يتركون أموالهم وأملاكهم.

-يعيشون من أوقاف المعبد.

-يشاركون في أعمال المعبد من إقامة الطقوس وغيره.

وإن كنا لا نستطيع إثبات التأثير بهذه المعلومات التي حولها أخذ ورد طويل فإنه لا يمكن أن ندفع أن هناك صورة من صور العزلة والرهبنة في الوثنية المصرية وهي نماذج وجدت في بيئة نشأة الرهبانية بل وقد كان رواد الرهبانية على اتصال بها أو على الأقل على معرفة بها؛ ولذا فإن هنا نقطة هامة أطال فيها *Lacarrière* حيث بيّن أن حب الحياة في الظلمات، في الصمت، تحت الأنفاق شيء مغروس في ثقافة العقل المصري عموما، يقول: "ما الحاجة في احتمال علاقة بُنُوّة بين الشَّكلين من الزهد؟ مصر لم تزل مجذوبة إلى الأنفاق، القبور تحت الأرض، الحياة المظلمة، الساكنة، الصامتة، هل يعد ذلك –على مستوى الحضارة– ضرورة ملحة لتذكر الموت؟ هذه العادات – وثنية أو نصرانية– لا تنفك من العقل المصري الذي استحوذ الخلود وهَمّ إبقاء النفس الإنسانية جسدا وروحا..."[٥]. وتقول المؤرخة النصرانية بتشر: "من المسائل المقررة في الأذهان أن مبدأ الرهبنة كان موجودا في مصر من قديم الزمان"[٦].

ويقول سير هارولد إدريس بل: "ربما كان في المصريين نزوع دائم إلى الزهد والتقشف مما جعلهم يميلون

---

[١] مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص٨-١٠؛ وانظر أيضا:

L'ordre monastique: des origines aux XII ème siècle: D. Ursmer Berlière, p.٤-٥

[٢] *Loc cit.*

[٣] *Les origines du monachisme chrétien*.

[٤] *Moines et sibylles dans l'antiquité judéo-grecque*, p.١٧-١٩

[٥] *Les hommes ivres de Dieu* : Jacques Lacarrière, p.٦٠

[٦] تاريخ الأمة القبطية، ترجمة اسكندر تاضروس، (مطبعة مصر ١٩٠٠م)، ج١، ص٢٧٤ بواسطة: الرهبانية وموقف الإسلام منها، ص٣٣

إلى التنسك والانصراف عن الحياة الدنيا"[١].

وذكر *Laccarière* مثالا نقله الروائي والفيلسوف السوري لوقيان السميساطي (ت١٨٠م) عن حكيم مصري وثني أنه حبس نفسه في نفق حيث علّمته إيزيس[٢] أسرار السحر والكهانة. وبعد مراجعة كتاب لوقيان وجدت أن هذا الحيكم المصري المدعو *Pancratès* الذي كان يعيش في ممفيس وقد وصفه بهذه الكلمات: "رجل الإله، محلوق الرأس، يلبس الكتان، دائم التأمل..."[٣].

وهذا وصف لو أضفناه إلى راهب نصراني لكان مطابقا، ولذا فظاهرة الرهبانية ليست غريبة في المجتمع المصري الوثني. ويذكر *Lacarrière* الهدف من ذلك فيقول:

"والإقامة المطولة في الأنفاق (أو السراديب)، الانغلاق على النفس، الصمت، التأمل في الظلمات كانت إذاً نوعٌ من التعلم أو الاختبار للكشف عن بعض الأسرار"[٤].

وأخيرا فإن نشأة الرهبانية النصرانية في مصر صاحبت دخول الأقباط في النصرانية أفواجا بعدما أصبحت الدعوة إلى النصرانية باللغة القبطية، وكان ذلك في منتصف القرن الثاني، ولما كان الناس حديثي عهد بالوثنية لم تزل مظاهر وثنية ممزوجة بعباداتهم، وعلى ذلك شواهد قبل ذلك بقرن فقد نُقِل وصف الإمبراطور الروماني هادريان[٥] في حدود ١٣٠م عند زيارة له في الإسكندرية يقول:

" أساقفة يدّعون النصرانية وهم يتعبدون لسيرابيس. ما من قس سامري، يهودي أو نصراني، سواء كان رياضيا، عرافا أو أستاذا، البطريرك نفسه إذا حضر مصر فإنه يعبد المسيح وسيرابيس ليرضي الجميع..."[٦]. فالقول بالتأثير ليس ببعيد والله تعالى أعلم[٧].

---

[١] الهلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة د. زكي على، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩ بواسطة المرجع السابق.

[٢] *Isis*: معبودة لدى قدماء المصريين واليونان وغيرهم. يعدونها حامية الأمهات والأطفال وحارسة الأسرة. معجم أهلام لمورد، ص٨١

[٣] *Œuvres de Lucien*: Le menteur d'inclination ou l'incrédule: Lucian, Jacques Nicolas Belin de Ballu, (Paris: Jean-François Bastien ١٧٨٩), t.٤, p.٢١٢

[٤] *Les hommes ivres de Dieu*, p.٦١

[٥] *Hadrien* أو *Adrien* (٧٦-١٣٨م): حاكم روماني بين ١١٧ إلى وفاته ١٣٨م. وحد الإمراطورية في عصره ووطد أركانها. كان مثقفا، فيلسوفا متسامحا، شاعرا موهوبا. قمع التمرد الذي قام به اليهود في ١٣٤م. معجم أهلام لمورد، ص٤٦٣

[٦] *Ibid*, p.٤٢; Les Coptes : Richard Lebeau, (http://www.paxchristi.cef.fr/docs/CoptesCMed.pdf)

[٧] انظر ما ذكره مصنف مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي:، ص١٦٤-١٦٦

المطلب الخامس:

المانوية:[١]

المانوية ديانة حاولت التوفيق بين الزردشتية والنصرانية والبوذية والغنوصية. زعيمها ماني بن فاتك الحكيم (ت٢٧٣م). نشأت الديانة في بلاد الفرس وتحت رعاية الملك سابور بن أردشير أو سابور الأوّل (ت٢٧٢م) انتشرت في أنحاء العالم: في الصين، أفريقيا وأوروبا، وقد وصلت إلى مصر مع بداية نشأة الرهبانية.

بنيت عقيدة المانوية على الثنوية القديمة، أي أن العالم مركب من أصلين: النور والظلمة، الخير والشر، ويمثل عالم النور عالم الإله والروح الأزلية، وأما عالم الظلمة فيمثل عالم المادة والجسم والزمان. يذكر المانوية أن هناك صراع قديم بين النور والظلمة، بين الخير والشر، بين الجسم والروح، ونسجوا في ذلك أسطورة طويلة الذيل. وباختصار فإن الخلاص من هذا الصراع الذي نهايته الاتحاد بالإله لا يتأتى إلا بالزهد والتقشف ومحاربة الشهوات، ومن لم يصل إلى الخلاص فإنه يتكرر مولده حتى يخلص من المادة والشهوات. قسمت المانوية أتباعها طبقتين[٢]:

- المصطَفَوْن: ويسمون أيضا "الكمّل"، وهم قلة يمثلون رجال الدين يلتزمون الفقر وأنواعا من الحرمان: فلا يتزوجون، لا يشربون خمرا ولا يأكلون لحما، ولا يعملون، يقضون أوقاتهم في التأمل والدعوة والتعليم، وهؤلاء لهم الخلاص المضمون بعد الموت.
- المستمعون: أهم وظيفتهم هو خدمة الطبقة الأولى – وهم الأغلبية – يعيشون كما يعيش الناس لكنهم يرجون بخدمتهم أن يعودوا إلى الدنيا بعد الموت في أرواح الطبقة الأولى لينالوا الخلاص. تتصف هذه لطبقة بتعظيم طبقة المصطفون فإذا حضروا إليهم يركعون يسألون الدعاء، ويستشيرونهم في أمور دينهم.

أما عن علاقتهم بالنصرانية فإن ماني يقول بنبوة المسيح عليه السلام لكنه لم يسلّم بجميع الأناجيل الأربعة ولا يقول بصلب المسيح، كما يتبرأ من العهد القديم جملة وتفصيلا[٣]. وقد ذهب باحثون إلى الربط بين طبقة "المصطفون" أو الكمّل" المانويين بالرهبان النصارى، حتى قالوا إنما هم نوع من أنواع الرهبان[٤].

---

[١] الملل والنحل: الشهرستاني، عناية أحمد فهمي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٢، ٢٦٨-٢٧٤؛ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٧٧م)، ج١، ص١٩٤-١٩٦.

[٢] *Histoire critique de Manichée et du manichéisme* : Isaac de Beausobre, (Amsterdam: Frédéric Bernard, ١٧٣٩), t. ٢, p. ٧٦٢- ٧٦٤

[٣] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص١٩٥

[٤] *Aux origines du monachisme chrétien* : Antoine Guillaumont, p.٢١٦-٢١٧

وذهب سْتْرُومْزا[١] أن المانوية حفّزت الانتقال من فترة التيارات الزهدية ما قبل ظهور الرهبانية النصرانية في مصر إلى ظهور ونشأة الرهبانية، فقد عاشوا في مصر كمجموعة قبل انتشار الرهبانية وأثنائها[٢].

ومما يدل على التجانس بينهما – أي المصطفون من المانوية والرهبان النصارى في مصر – أن بطريرك الإسكندرية تيموثاوس الأول (ت٣٨٥م) بعد عودته من المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م أفتى بإباحة أكل اللحم للرهبان النصارى في أيام الأعياد الدينية ليميز المانوية الذين لا يستجيزون أكله من الرهبان النصارى[٣]. ويقول أنطوان جِيُومُون أن التأثير العكسي حصل في العراق حيث إن المانوية تأثرت بالرهبانية النصرانية بمنهجها في الزهد وحياتها المشتركة[٤].

وبالنسبة لبعض المظاهر التي أثر المانويون فيها على الرهبان والكهنوت النصراني عموما هي ترك اللحم والاقتصار على السمك، يقول *Isaac de Beausobre*:

"عادة رهبان الغرب الذين يقتصرون على أكل السمك والنبات، وهي عادة الكاثوليك عموما في أيام الصيام مأخوذة من مانوية مصر أي من قساوستهم ورهبانهم"[٥].

وعلى كل حال يبقى هذا التأثير احتمال وارد وليس معنا ما يدفعنا للجزم به ولا ما يرده.

الذي نصل إليه بعد هذا العرض:

١ -لا مناص من أن هناك تأثير أجنبي ليس بالقليل على نشأة الرهبانية عند النصارى.
٢ -هناك جهات كثيرة متفرقة تجتمع في حياة زهد منظم ومؤسس اتصلت كلها بمواطن نشأة الرهبانية أو روادها أو منظروها.
٣ -القول بالتأثير لا يعني نفي مصادر نصرانية للرهبانية النصرانية كما يتوجس منه النصارى، فهناك أصول واضحة إلا أن صورة الرهبانية النصرانية وشكلها وكذا بعض أصولها ليس منها.
٤ -تعيين جهة التأثير بالجزم والحسم ليس سديدا إذ تعتبر مسألة عويصة تتطلب بحثا مستقلا يقوم به متخصصون في مجال الأديان والتاريخ.

---

[١] *G.G. Stroumsa*: أستاذ مقارنة الأديان في الجامعة العبرية بمدينة القدس. الموقع الرسمي للجامعة العبرية بمدينة القدس: (http://pluto.huji.ac.il/~stroumsa/cv.htm)

[٢] *Monachisme et Marranisme chez les Manichéens d'Egypte*, Numen Leiden ١٩٨٢, vol. ٢٩, n°٢, p. ١٨٤-٢٠١ ; de *Monachisme et Gnose*: Armand Veilleux, p.٣٧ (http://www.scourmont.be/wri/mon-gno-fra.pdf)

[٣] *Op. cit,* Isaac de Beausobre, p. ٧٦٩

[٤] *Op. cit,* A. Guillaumont, p.٢١٧

[٥] *Op. cit,* Isaac de Beausobre, p.٧٧٠

ونذكر هنا حقيقة ذكرها الله -تعالى- في مسألة التشابه بين طرائق ومناهج أهل الباطل ومسالكهم، يقول الله ﷻ : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٢ - ٥٣)

فالآية الكريمة تبين أن أهل الباطل متفقون في أساليب عنادهم وتكذيبهم واتهام رسل الله بالسحر والجنون. ومع ذلك ليس هناك وصية بعضهم لبعض، ولو لم يلتق بعضهم ببعض، وإنما القاسم المشترك بينهم هو التكذيب والعناد والطغيان. يقول الإمام الطبري: "كما كذبت قريش نبينا محمدا ﷺ، وقالت: هو شاعر أو ساحر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذبة رسلَها، الذين أحلّ الله بهم النقمة كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه. ما أتى هؤلاء الذين ذكرناهم ﴿ مِن قَبۡلِهِم ﴾، يعني من قبل قريش قوم محمدﷺ ﴿ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾، كما قالت قريش لمحمد ﷺ.

وقوله ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: أأوصى هؤلاء المكذبين من قريش محمدا ﷺ على ما جاءهم به من الحق أوائلُهم وآباؤهم الماضون من قبلهم، بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم؟"[1]. فنفى الله التواصي والاتفاق، وبيّن العلة الجامعة التي هي القاسم المشترك بينهم ألا وهي الطغيان، يقول الفخر الرازي:"لم يكن ذلك عن التواطؤ، وإنما كان لمعنى جامع هو أن الكل أترفوا فاستغنوا فنسوا الله وطغوا فكذبوا رسله..."[2]

ويقول أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴾ إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك وإثبات لكونه أمرا أقبح من التواصي وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية مَنْ قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم"[3].

فالاستفهام للتبويبخ والتعجب، وهو إذا من باب تشابه القلوب كما قال تعالى في تشابه مشركي العرب وأهل الكتاب: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (البقرة: ١١٨)[4].

---

[1] تفسير الطبري، ج٢١، ص٥٥٠

[2] التفسير الكبير، ج٢٨، ص٢٣٠

[3] تفسير أبي السعود، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، ج٥، ص٢٠٤-٢٠٥؛ وانظر محاسن التأويل: القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية)، ج١٥، ص٥٥٣٧

[4] تفسير ابن كثير، تحقيق د/محمد إبراهيم البنا، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١، ص٣٧٨

ولعل ذلك يرجع أيضا إلى وحدة المصدر وهو وحي شياطين الجن إلى شياطين الإنس كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٢)

وعلى هذا فإن كان تشابه المعاندين المكذّبين للرسل في مناهجهم من غير اتفاق ولقاء، فكذلك يمكن القول أن تشابه أهل الغلو في العبادة والتنسك من غير اتفاق ممكن، فمنذ أمد بعيد والذين يسلكون هذا السبيل اتفقوا على تحريم الطيّبات، وقهر أجسامهم بأساليب من التقشفات والرياضات، ويمتنعون عن الزواج، ويلبسون ملابس خاصة... إلى غير ذلك من مظاهر تطابقوا عليها من غير اتصال فيما بينهم، وأما القاسم المشترك فأهمه تطهير النفس من ربقة عالم الأجسام المحسوس من أجل الخلاص والاتحاد بالمعبود. وقبل ختام هذا المبحث هنا قضيتان لجأ إليهما من يقلل أو ينفي التأثر الأجنبي:

الأولى: قول غالب الذين نقدوا التأثر الفلسفي يلجؤون إلى الاستشهاد بواقع الرهبان النصارى؛ ذلك أنهم أهل بادية يغلب عليهم الأمية والسطحية فيستبعد هذا الضرب من الناس أن يشتغل بالفلسفة، وهذا في ظنهم كافٍ لنفي أي تأثر فلسفي إذ ليس له سبيل إلى أمثال هذه العقول[١]، وهذا يسلّم في الجملة بسبب وجود نصوص تدل على رفض المناهج الفلسفية والعلم عموما في أوساط بعض الرهبان الأوائل[٢].

لكن يبقى إشكال وارد نذكره في أوجه:

١ -هناك من يرى أن أنطونيوس الكبير وهو المنظّر الأول للحياة الرهبانية ليس بعيدا عن الفلسفة وأهلها، بل هو غنوصي متأثر بالمناهج الفلسفية كما دلت بعض الرسائل المنسوبة إليه[٣].

٢ -وفيه مقدمتان:

الأولى: يقر الجميع أنصار الرهبانية وغيرهم أن أثناسيوس بطريرك الإسكندرية له علاقة وطيدة بالرهبان، ظهر ذلك من خلال زياراته لهم، وحمايتهم له أثناء نفيه مرات، ووقوفهم بجانبه في مناصرته لعقيدة مجمع نيقيا، وأخيرا كتابته سيرة أنطونيوس الذي ذاع وانتشر وكان سببا في الدعوة إلى الحياة الرهبانية النصرانية في الغرب، بل هو مرجع أساس لدى الرهبان عبر التاريخ.

---

[١] انظر: مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، ص٧-٨

[٢] انظر: الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار: متى المسكين، ص١٨٨

[٣] *The Letters of St Antony. Origenist Theology, Monastic Tradition and the Making of a Saint*: Samuel Rubenson, Bibliotheca Historico-Ecclesiastica Lundensis ٢٤, (Lund, Lund University Press, ١٩٩٠), p.١٢-١٣ de *Compte rendus bibliographiques*: G.J.M. BARTELINK, *Revue des Études Augustiniennes n°٣٧*, (Paris: Institut des Etudes Augustiniennes, ١٩٩١), p.١٧١-١٧٢

الثانية: لا ريب أن أثناسيوس بطريرك الإسكندرية -وهو عَلَمٌ من أعلام النصرانية بل أب من آباء الكنيسة الذين لقولهم اعتبار عند النصارى؛ وهو مَنْ هو في الدفاع عن عقيدة التثليث أمام الآريوسيين- قد نفي مرات وكاد أن يغتال بسبب ذلك. فهل يتصور أن مثل هذه الشخصية ليس لها علاقة بالفلسفة؟ لا شك أن الإجابة لا يمكن إلا أن تكون بالنفي، وعقيدة التثليث أصلا لا يمكن تقريرها إلا من خلال الفلسفة و لم يحدثها إلا متأثر بالفلسفة.

وبناء على هاتين المقدمتين تأتي النتيجة: وهي أن القول بأن الرهبان أهل بساطة وليس لهم صلة بالتعقيدات الفلسفية ولا يشتغلون بالردود على الهراطقة ليس صحيحا بإطلاق، فما دام أنهم اتصلوا بأمثال أثناسيوس وغيره الذين لهم من وجه ثقافة فلسفية، ومن وجه آخر تأثير على الرهبان فإنه ليس بغريب أن يكونوا متأثرين بالفلسفة بقليل أو كثير ما دام أنهم يرجعون إلى أمثال أثناسيوس وغيره في أمور دينهم، ومن ثم فإن دفع تأثرهم بتأثيرات أجنبية بحجة بساطتهم وأميتهم ليس مسلما به والله أعلم.

الثانية: إن الإقرار بأوجه الشبه بين الرهبانية النصرانية وغيرها ليس ذا بال كبير، فكل قارئ وناظر يلاحظه من غير تخصص، ولكن هناك جملة من النصارى قديما وحديثا احتجوا بأن الإنسان لما كان مفطورا على الرهبانية وجدت هذه المظاهر في جميع الأديان عبر التاريخ.

يقول Charles de Forbes في مصنفه "رهبان الغرب من القديس بندكت إلى القديس برنارد": " هذا النوع من الحياة قديم بقدم العالم، ومن ثم فإن له أصلَيْن: أصل طبيعي فطري، وآخر غير طبيعي. نعم، إن حياة العزلة والامتناع مهما ظهرت مضادة في الظاهر لجميع ميول الإنسان فإنها متجذرة في فطرة الإنسان. كل الناس، في فترة من فترات حياتهم، شعروا بهذا السر بقوة وهو الميل إلى العزلة، جميع الشعوب اعترفوا به وعظموه"[1].

وكتب ريموندو بانيكار[2] مع غيره كتابا سماه: "مدح البساطة: الراهب كنموذج كلي"- "*Blessed Simplicity: The Monk as Universal Archetype*"[3].

---

[1] *Les moines d'occident: depuis Saint-Benoît à Saint-Bernard* : Charles Forbes, (Paris : J Lecoffre et Cie Librairies ١٨٦٠), t.١, p.٤١

[2] *Raimundo Panikar*: ولد عام ١٩١٨م في إسبانيا من أب هندي وأم إسبانية. حصل على ثلاث دكتوراه في الفلسفة، في العلوم واللاهوت النصراني بين ١٩٤٦ و١٩٦١م، ورسم قسيسا في ١٩٤٦م. عاش في إسبانيا، الهند، إيطاليا وأمريكا حيث درس في كل منها في جامعات كثيرة. يعتبر مفكرا معاصرا ساهم كثيرا في ثقافة ما يدعى حوار الثقافات والأديان. كتب ما يربو من خمسين مؤلفا ترجمت بلغات كثيرة. ولا يزال على قيد الحياة في إحدى القرى الإسبانية قريب من برشلونا. من موقعه الرسمي المترجم بخمس لغات: (http://www.raimon-panikkar.org/index.html)

[3] طبع لأول مرة في نيو يورك في ١٩٨٢م (Seabury) وشاركه فيه A. Veilleux وغيره، ترجم بالفرنسية، الألمانية، الإسبانية والإيطالية. (http://www.raimon-panikkar.org/francese/XXVIII-Blessed-Simplicity.html)

وقد ذهب في كتابه إلى أن كل إنسان راهب بالقوة، أو أنه مفطور على الرهبنة. فإذا ما نظّم الإنسان حياته حول هذا الأصل والمفهوم صار راهبا بالفعل.

و بيّن فِيُو في مقاله عن أصول الرهبانية[١] وجود صور وأشكال مختلفة من الرهبنة في جميع الأديان عبر التاريخ، وأن الاختلاف بينهم يقتصر على الدوافع والغايات لهذه الرهبنة أو تلك، ومن ثم يصل إلى القول بأنه لا ينبغي البحث مثلا في امتداد رهبانية النصارى من جماعة الثرابوت أو الأسينيين أو تأثيرهما في نشأتها. وإنما ينبغي التركيز على دراسة الوضع الذي نشأت فيه الرهبانية النصرانية بجميع أبعاده، وحينئذ سنجد أن الرهبانية النصرانية فرد من أفراد اتجاه زهدي كبير وأن التأثير مشترك في جميع الاتجاهات وليس من جهة واحدة، وقد يتأثر غير النصارى بقليل أو كثير برهبان النصارى ومنهجهم في الزهد كما قد يحصل العكس حتى تصل إلى الهرطقة فتأتي الكنيسة الرسمية عن طريق المجامع العامة والخاصة لتُؤَطِّر الرهبانية الأرثوذكسية. ومن ذلك الوقت يرى فِيُو أنه يبدأ الحديث عن الرهبانية بالفعل ولا ينفي تأثير لغة الرهبانية النصرانية بمناهج أجنبية[٢].

وأقرّ – أيضا– فِينْسَنْت دِيبْرِي التأثير الأجنبي في الجانب التنظيري، ويرجع هذا التأثير إلى ما انتشر في الدولة الرومانية من كتابات فلسفية زهدية فيقول: "يبقى صحيحا أن العقائد الزهدية اليونانية المنتشرة في الدولة الرومانية عند ظهور النصرانية والرهبانية قد أثرت في صياغة النظريات الزهدية كما أثرت في بعض الأعمال، ولكن لا بد من التفريق في الموروث الوثني العتيق بين الواقع والعقائد، ذلك أن الجو العام في المجتمعات الوثنية يستبعد الزهد بدلا من تشجعيه وتأييده"[٣].

ولا شك أن القول بفطرية الرهبانية بعيد جدا، ويكفي في رده أن الرهبان يمثلون فئة قليلة بالنسبة لسائر البشر، وهم فئة قليلة بالنسبة لأتباع الدين الذي ينتسبون إليه، لكن الصحيح إنما هو فطرية العبودية والميل إلى البحث عن المعبود. وذلك يشهد له نصوص القرآن والسنة كما يشهد له الحس والواقع. أما نصوص القرآن والسنة فمن ذلك:

١ – قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

وعلى أحد التفسيرين للآية فإن المراد ب"الأخذ والإشهاد" هو خلقهم على الفطرة أي الإقرار بالخالق والعبودية له[٤].

---

[١] *Les Origines du monachisme:* (http://www.scourmont.be/Armand/arm-fra-١.htm)

[٢] *Loc cit.*

[٣] *Le monachisme primitif*, p.٧٥

[٤] انظر للمزيد الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد: سعود العريفي، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤١٩)، ص١٩٨-١٩٩

٢ - وقوله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: ٣٠)

٣ - يقول النبي ﷺ: "كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجسّانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء"[١]

فخلق الله غريزة بني آدم كلهم على التدين و التعبد لله تعالى مما يجعل القابلية على قبول العبودية والميل إليها، ولذا نجد من لا يعبد الله تعالى فإنه لا محالة يعبد شيئا بسبب فساد الفطرة التي قد تكون بسبب التربية كما في حديث أبي هريرة التي تكون من الوالدين أو المجتمع، وكذا من شياطين الإنس والجن، والغفلة...[٢]

وأما الحِسّ فلم يوجد في تاريخ البشرية أمة إلا وهم يدينون بشيء. فإن لم يكونوا على التوحيد ودين المرسلين كانوا يعبدون الشمس أو القمر أو الأشجار أو العظماء... يقول معجم لاروس:

"إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... والاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية"، إلى أن قال: "إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد"[٣]

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الجنائز (٢٣)، باب ما قيل في أولاد المشركين (٩٢)، رقم: ١٣٨٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب القدر (٤٦)، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٦)، رقم: ٢٦٥٨

[٢] انظر دراسات في الأديان، ص٢٢-٢٦

[٣] نقلا من الدين: محمد عبد الله دراز، (دار القلم)، ص٨٢-٨٣

المبحث الخامس: موقف الكنائس المختلفة من الرهبانية

سينحصر الحديث عن موقف الكنائس النصرانية الرئيسة وهي الأرثوذكس، الكاثوليك والبروتستانت. ولما كان موقف كل من الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية متقارب جعلته مستقلا، وأفردت موقف البروتستانت لاختلافه عن سابقيه.

المطلب الأول:
موقف الأرثوذكس والكاثوليك من الرهبانية :

أولا: التعريف بالكنيستين:

١- الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية:

تستخدم كلمة أرثوذكسي على وجه العموم على كل عقيدة ورأي موافق لدين ما، وهو ضد الهرطقة، وهي كلمة يونانية الأصل مركبة من كلمتين:" *أورثو*" وتعني المستقيم السوي، و"*ذوكسو*" وتعني الرأي[١].

وعند النصارى أطلقت في العهد الأول على النصارى الذين يلتزمون بقرارات المجامع العامة السبعة الأولى، فهي تقابل الفِرَق الهرطقية التي لا تعترف بهذه المجامع ولا برجال الكنيسة عموما، ثم أطلقت على الكنائس الشرقية المنفصلة عن الكنيسة الغربية أو الكاثوليكية اللاتينية، و يؤقت هذا الانفصال رسميا في ١٠٥٤م، حصل هذا الشقاق لأسباب سياسية ودينية، فالكنيسة الشرقية تختلف عن الغربية في تفاصيل عقدية تتعلق بحقيقة المسيح وروح القدس وجزئيات شرعية أخرى، لكن من أهم الفروق أنها لا تعترف بسيادة البابا الروماني وترى استقلال كل كنيسة [٢].

تشمل الأرثوذكسية النصرانية كنسيتين رئيستين هما[٣]:

١ -الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو القبطية، وتتبعها كنائس الحبشة والأرمن واليعقوبية.

٢ -الكنيسة الأرثوذكسية القسطنطينية، وتتبعها كنيسة بيت المقدس واليونان وروسيا وكنائس دول شرق أوروبا.

وبين هؤلاء وهؤلاء فروق في تفاصيل العقيدة وبعض الشعائر وغيرهما.

---

١ *Nouveau petit Larousse*, (Paris: Librairie Larousse, ١٩٧٠), p.٧٢٢

٢ *Loc cit*.

وانظر: المسيحية: أحمد شلبي، ص٢٥٠-٢٥١؛ مصادر النصرانية: دراسة نقدية: عبد الرزاق ألارو، ج١، ص١٣٠

٣ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص٥٩٣

٢- الكاثوليك أو الكنيسة الغربية أو اللاتينية:

كاثوليك كلمة يونانية "*كاثولكوس*" وتعني الكلّيّة العامة أوالعالمية، وهي تطلق عند النصارى على أهم وأكبر طائفة نصرانية والتي تحت السلطة العليا للبابا الذي يزعم أنه وارث الرسول بطرس وأنه المؤسس الأول لهذه الكنيسة[١].

ثانيا: موقفهما من الرهبانية:

أما عن موقفهما تجاه الرهبانية فيفيدنا معجم الروحانيات النصرانية أن الرهبانية الأرثوذكسية بالمفهوم العام لا تلوم الكنيسة التي تمنحهم على حد قولهم "الأسرار"، وكما أنهم في أصل هدفهم تجنب الدنيا والزهد فيها فمن ذلك تجنب الكنيسة ومناصبها[٢]. لكن كما سيتبين بالأمثلة فإن التاريخ مليء بالعمل المشترك مع الرهبان سواء مع الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية وإن كان مع الثانية أظهر، ويلاحظ الباحث كيف تمت هذه العملية المتناقضة والمتصارعة التي حوّلت الرهبان إلى أساقفة، فلو كانت بداية الرهبانية النصرانية قد شكّلت جبهة فرار من الاضطهاد أو رغبة في العزلة المطلقة، أو أن الرهبان اعتزلوا الكنيسة كنوع من عدم الرضا عنها وعن رجالها، فلقد تغير هذا الوضع كليا على وجه العموم، واستطاعت الكنيسة أن تحتوي الرهبان أو هم احتووها، وأصبحت الأديرة شرقا وغربا مؤسسة تابعة للكنيسة وعلى اتصال وثيق بها في الغالب.

لكن مع هذا العموم فإن لكل منطقة خصوصيتها ولكل فترة حالها، وعلى سبيل المثال يذكر لنا فيليب إسكولان[٣] في دراسة تاريخية متخصصة قيّمة في العلاقة بين الرهبانية والكنيسة السورية من القرن الرابع إلى السابع الميلادي؛ حيث وصف تطور العلاقة بين المؤسستين وأنها كانت صعبة، فالرهبان عموما لم يكونوا مقتنعين بحاجة الكنيسة والقسيسين والأساقفة في إصلاح الناس ونجاتهم، والناس متعلقون بالرهبان لا برجال الكنيسة، وقد ظل الوضع في تنافس شديد ومحاولة مستمرة من الكنيسة لوضع الحركة الرهبانية تحت سلطتها ورقابتها.[٤] ولنقف الآن على صور من هذه العلاقة:

---

[١] *Nouveau petit Larousse*, p.١٧٧ ;

وانظر: المسيحية: أحمد شلبي، ص٤٩-٥٠؛ مصادر النصرانية: دراسة نقدية: عبد الرزاق ألارو، ج١، ص١١٧؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص٦١٠

[٢] *Dictionnaire de spiritualité*, t.X, p.١٥٤٠

[٣] *Philippe Escolan*: أستاذ في التاريخ بجامعة *Marne- La-Vallée* بمدينة باريس فرنسا.

[٤] *Monachisme et Eglise: le monachisme syrien du VIe siècle au VIIe siècle. Un ministère charismatique*, (Paris: Editions Beauchesme ١٩٩٩), p.٣٨٩-٣٩٤

١- مساندة السلطة الكنسية والبابوية

يقول هـ. آيدرس بل عن الرهبان: "إنهم كانوا جند الفداء المجاهدين في سبيل الكنيسة"[١].

وذكرنا سابقا كيف احتوى أثناسيوس الرهبان الأوائل بزيارته لهم لما اعتلى عرش أسقفية الإسكندرية، ثم تبع ذلك أن حماه الرهبان من السلطة بعد نفيه واستطاعوا مرات أن ينقذوه من أيدي الجنود. ولما كتب أثناسيوس سيرة الراهب أنطونيوس، ولها أهمية كبرى في تاريخ الرهبانية النصرانية، أبرز صورة الرهبان الموالين للكنيسة الأرثوذكسية في مقابل الهرطقة، وهذه الصورة ظلت في التاريخ إلى يومنا هذا خصوصا في الغرب كما سيأتي. وبعد ذلك بعقود وجدت الكنيسة القبطية جيشا هائلا على أهبة الاستعداد للدفاع عنها وعن مبادئها. بل وكان سببا في زيادة سلطان الكنيسة على الحياة العامة؛ ففي عهد الإمبراطور ثيوذوسيوس الأول (٣٤٧-٣٩٥م) الذي جعل النصرانية الدين الرسمي الوحيد للإمبراطورية الرومانية وجعل الوثنية محظورة طلب منه بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس السماح له بالاستيلاء على معبد "باكوس" لإنشاء كنيسة محله، فسمح له بذلك، ولم يجد أمامه خير من جيش الرهبان الذين غالبيتهم من وادي النطرون فهدموا المعبد وكسروا التماثيل. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل صارت ظاهرة هدم المعابد الوثنية، وإحراقها وقتل كهنوتها صورة من صور الاضطهاد الذي مارسه الرهبان[٢]. كما كان لهم دور في الهجوم وطرد اليهود من مدينة الإسكندرية مؤتمرين في ذلك بأمر البطريرك كيرلس الأول[٣]، و في ٤١٥م ينسب إليهم قتل الفيلسوفة هوباتيا شر قتلة حيث جردت من ثيابها وسحبت على الأرض[٤].

وفي الغرب لم تزل الحدود واضحة بين الرهبان ورجال الكنيسة منذ النشأة إلى أواخر القرن السادس الميلادي حصل تغيير جذري، ونقطة البداية كانت مع تولي أول راهب للبابوية في روما وهو غريغوريوس الكبير في ٥٩٠م، تقلّد هذا المنصب في ظرف حرج من جميع النواحي: السياسية-اجتماعية-الدينية - لذا كان يصبو إلى إصلاح شامل خصوصا في صفوف رجال الدين، فلم يجد أمامه لهذه المهمة الصعبة خير من الرهبان الذين قد يكونون أحسن حالا من رجال الأكلريوس وقتئذ الذين

---

[١] مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هـ. آيدرس بل، ترجمه عبد اللطيف أحمد علي، ص١٦٦

[٢] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر: رؤوف حبيب، ص٨٥؛

Les hommes ivres de Dieu : Jacques Lacarrière, p.١١٦

[٣] *Cyrillus* (٣٧٦-٤٤٤م): البابا السكندري والبطريرك الرابع والعشرون والملقب "عمود الدين ومصباح الكنيسة الأرثوذكسية". وذلك لارتباط اسمه بالصراع العقدي في طبيعة المسيح الذي قاد إلى عقد المجمع المسكوني الثاني في أفسس عام٤٣١م، وإدانة نسطور بطريرك القسطنطينية. قاموس آباء الكنيسة:

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=١٤٩٢)

[٤] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، ص١٣٣؛ مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ص١٦٩

دبّ فيهم الفساد وقل تأثيرهم في الناس، ومن أهم ما قام به[١]:

أولا: لإصلاح الكنيسة عين الأساقفة والقساوسة والنواب والمستشارين من الرهبان، وقد ساعده في ذلك أن أصبح هناك عدد لا بأس به من الرهبان الذين خرجوا من الأسر الشريفة وأبناء الحكام والأمراء والمثقفين، وهذا وضع يختلف عن الوقت السابق الذي كان الرهبان في الغالب من طبقة الأميين والفلاحين.

ثانيا: هيأ أربعين راهبا وعلى رأسهم أوغسطين (ت٦٠٤م) لينطلقوا إلى إنجلترا لتجديد النصرانية، وذلك في ٥٩٦م. لم تمر سنة حتى دخلت منطقة كَنْت[٢] ومَلِكها في النصرانية وأصبحت مدينة كانتربيري مركز الأسقفية لكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا، حتى إن إدوارد جيبون يقول متعجبا:" وكان غزوه الديني لبريطانيا أعظم تشريفا لاسمه من المجد الذي ناله اسم قيصر بفتح تلك البلاد. فبدلا من الفِرق الست التي بعثها قيصر، أرسل هو إلى تلك الجزيرة أربعين رجلا"[٣].

وكان الراهب أوغسطين أول أسقف في تلك المناطق التي منها انطلق التنصير إلى ما جاورها. وظلت مدينة كانتربيري منذئذ مركزا للرهبانية في إنجلترا وما حولها إلى القرن السادس عشر الميلادي حيث تحولت إنجلترا إلى البروتستانتية، وقد ذكروا أن تسعة من الكاتدرائيات في تلك المناطق كان يؤمها رهبان بندكتيون[٤].

وهذا مثال واضح عن العلاقة أو التداخل بين الكنيسة والرهبانية، ولو ذهبنا نعدد عدد المنصِّرين الكبار في العصور الوسطى الذين كانوا من الرهبان لطال المقام ولتعذر التعداد.

وكما أن الرهبان كانوا خداما مخلصين للبابا فقد أوتوا ما سمي ب"الإعفاء"، إذ كانت الأديرة قبل القرن الخامس تابعة لأساقفة المناطق وكان لهم الحق في التدخل في شؤونهم. وبعد خلافات أعفاهم البابا غريغوريوس الكبير من هذه التبعية وجعلهم تابعين للبابوية مباشرة من غير واسطة الأساقفة. وأصبح هذا القرار حكما عاما معمولا به في جميع المناطق الغربية في القرن التاسع الميلادي على يد البابا غريغوري التاسع[٥] حيث أعطى للرهبان الضوء الأخضر حتى فيما يتعلق بالتعليم والإرشاد، وهذا يعني أنهم ليسوا

---

[١] *L’ordre monastique: des origines aux XII ème siècle*: D. Ursmer Berlière, p.٤٠-٥٧

[٢] مقاطعة تقع في جنوب شرق إنجلترا، على القناة الإنجليزية، عاصمتها ميدستون. أُنشئ فيها العديد من الكاتدرائيات الشهيرة في القرون الوسطى منها كاتدرائية مدينة كانتربري التي كانت مركز الأسقفية الكاثوليكية فكانت مقصد عدد كبير من الحجاج النصارى. الموسوعة العربية الميسرة، ص١٤٨١

[٣] اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة: محمد سليم سالم، ج٢، ص٣١٩

[٤] *Op.cit*: D. Ulsmer, p. ٩

[٥] *Gregory IX* (١١٧٠-١٢٤١م): بابا روما بين ١٢٢٧-١٢٤١م، يعد من أقوى الباباوات في القرن الثالث عشر، طرد من رحمة الكنيسة الإمبراطور فريديريك الثاني مرتين لخلاف مع الكنيسة، وهو منشيء محاكم التفتيش في ١٢٣١م. موسوعة المورد، ج٥، ص٣٣

بحاجة إلى إذن أسقف المنطقة لممارسة الإرشاد والتعليم في كنائس المنطقة[١].

وهناك عدد من الرهبان تولوا كرسي البابوية منهم :

- غريغوريوس الكبير (ت٦٠٤م).
- بندكت الثاني عشر: رئيس دير Fontfroide في ١٣١١م، أصبح بابا في ١٣١٧م.
- غريغوري التاسع (ت١٠٨٥م).
- أوربان الثاني (ت١٠٩٩م) وغيرهم.

٢- الكنيسة تصحح مسار الرهبانية:

هناك العديد من المجامع المحلية أصدرت قرارات تتعلق بالرهبانية والرهبان والأديرة، فمن ذلك مثلا:

-مجامع جرانجر في ٣٤٠م، ٣٩٠م و٤٣١م، والتي جاءت في ظرف ظهور طائفة من الرهبان غلوا في زهدهم[٢].

-تدخلت مجامع لما أصبحت ضريبة العشر تعطى للزهاد والرهبان بدلا من رجال الكنيسة.

ويلاحظ أن الراهب باسيل في آسيا الصغرى وأثناسيوس من قبل ورد في كتاباتهما لضبط وضع الرهبان ليكونوا في وفاق مع الكنيسة[٣].

٣- مكانة وادي النطرون في الكنيسة القبطية:

يعتبر وادي النطرون مركزا هاما للرهبانية المصرية القبطية، وللمكان منزلة وقدسية عند الأقباط قبل أن يحتله الرهبان؛ ذلك أنهم يذكرون مرور مريم أم المسيح عليهما السلام في تلك المنطقة، ولذا فإن أي بطريرك بعد رسامته لا بد أن يحضر إلى وادي النطرون في برية شيهيت وفي دير مقار الكبير ليقيم هناك أول قداس له. كما أن المكان كان ملاذا للبطريرك وغيره في أوقات النزاعات العقدية التي بلغ فيها العنف والإرهاب مبلغا[٤].

---

[١] *Le monachisme : ses origines païennes, ses erreurs fondamentales, son influence néfaste sur la religion, la morale et la société*, p. ٢١٩

[١] *Catholicisme. Hier, aujourd'hui, demain*: MATHON (G.), BAUDRY (G.-H.), (Paris, Letouzey et Ané, ١٩٩٨-١٩٩٩), t.٩, p.٥٢٧

[٢] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، ص١٣٢؛

Dictionnaire de spiritualité, t.X, p.١٥٤٠

[٣] *Ibid*

[٤] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر: رؤوف حبيب، ص٧٩

٤- الدفاع عن عقيدة الكنيسة والتنظير لها:

وجدنا في القرن الأول للرهبانية - وهو القرن الرابع الميلادي- أن الرهبان كانوا أنصارا لعقيدة التثليث، أعطوا أغلى ما عندهم معتقدين أن ذلك جهادا يقدمونه للدفاع عن الكنيسة، وبعد مرور الزمن وجدت الكنيسة للتنظير لعقيدها والدفاع عنها أيضا الرهبان. ففي القرن الخامس الميلادي كان الراهب أوغسطين أول من نظَّر لعنف الكنيسة ضد ما يسموهم الهراطقة؛ فقد نقل عنه قوله:

"للكنيسة الحق في إلزام الهراطقة في الدخول تحت لوائها لأن الرب بنفسه قالها: "ألزموهم بالدخول". وللكنيسة الحق في طلب تدخل الإمبراطور من أجل ذلك لأن الإمبراطور قد تسلم من الإله السيف لعقوبة الإجرام، وأعظم الإجرام بالتأكيد هو قتل الأرواح بالهرطقة"[١]. وقد تتابعت المجامع تأصيلا وتقعيدا لهذا الأصل، فصارت الكنيسة سيفا مسلطا على كل مخالف لأدنى شبهة.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي استفحلت هرطقة الكاثار فسلّم البابا إنوسنت الثالث (ت١٢١٦م) مهمة جدالهم وإرجاعهم إلى الصواب الرهبان السِّيسْتِرْسِيان[٢]؛ ولما لم ينجحوا بالجدال استخدموا القوة حتى ذاعت المقولة المشهورة على لسان رئيس دير فُنْتِفْرُو[٣] :"اقتلوهم جميعا وسيعلم الإله من هو منه"[٤]. وقد اندلعت حرب صليبية ضد هذه الفرقة ظلت عشرين سنة، ومع ذلك لم تقض عليهم. وجاء ليشد من عضد جماعة البندكتيين الدومنيكان وهو سبب نشأهم، فإن دومنيك (ت١٢٢١م) حاول أن يسلك الزهد وحسن التربية للقضاء على الهراطقة الذين أثّروا في العوام لزهدهم القاسي واستقامة سلوكهم، لكن سرعان ما رجع إلى القوة حتى أُثِر عنه: "العصى حيث لا تفيد منح البركة"[٥]. وأطلق العوام على الدومنيكان لقب: "كلاب الرب". وقد سلم البابا جريجوري التاسع لهم محاكم التفتيش في مجمع تولوز (١٢٢٩م).

---

١ *Le monachisme, James Hocart*, p. ٢١٥

٢ *Cistérciens*: جماعة رهبانية نشأت في فرنسا في ١٠٩٨م مع إنشاء دير *Citeaux* في شمال شرق فرنسا على يد *Robert de Molesme* (ت١١١١م) تسير الجماعة على قانون بندكت المشهور. انتشرت الأديرة التابعة لهذه الجماعة سريعا وكان لها دور كبير في القرن الثاني عشر الميلادي في أوروبا الغربية من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية. ولا تزال نشيطة إلى يومنا هذا.

Histoire des ordres religieux : Henry Marc-Bonnet, *Que sais-je ? n°٣٣٨*, (Paris : Presse universitaires de France, quatrième éditions ١٩٦٨), p.٣١-٣٤

٣ *Fontevraud*: دير أنشئ في شمال غرب فرنسا عام ١١٠١م على يد الراهب المتوحد *Robert d'Abrissel* (ت١١١٧م) بقي ديرا إلى القرن التاسع عشر ثم حولها نابوليون الأول إلى سجن. وظلت سجنا إلى ١٩٦٣م، ثم في ١٩٧٥م أصبحت مركزا ثقافيا يقام فيه أنواع شتى من الفعاليات يجذب إليه آلاف السياح سنويا. الموقع الرسمي للدير:

(http://www.abbaye-fontevraud.com/v٣/home/reperes.php)

٤ *Op. cit.* Hocart , p.٢٢١

٥ *Vie de Saint Dominique*: V. Lacordaire, (Paris : Librairie de Mme Ve Poussielgue-Rusand, sixième édition ١٨٦٠), p.٢٨٨

وبعد ثلاثة قرون لما ظهر البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي سلطت الكنيسة جماعة اليسوعيين ضدهم، وهو من أهم أهداف نشأهم[١].

ولقد كانت جماعات الرهبان من الدومنيكان واليسوعيين على وجه الخصوص من أكثر الجماعات إنتاجا للعلماء والباحثين والمدافعين عن عقيدة الكنيسة الكاثوليكية، ولا أدلّ على ذلك من عمل الراهب الدومينيكي توماس الأكويني[٢] الذي كتب "الخلاصة اللاهوتية" – "*La Somme théologique*"، وهي خلاصة اللاهوت الكاثوليكي الذي أصبح مرجعا أساسا في دراسة اللاهوت إلى يومنا هذا[٣] حتى قيل عنه: "المفكر المقدَّس الرسمي"[٤] .

وقد أوضح جيمس هوكارت أن الرهبان من أبرز من قعدوا ونظروا لعقيدة السلطة المطلقة للبابا وعصمته وأن لا نجاة إلا بطاعته، وكانوا من أخلص أنصارها إلى أن أقر مجمع الفاتيكان الأول في ١٨٧٠م هذه العصمة للبابا. وعلى رأس هؤلاء الأنصار برنارد (ت١١٥٣م) مؤسس الجماعة البندكتية Cistérciens ورئيس دير Clairvaux، ثم الراهب الأغسطيني Hugues de St Victor (ت١١٤١م)، وكان تتويج هذا التنظير لتوماس الأكويني. ويؤكد جيمس هوكارت أن جميع الجماعات الرهبانية التي أنشئت بين القرن التاسع والثالث عشر الميلادي كانوا من أنصار السلطة المطلقة للبابا[٥].

وبالنسبة لتوماس الأكويني فقد وصف "<u>معجم موسكو الفلسفي الصغير</u>" فلسفته بهذه الكلمات:
"الفلسفة التومية: خادمة اللاهوت. غايتها إثبات وجود الله، تبرير الأساطير النصرانية، الدفاع عن النظام الإقطاعي وتطلعات البابا إلى السيطرة على العالم..."[٦]

---

[١] *Op. cit.* Hocart, p.٢٢١-٢٢٩

[٢] *Thomas d'Aquin* (١٢٢٥-١٢٧٤م): من أكبر اللاهوتيين الكاثوليك، حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعاليم الكتاب المقدس. التحق بجماعة الدومنيكان في ١٢٣٤م ثم ارتحل إلى باريس ليتتلمذ على يد ألبرت الكبير. تعدّ مصنفاته المرجع الأساس في الكنيسة الكاثوليكية، ويطلق على مذهبه بالمذهب "التومائي". <u>معجم أعلام المورد</u>، ص٦١

[٣] *Ibid*, p.١٥٠

[٤] وصفه بهذا الوصف الفيلسوف البروفسور مارتن بلي *Martin Blais* وهو أستاذ متقاعد في كلية الفلسفة بجامعة Laval الكندية، وهو متخصص في فلسفة القرون الوسطى عموما وفي فلسفة توماس الأكويني خصوصا. من كتابه:
<u>*L'autre Thomas d'Aquin*</u>: Martin Blais, (Les Editions du Boréal, ١٩٩٠), p. ٥٢

[٥] *Op. cit.* Hocart, p.٢٠٤

[٦] <u>*Petit dictionnaire philosophique*</u>, p.٦١٠, de <u>*L'autre Thomas d'Aquin*</u>, p.٦٥

المطلب الثاني:

موقف البروتستانت من الرهبانية:

أولا: التعريف بالبروتستانتية *Protestantisme*[1]:

أصل كلمة بروتستانت لغةً مأخوذة من اللاتينية *protestari* وتعني الاعتراض العلني المصاحب بالمطالب[2].

وتطلق اصطلاحا عند النصارى على فرقة توصف بالإصلاحية، نشأت في القرن السادس عشر الميلادي اعترضت على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وأهم ما تعلنه بقوة أمران:

١ -المصدر الوحيد هو الكتاب المقدس، وللجميع الحق في قراءته وفهمه، ومن ثم فهي ترفض التقليد المروي عن آباء الكنيسة وقرارات المجامع.

٢ -رفض السلطة الكنسية الممثلة في البابا ورجال الكهنوت، وعندهم أن كل نصراني رجل دين، وأن الخلاص بيد الله فقط من غير واسطة القديسين ورجال الكهنوت.

وينضوي تحت مسمى "البروتستانت" أو "كنيسة الإصلاح" كنائس واتجاهات مختلفة منها:

-الكنيسة اللوثرية نسبة إلى مارتن لوثر (ت١٥٤٦م) من أبرز مؤسسي الإصلاح في ألمانيا.

-الكنيسة المُصْلِحَة أو الكالفينية نسبة إلى جون كالفن (ت١٥٦٤م) من أبرز مؤسسي الإصلاح في فرنسا وسويسرا .

-الكنيسة الأسقفية أو الإنجليزية نسبة إلى إنجلترا مكان نشأتها.

ثانيا: موقف البروتستانت من الرهبانية:

الموقف العام الذي سلكه البروتستانت منذ البداية وعلى يد المؤسسين والشخصيات البارزة المنظرة ومن تبعهم أمثال زوينجلي (ت١٥٣١م) وكالفن (ت١٥٦٤م) في كتابه عن "مؤسسة الدين النصراني"[3] وغيرهما هو النقد والرفض للرهبانية.

---

[1] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص٦٢٥-٦٣٥؛ دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، ص٣١٤-٣١٥

[2] *Nouveau petit Larousse*, p.٨٣٢

[3] *L'institutionde la religion chrétienne:* Jean Calvin, revue et corrigée par Frank Baumgartner, (Genève : E. Beroud & Cie éditeurs ١٩٨٨), p. ٥٧٨-٥٨٨

يتركز النقد البروتستانتي على جملة من النقاط[١]:

-النذور الثلاثة وعدم وجوب الالتزام بها.

-نفي الطبقيّة التي يدَّعيها الرهبان، وأن سبيل الرهبنة ليس هو طريق الكمال فقط وإنما هناك تنوع ومجالات الكمال وكل نصراني يدرك تلك الدرجة حسب عمله.

-رفض العزلة والانغلاق،

-سبيل الحياة الروحية عن طريق الكتاب المقدس فقط وليس عبر مؤسسة وسلطة مركزية.

وقد كان مارتن لوثر متدينا على قانون أوغسطين لمدة عشرين سنة، صنف في ١٥٢١م رسالة سماها: "مقالة في النذور الرهبانية" *De votis monasticis* حيث نقد النذور الثلاثة (الفقر، التبتل، الطاعة) مبينا أنها تناقض خمسة أمور[٢]:

أولا: الكتاب المقدس.

ثانيا: الإيمان.

ثالثا: الحرية الإنجيلية.

رابعا: أوامر الله،

خامسا: العقل.

ومن منهجيته في نقده ونقضه أنه حاول إبطال أصل النذور من جهة شرعيتها، وأن لا يتأخر في تعداد الآثار السلبية لها[٣]. وقد أحدثت هذه الرسالة ضجة كبيرة وأفرغت كثير من الأديرة الألمانية من أهلها حيث خرج منها الرهبان أفواجا يرجعون إلى الحياة العادية. وما أن انتشرت الدعوة الإصلاحية حتى أغلقت كثير من أديرة ألمانيا وسويسرا وفرنسا وإنجلترا وغيرها أبوابها.

وأخيرا فممّن أهم من انتقد الرهبانية نقدا شاملا من البروتستانت حسب علمي هو كتاب جيمس هوكارت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وقد سبقت الإشارة إليه، فقد ناقش الرهبانية من خلال عشرة فصول مع خاتمة؛ ذكر أن أهم خطأ هو دعوى الكمال عن طريق الزهد، ثم خطَّأَ النذور الثلاثة. وأردف بعد ذلك رادا على الفضائل التي يزعمها ناصروا الرهبانية من خدمات الرهبان للبشرية. تناول تاريخ الرهبانية منذ ظهورها وما أنتجته في العقائد الكاثوليكية من بدع، إضافة إلى ما جلبته من انحرافات اجتماعية. وسننتقي من خلال الفصل القادم أحسن ما رُدَّ به على الرهبانية والرهبان. وقد

---

[١] *Quelques règles monastiques protestantes*: Michel Clément, (Montréal: Université du Québec ٢٠٠٢), (http://www.er.uqam.ca/nobel/k٣٣٤٤٠/rp.html)

[٢] *Luther et le monachisme aujourd'hui*: René H.ESNAULT, nouvelle série théologique n°١٧, (Genève: Labor et Fidès ١٩٦٤), p.٧٦

[٣] *Ibid*, p.٤٣

ختم كتابه الذي اشتمل على ما يقرب من أربعمائة صفحة بقوله:

"الخلاصة التي تفرض نفسها علينا هو أنه يجب إدانة المؤسسة الرهبانية لذاتها ومحاربتها بقوة في كل مظاهرها؛ إنه واجبنا وليس أمامنا إلا الاعتراض بقوة أمام تجمعات تضر الدين، الأخلاق، الأسرة والمجتمع"[١].

ومع شدة اللهجة المستخدمة في مناقشته للرهبانية إلا أنه تحلى بالمنهجية واستقى من مصادرهم الأصلية، ومن صور المحاربة والاعتراض التي دعا إليها في الصفحات الأخيرة هي مجادلتهم بالتي هي أحسن بسلاح الحجة والبرهان من مصادرهم ومراجعهم.

وسيأتي في الفصل الثالث –إن شاء الله– الحديث عن موقف البروتستانت من الرهبانية في العصر الحديث حيث تغير موقف بعض البروتستانت من الرفض إلى الاعتراف بصور من الرهبنة حتى نشأ عندهم في العصر الحديث جماعات رهبانية بروتستانتية .

---

[١] *Le monachisme : ses origines païennes, ses erreurs fondamentales, son influence néfaste sur la religion, la morale et la société*, p. ٣٧٩

المبحث السابع: موقف الحكام من الرهبانية

موقف الحكام من الرهبانية، أو بالأحرى الرهبان والأديرة والجماعات الرهبانية، يختلف باختلاف الأماكن والعصور، وباختلاف المصالح التي يريد الحاكم تحقيقها، ومن ثم جاءت مختلفة متباينة؛ فتارة نجد تأييدا وأخرى معارضة، وثالثة تدخُّل لإصلاح، هذا ما بدا لي من خلال ما وقفت عليه والله تعالى أعلم.

فمن صور التأييد نجد أن بعض الحكام وقف مع الرهبان بالإعفاء من التجنيد والإعفاء من الضرائب، كما حصل في عهد قسطنطين سنة ٣٢٠م[١]، كما أن التسابق إلى بناء الأديرة وتمويلها أمر مستقر في تاريخ الرهبانية عموما فالإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (ت٥٦٥م) الذي كان يعتبر نفسه ولي من الأولياء والمدافع عن الإيمان الأرثوذكسي قد ساهم في عهده ببناء أديرة كثيرة[٢]. وذكرنا سابقا كيف كان سبب انتشار الرهبانية في روسيا بسبب الأميرة أولجا (ت٩٦٩م) وحفيدها فلاديمير الأول (ت١٠١٥م) اللذَين ساهما في بناء الأديرة.

.

ومن صور التأييد الاستعانة بهم كمن جعل بعض الرهبان من حاشيته أمثال شارلمان ولويس الملقب ب"التقي" أو "الورع" (٨١٤-٨٤٠م) الذي اتخذ الراهب بندكت الأَنْيَنِي (ت٨٢١م) مستشارا خاصا، وقبله حفظ التاريخ زيارات الإمبراطور البيزنطي ليون الأول (٤٥٧-٤٧٤م) الذي كان يحضر هو وزوجته عند الراهب دانيال "العمودي" (ت٤٩٠م) ليسترشد ويستنصح[٣].

وفي أواخر القرن الخامس عشر لما احتلّ الأوروبيون أمريكا اصطحبوا معهم المنصِّرين الذين كان في مقدمتهم جماعة الفرنسيسكان، الدومنيكان، اليسوعيين وغيرهم.

أما الاعتراض والإصلاح فمن أسبابه الأساسية المصالح العسكرية والسياسية والاقتصادية إذ يعتبر انعزال فئام من الرجال والنساء عن الحياة الاجتماعية في أوقات الحروب أو عن العمل والنشاط الاقتصادي خسارة كبيرة ونقص فادح في التوازن الاجتماعي الذي يسعى الحاكم غالبا لتحقيقه.

---

[١] تاريخ الأمة القبطية وكنيستها: ا.ل. بتشر، (الفجاله: مطبعة مصر ١٩٠٠م)، ص٢٧٦؛ وانظر دراسات في تاريخ الرهبنة، ص٧؛ و الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٦٧

[٢] *Histoire de l'Empire byzantin*: Charles Diehl, (Paris: ١٩١٩); *Catholicisme: Hier, aujourd'hui, demain*, t.٩, p.٥١٤

[٣] *Les hommes ivres de Dieu* : Jacques Lacarrière, p.١٩٠

يقول هارولد آيدرس بل:

"لكن الباحثين في الطبيعة البشرية قد يرون أن ازدهار حركة الرهبنة في القرن الرابع لم يكن – على أحسن الفروض– خيرا خالصا؛ ذلك أنها كانت تعني اعتزال آلاف الناس ميدان الحياة العملية، وغالبا ما كان هؤلاء ذوي همة عالية وإرادة قوية، بينما كانت الإمبراطور ية تعاني نقصا خطيرا في الأيدي العاملة، كما كانت تعني أيضا تحديدا شديدا لميدان النشاط البشري وإقفارا بالغا في الحياة الثقافية"[١].

ولذا جاءت في أوقات متفرقة قرارات ومراسيم من الحكام، أيدها الكنيسة –أحيانا– لتضع حدّا لهذا الفرار من الحياة العامة والمشاركة الفعالة؛ ففي ٥٩٣م أصدر الإمبراطور موريس البيزنطي (٥٨٢–٦٠٢م) مرسوما بمنع كل جندي من الترهبن لكنه تصادم مع البابا غريغوريوس الكبير الذي كان راهبا قبل توليه كرسي البابوية فرأى في ذلك خطرا على المؤسسة الرهبانية كما يقول بِيتِر بْرُون[٢] فأرسل إليه خطابا قال له فيه:

"هناك أناس كثيرون إذا لم يتركوا كل شيء (بالانخراط في الأديرة) فإنهم ليسوا قادرين على حصول النجاة عند الإله"[٣].

ومن الإصلاحات وتدخل الحكام في شؤون الرهبان ما أصدره الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (٥٢٧–٥٦٥م) من قوانين متعلقة بالرهبان جاء في بعضها[٤]:

- دخول أي مواطن أو مواطنة في السلك الرهباني يلغي عقد النكاح المدني تلقائيا ويعد كالطلاق.
- منع كل من يريد الالتحاق بالرهبان إذا كان عبدا، أو موظفا حكوميا، أو من هو مَدِين.

ومن المواقف المشهورة لملك الفرنجة شارلمان (٨٠٠– ٨١٤م) وابنه من بعده لويس الملقب ب"التقي" تصدِّيهما لإصلاح شامل وتنظيم الرهبانية، فمما صدر في عهديهما[٥]:

[١] مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هـ. آيدرس بل، ترجمه عبد اللطيف أحمد علي، ص١٦٨

[٢] *Peter Brown*: ولد في ١٩٣٥م ونشأ في إيرلندا. مؤرخ متخصص في العهد القديم بين القرن الثالث إلى الخامس الميلادي. درس في كل من جامعات أُكْسفورد، لندن ثم بركلي وبرنسطون في أمريكا. له دراسات معتمدة في تاريخ النصرانية. موقع جامعة ستانفورد الأمريكية:

(http://prelectur.stanford.edu/lecturers/brown)

[٣] *Grégoire Ier, Lettres, III,* ٦١ de *L'essor du christianisme occidental*: Peter Brown, p.١٨٣

وانظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج١، ص١٣٢

[٤] *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٩٤- ٢١٠

[٥] *Catholicisme. Hier, aujourd'hui, demain*: MATHON (G.), BAUDRY (G.-H.), (Paris, Letouzey et Ané, ١٩٩٨-١٩٩٩), t.٩, p.٥٢٢

- فَرْضُ قانون واحد على جميع رهبان الإمبراطور ية وهو القانون البندكتي مع تعديلات وإضافات.
- دعّما تعليم الرهبان ليعلّموا في المناطق التي دخلت حديثا في النصرانية.

وأخيرا فإن من المواقف التي اتخذها بعض الحكام في شأن رئاسة الدير هي تعيين رئيس الدير من قبلهم حتى يسيطروا على نفوذ الأديرة الذي لم يكن هيِّنا في العصور الوسطى، وفي ذلك أبعاد يصورها المؤرخ الكبير سعيد عبد الفتاح عاشور (ت ١٤٣٠هـ) –رحمه الله– وصفا دقيقا فيقول:

"يمكننا أن نخرج مما سبق بأن مقدم الدير أو رئيسه أصبح شخصية هامة في المجتمع العلماني المعاصر نتيجة للدور الكبير الذي قامت به الأديرة في الحياة الإقطاعية من ناحية وللضياع الواسعة التي امتلكتها الأديرة من ناحية أخرى؛ ذلك أن مقدم الدير غدا عضوا بارزا في الارستقراطية الإقطاعية، وبعبارة أخرى غدا سيِّدا إقطاعياً كبيراً بكل معاني الكلمة. وعلى هذا الأساس اكتسب مقدمو الأديرة مكانة كبيرة في مختلف الممالك الغربية التي قامت فيها أديرتهم، وحتى أصبح الملوك يهتمون بأمر تعيينهم، كما غدا تعيين هؤلاء الرؤساء محور خلاف وجدل وتنافس بين السلطتين الزمنية والدينية. فإذا تم تعيين مقدَّم لأحد الأديرة الكبيرة فإنه كان بحكم مركزه وإمكانيات ديره يقوم بدور هام في سياسة الدولة، بل ربما أصبح من مستشاري الملك وعندئذ يزداد النفوذ الديري في السياسة الزمنية. وهكذا أخذ يتحوّل رؤساء الأديرة إلى شخصيات سياسية، مبتعدين عن المثل والمبادئ الديرية بأكملها في أواخر العصور الوسطى"[١].

[١] تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج٢، ص٤٠

وخلاصة هذا الفصل ما يلي:

١ -التعريف المختار للرهبانية هو : ""الانقطاع عن الدنيا والوحدة بقطع جميع العلائق الدنيوية من أجل التفرغ للعبادة ".

٢ -معنى الرهبانية موجود بصور مختلفة في الأديان والحضارات قبل النصرانية كما عند المصريين وفي أديان الهند والمذاهب الفلسفية اليونانية.

٣ -يزعم أنصار الرهبانية النصرانية أن الرهبانية مستقاة من مصادرهم الأصلية، وهي الكتاب المقدس بعهديه والمجامع المختلفة.

٤ -مهّد لنشأة الرهبانية قرنان وجد فيهما تيارات زهدية مختلفة، وثقافات مكتوبة في الزهد غذّت فيما بعد الأدبيات الرهبانية.

٥ -الاضطهاد والفساد كان سببا رئيسا في نشأة وظهور الرهبانية، وكذا أسباب أخرى متفرقة.

٦ -القول بأن الانحراف العقدي الذي أصاب الكنيسة وإلزام الناس بها كان سببا في نشأة الرهبانية وانتشارها غير مسلّم به بإطلاق.

٧ -تعد مصر مسقط رأس الرهبانية ومنها انتشرت إلى نصارى العالم، مرّت الرهبانية بمراحل تطورت فيها من التّوحُّد فشبهه، ثم الدّيرية فالقوانين الدّيرية، وأخيرا الجماعات الرهبانية.

٨ -انتشرت الرهبانية في جميع أنحاء العالم التي كان فيها نصارى انتشار النار في الهشيم لسببين رئيسين هما: الحالة الاقتصادية وما سمي بالشهادة البيضاء، إضافة إلى أسباب أخرى.

٩ -التأثيرات الأجنبية في نشأة الرهبانية عند النصارى موجودة وكثيرة، والجزم بتعيين جهة معينة تحكُّم في البحث العلمي.

١٠ -تعد الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية مؤيدتين للرهبانية، أما الكنيسة البروتستانتية فهي أوّل من نقد الرهبانية نقدا منهجيا في إطار رؤيتهم الإصلاحية للكنيسة.

الفصل الثاني:

مظاهر الرهبانية عند النصارى

وفيه سبعة مباحث:

١ -النذور الثلاثة

٢ -العزلة

٣ -الصمت

٤ -اللباس

٥ -قوانين الرهبان

٦ -أنشطة الرهبان

المبحث الأول: النذور الثلاثة

من أبرز مظاهر الرهبانية عند النصارى هذه النذور الثلاثة المشهورة الشائعة الذائعة. وهي تختلف في صياغتها وعددها باختلاف التقاليد والعصور[١].

المطلب الأول: تعريف النذر:

١) **النذر لغة:**

أصل النذر في اللغة العربية "النون والذال والراء"، ويدور هذا الأصل على معنى التخويف أو التخوُّف، ومنه الإنذار والنّذِير والمُنْذِر و النُّذُر[٢]. و"نذَرْتُ أَنذِرُ وأَنذُر نذْراً إِذا أَوجبتَ على نفسِكَ شيئاً تبرعاً من عبادة أَو صدقة أَو غيرِ ذلك"[٣].

وعلاقة الخوف بالإيجاب على النفس اختيارا هو"أن الشخص يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير أو خوف وقوع أمر خطير" كما يقول الألوسي –يرحمه الله-[٤].

وأما في اللغة اللاتينية فهو مأخوذ من *votum* وتطلق على أمور منها: "الرغبة التقية"، "التلفظ بها" و"الوعد المترتب عليها"[٥]. وفي الدائرة الفرنسية لاروس الالكترونية: "الرغبة والنية"، و"وعد إلى معبود بعمل ما إذا استجاب دعوة أو التقرب بشيء يحبه المعبود... "[٦].

٢) **النذر اصطلاحا:**

ينبغي التنبيه على أننا إذ نتحدث عن النذر في الرهبانية فإنه لا ينحصر على الرهبان، فهو يشمل جميع "المتدينين" أو "رجال الدين" عند النصارى، ومنهم الرهبان، وكلّ من نذر حياته للإله من النصارى يعتبر "متدينا" على اصطلاح الكنيسة الكاثوليكية كما بينتها قوانينها التي تقول معرِّفَة بما تسميه ب"الحياة المكرّسة":

" هذا الضرب من الحياة، في مؤسسات الحياة المكرّسة والتي تأسست قانونيا من قِبَل السلطة الكنسية المختصة. المؤمنون يلتزمون بحرِّية عن طريق النذور أو روابط مقدسة أخرى حسب القوانين الخاصة

---

[١] *Catholicisme. Hier, aujourd'hui, demain*, t.٩, p.٥٢٦

[٢] معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤١٤

[٣] لسان العرب، ج٦، ص٤٣٩٠-٤٣٩١

[٤] روح المعاني: أبو الفضل محمود الألوسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج٣، ص٤٣؛ وانظر: النذر: أنواعه، أحكامه، بدعه: إبراهيم بن محمد، (طنطا: دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٩م)، ص٦

[٥] *Nouveau petit Larousse*, p.١٠٨٠

[٦] *Encyclopédie Larousse*:
(http://www.larousse.fr/encyclopedie/nom-commun-nom/v%C٥%٩٣u/١٠٢٠٧٦)

بتلك المؤسسات، ينذرون الوصايا الإنجيلية من بتولية وفقر وطاعة، والتي توصلهم إلى الإحسان الذي يربطهم بطريقة خاصة إلى الكنيسة وسرّها"[١].

وعرّف توماس الأكويني النذر تعريفا عاما فقال:
"تصور مشروع خير، مضمون بقرار يوجب أمام الله بفعل أو ترك عمل ما"[٢].

ونقلت "الموسوعة الفرنسية لاروس" تعريفا تنسبه إليه أيضا: "وعد اختياري للإله يصبح وجوبا مقدسا"[٣].

أما القانون الكنسي الكاثوليكي فيعرفه بأنه: " الوعد الاختياري للإله من أجل خير ممكن وأحسن"[٤].

فالنذر عند النصارى يتلخص في نية الشخص بأن يعمل عملا ما، أو يتركه لله بشروط أربعة:

١ -أن يكون باختياره فيخرج غير البالغ أو الرشيد والمجنون.
٢ -كونه خيرا فيخرج بذلك ما كان معصية.
٣ -وكونه ممكنا ليخرج ما كان في غير مقدور الشخص.
٤ -وجوب الوفاء به بعد عقده.

وبهذه التعريفات ندرك أن في الخطوط العريضة يتفق هذا التعريف لدى النصارى بتعريف النذر في الإسلام الذي هو: "ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله" أو "هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه"[٥].

وقد اتصل بالنذر في اللاهوت الكاثوليكي تفاصيل فقهية كثيرة يصعب في هذا البحث حصرها، وهي – وإن كان بعضها مهما- فيُكتفى هنا بذكر ما يتصل ببحث الرهبانية وهو يندرج في نذر "المتدينين" أو ما يسمونه ب"نذر الدين" *vœu de religion – vow of religion*.[٦]

---

[١] القانون رقم: ٢/٥٧٣ و ٢/٦٠٣، من الموقع الرسمي للفاتيكان:
(http://www.vatican.va/archive/FRA٠٠٣٧/__P١W.HTM)
[٢] *La somme de théologie*: Thomas d'Aquin, q.٨٨, t.III, p.٥٥٤
[٣] *Grand Larousse Encyclopédique*, t.١٠, p.٨٦٨
[٤] القانون رقم ١١٩١، من الموقع الرسمي للفاتيكان: (http://www.vatican.va/archive/FRA٠٠٣٧/__P٤B.HTM)
[٥] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١٩، ص٨٣
[٦] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٣٤-٣٢٨١

المطلب الثاني: النذر في الرهبانية النصرانية:

المقصود بالنذر من جهة العموم عند الرهبان وغيرهم هو الحياة المنذورة المخصصة للإله أو "المكرّسة" على حد تعبيرهم، فتندرج تحت مصطلح "النذور الدينية"، ومن خصائصها التي تخالف النذور الشخصية التي تتعلق بعموم النصارى أنها لا تخرج عن السلطان المباشر للكنيسة لكونها واضعة هذه النذور الاصطلاحية.

وقد اختلفوا: هل الكنيسة تملك حلَّ هذه النذور أم لا؟ فذهب البعض: "أن البابا نفسه لا يملك إعفاء الرهبان من نذر الفقر والتبتل"[١]، وأما القائلون بجواز ذلك فاستندوا إلى كون تأبيد النذر ما دام أنه من صنع الكنيسة فلها الحق في تنظيمه، وهو الذي عليه الكنيسة الكاثوليكية[٢].

وعلى كلّ فإن نذور الرهبان يشترط لصحتها عند الكنيسة أن تكون في إطار "مؤسسة رهبانية" معترَفٌ بها. وفي حالة الرهبنة التوحّدية فيكون تحت إشراف أسقف المنطقة كما ينص عليه قانون الكنيسة رقم ٦٠٣/٢.[٣]

ومن جهة التاريخ فإن مصطلح "النذور" لم يتبلور إلا في القرون الوسطى واستقر في القرن الثالث عشر الميلادي[٤]. فقبل ذلك لم يُعرَف لدى الرهبان الأوائل نذور بالمعنى الاصطلاحي، والذي اتصل به طقوس وضوابط وحدود، فالمتوحِّدون الأوائل وكذا الدِّيريون لم يعرف عندهم "النذور الثلاثة" الاصطلاحية وأقصى ما كان عندهم "وعود كريمة" كما يقول معجم اللاهوت الكاثوليكي[٥]، أو نذر خاص يعقده شخص بينه وبين ربه كالمتوحِّد الذي يلزم نفسه زنزانة فلا يخرج منها قط. ويصف المعجم الكاثوليكي حال الرهبان الأُوَل مع النذور بقوله: "نذْر هؤلاء المتبتلين لم يكن واجبا خُلُقِيا بَعْدُ، يشمل الحياة الدينية، وإنما كان حماسا واندفاعا نحو دعوة خاصة من المسيح بجانب مستحبات إنجيلية أخرى تُرِكَت قصدا جانبا، هكذا فهم الآباء الإنجيل ولا نستطيع تقويلهم غير هذا: النذر خَصَّص للإله على الأقل جانبا من حياة النصارى الكُمّل في القرن الرابع"[٦].

ومع ذلك فالمقصود بهذا النذر ليس ما هو معروف الآن ومنذ القرن الثالث عشر وإنما هو الحياة المنذورة عموما، وليس هنا ما يثبت أن الرهبان كانوا يلتزمون نذورا اصطلاحية مع كونهم يلتزمون مضمونها لدخولها في زهدهم في الدنيا. وقبل ظهور الرهبان عرف نذر "البكورة" أو "البتولية" عند

---

[١] كلام البابا إنوسانت الثالث ت١٢١٦م. نقله المرجع السابق.

[٢] *Loc cit.*

[٣] (http://www.vatican.va/archive/FRA٠٠٣٧/_P١W.HTM#١FY)

[٤] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle* : Léo Moulin, (Paris: Hachette, ١٩٧٨), p.٣٦; *Grand Larousse Encyclopédique*, t.١٠, p.٨٦٨

[٥] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٣٦

[٦] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٣٦

النساء كما ذكر في النشأة[١]، وبعدما استقر في القرون الوسطى إلى يومنا هذا أصبح النذر من كنه الحياة الدينية وحياة الرهبان لدى النصارى فلا يمكن أن يكون الراهب راهبا إلا بها.

ومن الضروري فهم النذر لدى النصارى في إطار مفهوم "الكمال" النصراني كما أشرت، فهو أصل النذور الرهبانية ومنبثق منه بل يعتبر تتويجا له حتى سموها ب"نذور الحياة الكاملة"، وقد بيّن دكتور الكنيسة توماس الأكويني وغيره أن النذور جاءت بعدما تأسست "حياة الكمال" التي تنبني على ثلاثة أصول هي: "الرغبة في البِرّ، الابتعاد عن هموم الدنيا، وآخرها أن يعطيَ الإنسان نفسه وماله من أجل الدين"[٢]. وعلى هذا تأتي النذور للحفاظ على أصول هذا الكمال وضبطه.

ينقسم النذر باعتبار ماهيته عند الرهبان إلى قسمين، يقول توماس الأكويني: "بالنذر المؤبد يصبح راهبا، وبالبسيط يُعَدّ ليكون راهبا"[٣]:

فالأول: البسيط ***simple***: هو النذر المؤقت الذي يعقده الراغب في الرهبانية في فترة الاختبار في السنوات الأولى ويختلف عددها باختلاف الجماعات. ومن الأحكام المتعلقة به مثلا أنه يجرد "الراهب" من التصرف في ماله ولكن لا يزال يملكه حكما.

والثاني: المؤبد ***solennel*** : ويطلق عليه أيضا "النهائي" ***définitif*** أو "المستمِر" ***perpétuelle*** وذلك باعتبار أنه إذا انعقد لا يجوز حله إلى الأبد، ويسمى أيضا "العلني" ***public*** لأنه يكون باسم الكنيسة وأمام الجميع. ومن الأحكام المتعلقة به أن يترع منه الملكية مطلقا ويُبْطِل أي عقد نكاح. وقد تقرر ذلك في القرن ١٣م بقانون ٥٧٩-٥٨٣[٤].

---

١ *Ibid*, p.٣٢٧٠

٢ Sum. Theol. :, II^a-$II^{æ}$, q. LXXXVI, a. ٧ de Dictionnaire de Théologie Catholique, t.XV, p.٣٢٣٨

٣ *Ibid*, t.XV, p.٣٢٣٨, ٣٢٠٠

٤ *Ibid*, t.XV, p.٣٢٥٨

المطلب الثالث: أدلة النذر المجملة:

من الأدلة التي استندوا إليها لبيان شرعيتها ما يلي:

١) من العهد القديم:

ورد في نصوص العهد القديم "النذر" ويعني: الانفصال والتكريس، أو التخصيص، أو الوقف لشيء. ومنه "النذير" *nazir* وهو" شخص منذور لله "[١].

وأقرب صورة استندوا إليها واستدل به النصارى على شرعية نذر الحياة للرهبان ما ورد على لسان يعقوب أن يوسف "نذير" من بين إخوته[٢]. وكذا ورد في ذكر شمشون أنه "يكون نذيرا للإله" وهو في بطن أمه[٣]. وكان يجب على النذير الامتناع عن الخمر وما في حكمه من المسكرات، عدم قص الشعر، تجنب الميت مطلقا[٤].

ينقسم النذر في العهد القديم إلى نوعين: أبدي ومؤقت[٥]. ومن الأمثلة على الأبدي ما ذكر عن شمشون من أن أمه نذرته للحياة كلها فقالت: "فإني أعطيه للرب كل أيام حياته"[٦].

وأما المؤقت فهو الذي ينتهي بطقوس مفصلة يعود بعدها إلى الحياة اليوميّة كما جاء في الإصحاح السادس من سفر العدد الذي اشتمل على بيان أحكام هذا النذر[٧].

وهناك أحكام مفصّلة تتعلق بالنذر في الشريعة اليهودية قصدت إغفالها لعدم اتصالها بالموضوع بشكل مباشر[٨].

ويعتبر هذا النذر كغيره واجب الوفاء به كما جاء في المزامير:

"انذروا وأوفوا للرب إلهكم يا جميع الذين حوله. ليقدموا هدية للمهوب"[٩].

---

١ *Le monachisme primitif*, Vincent Desprez, p.٣٣-٣٤

٢ سفر التكوين: (٤٩ : ٢٦)، وسفر التثنية:(٣٣: ١٦)

٣ سفر القضاة: (١٣: ٥)

٤ سفر العدد: (٦: ٣، ٦)، سفر القضاة: (١٣: ٥، ٧، ١٤)

٥ *Op. cit.*, Vincent Desprez, p.٣٣-٣٤

٦ سفر صموئيل الأول: (١: ١١)

٧ سفر العدد: (٦: ١٣-٢٠)

٨ انظر للمزيد: مادة: ن ذ ر في معجم: المحيط الجامع في الكتاب المقدس و الشرق القديم: للخوري بولس الفغالي، (القاهرة: دار الكتاب المقدس، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م) الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية:

(http://www.albishara.org/dictionary.php?libro=d١f٢٥٥a٣٧٣a٣cef٧٣٢e٠٣aa٩d٩٨٠c٧eca)

٩ سفر المزامير: (٧٦: ١١)

وفي زمن العهد الجديد قام بولس بمثل هذا النذر كما جاء في سفر أعمال الرسل:
" وأما بولس فلبث أيضا أياما كثيرة ثم ودّع الإخوة وسافر في البحر إلى سورية ومعه بريسكلا وأكيلا بعدما حلق رأسه في كَنْخَرِيا[1] لأنه كان عليه نذر"[2].

وقد ورد أن يوحنّا –وهو يحيى عليه السلام– كان نذيرا وإن كان ليس صريحا، ففي سفر لوقا: "لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"[3].

لكن هذا النذر لا نرى له أي صلة بالنذور المتعلقة بالرهبانية عند النصارى من وجوه عديدة سيأتي بيانها مفصلا، ويمكن القول هنا أن النذر في العهد القديم يخالف نذر رهبان النصارى من وجوه:

الأول: تقييده بأمور ظاهرة كالامتناع عن الأشربة المسكرة وحلق الشعر ومس الموتى،

الثاني: النذر الأبدي في العهد القديم جاء من غير الناذر وليس باختياره فإما من الإله كما في مثال شمشون، ومن الأم كما في مثال النبي صموئيل،

الثالث: طقوس الانتهاء من النذر المؤقت.

ويعد رهبان النصارى النذر الذي يصبح به الراغب في الرهبنة راهبا اصطلاحا أبديا لا يجوز التراجع عنه بل يعتبر عدم الوفاء به هرطقة، ويقيد النذر على أمور ثلاثة: البتولية، الفقر، والطاعة. فيبدوا أن محاولة جعل النذر في العهد القديم أصل نذر الرهبانية بعيد لا يستند إلى دليل، وأقصى ما نجدهم يعتمدون عليه هو فلسفة النذر التي هي الامتناع عن أمور مباحة لله والوفاء بها وهذا عام لا تقوم به الحجة.

٢) من العهد الجديد:

ذكر معجم اللاهوت الكاثوليكي أن النذر في العهد الجديد ورد في سياق الذم لسوء استخدامه من قِبَل اليهود كما نسب لقول المسيح عليه السلام:

" فإن الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا. وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني. فلا يكرم أباه أو أمه. فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم"[4].

---

[1] ميناء بمدينة كورنثوس في بلاد اليونان، (http://fr.wikipedia.org/wiki/Cenchr%C%٣A٩es)

[2] سفر أعمال الرسل: (١٨: ١٨)

[3] سفر لوقا: (١: ١٥)

[4] سفر متى: (١٥: ٤-٦)

والنص جاء مفصلا عند مرقس:

"وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضاً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ لاَمُوا لأَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ لاَ يَأْكُلُونَ مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ. وَمِنَ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لاَ يَأْكُلُونَ. وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا لِلتَّمَسُّكِ بِهَا مِنْ غَسْلِ كُؤُوسٍ وَأَبَارِيقَ وَآنِيَةِ نُحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ: "لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ بَلْ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ؟" فَأَجَابَ: "حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ وَأُمُوراً أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ"". ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "حَسَناً! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ لأَنَّ مُوسَى قَالَ: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمُ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً". وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: "إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ أَيْ هَدِيَّةٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئاً لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ""[١].

فالسياق في رد المسيح ﷺ على الفريسيين إذ أنكروا عليه أن أتباعه لا يغسلون أيديهم عند أكلهم مخالفين تقليد الشيوخ، فرد عليهم بالإنكار عليهم ما غيروا وبدلوا في أشد من ذلك مقدِّمين تقليد شيوخهم على ما جاءهم به موسى ﷺ فقد كانوا بالتحايل على الأمر بإكرام الوالدين فإن أحدهم كان إذا طلب والداه منه شيئا ذهب لينذر هذا الشيء لله وهو المقصود بالقربان فلا يجوز له التراجع عنه ليتم له عدم إعطائه لوالديه، وفي نفس الوقت يجوز له استعماله. فعيسى ﷺ لم يذم النذر مطلقا وإنما ذم استخدام النذر لمخالفة نصوص محكمة التي أمرت ببر الوالدين، ولو كان النذر غير مشروع لذمه[٢].

وأما ما ورد من أن بولس تقدم وانضم إلى أربعة من اليهود في أورشليم ليقدّم في الهيكل الذبائح التي تفرضها نهاية النذر فإنها كانت ليرضي اليهود إذ انتشر عنه أنه مرتد يدعو إلى نبذ الشريعة الموسوية، ومع استجابته لهذه المناورة لم ينج من تلك التهمة. وهذا نص القصة:

"وَفِي الْغَدِ دَخَلَ بُولُسُ مَعَنَا إِلَى يَعْقُوبَ وَحَضَرَ جَمِيعُ الْمَشَايِخِ. فَبَعْدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ طَفِقَ يُحَدِّثُهُمْ شَيْئاً فَشَيْئاً بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ اللهُ بَيْنَ الأُمَمِ بِوَاسِطَةِ خِدْمَتِهِ. فَلَمَّا سَمِعُوا كَانُوا يُمَجِّدُونَ الرَّبَّ. وَقَالُوا لَهُ: "أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ جَمِيعاً غَيُورُونَ لِلنَّامُوسِ. وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ الارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى قَائِلاً أَنْ لاَ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ. فَإِذاً مَاذَا يَكُونُ؟ لاَ بُدَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ

---

[١] سفر مرقس: (٧: ١-١٣)

[٢] *__Dictionnaire de Théologie Catholique__*, t.XV, p.٣١٨٩-٣١٩٠

جِئْتَ. فَافْعَلْ هَذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ: عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ نَذْرٌ. خُذْ هَؤُلاَءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ فَيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُوا عَنْكَ بَلْ تَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضاً حَافِظاً لِلنَّامُوسِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْأُمَمِ فَأَرْسَلْنَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ وَحَكَمْنَا أَنْ لاَ يَحْفَظُوا شَيْئاً مِثْلَ ذَلِكَ سِوَى أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ وَمِنَ الدَّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزِّنَا. حِينَئِذٍ أَخَذَ بُولُسُ الرِّجَالَ فِي الْغَدِ وَتَطَهَّرَ مَعَهُمْ وَدَخَلَ الْهَيْكَلَ مُخْبِراً بِكَمَالِ أَيَّامِ التَّطْهِيرِ إِلَى أَنْ يُقَرَّبَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْقُرْبَانُ. وَلَمَّا قَارَبَتِ الأَيَّامُ السَّبْعَةُ أَنْ تَتِمَّ رَآهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ مِنْ أَسِيَّا فِي الْهَيْكَلِ فَأَهَاجُوا كُلَّ الْجَمْعِ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ الأَيَادِيَ صَارِخِينَ: "يَا أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ أَعِينُوا! هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْجَمِيعَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ضِدّاً لِلشَّعْبِ وَالنَّامُوسِ وَهَذَا الْمَوْضِعِ حَتَّى أَدْخَلَ يُونَانِيِّينَ أَيْضاً إِلَى الْهَيْكَلِ وَدَنَّسَ هَذَا الْمَوْضِعَ الْمُقَدَّسَ". لأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ تُرُوفِيمُسَ الأَفَسُسِيَّ فَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ بُولُسَ أَدْخَلَهُ إِلَى الْهَيْكَلِ. فَهَاجَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَتَرَاكَضَ الشَّعْبُ وَأَمْسَكُوا بُولُسَ وَجَرُّوهُ خَارِجَ الْهَيْكَلِ. وَلِلْوَقْتِ أُغْلِقَتِ الأَبْوَابُ"[1].

وكما أشرت من قبل فإن النذور الرهبانية مبنية على مفهوم "الكمال"[2]. فالأصل والدليل الذي يستندون إليه لتبرير شرعية الحياة الرهبانية عموما هو مفهوم الكمال أوما يسمونه ب"الوصايا الإنجيلية".[3]

نذكر هنا أبرز ما يستشهدون به على نذر الحياة كلها من أجل "حياة الكمال" من العهد الجديد:

النص الأول:

- **قصة الشاب** الذي سأل المسيح عما يجب عليه إذا أراد "الحياة الأبدية" فأجابه:

" إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له: "أيّة الوصايا"؟ فقال يسوع: "لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك". قال له الشاب: "هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. فماذا يعوزني بعد". قال له يسوع: " إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كتر في السماء وتعال اتبعني". فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة. فقال يسوع لتلاميذه: "الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات أقول لكم أيضا إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله". فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين: "إذاً من يستطيع أن يخلص". فنظر إليهم يسوع وقال لهم:"هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع". فأجاب بطرس حينئذ وقال له: "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا". فقال لهم يسوع: "الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد

---

[1] سفر أعمال الرسل: (٢١: ١٨-٣٠)

[2] انظر على سبيل المثال: مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، ص١٤

[3] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣١٨٩-٣١٩٠.

متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. ولكنْ كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرون أولين"[١].

هذا النص يعتبر أصل في الحياة الرهبانية ككل عند جميع من وقفت عليه ممن كتب عن الرهبانية من النصارى، فالنص هنا يعتبر أصل "الكمال" عندهم. فنستند هنا لفهم هذا النص على بعض التفاسير المعتمدة، منها ما جمعه توماس الأكويني عن آباء الكنيسة[٢] وهي الرؤية الكاثوليكية، وكذا بعض المعاصرين من الأرثوذكس، نذكرها في وقفات:

الأولى: إن المسيح قد أسس نوعين من الحياة من خلال هذه الواقعة كما يقول رَبَان مور[٣] وهما: النشطة والتأملية، فالأول مُبيَّن في قوله : "لا تقتل..." وجميع الأحكام الصادرة من الشريعة القديمة –شريعة موسى عليه السلام-؛ والثاني مبين في قوله: "إن أردت أن تكون كاملا" ويرجع هذا الأخير إلى تعاليم الإنجيل. ثم يقول: "وكما أن العهد القديم سبق الجديد، فكذا الحياة المليئة بالأعمال الصالحة يجب أن تسبق التأمل"[٤]. إذا يعتبر رَبَانْ هذا النص أصلا فيما سماه بالحياة التأملية وهي "حياة الكمال".

الثانية: الإصحاح الذي ورد فيه هذه القصة إنما هو نموذج من خمسة نماذج مما يسميهم القمص تادرس يعقوب ملطي[٥] في تفسيره "مدعُوُّو الملكوت"، وهم: المتزوجون، المتبتلون، الأولاد، الأغنياء والرعاة والمقصود بهم الدعاة، والنص فيه بيان كيفية وصول الغني إلى الكمال، وقد مثله هذا الشاب الغني. ونفهم من كلام تادرس يعقوب أن لكلّ هذه النماذج وجهة للحصول على السلام والخلاص للدخول في الملكوت[٦].

---

[١] سفر متى: (١٩: ٢١)

[٢] اعتمدت على نسخة مترجمة باللغة الفرنسية نشرت في القرن ١٩م وقد نشرتها مواقع نصرانية عديدة منها موقع رسمي من مواقع الفاتيكان مخصص لرجال الإكلريوس في ست لغات:
(http://www.clerus.org/francais/٠٠٠٠٠٠٥٣_Home_Francais.html)

[٣] *Raban Maur* (٧٨٠-٨٥٦م): راهب بندكتي، رئيس دير Fulda ورئيس أساقفة *Mayence* بألمانيا. يعتبر من أبرز الكتاب اللاهوتيين في القرن الثامن والتاسع الميلاديين، له كتابات في الشعر، تفسير الكتاب المقدس وغيرهما.
Vie des pères, des martyrs et des principaux autres saints: Alban Butler, tr. Godescard, (Louvain : Chez Vantlinthout et Vandenzande ١٨٢٨), t.II, p.٣٤٠-٣٥١

[٤] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean*: Saint Thomas d’Aquin, (Paris : Louis Vivès Editeur ١٨٥٦) Voir :
(http://www.clerus.org/clerus/dati/٢٠٠١-٠٥/٢١-٦/CaMt١٤٢٠.html#_Toc٥١٥٠٧٤٤٥٢)

[٥] قمص قبطي معاصر، تفاسيره ومقالاته مشهورة منتشرة في المواقع القبطية.

[٦] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد، الإصحاح التاسع عشر من سفر متى، موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew.htm)

وهذا الفهم يؤكده ما يروى عن أوغسطين أنه قال: "لكن ليس كل من ترك أمواله ليكون كاملا سيملك ملكوت السموات؛ إن تجارة البر الإلهية تجمع إلى جانب هذه الفرقة من جنود النصارى عدد كبير من المؤمنين الذين تحولوا تطوعا تابعين للفقراء، وسيقول لهم المخلص يوم القيامة: "كنت جائعا فأطعمتموني". إذا بعيدا عن أن هؤلاء –أي غير الأغنياء- سيكونون يوما محرومين من الحياة الأبدية كأنهم غرباء عن تعاليم الإنجيل"[١]. فنخرج بهذا أن طريق الكمال ليس واحدا وإنما هناك طرق متعددة.

الثالثة: يرى أنطونيوس فكري[٢] في تفسيره من أن ما ذكره المسيح أمثال مضروبة في كيفية نيل الحياة الأبدية بشرطين اثنين هما: بساطة الطفولة والاعتماد على الله فقط. أما بساطة الطفولة فقد وردت في قول المسيح "وقال الحق أقول لكم أن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات. من وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السماوات. ومن قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمي فقد قبلني" [٣]. وتمثل الطفولة البراءة، التواضع، الثقة في كلام الأب والاتكال عليه والطاعة، إلى آخر ما ذكره[٤].

وأما الاعتماد على الله فقط فيرى أن بيع الغني كل ما يملك على وجه الحقيقة ليس مقصودا، وإنما المعنى كما يقول هو: "التخلى عن الثقة فيما نملكه وأن نضع كل ثقتنا فى المسيح. هذا هو المعنى المطلوب لقول السيد "اذهب بع أملاكك ..." والسيد بنفسه فى (مرقس ١٠:٢٤) فسر ما يعنيه بالقول السابق حين قال:" ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله". فالبيع معناه أن أفقد اهتمامى بالشيء ولا أعود أعتمد عليه أو أضع فيه ثقتي. وبهذا المفهوم يستطيع الغني أن يعطى للفقراء وللمحتاجين من ثروته دون خوف من المستقبل"[٥]. ويرى أيضا أن قول المسيح: "وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي" إنما تعني "محبه المسيح أكثر" وليست على ظاهرها[٦].

---

[١] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles,* (http://www.clerus.org/clerus/dati/٢٠٠١-٠٥/٢١-٦/CaMt١٤٢٠.html#_Toc٥١٥٠٧٤٤٥٢)

[٢] قس معاصر له تفسير الكتاب المقدس مشهور ومنتشر في مواقع قبطية كثيرة. وتفاسيره تدرس في الكنائس القبطية المصرية كما هو معلن في غير واحد من مواقع الكنائس القبطية.

[٣] سفر متى: (١٨: ١-٥) وانظر: سفر مرقس: (١٠: ١٣-١٦) وسفر لوقا: (١٨: ١٥-١٧)

[٤] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثامن عشر من سفر متى ، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Matthew/١٨)

[٥] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح التاسع عشر من سفر متى ، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Matthew/١٩)

[٦] المرجع السابق.

نخلص مما سبق أن النص مؤول عند النصارى بتأويلات مختلفة تكاد تختلف باختلاف المفسرين ، بل ولا يظهر هناك قاسم مشترك يمكن أن نعتمد عليه في فهم النص؛ فاللاهوتي الراهب رَبَان رئيس دير فُلْدا[١] الذي عاش في القرن التاسع الميلادي وهو مرجع في اللاهوتيات معترف به في الكنيسة اللاتينية الكاثوليكة يرى هذا النص أصلا للحياة التأملية وهي حياة الرهبانية، ويتناقض بما نقله توماس الأكويني عن أوغسطين.

وأما من جاء بعدهما فنرى تارة تعميما للنص بحيث يشمل الجميع، ونرى مع آخر تأويل النص بأنه إنما هي أمثال مضروبة وليس الظاهر مقصودا، والنص من جهة ألفاظه وسياقه يحتمل هذا كله، وإذا كانت هذه الاحتمالات واردة فكيف يكون أصلا يعتمد عليه على شرعية الحياة الرهبانية بل والحياة الدينية المنذورة؟

النص الثاني:

" وقال له آخر من تلاميذه يا سيد ائذن لي أن أمضي أولا وأدفن أبي. فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم"[٢].

وفي رواية لوقا: " وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد: "يا سيد اتبعك أينما تمضي". فقال له يسوع: "للثعالب أوجرة[٣] ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه". وقال لآخر: "اتبعني". فقال: "يا سيد ائذن لي أن امضي أولا وأدفن أبي". فقال له يسوع: "دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله". وقال آخر أيضا: "اتبعك يا سيد ولكن ائذن لي أولا أن أودع الذين في بيتي". فقال له يسوع: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله"". [٤]

فمن النصوص المعتمدة أيضا في هذا الباب هذا النص الذي أمر فيها المسيح عليه السلام باتباعه وترك كل شيء، مع الملاحظة أن نص لوقا أكمل في ذكر القصة.

وقبل ذكر تأويل الشواهد فإن النص جاء في سياق بيان الأتباع، ففي القسم الأول بيان أنواع ممن يزعم المتابعة والصحبة، وفيهم من يسأل ماكرا يريد مصلحة في الاتباع، وثانٍ تلميذ مخلص لكنه متعلق بواجبات عائلية، وآخر كما في رواية لوقا متردد لا يزال قلبه متعلقا بأسرته، وفي القسم الثاني بيان

---

[١] دير بندكتي مشهور في وسط ألمانيا أنشئ في ٧٤٧م . موقع موسوعة وكيبيديا الحرة:
(http://fr.wikipedia.org/wiki/Abbaye_de_Fulda)

[٢] سفر متى: (٨: ٢١-٢٢)

[٣] جمع "الوَجَار والوِجار" وهي: "جُحْرُ الضبع والأَسد والذئب والثعلب ونحو ذلك". لسان العرب، ج٦، ص٤٧٧١

[٤] سفر لوقا: (٩: ٥٧-٦٢)

الأتباع الخلّص وهم القدوة في الاتباع وقد انفرد لوقا بذكرهم وهم السبعين تلميذا الذين أرسلهم المسيح للدعوة.

وفي النص ثلاثة شواهد عامة على النذور أو الحياة الرهبانية:
الأول: قوله: " للثعالب أَوْجِرَة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه".
الثاني: قوله: " اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم"، وعند لوقا:"دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله".
الثالث: قوله:" ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله".

فالشاهد الأول فيه أن المسيح نفسه لا يملك شيئا "ليس له أين يسند رأسه"، يقول القديس جيروم: "ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه، فهل تخطط أنت لإقامة مبانٍ شاهقة وقاعات فسيحة؟! إن كنت تنظر أن ترث خيرات هذا العالم فإنك لا تستطيع أن تكون شريكًا مع المسيح في الميراث"[١].

وهناك تفسير آخر وهو يتعلق بقلب السائل الذي أراد مجدا بالانتماء للمسيح، يقول أنطونيوس فكري: " المسيح لا يجد فى قلب هذا الشخص مكاناً يسند رأسه فيه وذلك لرفضه الصليب، بينما وجدت الطيور رمز الكبرياء لارتفاعها، والثعالب رمز الخبث، أمكنة داخل قلب هذا الشخص"[٢].

لكن التفسير الأول أقرب إلى ظاهر النص كما بيّن فيليون[٣] ونسب ذلك إلى آباء الكنيسة[٤]. وعلى هذا فليس فيه ما يدلّ على الأمر بعدم الملكية وإنما هو بيان حال المسيح ﷺ وأنه زاهد في الدنيا مقبل على أمر ربه كما هو حال الرسل عليهم السلام جميعا.

---

[١] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثامن من سفر متى، موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew٨.htm)

[٢] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثامن من سفر متى ، موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Matthew/٨)

[٣] **لويس كلود فيليون** *Louis-Claude Fillion* (١٨٤٣-١٩٢٧م): قس فرنسي وأستاذ في تفسير الكتاب المقدس في معاهد لاهوتية فرنسية عديدة آخرها المعهد الكاثوليكي بباريس. وعين في اللجنة لدراسات الكتاب المقدس في الفاتيكان (*Commissio Pontificia de Re Biblica*) وخلف مصنفات في تفسير الكتاب المقدس وغيرها.

Dictionnaire de biographie français: Roman d'Amat, (Paris: Letouzey et Ané, ١٩٧٥), vol. ١٣, p. ١٣٥٤-١٣٥٥; voir: (http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis-Claude_Fillion)

[٤] *La sainte bible: texte de la vulgate, traduction française en regard avec commentaire. Evangile selon S. Matthieu*: L. Cl. Fillion, traduction française par M. l'abbé Bayle, (Paris: P. LETHIELLEUX, LIBRAIRE-ÉDITEUR ١٨٩٥), p.١٠٢

وانظر تفسير توماس الأكويني:

(http://www.clerus.org/clerus/dati/٢٠٠١-٠٥/٢١-٦/CaMt١٤٢٠.html#_Toc٥١٥٠٧٤٤٥٢)

أما الشاهد الثاني ففيه بيان أنه لا يمكن اتباع المسيح اتباعا مطلقا، بأن يكون الشخص من خواصه، من غير ترك كل شيء حتى الواجبات العائلية. فقد أمر المسيح في النص المنسوب إليه هذا التلميذ بترك دفن أبيه. يقول أوغسطين:

"لما هيأ الرب الإنسان للمهمة الإنجيلية يرفض كل الاعتذارات التي تمليها العواطف الطبيعية والاهتمامات الحياتية. تدل عليه الكلمات التالية: " فقال له يسوع: "دع الموتى يدفنون موتاهم""[١].

ولما كان هذا التفسير مخالفا للأمر العام بالإحسان خصوصا إلى الوالدين نجد تفسيرات وتعليلات أخرى لهذا النص مثل:

١ -إن هذا الأب مات على الكفر فليس من أهله فأمره بترك الأموات روحيا أمثاله يدفنون موتاهم، وفيه الأمر ببغض الكافرين والبراءة منهم بقطع العلائق معهم حتى ولو كان أقرب قريب. يقول القديس أمبرواز: "أو أن فم الكافرين مثل القبور المفتوحة يأمر الرب أن تهدم ذكراهم لأن فضلهم يموت بموتهم، فهو إذاً لا يمنع هذا الابن من واجبات الرحم ولكن يفصله عن أي تعامل مع الكافرين، فلا يمنع من القيام بواجب بل يأمر بأمر ديني الذي هو قطع أي علاقة بالأمم الميتة".[٢]

٢ -قالوا إنما ذكر ذلك المسيح لما يترتب في ذلك من تقديم المصلحة المحققة للأخرى الموهومة، بل قد تؤدي بمفسدة إذا ما دخل في ما بعد الدفن من توزيع التركة فيبرد عن شرارته الأولى وحماسه فيترك مصلحة الدين المقدمة على صلة الرحم. يدافع عن هذا الرأي مطولا يوحنا فم الذهب فيقول: "لا نعتقد أن الرب يأمرنا بعدم إعطاء الاحترام المستحق للآباء؛ يعلمنا أن لا نرى في أعمالنا أهم من مصالحنا الدائمة، وأن نلتزم بها بكل الحماس الممكن من غير تأخر مهما كانت الروابط التي تمنعنا ضرورية وملحة. ذلك أن ليس هناك ما هو أحوج وكذا أسهل من دفن الأب؟ القيام بهذا الواجب لا يأخذ وقتا كبيرا. ومن هنا فإن الرب أراد انتزاعنا من أمراض عديدة: من الألم، الحزن وكل ما يتصل مثل هذه الحوادث. ومن المؤكد أنه بعد الجنازة لجاء الكلام في الوصية وتوزيع التركة، ولعل إثارات هذه المواقف المتتابعة كانت سببا في إبعاده عن الحق. وإذا لم يزل في قلبكم شيء فاذكروا أنه كثيرا ما نترك إخبار بعض المرضى موت أبيهم أو ابنهم أو أمهم ولا نسمح لهم باتباع جنازتهم، وليس في هذا التصرف قسوة، بل العكس قد يكون كذلك. فصرف إنسان عن تعاليم روحية شر أكبر، خصوصا إذا كان هناك من يقوم مقامه في واجباته الأخيرة. وهذا الذي حصل بعينه، ولذا قال المخلِّص: ""دع الموتى يدفنون موتاهم".[٣]

---

[١] *Loc cit.*

[٢] *Loc cit.*

[٣] *Loc cit.*

ويقول رابان: "وهذه القاعدة من المخلِّص –أي المسيح– تعلمنا أيضا أنه ينبغي أحيانا التضحية بخير هو أقل أهمية من خير هو أكثر أهمية".[١]

أما القديس سيريل فذهب إلى أنه ليس المقصود بالدفن الحقيقة وإنما المقصود البقاء بجواره حتى الوفاة لكبر سنه، وأن المسيح صرفه لعلمه أن هناك من يقوم مقامه. ثم إن الإحسان إلى الوالدين إذا تعارض مع الإحسان إلى الله قدّم الأخير لأن حب الله مقدم على حب الوالدين.

فهذا النص أيضا ليس بذلك الوضوح الذي يراد منه.

النص الثالث:

" وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر أخوَيْ سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فإنهما كانا صيادين. فقال لهما هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركا الشباك (وفي ترجمة: فتركا شباكهما في الحال) وتبعاه"[٢].

وفي رواية مرقس: " وفيما هو يمشي عند بحر الجليل أبصر سمعان وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر. فإنهما كانا صيادين. فقال لهما يسوع هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس .فللوقت تركا شباكهما وتبعاه. ثم اجتاز من هناك قليلا فرأى يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك. فدعاهما للوقت. فتركا أباهما زبدي في السفينة مع الأجرى (في ترجمة: معاونيه) وذهبا وراءه"[٣].

وفي رواية لوقا: " ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه"[٤].

الشاهد من هذه القصة التي اختلفت رواياتها حسب رواة الأناجيل على أن من كان من أتباع المسيح الخلص الذين اختارهم ليكونوا رسلا من بعده فيجب عليه ترك كل شيء كما تركا بطرس وأندراوس مصدر رزقهم وأطاعا المسيح، وفوق ذلك أيضا فقد ترك يعقوب بن زبدي ويوحنا أباهما أيضا، يقول يوحنا فم الذهب: "يفاجئهم وهو يدعوهم في وسط أشغالهم لأنه يريد تعليمنا بأنه لاتباعه يجب ترك كل شغل"[٥].

---

[١] *Loc cit.*

[٢] سفر متى: (٤، ١٨– ٢٢)

[٣] سفر مرقس: (١، ١٦–٢٠)

[٤] سفر لوقا: (٥، ١١)

[٥] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles*, (http://docteurangelique.free.fr/)

ويقول أيضا: "كانوا ملأى بالرغبة فتركا كل شيء من أجل متابعة المسيح، فعلمانا بهذه التضحية بأنه لا يمكن أن نملك الأمور الأرضية ونقدر معها أن نملك ملكا كاملا الخيرات السماوية"[١].

يقول (الأكويني) معلقا: "هؤلاء التلاميذ يهدون لنا أول مثال على رفض أموال الدنيا من أجل حب المسيح"[٢]. ويقول أيضا: "الذي يريد متابعة المسيح يجب عليه التخلي عن ثلاثة أمور: الشهوات الممثلة في شبكة الصيادين، أموال الدنيا الممثلة بالقارب، التعلق بالعائلة المشار إليه بأبوي الرسلان. فقد تركوا القارب ليكونوا قواد سفينة الكنيسة؛ تركوا الشبكة لأنهم لا يريدون إحضار السمك إلى مدن الدنيا ولكنهم يريدون قيادة الناس إلى مملكة السموات؛ تركوا أبا ليصبحوا بأنفسهم آباء روحيين للعالم أجمع"[٣].

ويقول هيلاريس: "بتركهم مهنتهم ومنزل أبويهم يعلموننا بأن اتباع المسيح يستلزم التحرر من اهتمامات الحياة وكذلك عادات الحياة العائلية"[٤].

ويقول تيوفيلاكت[٥]: "لا ينبغي التأجيل ولكن اتباع الرب مباشرة. بعدهم يصيد (المسيح) يعقوب ويوحنا الذين مع فقرهم كانوا يعولون أباهم الكبير...فتركا أباهما لأنه كان سيحول بينهم وبين اتباع المسيح. ونحن أيضا إذا منعنا والدينا فلنتركهم ولنذهب إلى الرب"[٦].

ويقول القديس غريغوريوس الكبير معلقا على " تركا الشباك وتبعاه":

"إن الذي ينبغي تقديره هنا هو استعدادهم النفسي أكثر مما تركوا، إنه كبير أن لا يترك المرء شيئا لنفسه، إن الترك كبير إذا تخلى ليس عما يملك فقط ولكن حتى ما نرغب إليه أيضا. من أجل متابعة المسيح تركوا فعلا كل ما كان يمكن الرغبة إليه من تعلق به. الرب يكتفي بهذه الأموال الظاهرة مهما كانت قليلة القدر؛ نظره إلى عظم الأموال المعطاة أقل من نظره إلى كرم الشعور المبذول. ملكوت الإله ليس له ثمن، قيمته هي كل ما تملكون"[٧].

---

[١] *Loc cit.*

[٢] *Loc cit.*

[٣] *Loc cit.*

[٤] *Loc cit.*

[٥] ***Théophylacte*** (١٠٨٨-١١٢٦م): رئيس أساقفة في إحدى المحافظات المقدونيا. له رسائل وتفاسير على أسفار من الكتاب المقدس. الموسوعة ويكيبيديا الحرة، (http://fr.wikipedia.org/wiki/Th%C%٣A٩ophylacte_d٢٧%Ochrid)

[٦] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles*, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٧] *Loc cit.*

وهذا النص يعتبر فعلا أصلا للحياة المنذورة، ودلالته واضحة. كما أننا نرى اتفاق المفسرين حول معناه. لكن يبقى أن أتباع المسيح الخواص كانوا دعاة في الناس لا رهبانا منعزلين... وسيأتي المزيد في النقد.

النص الرابع:

قول بولس: "فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضيّة عند الله عبادتكم العقليّة"[١].

كلام بولس في سياق تقرير العقائد النصرانية، ثم بين أن الأعمال لها علاقة بالإيمان. يقول أنطونيوس فكري معلقا على النص: "فلا سلوك عملي دون إيمان، ولا إيمان حي دون أعمال، فالسلوكيات تتشكل بحسب العقيدة..."[٢]

ويؤصل بعد ذلك لفكرة "نذر الحياة لله كاملة" على أن المسيح كما أعطى نفسه ذبيحة من أجل خطيئة البشر -كما يزعم بولس- فكذلك يجب على المسيحي أن يهب حياته لله، يقول تادرس يعقوب:

"إن كان كلمة الله المتجسّد قد قدّم لنا حُبّه عمليًا بتقديم جسده ذبيحة حبا على الصليب، هكذا يليق بنا خلال اتحادنا معه أن نحمل ذات فكره، فنقدّم حبّنا للَّه عمليًا، بتقديم أجسادنا ذبيحة حب للَّه، لا بذبح الجسد بطريقة مادية، وإنما بقبول "الإماتة" من أجل الله، وكما يقول الرسول: "من أجلك نمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح" (رو ٨: ٣٦)"[٣].

ويعتبر النص أيضا تأصيلا من بولس لانتهاء عهد الشريعة الموسوية ونبذها إذ كانت الشرائع السابقة تقدم قرابين من الأنعام تذبح للرب، وأما في هذا العهد الجديد أصبح المقدم هو النفس البشرية، يقول تادرس يعقوب:

"إذن لنقدّم للَّه الباكورة بأيدينا وأرجلنا وفمنا وكل أعضائنا! فمثل هذه الذبيحة مرضيّة، أمّا ذبائح اليهود فكانت غير طاهرة لذا قيل: "إنها لهم كخبز الحزن" (هو ٩: ٤). لا تكن ذبائحنا هكذا!... شريعة هذه الذبيحة جديدة ونارها من نوع عجيب. نارها لا تحتاج إلى خشب يوضع تحتها، بل نارها حيّة فيها، لا تحرق الذبيحة بل بالأحرى تحييها. هذه هي الذبيحة التي كان الله يطلبها منذ القديم. لذلك يقول النبي: "ذبيحة الله روح منسحق" (مز ٥١: ١٧)؛ كما قال الثلاثة فتية عندما قدموها: "في ذلك الوقت لا يوجد رئيس ولا نبي ولا قائد ولا مُحرقة أو موضع لنقدّم فيه ذبيحة أمامك فنجد رحمة، لكنّنا

---

[١] رسالة إلى أهل رومية: (١٢: ١)

[٢] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثاني عشر من رسالة بولس إلى رومية ، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Romans/١٢)

[٣] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثاني عشر من رسالة بولس إلى رومية ، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/romya١٢.htm)

نقدم قلبًا منسحقًا وروحًا متواضعًا فاقبلنا إليك"... بهذا لا نحتاج إلى سكين أو مذبح أو نار، بالحري نحتاج إلى هذه كلها، لكنها ليست مصنوعة بالأيدي، إنما تأتينا من فوق. نحتاج إلى نار علويّة، وسكّين؛ هكذا مذبحنا هو اتساع السماء!"[١].

ثم نقل من قول القديس جيروم من أمثلة ما يقدمه النصراني لله هو البتولية فيقول: "قال **القدّيس جيروم** عن هذه الذبيحة التي نقدّمها للَّه: "احضر تقدماتك؛ أي نوع من التقدمات؟ تقدمات نفسك**!** فالبتولية هي ذبيحة مُحرقة للمسيح، وكل طهارة سواء في الحياة البتولية أو الترمّل أو العفّة (الزوجيّة) هي تقدمة ذبيحة للمسيح"[٢].

وبالنسبة لكلمة بولس: "عبادتكم العقليّة" فنجد ترجمات مختلفة منها: "وهي عبادتكم بعقل"[٣]، و "فهذه هي عبادتكم الروحية"[٤]، يعلق توماس لأكويني على هذه الكلمات وقد ترجمها بأنها العبادة المعقولة مفسرا إياها بقوله: "أي أهدوا أجسادكم لله باعتدال مثل قربان إما بالشهادة أو بالتبتل، أو بأي عمل عدل"[٥].

وتقديم النفس لا يلزم منه هذا الفهم كما ذكر بعضهم بأنفسهم، فيمكن فهمه أنه بذل لدين الله واستقامة على الشريعة كما في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢)

أما إن فُهِم على أنه دليل فإنه يبين علاقة عقيدة "الصلب والفداء" بالحياة الرهبانية إذ يعتبرون أنفسهم فدوا أنفسهم كما فداها المسيح عليه السلام على حد قولهم. وهذه الأدلة المجملة على حياة الكمال التي يستند إليه الرهبان على رهبانيتهم[٦] هي -كما لا يخفى- لا تخلو من اعتراضات وتفسيرات مختلفة لا يمكن أن تقوم بها الحجة. ونأتي هنا على بعض الانتقادات المفصلة.

---

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق.

[٣] ترجمة "كتاب الحياة"، انظر:

(http://www.arabchurch.com/ArabicBible/alab/Romans/١٢)

[٤] ترجمة الأخبار السارة والترجمة اليسوعية. انظر:

(http://www.arabchurch.com/ArabicBible/jab/Romans/١٢);
(http://www.arabchurch.com/ArabicBible/gna/Romans/١٢)

[٥] *Commentaire de l'épître de saint Paul aux Romains*: St Thomas d'Aquin, traduction par l'Abbé Bralé (Paris: Edition Louis Vivès, ١٨٦٩). (http://docteurangelique.free.fr/)

[٦] وهناك نصوص أخرى منها (متى: ١٦:٢٤-٢٦)

المطلب الرابع: نقد النذر ومفهوم الكمال الرهباني:

إن النقود التي وُجِّهَت إلى مفهوم النذر والكمال الرهباني من البروتستانت كفيلة بإبطال ما زعمه أنصار الرهبانية، فقد كان لوثر يرى أن أصل مشكلة الكنيسة انحراف رجالها بسبب هذه النذور، وكان يقول: "لو كان المسيح حاضرا لا أشك أنه سيقطع هذه الروابط ويبطل جميع هذه النذور"[١].

من الأدلة التي اعتنى بها لوثر وأتباعه هو مخالفة النذر لسلطان النص، وقد استدل بفعل أنطونيوس واصفا إياه بأنه أبو الرهبان مُشِيدا بما نُقِل عنه من تقديس النص وأن لا يقدم بين يديه شيء، فيقول لوثر: "القديس أنطونيوس -أبو الرهبان- ورائد الحياة الرهبانية اعتبر ودرّس أنه لا يمكن في أي حال من الأحوال الشروع في عمل ما مِنْ غير سلطان النص، وهذا في غاية الحكمة وهي النصرانية عينها. بهذا لا يعترف بجنس الرهبان الذين نعرفهم بنذورهم وطقوسهم. وقد عاش حُرّا في الصحراء، حُرّا في العزوبية على صورة الإنجيل"[٢]. ويقول في موطن آخر: "نبحث عن نص من الكتاب وشهادة عن الإرادة الإلهية"[٣].

وهذا النقد يأتي في إطار المنهج الإصلاحي الذي يزعمه البروتستانت المتثمل في العودة إلى سلطان النص والاحتكام إليه[٤]. والظاهر أن لوثر لا ينكر أصل النذر وإنما إنكاره ونقده مُنْصَبّ على النذر الذي فيه الإلزام على وجه التأبيد، فنجده يقول عن أنطونيوس رائد الرهبان : "لكنه عاش حرا في الصحراء وحرا في عزوبيته كما في الإنجيل، والذين جاؤوا من بعده جعلوا من مشروعه الحرّ نذرا واجبا وإخضاعا، لم يتمسكوا إلا بالشكل وتقليد مخلوط لقانون أنطونيوس والتي هي قانون المسيح و لم يشاوروا إلا حكمتهم الإنسانية"[٥]. ويقول: "سنثبت أن الرهبانية مضادة لمقصد الكلمة -أي المسيح- والإيمان... إن النذر لا يكون نصرانيا وتقيا إلا إذا وافق كمال الإيمان. وكمال الإيمان لا يقدّر إلا إذا كان النذر حرا من غير إلزام للعدل والسلامة. علما أنه لا يوجد ولا يعتبر قانون أو كتاب يحقق العدل والسلامة إلا الإيمان بالمسيح"[٦].

---

[١] *Luther et le monachisme aujourd'hui*: René H.ESNAULT, p.٥٠, ٥٩

[٢] *Le jugement de Martin Luther sur les vœux monastiques*: Martin Luther, *Œuvres tôme III*,(Genève: Labor et Fidès ١٩٦٣); de *Commencer dans la vie religieuse avec Saint Antoine*: Christophe Boureux, (Paris : Cerf ٢٠٠٣), p.٩٥

[٣] *Luther et le monachisme aujourd'hui*, p.٤٤

[٤] يعتبر هذا في أصله محمودا ومطلوبا لولا أن النص الذي يحتكمون إليه يفقد الصحة أصالة، فكيف يحكم به على غيره وهو في حاجة إلى إثبات. وعلى كل حال فإنه مع ذلك قد أبان التناقض الذي هم فيه مما يزيد يقيننا أنهم في ضلال مبين.

[٥] *Le jugement sur les vœux monastiques*: Martin Luther, MLO III, ٩٥ de *Luther et l'expérience sexuelle: sexe, célibat, mariage chez le réformateur*: Robert Grimm, *collection: Histoire et société n°٣٩*, (Genève: Labor et Fides, ١٩٩٩), p.١٣٥

[٦] *Ibid*, p.١٣٥

بل قد وصل به الأمر أنه يرى أن أي راهب يدرك حقيقة النذور فيلتزم بها فهو مرتد فيقول:
"إن راهبا يدرك حقيقة هذه النذور كأنه يقول: "يا إلهي إني أنذر أمامك على أن لا أبقى نصرانيا""[١].

ولذا كان همه إنقاذ الرهبان من قلادة هذا النذر فيقول في رسالة أخرى:
"وأريد أيضا إنقاذ الرهبان والراهبات، لا شيء آخر أغلى على قلبي من هذا، أنا مشفق على هذه المعانات"[٢].

فأما استمرارية النذر وأبديته فنرجع هنا إلى ما ذكره جيمس هوكارت إذ ناقش الموضوع بمنهجية معتمدا على النصوص والعقل، فهو يرى أن لا دليل في العهد الجديد يدل عليه، لا نصا ولا عمليا.[٣] ثم يذكر احتجاج أنصار الرهبانية بإمكانية إلغاء النذور لكن عن طريق الكنيسة والبابا، وعلى هذا يجيب:
"هذه حيدة عن حقيقة حجج الخصم الأصلية الذين يحاربون إلغاء الحرية الشخصية، ومن الواضح أن الكنيسة وحدها تملك رفع النذور لأن الراهب قد استسلم بين يديها، وتبقى إذا من حقها الرفض أيضا، وهذه عادتها لأن القاعدة عندها هي أن النذور لا رجعة فيها إلاّ إذا رضي بالخروج عن الكنيسة ويرضى بالطرد واللعن..."[٤].
وفعلا فقد أصدرت المجامع القرارات الصارمة في طرد أمثال هؤلاء كما في مجمع خلقدونيا في ٤٥١م الذي حكم بطرد كل راهب يتزوج، كما أمر مجمع تْرَنْت[٥] في القرن السادس عشر بعد شيوع الفرار من الأديرة بسبب دعوة مارتن لوثر وأنصاره، فأمر المجمع الحكام والأمراء بشد عضد الأساقفة لإبقاء الرهبان في الأديرة، وإن لم يفعلوا فالطرد من رحمة الكنيسة ينتظرهم. وإلى عهد قريب في قانون فرنسا كان زواج الرهبان ورجال الدين عموما غير شرعي مَدَنِيا، ولم يلغ إلا في ٢٥ يناير ١٨٨٨م[٦].

ومن الحجج التي نقلها هوكارت وتَذَرَّع بها أنصار الرهبانية لتبرير هذا العقد الذي لا رجعة فيه هو القياس على الزواج عند الكاثوليك والأرثوذكس إذ يعتبر سر من أسرار الكنيستين وهو أيضا لا رجعة فيه إلا في حالة الزنى فيسمح بالطلاق، فأجاب أن الزواج عقد وليس نذرا، ومع كونه عقدا فإنه يلزم الطرفين الوفاء إلى الموت من غير رجعة. فهو يتفق مع الكنيسة على هذا المفهوم ولكن يقول:

---

١ *De Votis monasticis*: Martin Luther, WA ٨, ٦٠٣, ١٥ sq.; de *Luther et le monachisme aujourd'hui*, p. ٢٨-٢٩

٢ *Ibid*, p.٤٤

٣ *Le monachisme*, J. Hocart, p.٢٥

٤ *Ibid*, p.٥٩

٥ أقيم بين ١٥٤٥ و١٥٦٣م في مدينة ترنت شمال إيطاليا.

٦ *Op. cit.* J. Hocart, p.٦٠

"الزواج تعهد بين طرفين، يُلْزِمهما واجبات متبادلة، فإذا تخلى أحدهما أو كلاهما عن واجبه فإن الزواج لا يستمر. وهذا يدل على أن أقواما لا يلتزمون بواجباتهم ولا يوفون بعهودهم حتى لو أعلنوا عنها أنها لا تنقض"[١].

أما النقد الموجه إلى أصل فكرة الرهبانية وهي دعوى "الرغبة في الكمال" المبنية على القول المنسوب إلى المسيح والذي سبق ذكره: "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء"[٢]. فقد بيَّن جيمس هوكارت أن هذه الدعوى أصل الانحراف وأساس الضلال فرد عليها من وجوه:

الوجه الأول: يشكك أولا في صحة النص وهو ممن ينفي عصمة نصوص الأناجيل، وحجته في ذلك أن قصة الشاب الذي أجابه المسيح مروية في سفر مرقس ولم يذكر لفظة: " إن أردت أن تكون كاملا" وإنما نجده يذكر بدلها: "ينقصك شيء واحد"[٣].

الوجه الثاني: يثبت أن معنى الكمال أوسع مما ذكروا؛ ذكر أن هناك نص آخر في الإصحاح الخامس من إنجيل متّى يبين أن الكمال غير ما في الإصحاح التاسع عشر وهو قوله: " وسمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات؛ فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار وغير الأبرار. فإن أحببتم الذين يحبونكم، فأية مكافأة لكم؟ أما يفعل ذلك حتى جباة الضرائب؟ وإن رحبتم بإخوانكم فقط، فأي شيء فائق للعادة تفعلون؟ أما يفعل ذلك حتى الوثنيون؟ فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم السماوي هو كامل**!**"[٤].

يعلق على النص قائلا: "وبهذا التقريب يمكن أن نستخلص أن عيسى إذ دعا إلى الافتقار طواعية فإنه لا يعني مجرد عملية حرمان، وإنما هو أعلى برهان على حب المحرومين، وحجة عظيمة بالنية وإن كانت غير مجدية عمليا"[٥].

فهو بهذا الوجه ينتقد من جهة صحة النص، ومن جهة أخرى المقصود بالكمال والذي جاء بمعنى آخر في نفس الإنجيل وهو معنى نشر الحب بين الخلق كما يقول، وسيزيد الحديث عن المقصود كما قيده أنصار الرهبانية وهو الوجه الثالث.

---

[١] *Ibid*, p. ٦٤

[٢] سفر متى: (١٩: ٢١)

[٣] سفر مرقس: (١٠: ١٧-٢٢)

[٤] سفر متى: (٥: ٤٣-٤٨)

[٥] *Op. cit.*, Hocart, p.٣٧

الوجه الثالث: إن أنصار الرهبانية خرجوا عن النص بتقييدات ليست موجودة فيه إذ جعلوا الكمال شاملا للعزوف عن الدنيا والزواج والحرية الشخصية والحياة الاجتماعية. فهنا يتساءل هوكارت عن مصدر هذا الإلغاء الذاتي أو النكران للذات ما ملخصه: من الممكن أن نتفهّم النظرة البرهمية والبوذية والغنوصية والأفلاطونية المحدثة، والتي اجتمعت على أن الحياة شرٌّ يجب التخلص منها على اختلاف تنظيرهم في ذلك؛ ومن ثَمّ ترجموا ذلك بأنواع من إلغاء الذات والحرمان وتعذيب النفس إلخ، ولكن أنصار الرهبانية من النصارى الذين يعتقدون بما هو مُسطّر في سفر التكوين من أن كل ما خلقه الله خيرٌ، وأن الشر إنما مصدره خروج الإنسان عن منهج الله، فيفترض أنهم بعيدون عن تلك النظرة التشاؤمية. وهنا يستشهد هوكارت بخُطَب أحد كبار أنصار الرهبانية في القرن السابع عشر[١] الذي يقرر هذه النظرة التشاؤمية ونقل من أقواله: "العالم كله ليس بشيء والزمن سينتهي"، "ثم هذا العالم حقير هشّ وخدّاع، ماكر كثير الخيانة...وكل ما يعطي حقير فاسد وأكثر سمّا منه..."[٢].

ويختم هوكارت بقوله: "أرأيتم التعارض الكاثوليكي من أجل تبرير الرهبانية ورفض الدنيا والذات، كيف يتصادم مع عقائده الخاصة والنظم الشرقية التي تعلن أن العالم والحياة والغرائز شرّ"[٣].

ثم ذكر أوجه التعارض، أذكر منها:

- "الكاثوليكية التي تعلم في نفس الوقت أن عمل الله خير، والراهب الذي يغير ويصحح هذا العمل أكثر من خيّر بل هو كامل".
- "الله يجعل الإنسان ملك المخلوقات وما يعمله خير، والكاثوليكية تقول عن الراهب الذي يتخلى عن جميع الممتلكات كامل".
- "الله خلق الإنسان للمجتمع وما يعمله خير، والكاثوليكية تقول الراهب الذي فضل الوحدة كامل"[٤].

هذا بعض ما ذكروه وسنأتي في أنواع النذور على النقد المفصل لكل نذر على حدة.

---

[١] وهو جاك بنين بوسوي *Jacques-Bénigne Bossuet* (١٦٢٧-١٧٠٤م): أسقف مدينة كوندم جنوب غرب فرنسا، اشتهر بموهبته الخطابية حتى قيل عنه أنه من أشهر خطباء تاريخ فرنسا. الموسوعة الحرة ويكيبيديا:

(http://fr.wikipedia.org/wiki/Jacques-B%C%٣A٩nigne_Bossuet)

[٢] *Œuvres de Bossuet*, (Paris: Librairie Firmin Didot frères ١٨٤٧), t.III, p.٨٩-٩٠

[٣] *Ibid*, p.٤١

[٤] *Loc cit.*

المطلب الخامس: أنواع النذور عند الرهبان:

اشتهر في رهبانية النصارى أن النذور ثلاثة أنواع، وقد عرفت الموسوعة الميسرة وغيرها بقولها: "حياة جماعية تُقْضى في أديرة خاصة لغرض ديني أساسها نذر مثلث (الطاعة والفقر والتبتل)"[١].

وهناك من يزيد فيها أو يغاير الصيغة، فالراهبات يزدْنَ نذر "الانغلاق" أي إنهن لا تخرجْنَ حتى الموت من "حرم الدير"، وغاير البندكتيون الصيغة مع إضافات، فبدلا من البتولية والفقر والطاعة قالوا أولاً بنذر "الاستقرار" *ستَابيلِتِي* ***stabilité*** ويقصدون به أمرَيْن: استقرار في الدير مع الجماعة الذي أعلن الراهب فيه نذوره، واستقرار على الرهبانية إلى الموت فلا يجوز التراجع عن أحد الأمرين. والثاني نذر "تغيير العادات" ***conversion des mœurs*** ويقصدون نذر الفقر والبتولية.

وثالثه نذر الطاعة. فالجديد فيما أتى به البندكتيون هو نذر الاستقرار بحيث يرتبط الراهب بديره وجماعته ارتباطا لا رجعة فيه[٢]، وقيل إن السبب في ذلك إبطال ما كان من بعض الرهبان السياحيين الذين لا يقرُّون في مكان[٣]؛ ثم بهذا النذر يصبح راهبا دائما، فإن نقض نذوره خرج عن رحمة الكنيسة ويحكم عليه بالرِّدّة[٤].

وقد يُكتفى في بعض الجماعات بنذر الالتزام بالقانون الديري التابع لجماعته الذي يتضمن هذه النذور وغيرها من الالتزامات. والآن نأتي على النذور الثلاثة المشهورة لمعرفة المقصود منها والأصول التي يستندون إليها:

أولا) نذر البتولية :

١) التعريف:

-**البتولية لغة:** قال ابن فارس: " الباء والتاء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على إبانةِ الشيء من غيره. يقال بَتَلْتُ الشيءَ، إذا أَبَنْتَهُ من غيره"[٥].

فالتبتل يعني مطلق الانقطاع، وعن الزواج تركه زهدا فيه؛ وتبتل إلى الله: تفرغ للعبادة[٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، قال الإمام الطبري: "﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك، دون سائر الأشياء غيره، وهو من قولهم: تبتَّلْتُ هذا الأمر إذا قطعته، ومنه قيل لأم عيسى

---

[١] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص١٠٦٩-١٠٧٠

[٢] *Les ordres monastiques et religieux au moyen âge*: Marcel Pacaut, p.٣٢

[٣] *Op. cit.* A. Guillaumont , p.١١٠

[٤] *Le monachisme*, James Hocart, p.١٦

[٥] معجم مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م)، ج١، ص١٩٥.

[٦] انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وغيره، (إستانبول: دار الدعوة)، ج١، ص٣٨ بتصرف.

ابن مريم: البتول لانقطاعها إلى الله، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتل، ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن التبتّل"[١]. ثم نقل عن السلف تفسيراتهم للتبتل ومنها قول ابن زيد: "أي تفرغ لعبادته" وقوله: "تعبَّد، ذا التبتل إلى الله"[٢].

-**البتولية اصطلاحا**: "الامتناع عن كل تلذذ جنسي أيا كان"[٣]؛ وقيل: "انتصار على شهوة الجسد وانعتاق عن المهام، هموم الحياة العائلية"[٤].

لذا فالمقصود بالبتولية الانقطاع عن أي شهوة جنسية، ولذا قال بعضهم بدلا من نذر البتولية نذر العفة[٥]. واستخدام العفة مطابق للفظ المستعمل لدى النصارى في اللغات اللاتينية مثل شَسْتِتِي ***chastity*** باللغة الإنجليزية، وكذا كلمة كُنْتِنَنْس ***continence*** في اللغتين.

وقد يستخدم بعضهم كلمة فِرْجِنِتِي ***virginity*** وهي "البكورة"، إلا أنه غير دقيق إذ ليس كل راهب لم يتزوج قط في حياته وإنما تطلق على فئة محدودة نذرت بكورتها وقد ورد في تسميتهم في بعض النصوص بالعذراء.

ولما كانت العفة أعمّ ممّا يقصده نظّار الرهبانية فقد قسموها إلى نوعين[٦]:

الأول: العفة الكاملة: وهي "الامتناع عن كل تلذذ جنسي أيا كان"، وهذه لا تكون كذلك إلا إذا صاحبها نذر العفة، وهي تجتمع مع "البكورة" عند النصارى وكذا البتولية الكاملة. وهو المقصود في هذا المقام.

الثاني: العفة الناقصة: وهي "التي تمنع المتصف بها عن الرذائل قبل وبعد الزواج".

فالبتولية بمفهومها العام هي الانقطاع ومنه عدم الزواج، يقول الأنبا غريغوريوس: "التبتل ليس فقط عدم الزواج لكن عدم الزواج جزء من عملية التبتل"[٧]. فالمقصود هو التبتل عن الزواج والعفة من كل تلذذ جنسي إذ العفاف مطلوب من الجميع المتزوج وغيره.

---

[١] أخرجه الترمذي وغيره من حديث سمرة بن جندب ﷺ "أن النبي ﷺ نهى عن التبتل"، كتاب النكاح (٩)، باب ما جاء في النهي عن التبتل (٢)، رقم: ١٠٨٢. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٠٨٢

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، ج٢٣، ص٣٧٧- ٣٧٩

[٣] *Chasteté*: E. Dublanchy, *Dictionnaire de Théologie Catholique*, p.٢٣٢٠

[٤] خلاصة التصوف المسيحي، ج١، ص١٤٢ نقلا عن الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها: عمر وفيق الداعوق، ص٤٣٦. وانظر مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، ص١٤

[٥] الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها، ص٤٣٦

[٦] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t. II, p.٢٣٢٠-٢٣٢١

[٧] الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص١٨

ومن الناحية التاريخية يذكر متّى المسكين أننا لا نجد كلاما مباشرا في ذلك عند الرهبان الأوائل أمثال أنطونيوس ومقاريوس وغيرهما[١]، وهذا لا ينفي أن الرهبان الأوائل في واقع الأمر كانوا يلتزمون البتولية، فهي سمة ملازمة للرهبان عبر التاريخ، بل كما سبق في النشأة تعتبر البتولية من المظاهر التي سبقت ظهور الرهبانية عند النصارى. ولعل أهم الأسباب أن أدلتها والنصوص المتعلقة بها في العهد الجديد أكثر من غيرها مما أدّى ببعض فرق النصارى أمثال أتباع ماركيون وغيره إلى تحريم الزواج على كل نصراني كما سبق في الحديث عن التيارات الزهدية في القرن الثاني[٢].

لكن نذر البتولية أصبح مقننا بصيغة معينة عند الرهبان في القرن الحادي عشر والثاني عشر بقرار البابا جريجوار السابع[٣]. وهو من قبل ذلك مذكور فيما يتعلق برجال الدين، فمنذ القرن الرابع بدأت المجامع تصدر أحكاما وتضع ضوابط تتعلق ببتولية رجال الدين عموما، إلا أنه لم يُعرَف كما يقول *فيلِكْس فِرْنِي*[٤] -على الأقلّ- في الشرق إلا وجوب البتولية بالنسبة للرهبان[٥]. وعلى سبيل المثال كان هناك عقوبات تلحق الراهب الذي نقض نذر البتولية بالتزوج مع اعتبار صحة زواجه في القرن الخامس. وفي بيزنطة مُنِع زواج الرهبان بناء على التشريع المدني الذي وضعه الإمبراطور جستنيان قياسا على حكم زواج الكاهنات في العهد الروماني الوثني، وصارت القرارات المجمعية تزيد تشددا حتى جاء القرار بالحرمان والطرد من الكنيسة لمن تزوج من الرهبان.[٦]

ونلاحظ أن الكنيسة قررت وأوجبت ونظّمت وفرّعت مسائل حول هذا النذر فلننظر الأدلة التي يستندون إليها على هذا النذر.

٢) أدلة نذر البتولية:

أ- أدلة نذر البتولية في العهد القديم:

لم أجد فيما وقفت عليه دليلا يستدلون به على نذر البتولية من العهد القديم بل يعترف بعضهم أن العكس هو الصحيح، أي أن هناك ما ينقض نذر البتولية إذ أول ما يصطدمون به في أول سفر وأول إصحاح: " فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله

---

[١] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١٤١

[٢] انظر ص٥٩

[٣] موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من العزوبة،ص٣٣-٣٤ نقلا من الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها، ٣٧٨-٣٧٩

La Vie quotidienne des religieux au Moyen âge: Xe-XVe siècle, p.٣٦

[٤] Félix Vernet: أستاذ في الكليات الكاثوليكية بمدينة ليون في فرنسا توفي ١٩٤٢م.

[٥] *Célibat ecclésiastique*, *Dictionnaire de spiritualité*, tome II, p.٣٨٧

[٦] *Le monachisme orthodoxe*, Emilianos Timiadis, p.٢٠٣-٢٠٥

وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأؤوا الأرض وأخضعوها..."[١]؛ وكذا: "وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده. فاصنع له معينا نظيره"[٢].

ففي النصين دعوة صريحة إلى التكاثر واستعانة الرجل بالمرأة وهذا منافي للبتولية تماما. ولذا كان الزواج في الشريعة اليهودية واجبا وتركه منافيا للدين[٣]. لكن مع ذلك يستأنسون ببعض النصوص، منها:

النص الأول:

القول المنسوب إلى موسى عليه السلام: "وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا امرأة"[٤].

يقول تادرس يعقوب ملطي في تفسيره:

" كان الأمر صريحًا: "كونوا مستعدين لليوم الثالث، لا تقربوا امرأة" ليس لأن العلاقة الزوجية تحمل شيئًا من الدنس، وإنما لأجل تكريس كل الطاقات وانشغال الفكر بالكامل في انتظار الوصية... وقد رأى الآباء في هذه الوصية إشارة إلى التعفف في العلاقات الجسدية، وعدم ممارستها بطريقة شهوانية حتى تقدر النفس أن ترتفع مع موسى على جبل المعرفة وتتعرف على الله. ففي حديث القديس غريغوريوس عن البتولية يقول: "إن كنتَ تشتاق إلى الله لكي يعلن نفسه لك، لماذا لا تسمع موسى وهو يأمر الشعب أن يمتنعوا عن العلاقات الزوجية، لكي يُؤْخذوا إلى رؤية الله؟!". وكما استقبل الشعب قديمًا كلمة الله المنقوشة على اللوحين بالامتناع عن العلاقات الزوجية والاغتسال، وضعت الكنيسة على أولادها أن يمتنعوا عن فراش الزوجية ليلة تناولهم "الكلمة الإلهية"، وكما وضعت طقسًا جميلاً لغسل أيدي الكهنة قبل استلام الحمل، فيه يُراجع الكاهن نفسه في أمر نقاوة نفسه واستعداده الداخلي للخدمة"[٥].

فهذا النص لا يعدو أن يكون دليلا على الطهارة الكبرى من أجل اللقاء بالرب كما زعموا، أو إقامة طقس من الطقوس، وليس بتولية كاملة مدى الحياة، كما أنه عام يلزم الجميع وليس فئة معنية.

النص الثاني:

" فوجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك وقلبها أشراك ويداها قيود. الصالح قدام الله ينجو منها. أما الخاطئ فيؤخذ بها"[٦].

---

[١] سفر التكوين: (١: ٢٧-٢٨)

[٢] سفر التكوين: (٢: ١٨)

[٣] انظر دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، ص١١٦

[٤] سفر الخروج: (١٩، ١٥)

[٥] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد القديم، الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/Exodus.php)

[٦] سفر الجامعة: (٧: ٢٦)

هذا النص وإن كان ظاهره نظرة تشاؤمية نحو المرأة عموما، إلا أن مفسري الكتاب المقدس ذكروا أن المقصود بالمرأة هنا الزانية والعاهرة وأنها تُسقِط الرجل في الشباك وتجعله مقيدا كالعبد المملوك[١]. وقد وجدت أن اللاهوتي بطرس التَّرَنْتَزِي[٢] قد استشهد بهذا النص في تعليقه على قول بولس: "فحسن للرجل أن لا يمسّ امرأة" تأكيدا على تفضيل البتولية فيقول: "وأما الجسد فلأن الرجل يستسلم لقوة المرأة فيصبح عبدا وقد كان حرا"[٣].

ب -أدلة نذر البتولية في العهد الجديد:

١) النصوص المنسوبة للمسيح عليه السلام:

النص الأول:

قوله للتلاميذ لما سألوه أفضلية ترك الزواج ما دام أنه لا يجوز الطلاق: "قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج.(وفي ترجمة: فعدم الزواج أفضل) فقال لهم: "ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم. لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات.من استطاع أن يقبل فليقبل"[٤].

هذا النص يعتبر أصل من أصول تفضيل البتولية على الزواج وفيه أمور:

أولا: لما أخبر المسيح عليه السلام الفارسيين الذين سألوه عن الطلاق فأجابهم بأن الطلاق محظور إلا في حالة الزنى ولكن مع ذلك لا يتزوج بعدها وإلا كان زانيا: "وأقول لكم أن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا

---

[١] انظر تفسير أنطونيوس فكري:

(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/Ecclesiastes.php)

وتفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تادرس يعقوب:

(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Ecclesiastes/٧)

[٢] *Pierre de Tarentaise* (١٢٢٥-١٢٧٦م): نسبة إلى وادي في منطقة *Savoie* جنوب شرق فرنسا على الحدود الإيطالية. لاهوتي فرنسي، التحق بجماعة الدومنيكان وعمره ١٦ سنة ودرس في جامعة السربون بباريس وتخرج منها، ثم درّس فيها وتميز حتى لقب ب"أشهر الدكاترة". في ١٢٧٢م عُيِّن رئيسا لأساقفة منطقة ليون، و في ١٢٧٦م انتخب للبابوية باسم إنوسانت= =الخامس *Innocent V* ومات بعد تعيينه بخمسة أشهر. خلّف كتابات لاهوتية وفلسفية معتبرة عند الكاثوليك، وقد ضُمَّ بعض تفسيره إلى تفسير توماس الأكويني للكتاب المقدس.

Saints et saintes de Savoie: Jean Prieur et Hyacinthe Vulliez, (Fontaine de Siloé: Editions Le Veil Annecy ١٩٩٩), p.٨٧

[٣] *Commentaire de la première épître de saint Paul aux Corinthiens*: *St Thomas d'Aquin*, traduction par l'Abbé Bralé, (Paris: Edition Louis Vivès, ١٨٧٠) Voir: (http://docteurangelique.free.fr/)

[٤] سفر متى: (١٩: ١١-١٢)

وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني"[١]. فتساءل التلاميذ عن هذا الأمر العسير إذ كما يقول جيروم: " الزوجة عبء ثقيل إذا لا يمكن أن يفترق منها إلا في حالة الزنى. كيف إن كانت مبتلية بالسُّكْر، أو الغضب، أو كانت قليلة الحياء، هل يجب إبقاؤها؟ فباعتبار هذه القلادة الثقيلة التي هي الزواج أفصح الرسل عن شعورهم..." [٢].

ثانيا: كان جواب المسيح عليه السلام موافقا للتلاميذ لكنه يدرك أن الجنوح إلى هذا الخيار مع فطرية الشهوة في الناس لا يقدر عليه الجميع بل القلة القليلة فقال: " ليس الجميع يقبلون هذا الكلام". فهنا إذاً إقرار بصعوبة كبح الشهوة التي ركِّبت في الناس.

ثالثا: ظاهر كلام المسيح عليه السلام مدح الخِصْي الذي هو "سلّ الخُصْيَتَيْن"، وهما الجلدتان اللتان فيهما البيضتان من العضو التناسلي[٣]. لكن يؤكد أنطونيوس فكري في تفسيره أن المقصود ليس المعنى الحرفي كما فعل العلامة أوريجانوس، فالكنيسة تحرم الاختصاء وإنما المقصود هو البتولية وترك الزواج مع القدرة عليه[٤].

رابعا: فيه بيان فضل البتولية واستحبابها، وذلك أولا لامتيازها عن الزواج فهي "عطية إلهية" مأخوذة من قوله: "بل الذين أعطي لهم"، يقول يوحنا فم الذهب:" يعلمنا المخلِّص بحديثه هذا أنه لولا إدراك الفضل لكانت جهودنا كلها هادرة"[٥].

ثم إن المسيح قد حض عليها بقوله: " من استطاع أن يقبل فليقبل"، يقول جيروم: "أي لِيسأل كل واحد منا قواته لينظر هل يقدر على إعطاء البكورة والطهارة حقها. العفة لها جمال طبيعي تجذب إليها الجميع ولكن على كل واحد أن يختبر قوته، ومن أراد أن يفهم فليفهم. هذه كلمة الرب يحث جنوده ويدعوهم لنيل الظفر بالعفة ولسان حاله يقول: "من استطاع أن يحارب فلا يرفض القتال، فلينتصر وليظفر".[٦]

---

[١] سفر متى: (١٩: ٩) وانظر نفس السفر: (٥: ٣٢)

[٢] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean*: Saint Thomas d'Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٣] الصحاح، ج٦، ص٢٣٢٧

[٤] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح التاسع عشر من سفر متى، موقع شبكة الكنيسة:
http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Matthew/١٩
وانظر من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تادرس يعقوب، تفسير العهد الجديد، الإصحاح التاسع عشر من سفر متى، موقع شبكة الكنيسة:
http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew ١٩.htm

[٥] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean*: Saint Thomas d'Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٦] *Loc cit.*

خامسا: من الواضح أن هذه البتولية يشترط لها الإرادة والخيار، فقد أخرج المسيح قسمين ليسا داخلين في الفضل هما "خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس" فهذان القسمان لم يكن لاختيارهما ولا لفعلهما دَخْلٌ في حالهما وإنما الذي اختص بالفضل هو الذي قال عنهم: "ويوجد خصيان خَصُوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات"، فكان من اختياره وإرادته. يقول جيروم في هذا:"القسم الثالث هم الذين خَصُوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، وقد كان لهم القدرة على أن يكونوا رجالا يتمتعون بالفحولة فخصُوا أنفسهم حبا في يسوع المسيح. إلى هذا القسم الأخير وَعَدَ بالمثوبة"[١].

سادسا: يلاحظ أيضا أن الخطاب موجه للرجال دون النساء. يدل عليه السياق الموجه للتلاميذ والذي يذكر طلاق الرجل للمرأة، وقول التلاميذ: "إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فعدم الزواج أفضل"، إضافة إلى حديث المسيح عن "خصيان" والذي يختص بالرجال.

والخلاصة أن هذا النص قد دل على تفضيل البتولية على الزواج مطلقا، لكنه كما هو ظاهر النص لا يقصد طائفة معينة وإنما التفضيل عام يدل عليه السياق الذي يتحدث فيه المسيح عن الطلاق فسأله التلاميذ فأجابهم. وفيه دلالة واضحة على أنه أمر لا يقدر عليه إلا القليل.

<u>النص الثاني</u>:

قوله:"فأجاب وقال لهم يسوع: "أبناء هذا الدهر يزوِّجون ويزوَّجون. ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوِّجون ولا يزوَّجون. إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة""[٢].

وفي هذا النص مسائل:

أولا: سياق هذا الجواب في موضوع لا علاقة له بالبتولية مباشرة، فهي إجابة إلى منتسبين من فرقة الصدوقيين الذين ينكرون قيامة الأجساد، وسألوا المسيح امتحانا عن حكم امرأة تزوجت و لم تنجب، وبعد موت رجلها أخذت الثاني فالثالث حتى السابع من إخوة زوجها الأول، ومات الكل و لم تنجب، "ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة؟ لأنها كانت زوجة للسبعة؟". وقد وردت القصة في مواضع من العهد الجديد.[٣]

الشريعة اليهودية تنص على أن من مات وليس له أولاد يتزوّج أخوه بامرأته ليقيم نسلاً لأخيه فإن أبى

---

[١] *Loc cit.*

[٢] سفر لوقا: (٢٠: ٣٤-٣٦)

[٣] سفر متى: (٢٢، ٢٣-٣٠)؛ سفر مرقس: (١٢: ١٨-٢٦)

كان عليه عارٌ[1] . فكان سؤالهم وكأن المرأة في الأصل عندهم أنها لزوجها في الجنة فما الحكم إن كان السبعة هم أزواجها؟! ولكنهم يسألون عن إشكال من إشكالات يوم القيامة وليس المسألة المعروضة هي المقصود، وإنما يعتبرون هذا من الأدلة التي تقوي معتقدهم بإنكار قيامة الأجساد.

فكان الجواب مبنيا على أن أحكام الآخرة متغايرة عن أحكام الدنيا فليس هناك زواج كما أنه ليس هناك موت كحال الملائكة. يقول القديس بِيد[2]:

"أو أن ربنا يريد تقرير أن الأرواح تبقى مع مفارقة الجسد (وكان الصدوقيون ينكرون هذا)، واستنتاج قيامة الأجساد التي أحسنت أو أساءت إلى الأرواح"[3].

ثانيا: يستدل النصارى بهذا النص على تفضيل الحياة البتولية على الحياة الزوجية لأنها ملائكية وأنها حياة أخروية، يقول تادرس يعقوب: "هذه المقارنة ألهبت قلوب الكثيرين للتدريب على عربون الحياة الأبدية بالروح القدس وهم بَعْدُ في الجسد مثل العفة والنسك بفكرٍ روحيٍ سليمٍ؛ ففي رفضهم للزواج مثلاً أو نسكهم في الطعام لا ينظرون إلى هذه الأمور كأشياء دنسة أو محرمة، وإنما كأمورٍ زمنية تنتهي يليق بنا ضبطها ما استطعنا"[4]

ويقول: "في الحياة الأبديّة نمارس حياة ملائكيَّة فلا يوجد زواج. هنا يسترعي القدّيس يوحنا الذهبي الفم اِنتباهنا أنه ليس لأنهم لا يتزوَّجون هم ملائكة، وإنما لأنهم ملائكة فهم لا يتزوَّجون. لذلك فإن غايتنا – حتى بالنسبة للرهبان – أن ننعم بالحياة الملائكيّة لا عدم الزواج في ذاته"[5].

ثالثا: يظهر من النص أيضا أن النصارى ينفون أن يكون هناك ذكر وأنثى يوم القيامة كما ينفون أي تلذذ في الجنة. يقول جيروم: "عندما يُقال: لا يزوَّجون لا يتزوَّجون يظهر أن التمايز الجنسي قد انتهى".

---

[1] انظر سفر التثنية: (٢٥: ٥-١٠)، وانظر دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، ص١١٧

[2] الملقب بالجليل ***Bède le vénérable*** (٦٧٢-٧٣٥م): راهب ولاهوتي إنجليزي. أدخل دير ***Jarrow*** في شمال شرق إنجلترا وعمره ثماني سنوات وبقي فيه إلى وفاته ٧٣٥م. عرف بسعة علمه ومعارفه حتى أطلق عليه لقب "دكتور الكنيسة". خلف مؤلفات كثيرة من أهمها التاريخ اللاهوتي للشعب الإنجليزي وتفاسير للكتاب المقدس. ينقل عنه توماس الأكويني في تفاسيره.

Vie des pères, des martyrs et des principaux autres saints: Alban Butler, tr. Godescard, (Paris: Barbou ١٧٨٣), t.IV, p.٥٨٧-٦٠٤

[3] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles*: Saint Thomas d'Aquin. Voir: (http://docteurangelique.free.fr/)

[4] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد، الإصحاح العشرون من سفر لوقا، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/luka٢٠.htm)

[5] المرجع السابق، الإصحاح الثاني والعشرون من سفر متى، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew٢٢.htm)

ويقول في حديثه ضدّ أتباع جوفنيان[١]: "إن كان الوعد لنا أن نكون كالملائكة، ولا يوجد بين الملائكة جنسان متمايزان، فإنّنا سنكون بلا تمايز جنسي كالملائكة. على أي الأحوال، فإنّنا إذ نقوم من الأموات نحمل الجنس الذي لنا لكننا لا نمارس وظيفة الجنس". ويقول القدّيس كيرلّس الكبير: "إذ تنزع كل شهوة جسديّة ولا يكون فيهم موضع للملذّات الجسديّة. يشبهون الملائكة، مقدّمين خدمة روحيّة غير ماديّة، فيصيرون كأرواح مقدّسة، وفي نفس الوقت يحسبون مستحقّين لمجد يتمتّع به الملائكة"[٢].

والخلاصة أن هذا النص لا علاقة له بالبتولية أصلا. وإنما السياق إخبار عن يوم القيامة وأن الذين سيجزون فيه لا يزوجون ولا يتزوجون كما أنهم لا يموتون، مثلهم كمثل الملائكة.
واستدلال النصارى بهذا النص على مدح البتولية من جهة أن المتبتل يتشبه بالملائكة وحال أهل الحياة الأبدية في الجنة.

٢) النصوص المنسوبة إلى بولس:

ومن الأدلة التي استندوا إليها المنسوبة إلى بولس الرسول أكتفي هنا بذكر الإصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس[٣]، حيث جاء الإصحاح كاملا يعالج قضية البتولية مع ذكر بعض الأحكام الأخرى متعلقة بالزواج والطلاق. ويعتبر أصل مهم في هذا الباب وهو أكثر وضوحا وتقريرا لقضية البتولية مما نسب إلى المسيح عليه السلام.

وعن الظروف التي أجاب فيها بولس على أسئلة أهل كورنثوس نلحظ أمرَيْن:
أولا: يذكر لنا أنطونيوس فكري أن بدءا من هذا الإصحاح يجيب بولس على تساؤلات النصارى الكثيرة ومنها: " أن المسيحيين توقعوا في بداية المسيحية سرعة مجيء السيد المسيح، ظن كثيرون أنه من الواجب أن يتركوا ممتلكاتهم وزوجاتهم وبيوتهم مِمَّا كان سيقوض البيوت المسيحية لولا انتباه الرسل"[٤].
وهذا يبين لنا ما نقله غير واحد من أن السبب في الدعوة إلى التبتل وترك الأموال والممتلكات هو دعوى

---

[١] *Jovinien* (ت٤٠٦م): راهب انقلب ضد الكنيسة بنقد الزهد النصراني، وذلك بإنكار تفضيل العزوبية والبكورة على الزواج وغير ذلك. حكم عليه المجمع المحلي في ميلان في ٣٩٠م بأنه هرطقي خارج من الملة. واشتهر جيروم برده اللاذع عليه. من الموسوعة الكاثوليكية الالكترونية:
(http://www.newadvent.org/cathen/٠٨٥٣٠a.htm)،

[٢] المرجع السابق.

[٣] مدينة يونانية مشهورة تقع على بعد ٤٠ ميلاً غربي أثينا. معجم الكتاب المقدس:
(http://popekirillos.net/ar/bible/dictionary/read.php?id=٢٥٠٦&name=كورنثوس)،

[٤] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح السابع من الرسالة الأولى بولس إلى كورنثوس ، موقع شبكة الكنيسة:
http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/١Corinthians/٧

عودة المسيح للقيامة بعد وقت قصير، فكان فئام من النصارى الأولين في ترقُّب وانتظار[1]. ولذا فقد فسر البعض أن حالة الرسل بعد رفع المسيح وما سمي بحياة "الشركة" حيث إن الجميع يحضر ما يملك وتصبح ملكا للجماعة وكلهم على قلب رجل واحد إنما ترتب من أجل انتظار عودة المسيح لتقوم القيامة فلا حاجة للملك ولا حاجة للزواج. وقد حاول دُبْلَنْشِي[2] استبعاد هذا الرأي لاحتمال السياق هذا الأمر وغيره[3] إلا أن السياق يعزز هذا الرأي ويقويه، وذلك في موضعين:

الأول: في قوله: " وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهنّ ولكنني أعطي رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا"[4].

الثاني: في قوله: "فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مقصّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم. والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون .. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول"[5]

وقد فسروا الضيق الحاضر بأنه "وجودنا في العالم"[6]، و"الوقت المقصّر" بأنه "وقت مجيء ربنا يسوع" كما يقول أنطونيوس فكري ووضع بين قوسين "(أو وقت موتنا) يقترب"[7].

ومن المعلوم أن بولس كان يعتقد برجوع المسيح في زمنه وقبل موته فقد قال في نفس الإصحاح: "لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير"[8]. ويقول في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى: "فإننا نقول لكم بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين، لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله سوف يترل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب"[9].

---

[1] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t. II , p.٢٣٢٢

[2] *Dublanchy* (١٨٥٣-١٩٣٨م): قس ولاهوتي فرنسي، كتب مقالات عديدة في معجم اللاهوت الكاثوليكي.

[3] *Chasteté*: E. Dublanchy, *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.II , p.٢٣٢٢

[4] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ٢٥-٢٦)

[5] المرجع السابق: (٧: ٢٩-٣١)

[6] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح السابع من الرسالة الأولى بولس إلى أهل كورنثوس، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/١Corinthians/٧)

[7] المرجع السابق.

[8] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (١٥: ٥١-٥٣)

[9] الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي: (٤: ١٥-١٧)؛ انظر للمزيد: دعاوى النصارى في مجيئ المسيح عليه السلام: دراسة نقدية: سعود الخلف، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ج١٤، عدد ٢٣، شوال ١٤٢٢هـ / ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠١م)
(http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag٢٣/f٠٥.htm)

ثانيا: يصف لنا تادرس الملطي الظروف التي كانت الكنيسة الكورنثوسية تعيشها. فقد كانت "تعاني بجانب الانشقاقات تحت أسماء قادة معينين من صراعات بسبب مفاهيم الجنس والعلاقات الجسدية والزواج. فمن جهة كانت كورنثوس تفتخر بهيكل أفروديت وما تمارسه الكاهنات المكرسات للفساد لحساب الهيكل. ولعل البعض كان يحسب هذا التسيب علامة من علامات التحضر والتقدم، وأن العفة والطهارة نوع من التزمت غير اللائق بمواطني مدينة عظيمة مثل كورنثوس، ومن الجانب الآخر تطلع البعض إلى الزواج وكأنه زنا مباح فقام بعض المعلمين الكذبة ينادون بالامتناع عن الزواج لأنه نجاسة وإشباع لشهوات جسدية. جاء رفضهم للزواج كمظهر من مظاهر القداسة والتقوى. وظهرت آراء كثيرة متضاربة بين هذَيْن الطرفَيْن، لهذا بعث البعض بأسئلتهم في هذا الشأن إلى القديس بولس الرسول بكونه مؤسس الكنيسة هناك والمسئول عنها، يطالبونه بإجابة محددة على أسئلتهم"[١].

ونستخلص من هذه النصوص أمورا:

أولا: بولس يفضل التبتل والعزوبية والبكورة ويعلي من شأنها في أكثر من موضع من هذا الإصحاح فيقول في مستهله: "فحسن للرجل أن لا يمسّ امرأة"[٢]، " إذا من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن"[٣]، ويقول في حق الأرملة التي اختارت عدم التزوج بعد موت زوجها: "ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي"[٤].

ويستدل جيروم بقول بولس: "فحسن للرجل أن لا يمسّ امرأة" على أن ترك الزواج والتعفف عنه خير من الزواج ويقول:

"من هنا يترك يوسف معطفه ليفْلِتَ من يد المصرية التي أرادت مسه"[٥].

لكن الغريب في كلامه هذا أن يوسف عليه السلام إنما تسلل من يد امرأة العزيز متجنبا الوقوع في الزنى والفاحشة والسوء وليس ترك الزواج!

ثانيا: علل بولس تفضيله للبتولية بأن المسؤوليات الأسرية وهمومها وأمور الدنيا عموما مشغلة للإنسان كما في قوله: "فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج

---

[١] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد: الإصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى كورنثوس، (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/corinth٧.htm)

[٢] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ١)

[٣] المرجع السابق: (٧: ٣٨)

[٤] المرجع السابق: (٧: ٤٠)

[٥] *Œuvres de St Jérôme*: Benoît Matougues, (Paris: Auguste Desrez, imprimeur éditeur ١٨٣٦), p.٣٤٧

فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته"[١]. فالعلة إذاً أن البتولية تعين على التفرغ للعبادة والدعوة كما في قوله: " لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك"[٢]. ويدخل هذا ضمن التفرغ التام الذي يجب على كل من كان في خدمة الكنيسة من رجال الدين والرهبان كما في قول بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس: "فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح. ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنّده"[٣].

وفسروا: "عدم الارتباك بأعمال الحياة" بالنسبة للكهان ورجال الدين "أن لا يعملوا سوى خدمتهم، ولا يكون لهم عمل خارجى بالإضافة لتكريس القلب لله"[٤]. وهذا هو الأصل المعتمد لدى الكنيسة في تحريمها الزواج على رجال الدين كما أنه الأصل لدى الرهبان إذ نذروا أنفسهم للتفرغ للعبادة والتأمل.

ثالثا: نلحظ أيضا أن بولس يخاطب الجميع، فالحكم هنا ليس خاصا برجال الدين والدعاة... وإنما الخطاب موجه إلى عموم النصارى. يدل على ذلك أمور:

١) استخدامه الألفاظ العامة مثل "حسن للرجل أن لا يمس امرأة"، "ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراته و ليكن لكل واحدة رجلها"، "لكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا"...

٢) كلامه في أحكام تخص جميع النصارى كالحقوق الزوجية، الطلاق، الزواج مع غير النصراني أو النصرانية...

وهو الذي اختاره أمبروسياستر إذ يقول: " يقول البعض أن هذا المقال يوجهه الرسول إلى الكهنة؛ لكنني أرى مما جاء بعد ذلك أن الأمر ليس كذلك، وإلا ما كان يقدم نصيحته في عبارة عامة. فلو أن هذه الأمور خاصة بالكهنة لقال: "جيد بالمعلم أن لا يمس امرأة"[٥].

ويؤكد هذا أن بولس إذا ذكر أحكاما مختصة بالدعاة فإنه يخصص خطابه كما في قوله: "هكذا أيضا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون"[٦]، وهنا لم يفعل.

---

[١] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ٣٢-٣٣)

[٢] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ٣٥)

[٣] الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس: (٢: ٣)

[٤] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثاني من الرسالة الثانية لبولس إلى تيموثاوس ، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/٢Timothy/٢)

[٥] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد: (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/corinth٧.htm)

[٦] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: (٩: ١٤)

رابعا: يتضح من هذا النص أن بولس لا يحرم الزواج، بل نجده يذم من يحرم الزواج في رسالته إلى تيموثاوس الأولى حيث يقول: " ولكن الروح يقول صريحا أنه في الأزمنة الأخيرة يرتدّ قوم عن الإيمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين. في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم. مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق"[١].

خامسا: يدعو المتزوجين على سبيل الإذن لا الإلزام إلى الامتناع من العلاقات الجسدية لفترات محدودة ليتفرغا للصوم والصلاة لكنه اشترط رضا الطرفين: " لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضا معاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم. ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر"[٢].

سادسا: يلاحظ أخيرا إشكال في كلام بولس. ففي معرض كلامه ينسب الكلام إلى المسيح فيقول عندما تحدث عن قضية الطلاق: "وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها..."[٣] فكأن الكلام الذي قبله من رأيه ويريد أن يفصل اجتهاده من كلام المسيح، ونجده في موضوعات أخرى ينسب الكلام إليه وإلى رأيه واجتهاده كما في حديثه عن صحة زواج النصراني أو النصرانية بمن ليس نصرانيا فيقول: "وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها"[٤]، ويقول بعد ذلك: "وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهنّ ولكنني أُعطي رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا. فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر.."[٥].

وهكذا يشعر القارئ أنه يتحدث باسمه فيقول: "وهكذا أنا آمر في جميع الكنائس"[٦]، "هذا أقوله لخيركم ليس لكي ألقي عليكم وَهَقاً ..."[٧]. وفي الأخير يختم الإصحاح بقوله:"وأظن أني أنا أيضا عندي روح الله"[٨].

الحق أن هذا إن دل على شيء فإنما يدل على غموض هذه الشخصية وارتباكها في كلامها لأنه يترك القارئ حائرا في الأخير. أما المفسرون النصارى فهم أصلا يرون أن كل ما يقوله بولس إنما هو بوحي

---

[١] الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس: (٤: ١-٣)

[٢] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ٥-٦)

[٣] المرجع السابق: (٧: ١٠)

[٤] المرجع السابق: (٧: ١٢-١٣)

[٥] المرجع السابق: (٧: ٢٦)

[٦] المرجع السابق: (٧: ١٧)

[٧] المرجع السابق: (٧: ٣٥)

[٨] المرجع السابق: (٧: ٤٠)

روح القدس كما هو مقرر عندهم؛ فهذا أنطونيوس فكري يقول متأوِّلا قول بولس: "وأظن أني أنا أيضا عندي روح الله" بأنه إنما يقولها تواضعا "فكلامه موحى به من الله"[١]. وقبله في القرن الثالث عشر قال بطرس التَّرَنْتَزِي: "يبيّن أنه يجب علينا إضافة الإيمان إلى نصيحته لأنه إنما يقولها بإلهام من الروح القدس"[٢].

لكن السؤال المطروح هو ما الفائدة في فصل رأيه تارة عن كلام المسيح وقوله وكأنه يلفت الانتباه ليفرق المستمع والقارئ، بينما هو من عند المسيح وليس من رأيه. ولا أرى فائدة سوى التفريق بين ما لا ينبغي الجدال فيه لأنه من مصدر موثوق وهو المسيح والوحي، وما هو من رأيه واجتهاده ونصحه لأنه أمين كما زعم حين قال: "ولكنني أعطي رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا". ويؤكد ذلك ما قاله في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: " الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب"[٣]. ثم في الأخير يشطب على هذا كله حين يقول: " وأظن أني أنا أيضا عندي روح الله"! والظن في لغة العرب يدلُّ على معنيين مختلفين هما اليقين والشك، فأيهما يقصد؟ وكيف نسلم لمن زعم أنه إنما يتكلم بوحي دائما؟ وعلى كل حال فإن ظاهر كلامه أن ما جاء به من تفضيل البتولية والبكورة خير من الزواج أنه من رأيه واجتهاده. وبعض الأحكام الأخرى إنما هي من المسيح كما في حكم الطلاق.

فالخلاصة إذا أن هذا النص تارة أخرى يضع البتولية محل القيم العليا والمثلى، وقد بيّن بولس العلة والغاية أنها للتفرغ للعبادة وليكون بلا همّ. ويدعو المتزوجين إلى قطع بعض الأوقات من أجل التعبد بإذن الطرف الآخر.

هذا أهم ما يستخلص من هذا الإصحاح وإن كان من الصعب التوسع فيه لوفرة الكلام والتقسيمات التي ذكرها المفسرون. وسيأتي الحديث في النقد على ما يلاحظ في هذه النصوص وما استنبطوا منها وكذا موقف الإسلام من البتولية. وإضافة إلى ما اعتمدوا عليه من النصوص سواء الواردة عن المسيح أو بولس فإن التقليد الكنسي ممثلا بآباء الكنيسة في القرون الأولى من أمثال تَرتُلْيان، سيبريان، أمبرواز ومن تبعهم في القرون اللاحقة جاء ليؤكد أفضلية البتولية والبكورة. يقول البابا إنوسانت الثالث في أحد قراراته في القرن الثالث عشر:

---

[١] تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد، الإصحاح الثاني من الرسالة الثانية لبولس إلى تيموثاوس ، موقع شبكة الكنيسة: (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/١Corinthians/٧)

[٢] *Commentaire de la première épître de saint Paul aux Corinthiens*: *St Thomas d'Aquin*, traduction par l'Abbé Bralé, (Paris: Edition Louis Vivès, ١٨٧٠) Voir: (http://docteurangelique.free.fr/)

[٣] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: (١١: ١٧)

"إن رفض الملكية وكذلك الحفاظ على العفة مرتبطتان بالحياة الرهبانية ارتباطا بحيث حتى البابا نفسه لا يمكن أن يسمح بأي تخفيف"[١].

ويقرر دكتور الكنيسة توماس الأكويني الذي جدّد أصل هذا الموضوع منطقيا، وكل من جاء بعده عالة عليه، حيث قرر ذلك بمقدمات ثلاث[٢]:

١- خير الإله مُقدَّم على خير البشر.

٢- خير الروح مقدَّم على خير الجسد.

٣- خير الحياة التأملية خير من خير الحياة النشطة.

فالنتيجة المحتومة عنده أن حالة العفة أو البكورة أو البتولية ما دام أنه يسهل تلك الخيرية فهو لِذَاتِه خير من الزواج الذي يعرقل من أراد الوصول إلى تلك الخيرية، لكنه مع ذلك يؤكد أنه لا يلزم من كل من التزم بالعفة الكاملة أنه يكون خيرا من كل من لم يلتزم بها[٣].

وأخيرا فإن هذه الأدلة وغيرها لا تفيد بحال إلزام البتولية على الرهبان، وأقصى ما تدل عليه هو الاستحباب، وهنا تعجب كيف يوجبون البتولية أولا، ثم يحظرون الخروج منها استنادا لما سبق. وبقي أن نأتي على النقد المفصل لهذا النذر.

٣) نقد نذر البتولية :

سبق البروتستانت في نقد نذر البتولية جوفنيان والذي طردته الكنيسة بسبب أنه رأى أن النصوص لا تدل على تفضيل البتولية، والإشكال أنه لم يصلنا عنه إلا كلام المخالفين له أمثال جيروم الذي كتب "الرد على جوفنيان" ***Adversus Jovinianum*** وقد وصف لوثر هذا الرد بالضعف[٤].

فالنص الوحيد المنسوب إلى المسيح عليه السلام الذي يمكن أن يستأنس به أنصار الرهبانية في إثبات نذر البتولية هو ما ذكرناه سالفا: "ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات.من استطاع أن يقبل فليقبل"[٥]. وهنا يرد جيمس هوكارت من وجهين[٦]:

الأول: يشكك في صحة النص ويقول: "أحسبه داخلا في الزيادات والتغييرات التي أصابت هذا الإنجيل لمصالح عقدية ولاهوتية، لا أستطيع الدخول في هذا النقاش النقدي، وإنما ألفت النظر أن هذه الفقرة

---

[١] *La somme de théologie*: Thomas d'Aquin, q.٨٨, t.III, p.٥٦٥

[٢] *Sum theol, II a IIae* de ibid, p.٢٣٢٤

[٣] *Loc cit.*

[٤] *Luther et le monachisme aujourd'hui*, p.١٤

[٥] سفر متى: (١٩: ١١-١٢)

[٦] *Le monachisme*, J. Hocart, p.٢٣-٢٥, ٢٦-٢٧

حول الخِصْي المعنوي ليس له علاقة بالسياق، بل هو مضاد له حيث إن عيسى يعلن أن الإنسان الأول الذي خلقه الله كان منه ذكرا وأنثى (الفقرة ٤)"[1]. أي قوله: " فأجابهم قائلا: "ألم تقرؤوا أن الخالق جعل الإنسان منذ البدء ذكرا وأنثى"[2]. ووجه النقد أن المسيح ﵇ قرر أن الزواج قضية فطرية في الإنسان والله خلق لآدم حواء منه، وعلى هذا يكون تحسين الخصي المعنوي من أجل الدين متناقض مع السياق. وأما تشكيكه في النص فذكر خمسة أمثلة من النصوص التي يرى أنها حرّفت ومنها: " فاذهبوا إذن، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"[3]!

وهذا يبين لنا أن المؤلف وهو من إحدى الكنائس البروتستانتية المدعوة ب"الكنيسة المنهجية"[4] يتميز بنقد موضوعي في المصادر النصرانية حري بالدراسة. وقد سألت أحد المتخصصين البروتستانت[5] عما إذا كان هذا المنهج من أصول الكنيسة المنهجية أم أنه رأي شخصي. فأجابني بما نصه: " هوكارت كان فعلا منهجيا -أي ينتسب إلى الكنيسة المنهجية- لكن ذلك في بداية خدمته الكنسية إذ انتهى بروتستانتيا لِيبْرَالِياً... ولذا فإنه كان ينهج البحث الحرّ[6]، والذي مكّنه من التشكيك بمنهجية ببعض النصوص. وهذه "النّزعة" إنما هي ببساطة الحرية التي يملكها المؤمن البروتستانتي في دراسة نصوص الكتاب المقدس من غير قيد الكنيسة. وإن أردتم استقصاء هذه المسألة (صحة النصوص) ينبغي مقارنة مفسري الكتاب المقدس مع هوكارت. ومن المراجع في ذلك موسوعة العلوم الدينية لِلِخْتَنْبَرْجَر"[1].

---

[1] *Ibid*, p.٢٦

[2] سفر متى: (١٩: ٤)

[3] سفر متى: (٢٨: ١٩)

[4] *Eglise Methodiste*: إحدى الكنائس البروتستانتية التي ظهرت في القرن الثامن عشر في إنجلترا على يد جون ويزلي *John Wesley* (ت١٧٩١م) وأخوه تشارلز. ثم انتشرت في أمريكا، فرنسا وألمانيا وغيرها. سميت بالمنهجية لانضباط المؤسسين الأولين ومنهجية لقاءاتهم وأعمالهم، وكانت التسمية في البداية لمزا ثم أصبحت لقبا. تميزت بحيويتها في تنصير العوام ومنهجها الروحاني والذي يدعو إلى الالتزام بالحياة الإنجيلية يوميا وعدم المبالاة بالطقوس الرسمية. تضم حوالي ٣٠ مليونا من الاتباع حول العالم.
من الموقع الرسمي لاتحاد الكنائس السفرية المنهجية في فرنسا (*UEEMF*):
(http://ueem.umc-europe.org/ueem/SON_HISTOIRE.html)=
=وانظر الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: سعد رستم، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م)، ص١٧٨-١٨٢.
و موسوعة لاروس الالكترونية:
(http://www.larousse.fr/encyclopedie/nom-commun-nom/m%C%٣A٩thodisme/٦٩٨٠٤)

[5] هو الأستاذ الدكتور هُوج رُوبِرْت بُودَنْ *Hugh Robert BOUDIN*: متخصص في تاريخ الكنيسة، يحاضر في كلّ من كلية اللاهوت البروتستانتي والجامعة الحرة في بروكسل. وهو المسؤول عن مركز توثيق البروستانتية البلجيكية *ProDoc*.

[6] "البحث الحر" *libre-examen* مصطلح يندرج تحت "الفكر الحرّ" و"الليبرالية". يستخدمه البروتستانت كثيرا وغيرهم من العلمانيين والملحدين مفاده أن على الإنسان أن لا يخضع لأي مرجعية أيا كانت في حكمه على الأشياء. فهو مستعد لإعادة النظر في كل شيء حتى أقدسها، ولا يلتفت إلى نتائج حكمه إذ الأهم أنه توصل إليه بحرية كاملة. انظر موسوعة ويكيبيديا الحرة،
(http://fr.wikipedia.org/wiki/Libre-pens%C%٣A٩e)

[1] رسالة إلكترونية على بريدي الخاص بتاريخ ٢٠١٠/١/٦م.

الثاني: يحتمل أن يكون المقصود -باعتبار صحته- أن ذلك من أَجل العمل لإقامة المملكة التي سيسود فيها العدل والحب كما كان يحلم به المسيح، ثم يقول: "وهذا بعيد من أن يكون عذرا أو وصية لأنه يعلن بصراحة بأن ليس الجميع يقدرون عليه إلا الذين أعطي لهم"[١].

الملحوظة على هذا التفسير أنه لو جاز اعتبار هذا الفهم لجاز تبرير البتولية إذا ادعى مدّعٍ أنه من أجل نفس الغاية وقد قيل، ثم إن للرهبان أن يحتجوا بكونهم لا يقبلون أي أحد يريد الرهبنة إلا بعد اختبار وتمحيص لإرادته الصادقة كما هو معروف في قوانينهم. والإشكال في الأصل ليس في هذه النقطة نفسها وإنما هي في أن من نذر البتولية ثم لم يقدر على الوفاء به فالواجب أن يتحلل منه كما صرح بها مارتن لوثر قياسا على من نذر الحج فلم يستطع لعدم القدرة[٢]. وأقصد هنا بالنسبة للنصارى وأدلتهم لا من الحكم في الإسلام التي سيأتي الحديث عنها.

أما استدلال أنصار الرهبانية على نذر البتولية بما ذكره الرسول بولس في الإصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس[٣]، والذي كما ذُكِرَ سالفا، اشتمل على تفضيل البتولية واستحبابها. فيرد جيمس هوكارت على ذلك بنقاط هذه خلاصتها:

أولا: دعا بولس إلى ذلك لأنه كان يرى قرب قيام الساعة.

ثانيا: كان يرى أن ذلك أنسب ليتفرغ النصارى بما سماه "أمور الرب" من عبادة ودعوة.

ثالثا: يصرح بولس في أمر العذارى أنه مجتهد وليس له مِنْ قِبَل المسيح عليه السلام أمر كما في قوله: "وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنَّنِي أُعْطِي رَأْياً"[٤].

رابعا: يلحظ هوكارت تناقض أو تغيُّر في رأي بولس حيث يقول في الإصحاح التاسع من نفس الرسالة: " أليس لنا حق أن نتخذ إحدى الأخوات زوجة ترافقنا، كما يفعل الرسل الآخرون وإخوة الرب، وبطرس ؟"[٥]، وكذلك مدحه للزواج في رسالته إلى أهل أفسس حيث قال: " لذلك يستقل الزوج عن أبيه وأمه، ويتّحد بزوجته، فيصير الاثنان جسدا واحدا. هذا السر عظيم ولكنني أشير به إلى المسيح والكنيسة! إنما أنتم أيضا، كلّ بمفرده، ليحب كل واحد منكم زوجته كنفسه. وأما الزوجة، فعليها أن تهاب زوجها"[٦].

---

[١] *Ibid*, p.٢٦-٢٧

[٢] *La chair, la mort, le diable: le monachisme dans l'Heptaméon et la doctrine de Luther* : Yvan Loskoutoff, (*Revue de l'histoire des religions*, num: ٢١٥-٤, ١٩٩٨)

[٣] مدينة يونانية مشهورة تقع على بعد ٤٠ ميلاً غربي أثينا. معجم الكتاب المقدس: (http://popekirillos.net/ar/bible/dictionary/read.php?id=٢٥٠٦&name=كورنثوس)

[٤] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ٢٥)

[٥] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٩: ٥)

[٦] رسالة أفسس: (٥: ٣١-٣٣)

ويستدل هوكارت بهذه النقطة والتي قبلها على أن حتى بولس لا يعرف شيئا اسمه الحياة الدينية في العهد الأول، ولو علمه وكان ملازما للكنيسة الأولى كيف يقول أنه ليس له "أمر من الرب"، وكيف يكون لهؤلاء الرسل زوجات؟

خامسا: بولس يناقض بقوله العهد القديم، وذلك بالمقارنة بين الفقرة التي في سفر التكوين: "وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده "[١]، وبين قوله: "فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً"[٢].

والخلاصة أن ما ذكره هوكارت في محله، ومن أهم ما ذكره وأفادنا به ما ذكره بولس عن الرسل الآخرين وأنهم كانوا متزوجين كبطرس وغيره مما يؤكد أمرين:

الأول: عدم زواج بولس من أجل التفرغ للدعوة رأي ارتضاه لنفسه وليس تشريعا أخذه من المسيح، فكيف يكون تشريعا لمن بعده.

الثاني: إذا كان الرسول بطرس وهو رئيس الكنيسة وأول باباوات روما عند الكاثوليك – بزعمهم– فمن أين توجب كنيسة روما وغيرها على الرهبان وغيرهم من رجال الدين العزوبية والبتولية.

وفي الأخير يتبين أن زعم تفضيل ترك الزواج باطل من وجوه:

١ -النصوص الواردة في تفضيل العزوبة لا تصح نسبتها.

٢ -على فرض صحتها فإن ظاهرها غير مقصود فقول المسيح :" من ترك زوجة من أجلي فإنه يعطي للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة"[٣]. والمقصود بترك الزوجة هنا إذا طلبت فراقه لعجزه أو أي سبب آخر.

٣ -التعارض مع نصوص أخرى: "إن الذي زوّجه الله لا يقدر أحد على تفريقه"[٤].

ويضاف هنا نقطة هامة وهي عدم رعاية هذا النذر حق رعايته عبر التاريخ بل ومنذ بداية تاريخ الرهبانية كما سنرى. ومن دواعي كتابة لوثر على النذور ما ذكره رِيني إِسْنُو في دراسته[٥]: أن رهبان زمانه كانوا يعيشون حالة من عدم تحملهم مسؤولية هذه النذور عموما ونذر البتولية خصوصا؛ يفسر ذلك بالثقافة الدينية السائدة في المجتمعات الأوروبية والتدين الصادق من قِبَل العوام الذي دفع بفئام من

---

[١] سفر التكوين: (٢: ١٨)

[٢] الرسالة الأولى أهل كورنثوس: (٧: ١)

[٣] سفر متى: (١٩، ١٩)

[٤] سفر متى: (١٩، ٦)

[٥] *Luther et le monachisme aujourd'hui*, p.٣٩

الناس نحو حياة الرهبنة أو الحياة الدينية عموما من غير وعي وإدراك للحقائق والعواقب، مما كان سببا في عدم وجود الرغبة الحقيقية أو مجرد حماس عابر، فكان لوثر يرى من مسؤوليته إنقاذ هؤلاء النصارى الذين غُرِّر بهم فتقلدوا عبء هذه النذور البدعية والباطلة، يقول في رسالة إلى "أشراف النصارى من أمة الألمان"[١]: "إني أرى كيف يلتزمون بهذه النذور وخصوصا نذر العفة الذي يعهد به في هذه الأديرة، مع أن المسيح لم يأمر بها وأن منحة العفة لا تعطى إلا لقلة كما قال بنفسه وكذا القديس بولس[٢]. ووَدِدْت لو أننا أخرجنا الجميع من هذا الحَرَج وأن لا نترك نفوسا نصرانية حبيسة طرائق وقوانين خاصة استحدثها الرجال".

ويبين لنا إِيفاً لُسْكُوتُفْ أن لوثر قد زاد في بيان بطلان نذر البتولية أنه لا يطفئ نار الشهوة كما يزعمون بل يزيدها ويؤججها حتى تستحوذ على الراهب فتوقعه ليس في زنى معتاد بل في أرذل الرذائل وأفحش الفواحش، ومن ثم يقرر أن من غلبت عليه شهوته وجب عليه الزواج كمن نذر أن يحج ولم يستطع لم يلزمه الوفاء بنذره لعدم القدرة، وذلك أن مجرد شعلة الشهوة التي تطغى وتستحوذ على الناذر كافية في إبطال النذر، ومهما اجتهد المجتهد فإن الشهوة مركوزة في الفطرة. فالاستمرار على هذا النذر يؤدي إلى فسق معلوم[٣].

ونحن نتفق تماما مع هذا النظر لأن الله تعالى أخبرنا أن الشهوة مركوزة في الفطرة كما قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٤).

ولذا جاء الإسلام مراعيا هذه الحقيقة التي لا مناص منها وحثّ بأنواع من الأساليب على الزواج. ويعتبر الخارج عن هذا الأصل نادرا ، والنادر لا حكم له.

وهذه القضية ظلت وصمة عار على الكنيسة قديما وحديثا، وهي قضية عدم القدرة على ضبط الشهوة وهو الغالب على من غلى في هذا الباب بكبتها، فنذكر هنا من بين الأمثلة الكثيرة الوفيرة على فضائح الرهبان في هذا الباب في القديم والحديث مما يدل على فساد نذر التبتل وبطلانه من جهة الفطرة فضلا عن الأدلة كما سبق. فمن تلك الأمثلة:

---

[١] *A la noblesse chrétienne allemande*, in Luther, *Les grands écrits réformateurs*, tr. Gravier, (Paris ١٩٤٤), p.١٦٧-١٦٩, de *Ibid,* p.٤٠

[٢] سفر متى: (١٩:٢)؛ الرسالة الأولى إلى كورنيثيوس: (٧:٧)

[٣] *La chair, la mort, le diable: Le monachisme dans l'Heptaméon et lq doctrine de Luther*, *Revue de l'histoire des religions* num.(٢١٥-٤) ١٩٩٨, vol.٢١٥, p.٤٥١-٤٥٢

- مما يدل على انتشار خروج الرهبان من نذر التبتل إلى الفاحشة والشذوذ الجنسي ما جاء عن آباء الرهبانية ومؤسسيها من التحذيرات الشديدة والاعترافات بالوقوع في مستنقع الزنى والخنا فمن ذلك:

- قول أنطونيوس (ت٣٦٥م): " لا تتحدث مع صبي ولا طفل ولا تعاشره بالجملة ولا تجعله راهبا، ولا تقبل إليك شابا صغيرا قبل لباس الإسكيم لئلا يصالح العدو الشيطان، ولا ترقد على حصيرةٍ واحدة مع الأصغر منك..." [١]

- رَوَوْا عن الأنبا مقار (ت٣٩٠م) أن فتاة جاءت إليه لتشفى من شيطان كان فيها، وتصادف أن جاء أيضا أخ - أي راهب- من أحد الأديرة التي في مصر، وفي الليل خرج الشيخ (مقار) فوجد الأخ يخطئ مع تلك الفتاة، إلا أنه لم يوبخه، وقال: "إذا كان الله الذي خلقه يطيل أناته عليه وهو يراه، لأنه إذا أراد يستطيع أن يهلكه، فمن أنا حتى أوبخه؟![٢]

- يقول خليفة باخوميس مؤسس الديرية الراهب الأب أورسيزيوست ناعيا الرهبنة: "أيتها الرهبنة، امضي وابكي على ذاتك، امضي وابكي على زيك الذي يستحق الاحترام، الذي سيمزقه الذين هم في منزلة الخنازير والبغال! أيتها الرهبنة، امضي وابكي على أبنائك الصغار الذين نجسوا بتوليتهم وعلى شبانك الذين فقدوا مُثُلَهم..."[٣].

وهذا الشابشتي ذكر كثيرا مما كان يحصل في أديرة النصارى من الزنى والخنا، فهذا دير الخوات في العراق يقول عنه: " وهو دير كبير عامر، يسكنه نساء مترهبات متبتلات فيه. وهو وسط البساتين والكروم، حسن الموقع، نزه الموضع . وعيده الأحد الأول من الصوم .يجتمع إليه كل من يقرب منه من النصارى والمسلمين، فيعيِّد هؤلاء، ويتنزه هؤلاء . وفي هذا العيد ليلة الماشوش، وهي ليلة تختلط فيها النساء بالرجال، فلا يرد أحد يده عن شيء، ولا يرد أحد أحداً عن شي. وهو من معادن الشراب، ومنازل القصف، ومواطن اللهو"[٤].

---

[١] بستان الرهبان الموسَّع أو فردوس الآباء: رهبان برية شيهيت، سلسلة: من الآداب الرهبانية في القرون الأولى للرهبنة، (٢٠٠٦م)،ج١، ص٣٧؛ منشور في الانترنت مصورا في مواقع قبطية عديدة منها موقع السيدة العذراء:

(http://www.stmarylovers.com/vb/showthread.php?t=٣١٧٤)

وانظر بدعة الرهبنة: حنين عبد المسيح، سلسلة: من ظلام الأرثوذكسية إلى نور المسيح (١)، ص٢١

[٢] فردوس الآباء، ج١، ص٢٦٨

[٣] المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٧-٢٢٨

[٤] الديارات، ص٩٣

وذكر في غيرما دير الذي كان مقصد أهل الخلاعة والمجون فمنها:

- دير درمالس: "وعيده أحسن عيد، يجتمع نصارى بغداد إليه، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلا تبعهم . ويقيم الناس فيه الأيام، ويطرقونه في غير الأعياد"[١].
- دير الشياطين: "والناس يطرقونه للشرب فيه، وهو من مطارح أهل البطالة ومواطن ذوي الخلاعة"[٢].
- دير مرقوما: " له عيد يجتمع الناس إليه وهو مقصود لذلك، وتنذر له النذور وتحمل إليه من كل موضع. ويقصده أهل البطالة والخلاعة للشرب فيه"[٣].

وأضيف هنا ما جاء في موسوعة لاروس الفرنسية:

"في القرن الحادي عشر كان الرهبان الشرقيون الذين آلوا على أنفسهم أن يعيشوا بلا زواج لا يجسرون أن يدخلوا إلى بيوتهم الإناث من الحيوانات بسب ما يحتمل أن ينتج من ذلك من الخطر على أرواحهم ومع هذا فلا يخفى اليوم أنهم لم يفوا بما تعهدوا به من العفاف بين رجال الدين من الجنسين في القرون الوسطى... فقد قال (دوبوتر) بعد أن زار الأديرة في النمسا وفي الممالك الأخرى التابعة للملك فرديناند الأول سنة (١٥٦٣) م قال: إنه رأى مائة وعشرين ديراً تحتوي على ٤٣٦ راهبا و ١٦٠ راهبة و ١٩٩ سرية و ١٥٥ امرأة متزوجة و ٤٤٣ طفلاً ... وكتب هذا الكاتب عينه أنه يخشى أن يتكلم على راهبات زمانه تفادياً من أن يظن أنه يتكلم بإسهاب ومجون عن محلات الفسق والغش والعهر لبنات الهوى بدل أن يتكلم عن حظائر الطهر التي تعيش فيها العذارى الواقفات أنفسهن لعبادة اللّه؛ لأن الأديرة الدينية لم تكن اليوم هي تلك المعابد المخصصة لعبادة اللّه بل صارت بيوت فسوق ومحلات اجتماع أهل الدعارة من الشبان الذين لا همَّ لهم إلا قضاء شهواتهم البهيمية... وتاريخ دير (دورياك) الذي تكلم عنه المسيو (دولور) في تاريخ باريس سنة (١٨٢٢) م يعطي للقارىء فكرة عن الديور الفرنسية في القرن السادس عشر..." إلى أن قالت: "ليست هذه الأمور من الشؤون المنعزلة ولا الخاصة بزمن دون زمن"[٤].

وهذه شهادتهم على أنفسهم مما يقطع بفساد هذا النذر من أصله ثم لعدم قدرة غالب الناس على رعايته كما قال الله فيمن ألزموا أنفسهم الرهبانية. وهذا الزمن لا يخلو من ذلك أيضا فمن ذلك: يذكر القسيس غريعوار داليار الذي ترك الكنيسة الكاثوليكية وكتب كتابا سماه: "لم يبق لي الحق في أن أبقى

---

[١] الديارات، ص٣

[٢] المرجع السابق، ص١٨٤

[٣] المرجع السابق، ص٣٠٤

[٤] نقلا من دائرة معارف القرن الرابع عشر– العشرين: محمد فريد وجدي، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثالثة)، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩

قسيسا"[١]. ويقص تجربته مع التبتل ملخصها أنه بمجرد دخوله في سلك الكهنوت بحماسته وبراءته الأصلية سأل أحد الرهبان عن كيفية مواجهة الشهوة لابتلائه بالعادة السرية فأجابه الراهب أن العادة السرية أمر طبيعي، وهو دليل على كمال صحته! وبعدما بدأ عمله كقِس في إحدى كنائس زِيرْمَاتْ جنوب سويسرا، وهي قرية سياحية، اصطدم مع واقع رجال الدين النصارى الذين كانوا يفدون إلى تلك المنطقة خفية للتنزه والاسترخاء فاعترف له كثير ممن التقى بهم بما يعانونه من نفاق وازدواجية، فكم ممن يمارس اللواط مع الصغار، بل بعضهم يمارس الجنس مع الحيوانات. ويزيد فيقول إن منهم من لا يشعر بالذنب أصلا لاعتقاده أن التبتل نظام الكنيسة وليس أمرا إلهيا "فَلِمَ الالتزام إذا؟" كما قال له أحدهم، فكان يتساءل عن إله الحب والرحمة الذي يرى خواصه وأولياءه كما يزعمون يتعذبون بهذا. فأوصله ذلك إلى البحث عن التبتل وغيره مما تفرضه الكنيسة حتى تخلى عنها وأصبح من أعداء خرافات الكنيسة.[٢]

ونشرت جريدة النبأ المصرية بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠٠١م فضيحة الراهب القبطي المدعو برسوم المحرقي التابع لدير المُحَرَّق في محافظة آسيوط[٣]. وقد تم نشر ذلك موثقا بصور الراهب وهو يمارس الفاحشة، وذكروا أنه عمل ذلك في أعداد هائلة من النساء القبطيات اللاتي كنّ يأتينه للتطبب وكان يصور تلك المشاهد بنفسه[٤]. وإن تعجب فعجب في العشر السنوات الماضية (بين ٢٠٠١ و٢٠١٠م) حيث رصدت حول العالم أكثر من عشرة آلاف دعوى ضد رجال دين نصارى من أساقفة وقسيسين ورهبان في قضايا اعتداء على الأطفال مما أحرج الفاتيكان أيما إحراج. وقد احتاج البابا بندكت السادس عشر إلى الاعتذار والإقرار أمام العالم عند زيارته إلى أستراليا صيف ٢٠٠٨م ب"أن الاعتداءات الجنسية على الصغار من قبل ممثلي الكنيسة وصمة عار علينا جميعا"[٥].

---

١ *Je n'avais plus le droit d'être prêtre*: DALLIARD Grégor, (Nyon: Librairie chrétienne Carrefour, ١٩٩٣)

٢ مقال منشور باللغة الفرنسية عن "وجوب العزوبة" مأخوذة من كتاب القس السابق بإذنه. موقع الجمعية *Vigi-Sectes*، وهي جمعية نصرانية دولية تنشر معلومات حول الفرق والحركات الدينية:

L'obligation du célibat: Grégor Dalliard,
(http://www.vigi-sectes.org/catholicisme/celibat-obligatoire.html)

٣ ويسمى دير السيدة العذراء. على مسافة نحو ٣٢٠ كيلومترا جنوب القاهرة. الموقع الرسمي:
(http://www.almuharraqmonastery.com)

٤ صور الجريدة منشور في عدد من المواقع منها منتدى الموسوعة:
(http://www.almwsoaa.com/Forum/showthread.php?t= ٦١٤٤)

٥ النشرة الإخبارية الثانية ليوم السبت ٢٣ مارس ٢٠١٠م على القناة الفرنسية الثانية:
(http://jt.france٢.fr/١٣h/)

و موقع الأخبار الكاثوليكي:
(http://news.catholique.org/٢٠٤٥١-le-pape-presente-ses-excuses-aux-victimes-d)

ولكن هذا الاعتذار لا يسمن ولا يغني من جوع، علما أن من وقع منهم في هذا الدرك الأسفل لم تحكم الكنيسة عليهم بشيء، ولا ترفع عنهم رسامتهم، إذ تعتبر ذلك ذنبا يجب ستره. ولا تنظر إلى حق المفعول فيه. وقد وقع في سويسرا مؤخرا ضجة إعلامية حيث اكتشف أن قسا ممن اتهم في قضايا اعتداءات مكررة على أطفال في سويسرا وفرنسا منذ السبعينات الميلادية فاعترف القس، ثم وجدوه في أحد الأديرة يهنأ بالهدوء منذ سنتين بعد القضية. وقد أسكتت السلطات الكنسية الأُسَر بمبالغ مالية![١] وقبل أيام قلائل قدّم أسقف بلجيكي استقالته للبابا لأنه كان يعتدي على طفل منذ سنوات. فلم يكن من البابا إلا أنه قبل استقالته ولا متابعة بعد ذلك![٢]

وإن تعجب فعجب من هذا كله ثم لا يعترفون أن أصل هذا الانحراف هو إيجاب وفرض نذر العفة الذي أنزلهم إلى أحط منازل الفاسقين وأرذل الرذائل. ولا أجد أصدق من الله حكما فيهم إذ لما ذكر الله من أسلم من النصارى بعد سماعهم ما أنزل على محمد ﷺ علل ذلك بأن من النصارى، أي بعضهم، فيهم تواضع ورِقّة، ولذا فإن أعينهم تفيض من الدمع إذا سمعوا القرآن لما عرفوا من الحق فيؤمنون ويسلمون من غير تردد، يقول الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٨٢ – ٨٥)

وفي مقابل ذلك لما ذكر الله عنهم الفسق وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله ذكر "الكثرة"، يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (المائدة: ٥٩)

وهذا قوله ﷻ ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحديد: ٢٧)

---

[١] *L'étau se resserre autour du capucin pédophile*: Patrick Chuard, ٤/١١/٢٠٠٨:
(http://www.٢٤heures.ch/actu/suisse/etau-resserre-autour-capucin-pedophile-٢٠٠٨-١١-٠٣)

[٢] *Pédophilie dans l'Eglise catholique: démission d'un évêque belge*,
(http://www.rfi.fr/contenu/٢٠١٠٠٤٢٣-pedophilie-eglise-catholique-demission-eveque-belge)

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ ﴾ (التوبة: ٣٤)

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الفسق هو الوصف الغالب عليهم مهما تظاهروا بالطهر والتطهر، ثم قبل ذلك وبعده فإنه يبين إعجاز كلام الله تعالى في وصف حالهم كما هي في الواقع والحقيقة والحمد لله رب العالمين.

ثانيا) نذر الفقر:

١) التعريف:

- **الفقر لغة**: يقول ابن فارس: "الفاء والقاف والراء أَصلٌ صحيح يدلُّ على انفراجٍ في شيء، من عضوٍ أو غير ذلك. من ذلك: الفقَار للظَّهر، الواحدة فَقَارةٌ، سمِّيت للحُزُوز والفُصول التي بينها. والفقير: المكسور فَقَارِ الظَّهر. وقال أهل اللُّغة: منه اشتُقَّ اسمُ الفقير، وكأنه مكسورُ فَقَار الظَّهر، من ذِلَّتِهِ ومَسْكَنتِه". فالفَقْر والفُقْر ضِدُّ الغِنَى، واختلفوا حَدّه، فقيل: "أنْ يكونَ له ما يَكْفِي عِيالَه"، وقيل: "مَنْ يَجدُ القُوتَ والمِسْكينُ: مَنْ لا شيءَ له"، وقيل غير ذلك[١].

- **الفقر اصطلاحا**: جاءت تعريفات شتى عن معنى الفقر عند الرهبان منها:

-" الرفض المطلق الذي هو أساس حياة الكمال؛ تعني في الواقع ترك كل شيء، لا ليكون فقيرا، بل ليعيش حياة فراق"[٢].

- "هو أن يتجرد الإنسان من جميع مقتنياته باختياره وإرادته وأن يحيا فقيرا كما عاش سيده ومعلمه المسيح"[٣].

فالفقر في الرهبانية النصرانية تعني أن لا يترك الراهب شيئا لنفسه مهما دقّ وصغر. وهذان التعريفان يشملان أيضا: "حرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات ومن فاخر الثياب أو تعذيب البدن بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيدا عن الناس" كما ذكر د/ أحمد عجيبة[٤]، لكن يبقى أن اختصار مفهوم "فقر الرهبانية" على ما ذكره فيه قصور لأن الفقر أعم من ذلك وأدق كما سيتبين.

---

[١] معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٤٤٣-٤٤٤

[٢] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen âge: Xe-XVe siècle*, p.٣٤

[٣] مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، ص٢٣

[٤] الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٩٢

وقد لازم الفقر الرهبانية النصرانية منذ بدايتها وتقنن عبر التاريخ فهو واضح في القوانين وغيرها. وكان ترك الدنيا كليا ظاهرة عند الرهبان الأوائل كما هو في مستهل سيرة أنطونيوس ومن قبله في سيرة بولس وقد ذكرناهما سالفا. إلا أنه كغيره من النذور لم يظهر مقننا إلا في مرحلة الديرية وظهور القوانين. ومع ذلك نجد نصوصا صريحة عند أوائل الرهبان، منهم مقاريوس (ت٣٩١م) إذ يقول: "كما أن الذي يذهب إلى الحمام، إن لم يخلع كل ملابسه فلا يستطيع أن يستحم ولا أن يغسل جميع أوساخه، هكذا يكون حال من يشرع في أن يصير راهبا. فإنه إن لم يتعرَّ من كل هموم هذا العالم ومن كل شهواته المملوءة لذّات باطلة، فهو لا يستطيع أن يتقدم في الفضيلة ولا أن يهزم سهام العدو التي هي الأوساخ"[١].

ونجد الفقر في مستهل القوانين الديرية عبر التاريخ. فمن ذلك:

- في قانون الآباء الأربعة : "وسنبين الآن كيف نُخضع تارك الدنيا إلى اختبار ليهتدي. يجب أن يُزال منه أموال الدنيا"[٢].
- في قانون ماكير يُقرأ على القادم للدير راغبا في الترهب القانون الديري، فإن رضي به قُبِل، وإن كان له مال قدّمه أمام الجميع حتى قال: "إذا قبلت عطاياه فليس له من تلك اللحظة أملاك يملكها وحتى شخصه ونفسه"[٣].
- ويقول أوغسطين في مقدمة قانونه: "والذين إذا دخلوا الدير وكانوا يملكون شيئا في الدنيا فعليهم أن يقبلوا عن رضا نفس أن يصبح للجميع"[٤]. ويقول: "فلا أحد يتملك شيئا حتى ولو كان ثوبا أو أي شيء لأننا نريد سلوك حياة الرسل"[٥].

فالفقر في مفهوم الرهبان يشمل التجرد من أي مال، كما أنه التجرد من نفسه عينها بأن يسلمها للقانون الديري ورئيس الدير. وقد تقنن هذا الفقر في التاريخ حتى من جهة الحكام.

والغاية من هذا التجرد أن لا يبقى له أي ارتباط دنيوي، يقول فيلو كسينوس[٦]: "الإنسان لا يستطيع أن يسير في طريق الكمال ما دام يملك شيئا جسدانيا لأنه حسب مقدار الاقتناء تكون رباطات النفس التي تربط جناحات العقل فتعطل طيرانها إلى طريق السماء..."[٧].

---

[١] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار: متى المسكين، ص١٤٤-١٤٥

[٢] *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle*, p.٩٩

[٣] *Ibid*, p.١٤٨

[٤] *Ibid*, p. ٧٤

[٥] *Le monachisme en occident avant saint Benoît* : Adalbert DE Vogüé, p.٣١

[٦] من مشاهير النساك في الكنيسة السريانية في القرن السادس. مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، ص٢٥؛

[٧] المرجع السابق.

ارتبط أيضا بمفهوم الفقر عند الرهبان وعند النصارى عموما بُعْدٌ عَقَدِيّ خطير أسّسه بولس في قوله: "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ"[١]. أي أن المسيح "تخلى اختيارا عن أصله الإلهي، وغناه الذي اكتسبه من أبيه ليظهر كإنسان سيق واستحق الموت"[٢].

وعلى هذا يقول جيروم: " صار الرب فقيرًا لكي يعطي راحة للفقراء. صار مع البشر فقيرًا حتى لا ييأس أحد من الخلاص بسبب فقره"[٣]. وجاء في كتاب "الحياة الرهبانية": "الفقر: هو حركة تفقير داخلي وخارجي تتجدد يوما بعد يوم، هو طفولة متزايدة نصير فيها متواضعين أكثر فأكثر وأطفالا أكثر فأكثر على مثال الرب نفسه على مثال الله، فالله هو الفقير الأبدي إنه كلّ شيء ولكنه لا يريد أن يمتلك شيئا بل يبذل كل شيء حتى ابنه الوحيد أي نفسه"[٤]. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

٢) أدلة نذر الفقر:

من أدلة نذر الفقر التي استندوا إليها:

النص الأول:

" لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ. لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ :لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَداً فِي التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدّاً يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ

---

[١] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: (٨: ٩)

[٢] *Pauvreté chrétienne*: Simon Legasse, *dictionnaire de spiritualité*, t. XII, p.٦٣٢-٦٣٣

[٣] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد، (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/corinths٨.htm)

[٤] الحياة الرهبانية: رهبنة مار جاورجيوس، (دير الحرف، ١٩٨٤)، ص٩٠ نقلا عن الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها، ص٤٣٦

بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي اليَوْمَ شَرُّهُ"[١].

وفيه أمور:

أولا: إن سياق النص وهي الوحدة الموضوعية للإصحاح يهدف إلى إصلاح ما كان عليه اليهود من فساد قلوبهم؛ فقد كان الرياء وحب الظهور دَيْدَنُهُم في عباداتهم التي أصبحت شكلية لا روح لها، فدعا المسيح عليه السلام إلى الإخلاص لله بوضوح تام في جميع أبواب العبادات من صدقة وصلاة وصيام، ثم بيّن أنه ينبغي تعليق القلوب بالدار الآخرة التي هي دار القرار كما في (١٩-٢١) إشارة أن سبب فساد الإخلاص عدم تعلق القلوب بالآخرة، فلو تعلقت القلوب بالآخرة لعملت لما عند الله لا مدح الناس. ثم جاء الحديث عن عدم الاهتمام بالدنيا وعدم إمكانية الجمع بين النقيضين وهما قصد الدنيا وقصد الآخرة في قلب رجل واحد. وهذا النص يستشهد به الرهبان على ترك الأموال بمفهومها الواسع ونذرهم للفقر.

ثانيا: ذكر غير واحد أن النص لا يعني ترك الدنيا والأموال جملة وتفصيلا، يقول أنطونيوس فكري: "والله ليس ضد الأغنياء فإبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا أغنياء، ولكن الله ضد أن نكون عبيداً للمال متّكلين على المال كضمان للمستقبل"[٢].

فالمقصود أنه لا يمكن أن يكون عبدا للمال وعبدا لله؛ لأنه جمعٌ بين النقيضين وهو المثال بخدمة السيّدَيْن وكل واحد منهما يأمر بضد ما يأمر به الآخر[٣]. وإنما المعنى عدم تعلق القلب بما نحتاج إليه، يقول جيروم: "لكن الله ينهانا أن نأسف من أجل طعامنا لتجهيز خبزنا تَعْرَق جبيننا؛ ولهذا يجب العمل لكن من غير عناية مفرطة، وهذا يكون لطعام ولباس أجسامنا، أما لباس وطعام أرواحنا فإنه يجب أن يكون محل اهتمامنا المستمر"[٤].

ثالثا: يشير جيروم إلى نقطة مهمة وهي أن المسيح لم يقل "الذي عنده أموال" وإنما أشار إلى محبة وعبودية المال[٥]، فالنتيجة أنه بترك الأموال كليا كما يفعل الرهبان لا يعني لزاما بحال أنه تركٌ لمحبة المال والتعلق به وهو الغاية من النص.

رابعا: وأما قول المسيح عليه السلام: "لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. انظروا إلى طيور

---

[١] سفر متى (٦: ٢٤-٣٤)

[٢] التفسير:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Matthew/٦)

[٣] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean*: Saint Thomas d'Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٤] *Loc cit.*

[٥] *Loc cit.*

السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها". فهو أيضا تأكيد بالأمثلة المحسوسة أنه ينبغي الزهد بالدنيا. يقول القدّيس كبريانوس: " إن كانت الطيور بلا تفكير أو اهتمام والتي توجد اليوم ولا تكون غدًا يعولها الله بعنايته كم بالأحرى يهتم بالبشر الذين وعدهم بالأبديّة؟!". ويقول أغسطينوس: "يرى القدّيس جيروم في القول: "لا تهتمّوا بالغد" دون قوله "تهتمّوا باليوم" تشجيع للعمل والجهاد الآن بغير تواكل، إذ يقول: "قد يسمح لنا أن نهتم بالحاضر ذاك الذي يمنعنا من التفكير في المستقبل، حيث يقول الرسول: "عاملون ليلاً ونهارًا كي لا نثقل على أحدٍ منكم""[١].

خامسا: يقول جيروم: "يختم السيّد حديثه عن العبادة الحرّة التي لا يأسرها محبّة المال، فيعيش الإنسان في كمال الحرّية متّكئًا على الله لا المال، موضّحًا ضرورة الحياة بلا قلق، إذ يقول: "لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلها تُزاد لكم؛ فلا تهتمّوا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه؛ يكفي اليوم شرّه" [٣٣-٣٤]. ملكوت الله وبرّه هو الخبز الذي نسعى إليه، والذي نقصده من كل أعمالنا، ولكننا إذ نخدم في هذه الحياة كجنود راغبين في ملكوت السماوات نحتاج إلى الضروريّات اللازمة للحياة، لذلك قال الرب: "هذه كلها تزاد لكم"، "ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره". فبقوله كلمة "أولاً" أشار إلى طلبنا هذه الأشياء، ولكننا لا نطلبها أولاً، لا من جهة الزمن بل حسب الأهمّية، فملكوت الله نطلبه كخير نسعى نحوه، أمّا الضروريّات فنطلبها كضرورة نحتاج إليها لتحقيق الخير الذي نسعى نحوه"[٢].

سادسا: وهناك من تمسك بالظاهر وأن الرهبان هم ألصق النصارى بالمثال، يقول هيلاري:
"الرهبان على وجه الخصوص هم طيور من هذا النوع، ليس لهم مخازن ولا خزائن لكن لهم رب المؤن والمخازن، المسيح نفسه!... ليس لهم غنى الشيطان (محبّة الغنى) بل فقر المسيح. ماذا يقول الشيطان؟ "أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي" (مت ٤: ٩). أمّا المسيح فماذا يقول لتابعيه؟ من لا يبيع كل ما له ويعطي الفقراء لا يقدر أن يكون تلميذًا. الشيطان يعد بمملكة وغنى ليحطّم الحياة، والرب يعد بالفقر لكي يحفظ الحياة!"[٣].
والخلاصة أن النص دل على أمور:

- الزهد في الدنيا.
- عدم الاهتمام بالرزق إذ تكفل الله به وإنما يكفي السعي في طلبه من غير تعلق القلب.
- الاهتمام أولا بطلب الآخرة.

---

[١] الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي: (٢: ٩) انظر من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين:
(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/matew٦.htm)

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق.

النص الثاني:

" إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كتر في السماء وتعال اتبعني... وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرون أولين"[١].

سبق الحديث عن هذا النص إذ استدلوا به على عموم "حياة الكمال"، وهو أيضا أصل في "ترك الأموال واتباع المسيح" يقول القديس ريمي[٢]:

"ربنا يعلم الذين يريدون أن يصبحوا كاملين في الإحسان كيف يصلوا إلى الكمال: قال له عيسى: "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك". انتبهوا إلى هذه الكلمات، لم يقل: "اذهب وكُلْ كل ما عندك"، ولكن: "اذهب وبع". ولم يقل فقط: "بعض أملاكك" كما فعلا حنانيًّا وسفيرة ولكن: "بع الكُلّ"،...وأخيرا لم يقل: "اعطوا الثمن للوالدين أو الأغنياء الذين قد يعطونكم بدلها أموالا مثلها"، ولكن: " وأعطوا الثمن للفقراء""[٣].

النص الثالث:

"وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَات. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً. وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ"[٤]. وفي نص آخر:

"وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ. إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجاً لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ حُقُولٍ أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ. وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ

---

[١] سفر متى: (١٩: ٢١)

[٢] *Remi* (ت٩٠٨م): راهب بندكتي له مصنفات في الفلسفة والنحو والتفسير مات ٩٠٨م.

[٣] *Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean*: Saint Thomas d’Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٤] سفر أعمال الرسل: (٢: ٤٢-٤٧)

كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاج. وَيُوسُفُ الَّذِي دُعِيَ مِنَ الرُّسُلِ بَرْنَابَا الَّذِي يُتَرْجَمُ ابْنَ الْوَعْظِ وَهُوَ لاَوِيٌّ قُبْرُسِيُّ الْجِنْسِ إِذْ كَانَ لَهُ حَقْلٌ بَاعَهُ وَأَتَى بِالدَّرَاهِمِ وَوَضَعَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ"[١].

يعتبر هذا النص من أهم ما يستدلون به في نذر الفقر، وأهميته كائنة في أنه ترجمة عملية على حد قولهم لوصايا المسيح عليه السلام في بيع الأملاك وترك الدنيا كليا، بل ذهب بعضهم إلى أن هذه الحياة هي النواة الأولى للحياة الرهبانية الديرية كما سبق ذكره. وبعد النظر في تفاسير القوم نستخلص ما يلي:

أولا: يذكر تادرس يعقوب أن بيع الأملاك وتوزيعها فيما بينهم لم يكن إلزاما من الرسل للمؤمنين بقانونٍ معين وأن المؤمنين كانوا "يعشقون الحب الباذل والعطاء بسخاء حبًا في الله"[٢]؛ ويقول: "والعجيب أن هذا الشعور لم يتحقق من أوامر إلهية أو قوانين كنسية أو وصايا رسولية صدرت لهم، لكنه تحقق طبيعيًا بامتلائهم من الروح القدس فصاروا أعضاء جسد المسيح القدوس، الذي بذل ذاته عن الجميع، وأخلى ذاته من أجل خلاص الكل"[٣].

ويورد هنا إشكال في فهم قصة "حنانيًا" وامرأته "سفيرة" اللذَيْن باعا حقلا بثمن وقدَّما جزءا منه للرسل وأخفيا الباقي[٤]. فكان جزاؤهما أنهما وقعا ميِّتَيْن لخيانتهما. فلو لم يكن واجبا لِمَ كان العقاب صارما؟ أجابوا على ذلك بأنه لم يكن العقاب في ترك الوجوب، والنص دل على أن ذلك كان مباحا إذ قال بطرس للرجل: "...أما كان الحقل كله يبقى لك لو أبقيته؟ ولَمَّا بعته، أما كان لك أن تحتفظ بثمنه؟"[٥]. فقالوا إن السبب الأساس هو الغش والكذب في تلك اللحظة من جهتين:

١. "أنهما ظنا أنهما قادرين على إخفاء شيء عن الله، وكانا سيأخذان من الصندوق المشترك كأنهما لا يملكان شيئاً وهما يمتلكان".

٢. "لأن الكنيسة كانت معرضة لأن تفقد انتصاراتها ومجدها بسبب خطية حنانيا وسفيرة. الكنيسة الآن تبدأ عهداً جديداً مع الله كما كانت إسرائيل تبدأ مع يشوع عهداً جديداً في أرضها الجديدة، وليستمر عمل الله مع شعبه لابد من عزل الخطية، وهذا ما أراد الله أن يظهره هنا. يموت عاخان وتستمر إسرائيل، ويموت حنانيا وتستمر الكنيسة. إذاً إستمرار الكنيسة مرهون بحفظ وصايا المسيح والمعنى أنّ من يخالف وصية المسيح يهلك ولكن الكنيسة تستمر"[٦].

---

[١] سفر أعمال الرسل: (٤: ٣٢-٣٧)

[٢] من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين:

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/rosol٤.htm)

[٣] المرجع السابق.

[٤] سفر أعمال الرسل: (٥: ١-١١)

[٥] المرجع السابق: (٥، ٤)

[٦] تفسير أنطونيوس،

(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Acts/٥)

ثانيا: علق يوحنا فم الذهب على هذا النص وسمى صنيعهم، وهو إلغاء الملكية الشخصية للملكية الجماعية "فقرا" في قوله: " الآن أخبروني هل حبهم أنجب فقرهم، أم الفقر ولَّد الحب؟ في رأيي إن الحب ولَّد الفقر، وبعد ذلك سحب الفقر بقوّة حبال الحب"[١]. وكأنه هنا يعرف لنا الفقر في مصطلح النصارى في صورته الجماعية.

ثالثا: يبقى أن نفهم لِمَ قام أتباع المسيح ﷺ –حسب تصوير لوقا في سفر أعمال الرسل– بهذا الفعل بعد رفع المسيح ﷺ، وهنا احتمالات:

الأول: التفرغ للدعوة ولذا تركوا كل ما يعوق التفرغ لعظمة المهمة، يقول أنطونيوس فكري: " لما ظهرت جسامة الخدمة ما عاد الرسل يهتمون بأملاكهم بل باعوا كل شئ ليتفرغوا للخدمة...تجردهم عن ممتلكاتهم سهّل الكرازة لهم فى كل العالم إذ لم يعودوا مرتبطين بأورشليم فهم لا يمتلكون فيها شيئاً "[٢].

الثاني: الاستجابة لأمر المسيح ﷺ كما في قول أنطونيوس فكري: "هنا نجد أقوال السيد المسيح التى حركتهم لترك كل شئ، فمن وجد اللؤلؤة كثيرة الثمن يبيع كل اللألئ ليشتريه "[٣].

الثالث: قرب رجوع المسيح ﷺ لتقوم القيامة فلم يعد النصارى بحاجة إلى أموالهم وممتلكاتهم لقرب القيامة[٤].

فالخلاصة أن الفقر بمفهوم الرهبان وهو نفي الملكية الفردية له مستند في النصوص كما في الأمر بترك كل شيء واتباع المسيح كما في نص متي. أما ما قام به الرسل فإنه لا يلزم منه فهم ذلك إذ الذي أميل إليه هو أن فعلهم هذا كان لاعتقاد عودة المسيح ﷺ بعد رفعه لتقوم الساعة فكان موقفا اجتهدوا فيه. وقد تبين أنه لم يكن واجبا ولا يسير على نظام معين، بل الأقرب أنهم تبرعوا من تلقاء أنفسهم. مع الملاحظة أن جمع الأموال في صندوق واحد وإعطاء كل ذي حاجة حاجته يصح تسميته نفي الفقر أو إلغائه ولا يمكن تسميته فقرا.

---

[١] تفسير تادرس يعقوب،

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/rosol٤.htm)

[٢] تفسير أنطونيوس،

(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Acts/٤)

[٣] المرجع السابق.

[٤] *Pauvreté chrétienne*: Simon Legasse, *Dictionnaire de spiritualité*, t. XII, p.٦٢٩

٣) نقد نذر الفقر:

النصوص الواردة في الحث على الفقر -مع تحفّظ في معانيها- تجعل الباحث يغلب على ظنه أن المسيح دعا إلى الفقر كما قال جيمس هوكارت[١]. ولكنه في نفس الوقت يتساءل فيقول:

"إلا أني أسأل الدكاترة الكاثوليك لما ذا في هذا الموضوع لا يذكرون إلا النص: "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء"[٢]. لما ذا يقفون عند هذه الكلمات ويتغافلون عما يتبعه؛ لماذا يتركون جانبا كل ما في الإنجيل الذي يثبت أن عيسى حث على الفقر بشدة جميع تلامذته وليس بعضهم"[٣].

ويواصل لتقرير عمومية هذا الحث مستدلا بسؤال التلاميذ لما سمعوا قول المسيح: "إذاً من يستطيع أن يخلص"[٤]، وهذا يدل على أن الخطاب موجه للجميع، ويؤكد هذا النصوص الأخرى منها: " لا تكتزوا لكم كنوزا على الأرض"[٥]؛ "بيعوا ما تملكون وأعطوا صدقة"[٦]، "كل واحد منكم لا يهجر كل ما يملكه، لا يمكنه أن يكون تلميذا لي"[٧]. ثم يقول:

"لما ذا لا يضمون إلى هذه النصوص أن عيسى -عليه السلام- كان يعرض مثالية الكمال على جميع تلامذته وليس إلا لفئة نخبوية: " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل**!**"[٨]. إذا في الإنجيل -على وجه اليقين- مبدأ الفقر وليس وصية لأهل الكمال وإنما هو حث موجه إلى الجميع. فإن صرخ الدكاترة الكاثوليك بأن مثل هذا المبدأ لا يمكن أن يكون. قلت: نعم أوافق. لكن السؤال الآن ليس هو هذا، إنما نريد أن نعرف لا ما هو ممكن ومحال، ولكن ما الذي فرضه وأسسه المسيح حسب الأناجيل"[٩].

وهنا أوجه تُبيِّن بُعْد نذر الفقر عند الرهبان من النصوص التي استدلوا وهي:

الوجه الأول: المقصود بالفقر الذي دعا إليه المسيح كان حبا للمحرومين كما ذكر هوكارت وإغناء الفقراء، وليس تخلي عن كل شيء كما فهمه الرهبان. وتفسير كثرة النصوص الواردة في الفقر إذ جاء "الفقر" و"الفقراء" و"المساكين" في مواطن عديدة من العهد الجديد. وببحث الكتروني أجريته على العهد

---

[١] انظر سفر متى: (٥: ٣)، (٦: ١٩)؛ سفر لوقا: (٦: ٢٠-٢١)، (١٢: ٣٣)

[٢] سفر متى: (١٩: ٢١)

[٣] *Op. cit.*, Hocart, p.٢٧-٢٨

[٤] سفر متى: (١٩: ٢٥)

[٥] سفر متى: (٦ :١٩)

[٦] سفر لوقا: (١٢: ٣٣)

[٧] سفر لوقا: (١٤: ٣٣)

[٨] سفر متى: (٥: ٤٨)

[٩] *Op, cit*, ٢٨-٢٩

الجديد، وإن كان تقريبيا لاختلاف الترجمات فقد خرجت بأن "الفقراء" ذكروا ١٦ مرة، "الفقر" ٨ مرة، والمساكين ٩ مرة، ومسكين ٤ مرات. ومرد ذلك والله أعلم أن الظلم الواقع على الفقراء والضعفاء في عهد المسيح عليه السلام كان كثيرا. فمن ذلك ضرائب للامبراطور الروماني، وأخرى لملك اليهود هيرودس، إضافة إلى ما يدفعه اليهود لرجال الدين، وللهيكل وغير ذلك[١]، فكان المسيح عليه السلام ناصر للفقراء يبشرهم بأن العقبى لهم.

الوجه الثاني: لا نجد ما يدل في القرون الأولى في تاريخ النصارى على أن أحدا التزم بالفقر نذرا كما يصوره الرهبان، وإنما المنقول عن أفراد تخلوا عن ممتلكاتهم تدينا في القرن الثالث من غير نذر صريح. و لم تكن ظاهرة مقننة إلا في القرن الرابع على يد باخوميس في القانون المنسوب إليه حيث يقول: "فلا يملك أحد شيئا حتى لو كانت عطية من والديه إلا ملابسه..."[٢]. ونجد أن باسيل ذهب إلى أبعد من حرمة التمليك فقد أخرج الرهبان الذين يملكون شيئا من الكنيسة إذ يعتبر ذلك ردّة وخروجا من الملة، يقول في "القانون الصغير": "من يملك شيئا فإنه يخرج من كنيسة الله ولطف الله"[٣].

الوجه الثالث: يقول بولس: " وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحاً: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحاً مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ، فِي رِيَاءِ أَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ، مَوْسُومَةً ضَمَائِرُهُمْ، مَانِعِينَ عَنِ الزِّوَاجِ، وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ . لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ. إِنْ فَكَّرْتَ الإِخْوَةَ بِهَذَا تَكُونُ خَادِماً صَالِحاً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، مُتَرَبِّياً بِكَلاَمِ الإِيمَانِ وَالتَّعْلِيمِ الْحَسَنِ الَّذِي تَتَبَّعْتَه. وَأَمَّا الْخُرَافَاتُ الدَّنِسَةُ الْعَجَائِزِيَّةُ فَارْفُضْهَا، وَرَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى. لأَنَّ الرِّيَاضَةَ الْجَسَدِيَّةَ نَافِعَةٌ لِقَلِيلٍ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى نَافِعَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، إِذْ لَهَا مَوْعِدُ الْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ وَالْعَتِيدَةِ "[٤].

يذكر مفسرو الكتاب المقدس أن هذا النص تنبؤ، والمقصود منه الغنوصيون وأتباع ماني الذين حرّموا الزواج وأكل الطيبات. والشاهد في هذا النص أن بولس يقول: " وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ . لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ.". إذا كان الامتناع عن أطعمة هرطقة بحجة أنها من خلق الله سخرها للإنسان وكل ما خلق الله جيد "لا يرفض شيء منها" بشرط الشكر، فما بال الرهبان يمتنعون عما آتاهم الله من أموال امتناعا مطلقا حتى إنه لا يسمح لأحدهم أن يمتلك مشطا أو ما هو

---

[١] *Pauvreté chrétienne*: Simon Legasse, *Dictionnaire de spiritualité*, t.XII, p.٦٢٣

[٢] *Règles de Saint Pâcome*, II, ٣٠ de *Règles des moines*: Jean Pie Lapierre, p.٣٢

[٣] *Petites règles*: Saint Basile, C.LXXXV de *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٥١

[٤] الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس (٤: ١-٩)

دونه؟! وإذا قالوا إنما المقصود الهراطقة الذين أساس قولهم إن المادة شر، فيقال إن النتيجة واحدة وهي تحريم ما أحلّ الله ورفض ما خلق الله كما قال بولس نفسه.

الوجه الرابع: يبقى لهم حجة يحتجون بها وهي ما قام به الرسل بعد رفع المسيح عليه السلام حسب رواية لوقا في أعمال الرسل[١]، وقد تقدم الحديث عنها. وأؤكد هنا أن صنيعهم هذا كان لاعتقاد عودة المسيح عليه السلام بعد رفعه لتقوم الساعة فكان اجتهادا. ولذا فإنهم شاركوا الأموال و لم يدم هذا الوضع طويلا حتى احتاجوا إلى مساعدات من الخارج كما ورد في غيرما موضع حيث كان يُجْمع المساعدات لجماعة أورشليم فمن ذلك:

- "فَحَتَمَ التَّلاَمِيذُ حَسْبَمَا تَيَسَّرَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يُرْسِلَ كُلُّ وَاحِدٍ شَيْئاً خِدْمَةً إِلَى الإِخْوَةِ السَّاكِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ مُرْسِلِينَ إِلَى الْمَشَايِخِ بِيَدِ بَرْنَابَا وَشَاوُلَ"[٢].
- "وَلَكِنِ الآنَ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَخْدِمَ الْقِدِّيسِينَ. لأَنَّ أَهْلَ مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ اسْتَحْسَنُوا أَنْ يَصْنَعُوا تَوْزِيعاً لِفُقَرَاءِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ" [٣].

وليس لنا بعد ذلك ذكرٌ عن مثل هذه الشركة. وقد ظهر جليا أنه لم يكن واجبا بنص كلام بطرس حيق قال: " أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟"[٤] و لم يكن قانونا بل تبرّعا وتطوّعا. وفعلهم هذا يؤكد مفهوم ترك الدنيا بمساعدة المحتاجين وإعطاء كل ذي حاجة حاجته فيصح تسميته معالجة الفقر و نفيه من المجتمع لا التخلي عن الملكية الفردية.

الوجه الخامس: إن كانت الجماعات الرهبانية تلزم الراهب بالتخلي عن أملاكه فيكون الرهبان باعتبار أشخاصهم فقراء على اصطلاحهم، فإن هذا الفقر لم يكن تعيشه الجماعات الرهبانية التي كانت تملك الأموال الطائلة وإلى يومنا هذا. وهناك أمثلة يصعب حصرها منها:

- ذكرت في النشأة كيف يمكن لنا أن نفسر غارات البرابرة على الأديرة المصرية في القرن الرابع والخامس، وذلك لما كان فيها من أموال نفيسة من ذهب وفضة وأحجار كريمة[٥].
- في القرون الوسطى دير بندكتي في فرنسا يملك سبعين هكتارا يزرع أشجار العنب لصناعة الخمر[٦].

---

[١] سفر أعمال الرسل: (٤: ٣٢-٣٧)

[٢] سفر أعمال الرسل: (١١:٢٩-٣٠)

[٣] رسالة إلى رومية: (١٥: ٢٥-٢٦)

[٤] سفر أعمال الرسل: (٥: ٤)

[٥] انظر ص ١٠٠

[٦] *La vie quotidienne* , p.١١١

– جماعة السيسترياِن ما بين منتصف القرن ١٢ م و١٤م لم يكن يضاهيهم أحد في سوق الصوف.
من ثلاثة أديرة فقط يصنعون سنويا بين ١٠ إلى ١٣ طن من الصوف، وهذا يعني أنهم يملكون ما يزيد عن عشرة آلاف رأس غنم[١].

– دير *Saint Jean d'Angely* يملك سفنا لنقل الملح المباع[٢].

ومما ساعد الأديرة الغربية على هذا الغنى الفاحش وعدم قدرة التجار الأحرار على الوصول إلى مستواهم جملة من الأمور منها[٣]:

– العطايا السخية من قبل الأمراء والحكام الذين يشترون صلوات الرهبان.

– استلام الدير لأموال الراهب عند ترهبه خصوصا إذا كان من الأغنياء.

وإذا كان الفقر عندهم التخلي عن الدنيا فكيف بالأديرة تزداد مالا بل تخطط وتنظم من أجل الربح؛ فقد أصبحت الأديرة في القرون الوسطى في الغرب من أغنى المؤسسات، يقول المؤرخ ليو مولين[٤]: "في الأخير، أصبح الاقتصاد الرهباني متناقضا. فقد بنيت الرهبانية على الفقر ولكنهم أعطوا الأولوية للإنفاق في حاجيات الرهبان اليومية، الصدقات للفقراء، والبنايات العارية من الفائدة؛ فأصبحت غنية واسعة السلطة. هي لا تقصد الادخار ولكنها أصبحت أقوى عوامل الاكتناز في القرون الوسطى. تمجد الصلاة والتأمل فأصبحت متخصصة في التنظيم، الترتيب والإشراف على أعمال تجارية شتى...كانت تطمح إلى الوحدة فأضحت هي السبب في تجمعات بشرية في مدن وقرى.."[٥]
ومن العجيب أن الكاتب استخدم كلمة "اكتناز" *تيُروزِسَسيون* ***Thésaurisation*** وهي ذات الكلمة التي ذكرها الله تعالى في حق الأحبار والرهبان كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (التوبة: ٣٤).
وسيأتي مزيد في الحديث عن أنشطة الرهبان الاقتصادية في مبحث قادم إن شاء الله.

---

[١] *Ibid*, p.٢٧١

[٢] *Ibid*, p. ٩٦

[٣] *Ibid*, ٢٧١, ٣٠٦-٣٠٧

[٤] *Léo Moulin*: متخصص في التاريخ وعلم الاجتماع الديني. أستاذ في الكلية الأوروبية في مدينة بروج في بلجيكا وعضو المعهد الدولي للفلسفة السياسية. من غلاف كتابه

[٥] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle*, p.٣٠٣-٣٠٤

ثالثا) نذر الطاعة :

١)التعريف:

-**الطاعة لغة**: "الطاء والواو والعين" تدل في لغة العرب على "الإصحابِ والانقيادِ". و"طاع له يَطُوعُ ويَطاعُ بمعنى انْقادَ". و"الطَّوْعُ: نَقِيضُ الكَرْهِ". والطاعةُ اسم من أَطاعَه طاعةً[١].

والطاعة في اللغات اللاتينية لا تخرج عن هذا المعنى من الاستسلام والانقياد[٢].

-**الطاعة اصطلاحا**: يقول أندريه سكيما: "بنذر الطاعة يلتزم الراهب أن يطيع رئيسه وإخوته متنازلا عن إرادته الذاتية حتى الممات"[٣].

فالمقصود بالطاعة طاعة الرئيس، أي رئيس الدير ويسمى أيضا: "الناظر"، "الضابط" أو "الأب" وهو الأغلب[٤]. يقول القديس يوحنا السينائي أو السُلّمي[٥]: "الطاعة إلغاء عظيم ومعقول للحكم وقد أشرت من قبل أن الطاعة هي في الأصل وسيلة لتحقيق الرهبانية في إطار جماعي وليست غاية، ولذا فإنه لم تظهر مقننة إلا مع ظهور الرهبانية الديرية مع وجودها في مرحلتي التوحد وشبه التوحد لكن تحت ما يمكن تسميته مع متّى المسكين ب"الإرشاد الروحي" الذي هو النواة والامتداد للطاعة المطلقة لرئيس الدير[٧] .

لكن سرعان ما تغير الوضع واتخذت أساسا للرهبانية وأضفي عليها من الهالة والأهمية ما تقشعر منه الجلود. نقل متّى المسكين نصا منسوبا إلى مقاريوس حيث سأله أحد الرهبان: "علمني ما معنى الحياة تحت الخضوع (للمرشد). فقال له أبا مقاريوس: كما أن الحجر إذا دار فوق القمح فإنه يترع منه القشور ويصير القمح خبزا متماسكا، هكذا بالنسبة لك يا ابني: فالحجر هو أبوك والقمح هو أنت، فإذا

---

[١] معجم مقاييس اللغة، (دار الفكر)، ج٣، ص٤٣١؛ لسان العرب، ج٤، ص٢٧٢٠-٢٧٢٢

[٢] *Nouveau petit Larousse*, p.٧٠٤

[٣] أصول الحياة الروحية، ترجمة دير مار جرجس، (منشورات النور، الطبعة الثانية)، ص٤٠ نقلا من الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٩٣

[٤] *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle*: trad. et notes Vincent Desprez, p.٣٢, ٩٧

وانظر الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص٩٣

[٥] نسبة إلى كتابه سلم السماء" أو "درجات الفضائل" أو "سُلم الفردوس". راهب شامي عاش في القرن السابع، ترهب وعمره ١٦ سنة ومات عن ٧٥ سنة. اشتهر بكتابه السالف الذي تناول فيه: "حياة الراهب منذ خروجه من العالم وممارسته الفضائل المسيحية، مثل الزهد، والغربة، والطاعة، والوداعة، والسهر، والإفراز، والصلاة، وسكون النفس والجسد..." من خلال ثلاثين مقالا أو سلما.

السلم إلى الله، (إيبارشية شبه جزيرة سيناء: ١٩٩٨) نقلا عن قاموس آباء الكنيسة: موقع "مطرانية طنطا وتوابعها":

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=١٩٩٦)

[٦] *Scola paradise*, gr,١٧, de *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٦٠

[٧] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٥٨, ٣٢٦٤

ما سمعت له فإنه يصلي إلى الله من أجلك لكي ينزع منك كل قشور الشيطان، ومثل الخبز المتماسك تصير ابنا لله"[١]. ويعلق متّى المسكين على النص قائلا:

"ويفترض هذا الإرشاد الطاعة من جانب التلميذ طالما ظل بجانب المعلم الذي اختاره مرشدا له بمحض حريته. وكانت الطاعة في الأوساط التوحدية بالإسقيط عادة مكرمة كأعلى فضيلة للمتوحِّد"[٢].

والتنظير الذي قرره آباء الكنيسة كان على أساس هذا التعظيم المبالغ، فهذا جيروم جعل الطاعة "القيمة الأمّ" و"أول قيمة من قيم الراهب" في الحياة الديرية التي مثَّلها بالجيش والمدرسة[٣]. ومن أقواله عن منزلة الطاعة: "لا يُتعلَّم أي فنّ من الفنون من غير معلِّم. فعند النحل هناك مَلِكات، وعندنا إمبراطور وقاضٍ لكل محافظة... وأسقف لكل كنيسة. وهكذا يجب أن يعيش الدير تحت قانون أبٍ واحد، وبصحبة إخوة كثيرين... عظِّمْ رئيس الدير مثل معلِّمٍ وأحبَّه كأبٍ، واعْتقِدْ أن كل ما يأمر به خير"[٤].

ويقول سيزير الأرلي: "الرياح قد هبت على البيت الذي لم يؤسس على الطاعة فأصبحت خرابا عظيما"[٥].

وعلى هذا كانت طاعة رئيس الدير عند الرهبان طاعة مطلقة وطاعة مقدسة إلا إذا تعارضت مع "أوامر الرب" كما تنص بعض القوانين[٦]. وقد نُقِل في الرهبانية الأرثوذكسية كلاما شديدا في بيان الطاعة، يقول باسيل القيصري متحدثا مع كل راهب: " لا تعمل شيئا ضد رأيه –أي رئيس الدير-. وكلّ ما يُعْمل دونه –أي رأيه ومشورته- فهو كالسرقة وانتهاك الحرمات"[٧].

ونقل إيميليانوس تيميادس عن إحدى القوانين في الرهبانية الأرثوذكسية أن "معصيةً تجاه الرّبّ خيرٌ من معصية نحو الرئيس"[١]!

وبما سبق نفهم الغلو والإفراط الذي سجله التاريخ في تعظيم وتقديس الرئيس والذي أدّى إلى تجاوزات من جهتين: من جهة الرئيس الذي يعاقب كل مخالف صغيرا أو كبيرا، صحيحا أو مريضا؛ أو يأمر بأمور تافهة اختبارا، ومن جهة أخرى عشق بعض الرهبان إلى الانقياد المطلق متعبِّدين بالاستسلام

---

[١] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١٥٦

[٢] المرجع السابق، ص١٥٧

[٣] *Le monachisme en occident avant saint Benoît*: Adalbert DE Vogüé, p.١٦-١٧; *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٦٠

[٤] *Loc cit.*

[٥] *Ibid*, p.٣٢٦١

[٦] *Le monachisme orthodoxe*, p.٢٠٨

[٧] *Ascetica, P. G.*, t. xxxI, col. ٦٣٠ de *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٥٩

[١] *Le monachisme orthodoxe*, p.٢٠٨

والخضوع للرئيس. يقول سيرابيون[١] في القرن الرابع للميلاد واصفا تعلق الرهبان بالأنبا مقار: "وكان كل الرهبان يحبونه ويخافونه كما يخافون الله لأنه كان بينهم كقائد الجيش الذي يقوى ويعزي من جنوده"[٢]. ويُرْوى في تشييد أمر الطاعة أن أنطونيوس لما حضر إليه بولس اختبره اختبارا شديدا لامتحان صبره في الطاعة. فمرة وضعه تحت الشمس يوما كاملا لينسج حصيرة؛ وأخرى ليصنع سَلّة ثم يفكها مرة بعد أخرى؛ وفي يوم أمره بكسر جرّة من عسل ثم يأمره بجمع العسل من الأرض من غير أن يخالطه حبة رمل! ولبيان فضيلة الطاعة العمياء قالوا إن أنطونيوس طلب يوما من بولس أن يسكت إذ كان مشغولا مع أحد الزوار فسكت أسبوعا حتى سأله أنطونيوس عن سبب سكوته فقال له: "ألم تأمرني في ذاك اليوم أن أسكت؟"[٣].

و لم يخل قانون ديري من ذكر الطاعة وحدودها أذكر منها:

– "نتقي ونحب في كل شيء الذي وضع رئيسا بحكم الله وبرسم كهنوتي. سنطيعه بالحق لأن الذي يحتقره فإنما يحتقر الله كما كتب: "اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي"[٤]. ولذا فبدون إرادته لا أحد من الإخوة يصنع شيئا، لا يأخذ ولا يعطي، ولا يذهب إلى مكان ما من غير أمره"[٥].

– "أول منزلة التواضع هي الطاعة المنفذة من غير تأخر. هي التي يتصف بها الذين ليس لهم أغلى من المسيح"[٦].

– "وأنتنّ، الرئيسات، إذا اضطررتن إلى تغليظ القول للانضباط وردع التصرفات المشينة، وإذا أحسستن أنكن تجاوزتن الحد فلا تطلبن السماح مخافة أن يكون تواضعكن الزائد مؤديا إلى تقليل شأن سلطتكن نحو اللاتي استسلمن لكنّ"[١].

---

[١] "سيرابيون الأب، من أشهر آباء البرية في مصر. كان رئيسًا على عددٍ كبيرٍ من الأديرة ومرشدًا لعشرة آلاف راهبًا".

Dictionary of Christian Biography, vol. IV, p. ٦١٣

نقلا من قاموس آباء الكنيسة: موقع "مطرانية طنطا وتوابعها":

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/read.php?id=١١١٩)

[٢] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١١٩

[٣] *Les hommes ivres de Dieu* : Jacques Lacarrière, p.١١٠

[٤] سفر لوقا: (١٠: ١٦)

[٥] ثاني قانون الآباء، كتبت في حدود ٤٢٧–٤٢٨م في لأديرة غربية.

Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle,p.١١٠

[٦] الفصل الخامس من قانون بندكت كتبها في ٥٤٧م، والذي ساد في الأديرة الغربية إلى يومنا هذا.

Règles de St Benoît, ch.V, ١-٢, de *Règles des moines*: Jean Pie Lapierre, p.٦٩

[١] قانون سيزير الأرلي للأبكار، كتبها الكتابة النهائية في ٥٣٤م بعد عشرين سنة من تحريرها لدير النساء في جنوب شرق فرنسا.

Règles de Césaire pour les vierges, ٣٥, *Ibid*, p.١٨٦

وقد وجد من لطّف الجو في أمر طاعة رئيس الدير في وقت مبكر، فهذا يوحنا فم الذهب (ت٤٠٧م) يقول: "الطاعة أن يشترك الجميع في المهام والمتاعب ليشتركوا في الأفراح"[١]، ويلفت المعجم الكاثوليكي الانتباه أنه لما مدح الرهبانية ذكر البكورة والفقر والصوم ولم يتعرَّض للطاعة[٢].

وقد تولى بندكت النورسي صاحب القانون تنظير الاعتدال النسبي لطاعة رئيس الدير، وقد اختار في قانونه عبارات لطيفة. فهو يعتبر رئيس الدير "وكيل المسيح"، "طبيب القلوب"، "منظم الحياة الجماعية"، "موكول إليه تطبيق القانون الديري"، "بالاعتدال والحكمة"، وأنه وهو أولى بالعمل بالقانون إلخ [٣].

٢) أدلة نذر الطاعة:

يعتبر نذر الطاعة أقل النذور أدلة في نصوص العهد الجديد كما يقول معجم اللاهوت الكاثوليكي[٤].

ويعتمدون لتقريره على أصول[٥]:

الأول: طاعة المسيح عليه السلام لربه.

الثاني: لزوم اتباعه.

الثالث: الأمر بطاعة الرؤساء.

فأما الأصل الأول فمن أدلته:

"لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي"[٦].

ظاهر السياق أن الخطاب موجه إلى اليهود الذين رأوا آيات كثيرة ومع ذلك لم يؤمنوا، ويسألون المزيد من المعجزات فقال لهم المسيح: "وَلَكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ"[٧].

ثم بيّن المسيح عليه السلام أنه لا يكترث من عدم إيمانهم لأن الهداية بيد الله، فالذي يهديه الله يأتي إلى المسيح فيهتم به ويحافظ عليه "كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً". ثم بيّن العلة في ذلك وهي "لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" فهو يأتمر بأوامر الله، ويحقق مشيئة الله في ذلك أي أنه لا يتبع في ذلك هواه ولا يركب رأيه وإنما هو متبّع.

---

[١] *Adv. Oppugn. Vit. Monast., l.III, n.١١*, Dictionnaire de Théologie Catholique, t.XV, p.٣٢٥٩

[٢] *Loc cit.*

[٣] *Règles de St Benoît*, ch.٢, ١-٤٠, de *Règles des moines*, p.٥٩-٦٣

[٤] *Vœux de religion*, *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.XV, p.٣٢٥٨

[٥] *Loc cit.*

[٦] سفر يوحنا: (٦: ٣٨)

[٧] المرجع السابق.

يقول هيلاريس: "بكلامه هذا يريد المخلِّص أن لا يقول ما لا يريد، ولكنه يظهر طاعته واستسلامه لإرادة أبيه والتي يريد تحقيقها بمطلق الكمال"[١] .

ويلاحظ أن غالب كلام المفسرين في ذلك قد انغرق في إثبات اتحاد المسيح بالله وبنوّته له -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا- فمن ذلك قول يوحنا فم الذهب: " ماذا تقول؟ هل إرادتك شيء وإرادته شيء آخر؟ لئلا يشك أحد في هذا صاحبه بما جاء بعد ذلك. ما قاله هو هذا: "جئت لا لأفعل شيئًا إلا ما يريده الآب، فليست لي إرادة من ذاتي تختلف عن تلك التي للآب، فإن كل ما للآب هو لي، وما لي هو للآب. فإن كان ما للآب وما للابن مشترك فبحق يقول:"ليس لأعمل مشيئتي"... لأني كما قلت في موضع آخر إنه كان يحجب الأمور العالية إلى حين ويرغب في أن يبرهن أنه لو قال: "هذه هي إرادتي" لكانوا يحتقرونه. لذلك يقول: "لأنني أتعاون مع تلك الإرادة"، راغبًا أن يردعهم بالأكثر. وكأنه يقول: "ماذا تظنون؟ هل تغضبوني بعدم إيمانكم؟ لا، فإنكم تغضبون أبي "وهذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئًا"[٢]. هنا يظهر أنه ليس في حاجة إلى خدمتهم، فإنه لم يأتِ لنفعه الخاص، وإنما لأجل خلاصهم لا لينال كرامة منهم... فما جاء قبل ذلك وبعده هو أنه يسعى بكل غيرة أن يظهر بأنه جاء لأجل خلاصهم. وهو يقول أنه يجلب مجدًا للآب حتى لا يتشككوا فيه"[٣].

والذي نخلص إليه أن هذا النص لا يعدو أن يكون بيان طاعة المسيح لربه وأنه مبلِّغ عن الله مثله كمثل المرسلين من قبله يبلغون رسالات الله ولا يخشَوْن أحدا إلا الله. وإن دل النص على شيء فإنما يدل على التفريق بين مشيئته ومشيئة الله مما يقطع بأنه عبد الله ورسوله وليس ابنا له سبحانه وتعالى.

وقد جاء عن المسيح في نصوص عندهم تجلي هذا الأصل من ذلك:

-"فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي"[٤].

-"يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذَا الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ"[١] .

والسياق يدل أيضا على أن المعنى أنه لا يأت بآية من عنده إذ سأله اليهود: "فَقَالُوا لَهُ: "فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟ آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ بَلْ

---

[١] *De la trinité*, ٣, *Chaîne d'or sur l'Evangile de St Jean*: Thomas d'Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٢] سفر يوحنا: (٦: ٣٩)

[٣] تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تادرس يعقوب:

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/john٦.htm)

[٤] سفر يوحنا: (٨: ٢٨)

[١] سفر لوقا: (٢٢: ٤٢)

أَبي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَم. فَقَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هَذَا الْخُبْزَ..." إلى أن قال: " لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي"[١].

الأصل الثاني:

-"إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كتر في السماء وتعالى اتبعني"[٢].

-"...اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم"[٣].

وقد سبق الحديث عنه، وهو أيضا ليس في دلالة على الطاعة المطلقة. وأقصى ما فيه أنه على الذي يريد أن يكون من خواص المسيح وداعيا فلا بد أن يتخلى عن الأشغال الدنيوية كما ألزمت الكنيسة رجال الدين.

الأصل الثالث:

- "اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي"[٤]. وفي ترجمات أخرى: " ومن يرفضكم يرفضني؛ ومن يرفضني يرفض الذي أرسلني"[٥]؛ وفي اليسوعية: "ومن أعرض عنكم أعرض عني، ومن أعرض عني أعرض عن الذي أرسلني".

-" أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ""[٦].

أما النص الأول فهو منسوب إلى المسيح ﷺ وقد اشتمل على مسائل:

الأولى: مترلة الرسل عندهم مقدسة وطاعتهم مرتبطة بطاعة الله. يقول القديس سيريل: "لا بد من قبول تعاليم الرسل المقدسين باحترام لأن الذي يسمعهم يسمع المسيح نفسه. العذاب المحقق ينتظر الهراطقة الذين يرفضون كلام الرسل لأنه زاد: "ومن يرفضكم يرفضني ""[١].

ويقول القدِّيس أغسطين: "جاء (السيِّد) في أشخاص تلاميذه، فيتكلَّم معنا بواسطتهم. إنه حاضر فيهم،

---

[١] سفر يوحنا: (٦: ٣٠-٣٨)

[٢] سفر متى: (١٩: ٢١)

[٣] سفر متى: (٨: ٢١-٢٢)؛ سفر لوقا: (٩: ٥٧-٦٢)

[٤] سفر لوقا: (١٠: ١٦)

[٥] كتاب الحياة *ALAB* والأخبار السارة

[٦] رسالة العبرانيين: (١٣: ١٧)

[١] *Chaîne d'or sur l'Evangile de St Luc*: Thomas d'Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

بواسطة كنيسته يأتي، وبواسطتها يتحدَّث مع الأمم. في هذا نشير إلى الكلمات التي نطق بها: "من يقبلكم يقبلُني"[١]... ويقول الرسول بولس: "برهان المسيح المتكلِّم فيّ"[٢].

الثانية: هذا الاحترام والتقديس ينتقل إلى كل من يحمل دعوة المسيح، يقول القديس بيد: "يقرر بوضوح هذه الحقيقة، فبسمع أو احتقار الدعوة الإنجيلية لا نستمع أو نحتقر رجالا ليس لهم قيمة ولكن المخلص وأبوه نفسه: " ومن يرفضني يرفض الذي أرسلني". وذلك أن بسماع التلميذ نسمع المعلم، وبسماع الابن نعظم الأب"[٣].

الثالثة: ومن معاني الفقرة أن المسيح يُطَمْئِن تلامذته. ونقل توماس الأكويني عن بعض المفسرين: "يطمئن في نفس الوقت تلامذته لأن هذا معنى كلماته: "لا تقولوا: لماذا نعرض أنفسنا للاعتداءات؟" أعيروني مشاركتكم بكلامكم وأنا أهبكم فضلي، والاعتداءات الموجهة إليكم ستكون علَيّ"[٤].

وأما النص الثاني فهو منسوب إلى بولس وفيه إرشاد لطاعة المرشدين وهم الدعاة والرؤساء وذلك لأمرين:

أولا: عظم مكانتهم لما يقومون به من مهام وتعب لمصلحة المرؤوسين،

ثانيا: سيكون هذا عون لهم ليقوموا به بفرح ونشاط، وعكس ذلك الخروج عن طاعتهم مؤدي تضجرهم وهذا سبب الهلاك كما بينه النص السابق. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم عن أهمية الخضوع للإرشاد الروحي: "إن عدم الرئاسة لَأَمْرٌ رديء، يسبب مصائب جمة! إنه بداية الاضطراب والشغب وسوء النظام! وكما أنه إذا نُزِع الرئيس عن الخورس لا يبقى ما عليه من لحن ونظام، وإذا أُبعِد عن الجيش قائده لا يثبت في استقامة ترتيبه... وإذا ما عدمت السفينة مدبرها تغرق، هكذا إذا أَبعَدت الراعي عن المرعى تسيء إليه وتهلكه... إذن فعدم الرئاسة أمر رديء ومسبب للفساد، وأما ما هو أردأ منه فهو عصيان المرؤوسين... فإذ لا يرضخ الشعب لرسم رئيسه يكون حاله أشبه بمن لا رئيس لهم، بل وأكثر شرًا. لأن الذين ليس لهم رئيس معذورون في سوء نظامهم... أما من لهم رئيس ولا يطيعونه فلا عفو لهم وإنما يعاقبون"[١].

والخلاصة أن هذا نص عام موجه إلى الجميع بطاعة المرشدين لما يبذلون من جهد لإيصال الخير للناس، فهو بعيد عن نذر الطاعة الذي ذكرنا صورته عند الرهبان.

---

[١] سفر متي: (١٠: ٤٠)

[٢] الرسالة الثانية إلى كورنثوس: (١٣: ٣)؛ تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين،

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/luka١٠.htm)

[٣] المرجع السابق

[٤] المرجع السابق

[١] تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين،

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/ebranin١٣.htm)

٣) نقد نذر الطاعة[١]:

أفادنا هوكارت في نقد نذر الطاعة الذي هو "الطاعة العمياء أو السلبية للرئيس" من وجهين رئيسَيْن:

الأول: بنص منسوب للمسيح عليه السلام أنه قال: " أما أنتم، فلا تقبلوا أن يدعوكم أحد: يامعلم! لأن معلمكم واحد، وأنتم جميعا إخوة. ولا تدعوا أحدا على الأرض أبا لكم: لأن أباكم واحد، وهو الأب الذي في السماوات. ولا تقبلوا أن يدعوكم أحد رؤساء، لأن رئيسكم واحد، وهو المسيح. وليكن أكبركم خادما لكم"[٢].

فيدعو هوكارت إلى المقارنة بين قول المسيح: " ولا تدعوا أحدا على الأرض أبا لكم" وتسمية الرهبان رؤساء الأديرة بالأب!؟ ويقول: "لا أظن أن في هذا النص سيُبحث عن أصل نذر الطاعة".

الثاني: مخالفة هذا النذر لما يسميه "قانون الواجبات" مبينا ذلك بقوله: " كل واحد منا شخصيا، ولا أحد غيره، مطالب بفعل الخير ومحاسب على عمله. فالطاعة – بمفهوم الرهبان- تلغي هذا الواجب وهذه المسؤولية الشخصية، وتربطه لا بواجبه بل بإرادة رئيسه الذي هو وحده يحكم، وهو وحده يضمن ما يأمر به. وهذا الخطأ الجسيم يعرِّض المتدين –ومنه الراهب- للسقوط في مصيبتين خُلُقِيَتَيْن: أن يعمل شرا ينبغي أن لا يقوم به، وأن لا يعمل كل الخير الذي يقدر عليه وينبغي له أن يقوم به".

وأضيف هنا أن الطاعة في الأصل لا علاقة لها بالرهبانية ذاتها، وما ظهرت سوى في البداية من باب احترام الكبير، وتقدير المعلم والمشرف الروحي كما قالوا. ثم من أجل تنظيم الحياة الديرية الجماعية. ووجدت توماس الأكويني يطرح هذه المسألة مع الإجابة عليها فيقول: "هل الطاعة مطلوبة للحالة الدينية؟" فأجاب بالنفي معللا ذلك بأمور منها[٣]:

١ -"الجميع مطالب بطاعة رؤسائهم على قول الرسول:" أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا". فيبدوا إذا أن الطاعة ليست داخلة في الكمال الديني".

٢ -لوكانوا مطالبين بها لوجبت على الجميع؛ ونجد المتوحِّدين ليسوا مطالبين بها إذ لا أحد يرأسهم، وكذا رؤساء الأديرة والجماعات الرهبانية ليسوا ملزمين بها.

ولكن يعترض على النقطة الثانية وذكرها بنفسه إذ الجميع عندهم تحت سلطة أسقف المنطقة أو تحت سلطة البابا مباشرة إذا كانت الجماعة ممن استثناها البابا من طاعة الأساقفة. فالجميع إذا مِنْ وجهٍ ما تحت سلطة يجب عليه السمع والطاعة. ولا شك أن الطاعة العمياء عند الرهبان أفرزت كما ذكر ليو مولين انحرافَيْن: الأول: من جهة الرئيس الذي يتعدى حدوده بسبب منصبه؛ والثاني: من جهة المرؤوس الذي يلغي ذاته فيصبح "كالفأس في يد الحطّاب" على قول باسيل، و"يُضحِّي بإرادته كالخروف بين

---

[١] *Op. cit.* Hocart, p.٢٥-٢٦; ٧٠-٧١

[٢] سفر متى: (٢٣: ٨-١١)

[٣] *La somme de théologie*, q.١٨٦, t.III, p.١٠٧٣-١٠٧٤

يدي ذابحه" على ما نص عليه قانون جماعة الكارتوزيين[١]. وأكتفي هنا بذكر أمثلة على هذا الظلم وهو ظلم الغير بالنسبة للرئيس، وظلم النفس بالنسبة للمرؤوس، وما يترتب على كل منهما من ضياع أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى وهي حقوق الوالدين. فقد نقل هوكارت قصة الأب ديدون ***Didon*** (ت١٩٠٠م) الذي ألزمه البابا بالعزلة في أحد أديرة قرشقة[٢]. وأثناء إقامته أُخْبِر باحتضار أمه التي طلبته ليكون بجانبها، ولما استئذن لم يؤذن له فأطاع، فماتت أمه ولم يرها. ويعتبرون هذا شرفا ومثالا ينبغي الاقتداء به[٣]. وقد كان لوثر متحسرا لما تبين له بطلان الرهبانية بسبب مخالفة أمر أبيه قبل كتابة رسالته بستة عشرة سنة حيث انخرط مع جماعة الأوغسطين وكان أبوه رافضا، ولذا استفتح رسالته بإهدائها إلى والده فيقول: "نذري لم يكن له أي اعتبار إذ تسللت من سلطة والدي وإرادة الإله في أمره"[٤].

فالخلاصة أن نذر الطاعة عند الرهبان بعيدة كل البعد عن النصوص، وهي منقودة من وجوه:

١-تنزيل الشخص منزلة الرب كما حكى الله عنهم ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة: ٣١).

٢-إلغاء المسؤولية الفردية.

٣-الطاعة ليس لها علاقة مباشرة بالرهبانية.

---

[١] *Op. cit.*, Hocart, p. ٧٠

[٢] *Corse*: جزيرة فرنسية في البحر المتوسط تقع غربي إيطاليا وجنوب شرق فرنسا.

[٣] *Op. cit.*, Hocart, p. ٤٦-٤٧

[٤] *Ibid*, p.٥٩

المبحث الثاني: العزلة

المطلب الأول: التعريف:

- **العزلة لغة:** يقول ابن فارس: " العين والزاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على تنحيةٍ وإمالة تقول: عزَل الإنسانُ الشَّيءَ يعزِلُه، إذا نحَّاه في جانبٍ. وهو بمَعْزِلٍ وفي مَعزِل من أصحابه، أي في ناحيةٍ عنهم. والعُزْلة الاعتزال"[١].

- **العزلة اصطلاحا:** يعرفها فِينْسَنْت دِيبْري معلقا على قول باسيل القيصري في قوانينه الكبرى : "إنه من المطلوب العيش منعزلا" فيقول: "الاعتزال عن الناس والعيش وحيدا من أجل الابتعاد عن أمور: الذين لا يخافون الله، عاداتنا القديمة، للصلاة باستمرار. لأن التفرج على الشر قد يجرنا إليه أو إقناعنا بحياة قدسية نسبية، والحياة العادية تنسينا لطف الله وكلامه"[٢].

فالعزلة هي الابتعاد عن الناس بالجسد والفكر. وهي الوحدة والخلوة بالله لتتسع آفاق النفس والقلب والفكر[٣]. وتنقسم العزلة إلى نوعين:

١ -كاملة كعزلة المتوحِّدين.

٢ -نسبية كالحياة الشبه التوحّدية والجماعية الديرية.

تعتبر العزلة أساسا من أسس الرهبانية ولذا نجد البستاني يعرف الرهبانية عند النصارى بقوله: "إنما هو الاعتزال عن الدنيا وأمورها العادية لإشغال النفس بالعبادة وبالأشياء الدينية"[٤].

كما أنها كانت أول مظهر من مظاهر الرهبانية في مصر ممثلة في الاغتراب، والانغلاق في مغارة أو زنزانة أوالسياحة. وكان البعض ينذر البقاء في زنزانته إلى الموت، وآخرون يخرجون مرة في الأسبوع كيوم الأحد أو لظروف أخرى[٥]. ثم تغير الحال وأصبح البعض يعتبرها مرحلة للمتمرسين في الزهد والرهبنة فإذا ما قضى فترة طويلة في الحياة الديرية فإنه ينتقل إلى حياة التوحد لمزيد من الرقي الروحي وهو رأي جيروم[٦].

---

[١] معجم مقاييس اللغة، (دار الفكر)، ج٤، ص٣٠٧

[٢] *Le monachisme primitif*, p.٣٥٥

[٣] مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص٢٣

[٤] دائرة المعارف، ج٨، ص٦٨٨

[٥] *Anachorètes*: H. Hemmer, *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.I, p. ١١٣٨

[٦] *Le monachisme en occident avant Saint Benoît* : Adalbert De Vogüé, p.١٧

وفي الرهبانية الشرقية لما كانت الوحدة التامة تحدث إشكالات تدخّل مجمع ترولو *Trullo* في ٦٩٢م بمنع التوّحد والعزلة التامة إلا على رهبان قضوا ثلاث سنوات في دير وسنة واحدة في عزلة تامة ثم إذا أصرّ سُمِح له بالعزلة التامة، بشرط إذن رئيس الدير وإذن أسقف المنطقة ولا يسمح له بالخروج مطلقا إلا في حالة ضرورة وإن خرج رتّبوا على ذلك عقوبات. واتخذت الكنيسة الغربية نحو هذه القرارات في مجمعي توليدو *Tolède* في الأندلس ٦٤٦م وكذا فرنكفورت ٧٩٤م[١].

ومما ذكروا في فضلها وأهميتها:

- أن الأبا أمون قال: "ثلاثة أفكار تراودني: إما التنحي في الصحراء أو الذهاب إلى الخارج حيث لا يعرفني أحد أو الانغلاق في زنزانة حيث لا ألتقي بأحد وآكل كل يومين"[٢].

- يقول الأبا أشعياء ناصحا أحد الرهبان المغتربين: "إذا أقمت في الغربة في سبيل الله فلا تختلط مع أهل المنطقة، وإلا كان الأفضل في حقك البقاء بجوار والديك من اللحم"[٣].

- وسأل يوما أبا أشعياء مقاريوس عن معنى الهروب من الناس فأجابه: "هو أن تجلس في قلايتك وتبكي على خطاياك"[٤].

- وسئل أحد الرهبان عن سبب عزلته فقال: "إن الإله يعلم أني أحبكم، ولكن لا يمكن لي أن أكون مع الإله ومع الناس"[٥].

وذكروا عن فضل الاغتراب أنه لا يستوي المغترب عن المقيم بين أهله حتى ولو كان مقصّرا، ورروا قصة راهبَيْن أحدهما مغترب مقصّر والآخر مجتهد لكنه مقيم، فمات الاثنان فرؤي المقصّر في المنام وأن الملائكة ترحب به لاغترابه، وأما الآخر فلم تُر الملائكة حاضرة فسمع صوت يقول: "فأما هذا المجتهد فقد رأى وهو يموت بكاء أهله عليه فعُزي بذلك؛ وأما المغترب المقصّر فلما لم ير أحدا من أقربائه حوله أنّ وبكى فعزاه الإله"[٦].

وكانوا يرون العزلة واجبة حتى من الأقران وأن الاجتماع للدعوة والمذاكرة يعتبر خدعة من الشيطان فيما نقله كاسيان عن مقار[٧].

---

[١] *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.I, p.١١٣٩

وانظر الموقع الرسمي للكنيسة الأرثوذكسية الإستونية:

(http://www.orthodoxa.org/FR/orthodoxie/droit٢٠%canon/canons٦econcileintrullo.htm)

[٢] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.١٠٠

[٣] *Ibid*, p. ١٠٣

[٤] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار: متى المسكين، ص١٤٣

[٥] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.٢٢٣

[٦] *Ibid*, p.١٠٢-١٠٣

[٧] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص ١٤٤

المطلب الثاني: أدلة العزلة

١)من العهد القديم:

النص الأول:

" وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ"[١].

والشاهد عندهم هو خروج إبراهيم عليه السلام من أرضه إلى مكان مجهول وقد امتثل إبراهيم عليه السلام الأمر وهو ابن ٧٥ سنة.

ونستخلص من كلام المفسرين أمور:

أولا: ينقل تادرس يعقوب رأي الأب بفنوتيوس معلقا على اغتراب إبراهيم عليه السلام:

"إنها دعوة إلهية لممارسة الحياة النسكية، بها يتخلى الإنسان عن أرضه أي عن محبة غنى العالم، وعن عشيرته أي عن حياته القديمة بعاداته الشريرة، وعن بيت أبيه الأرضي ليطلب بيت الآب السماوي. فمن كلماته: "قال له: أولاً: "اذهب من أرضك"، أي من (محبة) ممتلكات هذا العالم وغناه الأرضي. ثانيًا: "من عشيرتك"، أي من حياتك السابقة بما فيها من عادات وخطايا تعلقت بك منذ الميلاد الأول وارتبطت بك كما لو كانت رابطة صداقة وقربى. ثالثًا: "من بيت أبيك"، أي من كل ما في العالم وتراه عيناك، فعن الأبوين (الأرضي والسماوي) ينبغي ترك أحدهما وطلب الآخر، إذ يقول داود في شخص الله: "اسمعي يا بنتي وانظري، أميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك". فالقائل: "اسمعي يا بنتِ" بالتأكيد هو أب يري هذا القديس أن الدعوة موجهة للتمتع بمراحل النسك الثلاثة: زهدي جسدي، نبذ للسلوك القديم؛ تحرر للروح من المرئيات والانشغال بالسمائيات. فلا يكفي للإنسان أن يترك أرضه كأن يمارس الصوم وكل أنواع النسك المادي أو الجسدي، ولا أن يترك عشيرته، أي يتخلى عن عاداته الشريرة القديمة، لكن يلزمه أيضًا أن يترك بيت أبيه القديم ليدخل إلى حضن أبيه السماوي، قائلاً: "فإن سيرتنا نحن في السموات""[٢].

ثانيا: وهناك تفسير رمزي[٣] سلكه بعض آباء الكنيسة في تأويل هجرة الخليل عليه السلام كما ذهب إليه الأب قيصريوس أسقف *Arles* إذ يرى أن ترك الأرض هو ترك الجسد أو الشهوات، وترك العشيرة هو ترك الرذائل والخطايا أو العادات. ويتحقق ذلك بالمعمودية فيقول: "إننا نؤمن وندرك أن هذه الأمور كلها

---

[١] سفر التكوين: (١٢: ١-٤)

[٢] تفسير تادرس يعقوب،

(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/Genesis.php)

[٣] والمقصود به التعبير عن المعاني "بالرُّموزِ والإيحاء، ليدعَ للمتلقّي نصيباً في فهم الصُّورةِ أو تكميلها أو تقوية العاطفة بما يضيف إليه من توليدِ خياله"

قد تحققت فينا أيها الإخوة خلال سرّ المعمودية. أرضنا هي جسدنا، فتذهب بلياقة من أرضنا بتركنا عاداتنا الجسدية وتبعيتنا للمسيح"[١].

ويقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص: "إذ استطعنا بروح الرسول السامية أن نأخذ الكلمات بمفهومها الرمزي، فننفذ إلى المعني السري للتاريخ دون أن نفقد النظرة الحقيقية لوقائعه نجد بالتأكيد أن إبراهيم أب الإيمان قد ذهب، حسب الأمر الإلهي، من أرضه وعشيرته في رحلة تليق بنبي متعطش نحو معرفة الله. فإنني أظن أن البركات التي استحق أن ينالها لا تتناسب مع هجرة عادية من موضع إلى موضع؛ فخروجه من ذاته ومن أرضه – كما أفهمه – هو خروج من فكره الأرضي الجسداني وارتفاع به إلى أقصى ما يستطيع فوق حدود الطبيعة المعتادة، ونبذ لتعلق النفس بحواسها، حتى تنفتح عيناه علي الأمور غير المنظورة دون وجود أي عائق حسيّ. فلا يكون هناك منظر أو صوت يشغل الذهن عن عمله بل يسير "بالإيمان لا بالعيان" كقول الرسول. هكذا ارتفع (إبراهيم) عاليًا بسمو معرفته حتى بلغ إلى ما يعتبر قمة الكمال البشري، عارفًا عن الله كل ما يمكن أن تدركه إمكانيات الإنسان المحدودة..."[٢].

ويقول أنطونيوس فكري:

"ليس من السهل أن يحتفظ الإنسان بالله والأرض في وقت واحد. وهذه الدعوة الإلهية موجهة لكل نفس بشرية حتي تنطلق من محبة العالم والذات (الأنا)، من محبة العادات والخطايا القديمة. هي دعوة للغربة عن العالم ولتطبيق الأية "أنا صلبت للعالم والعالم صلب لي". بهذا تلتقي النفس بالله وتعيش معه في أحضانه "أميلي أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك"[٣]... فيمن يعتزل يعتزل كل شئ. إلي الأرض التي أريك: لقد أعطي الله لإبرام وعداً بأرض أفضل لكنه لم يحددها و لم يكن إبرام قد رآها. لكنه صدق الله بالإيمان. فهل نصدق أننا لو تركنا خطايانا نرث السماء التي هي أفضل. الإيمان لا يخدع لكن حواسنا تخدعنا. وبالإيمان يفتح الله عيوننا علي الأمور غير المنظورة ونتمتع بمعرفة الله فتزداد اقتناعاً بترك العالم فتزداد بصيرتنا وهكذا ننتقل من إيمان لإيمان أعظم"[٤].

والخلاصة التي نخرج بها أنهم فسّروا هجرة إبراهيم عليه السلام بهجرة العادات والسيئات إلى الله وطاعته والقرب منه، واستشهدوا بها للعزلة والاغتراب من أجل الإله. وهذا غريب جدا من وجهين:

الأول: متى كان إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام متلطخا بشيء من المعاصي حتى يتركها؟

---

[١] المرجع السابق

[٢] المرجع السابق

[٣] سفر المزامير: (٤٥: ١١)

[٤] تفسير أنطونيوس الفكري:

(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Genesis/١٢)

الثاني: ماذا فعل إبراهيم بعد هجرته حتى نحكم بعزلته أم لا؟ وإن كان الاستشهاد على الاغتراب، فالاغتراب كما سبق يستلزم عند الرهبان عدم مخالطة الناس والبعد عن الدنيا مطلقا. فهل هذا مطابق لما قام به إبراهيم عليه السلام؟

أما الوجه الأول فهو مبني على معرفة حال إبراهيم في أرض كنعان قبل أمره بالخروج. ولكننا لا نجد الكتاب المقدس يذكر شيئا عن ذلك سوى ما يتعلق بنسله، زواجه وهجرته مع أبيه تارح من أرض الكَلْدَانِيين إلى أرض كنعان وأنهم استقروا في حاران، ثم يأتي خبر أمره بالخروج وعمره ٧٥ سنة[١]. وذكر في سفر يوشع أن أباه وأجداده كانوا يعبدون آلهة أخرى[٢]. فهو إذا يهجر أرض المعصية والتي يعبد فيها غير الله بوحي من الله.

وأما الوجه الثاني: بعد قصص تحولات إبراهيم عليه السلام يقول لنا الكتاب المقدس: " وكان ابرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب"[٣]. وهذا يعني أن إبراهيم عليه السلام مع هجرته واغترابه لم يترك شيئا من أمواله ولم يتخلّ عنها كما فعل الرهبان. ويعني ذلك أن المقارنة بين سيرة إبراهيم عليه السلام وبين سير الرهبان الذين تركوا كل شيء، واعتزلوا بعيدة جدا[٤]. ويسقطون في تناقض كبير حيث تارة يوجبون على مريد الكمال ترك كل شيء وأنه لا يمكن الجمع بين اقتناء الأموال والرغبة الكاملة في الآخرة كما سبق في نذر الفقر، وتجدهم أمام هذا النص يقولون إن الغنى ليس حاجزا كما نقل تادرس يعقوب عن القديس أغسطينوس قوله: "لكي تعرف أن الغنى في ذاته لا يُلام، كان إبراهيم غنيًا له ذهب كثير وفضة ومواشي وغلمان، وقد حمل في حضنه لِعَازَر[٥] الفقير (لو ١٦: ٢٢). وُجد الفقير في حضن الغني، أليس الاثنان غنيين في عيني الله؟!"[٦].

---

[١] سفر التكوين: (١١: ٢٦-٣٢)، (١٢: ١)

[٢] سفر يوشع: (٢٤: ٢-٣)

[٣] سفر التكوين: (١٣: ٢)

[٤] انظر مثلا المقال الذي كتبه الأب فوزي نصري اليسوعي بعنوان: قراءة في حياة القديس أنطونيوس الكبير(١)، موقع جمعية التعليم المسيحي بحلب:

(http://www.talimmasihi.com/ahadis_٢٠٠٢-٢٠٠٣_antonios١.htm)

[٥] اسم لفقير ضرب المسيح عليه السلام به المثل على المسكين حسب رواية لوقا: (١٦: ١٩-٣١)

[٦] تفسير تادرس يعقوب،

(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/Genesis.php)

النص الثاني:

اغتراب إلياس عليه السلام في الصحراء إلى جبل الإله حوريب، فمشى مدة أربعين يوما وليلة "ودَخَلَ هُنَاكَ الْمَغَارَةَ وَبَاتَ فِيهَا"[١].

يقول القديس أمبروسيوس: "نعمة الله هي هروب صالح، فيها يجد الشريد خلاصه. البريَّة هي هروب صالح، هرب إليها إيليَّا (١ مل ١٩: ٤) وإليشع ويوحنا المعمدان (مت ٣: ١، لو١٣: ٢). هرب إيليَّا من المرأة إيزابل التي تعني "فيض من الباطل"، هرب إلى جبل حوريب. (١ مل ١٩: ٨) التي تعني جفافًا، حيث يجف تدفُّق مياه الجسديَّات الباطلة، حينئذ يأتي إلى معرفة الله بأكثر كمال، لأنَّه كان بجانب نهر كريث الذي يعني "المعرفة" هناك استطاع أن يشرب من فيض معرفة الله المتدفِّق (١ مل ١٧: ٥). هرب إيليَّا من العالم حتى أنَّه لم يطلب طعامًا يحتاج إليه جسده غير ما قدَّمته له تلك الطيور الخادمة (١ مل ١٧: ٦)، مع أن طعامه غالبًا ما كان ليس من هذا العالم (١ مل ١٩: ٥-٧). حقًا لقد صار أربعين يومًا بالقوَّة التي صارت له بالوجبة التي نالها (١ مل ١٩: ٨). بالتأكيد لم يهرب من مجرَّد امرأة بل من هذا العالم. لم يخف الموت، لأنَّه تقدَّم بنفسه لذاك الذي كان يطلب نفسه وقال للرب: "خذ نفسي" (١ مل ١٩: ٤). احتمل أتعاب هذه الحياة ليس مشتهيًا إيَّاها، لكنَّه كان يهرب من إغراءات العالم وسموم السلوك الشرِّير والتصرُّفات الدنيئة للجيل الخاطي غير المقدَّس"[٢].

ويقول تادرس يعقوب: "كان إيليَّا كناسكٍ يقضي الكثير من وقته في البراري يأكل بتقشُّف، وكان ملتزمًا أن يعد لنفسه الطعام، وعندما التزم بالهروب والاختفاء عند نهر كريث مقابل الأردن حيث طلب ألاَّ يكون مطر إلاَّ عند قوله أرسل الله إليه غرابًا يأتيه كل صباح ومساء بخبزٍ ولحمٍ، وإذ جفَّ نهر الأردن وييس أرسله الرب إلى أرملة صِرْفة صيْدون لكي تعوله بالخبز فقط. وأخيرًا إذ بعث به إلى جبل حوريب ليتحدَّث معه وجهًا لوجه (١ مل ١٩) قدَّم له ملاك كعكة واحدة وكوز زيت ليأكل ويشرب ثم يصوم أربعين نهارًا وأربعين ليلة بطريقة تفوق الطبيعة"[٣].

ويتضح مما سبق أن إلياس لم يقصد البرية سوى للهروب والفرار من شرّ إيزابيل زوج الملك بعدما هددته بالقتل.

---

[١] سفر الملوك الأول: (١٩: ١-٩)

[٢] تفسير تادرس يعقوب،
(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/١Kings.php#_ftnref٤)

[٣] المرجع السابق.

من العهد الجديد:

استدل أنصار الرهبان بأدلة كثيرة من العهد الجديد اكتفيت بأقربها دلالة وهي أنواع:

الأولى: الاقتداء بالمسيح عليه السلام:

– المسيح يذهب إلى الجبل ليصلي: " وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ"[١]، "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ"[٢]. " وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ"[٣].

– عزلة المسيح أربعين يوما في الصحراء: "أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ يُقْتَادُ بالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ .وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً"[٤].

الثانية: الاقتداء بالأنبياء ويوحنا وبولس:

–يذكر بولس أنبياء بني إسرائيل واصافا حالهم بقوله: " وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ. فَهَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُوداً لَهُمْ بالإيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ"[٥].

– إقامة يوحنا المعمدان وعزلته انتظارا لظهور إسرائيل: "أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ "[٦] .

– اغتراب بولس بعد إيمانه إلى الصحراء العربية شرقي دمشق: " وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بنعْمَتِهِ. أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَما وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً [٧] .

---

[١] سفر مرقس: (٦: ٤٦)

[٢] سفر لوقا: (٦: ١٢)

[٣] سفر لوقا: (٢١: ٣٧)

[٤] سفر لوقا: (٤: ١-٢)

[٥] رسالة العبرانيين: (١١: ٣٨-٣٩)

[٦] سفر لوقا: (١: ٨٠)

[٧] رسالة غلاطية: (١: ١٥-١٨)

الثالثة: الغربة عن العالم:

" لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ "[١].

نستخلص من هذه النصوص أمور:

أولا: المسيح ﷺ كان نبيا رسولا يبلغ عن الله داعيا له، ويسير في بني إسرائيل تحقيقا لهذا الهدف، ولكن لما كانت الدعوة حملا ثقيلا فإنه كان له أوقات يختلي بها بربه للدعاء والصلاة، ومن فوائد الخلوات:

١ -البحث عن الهدوء كما جاء في سفر متّ: "فمتى صلّيت فادخل إلى مخدعك"[٢]. ويقول *Théophylacte*: "فإذا تفرق الجمع، صعد ليصلي لأن الصلاة تستلزم هدوء وصمت"[٣]

٢ -ليقتدي المؤمنون به في عبادته لربه، يقول القدّيس كيرلس الكبير معلّقا: "خرج إلى الجبل ليصلّي" قائلاً: "كل ما عمله المسيح لبنياننا ولفائدة المؤمنين باسمه. فلم يقم المسيح بشيء ما، إلا ليقدِّم نموذجًا ساميًا للحياة الروحيّة حتى نعبده عبادة حقيقيّة"[٤].

ثانيا: ذكروا في سبب بقاء المسيح ﷺ أربعين يوما في الصحراء ثلاثة معاني جمعها القديس أمبرواز في قوله: "دُفع عيسى إلى الصحراء لأمور: بوصية إلهية حتى يحرِّش الشيطان للمواجهة ولولا أنه واجهه لما فاز المخلص لصالحنا؛ ثم لتحقيق سرّ أي ليخلص آدم الذي طرد من الجنة إلى الصحراء؛ وأخيرا ليعلمنا بالقدوة بأن الشيطان له إقبال ورغبة في الذين يأملون في حياة أكمل وأنه ينبغي أن نكون على حذر حتى لا نتعرّض للخسران بسبب ضعف أرواحنا فضل السر المقدس الذي وُهبنا".

فالأول: ليجرَّب ويمتحن، ويرى باسيل القيصري أن المسيح ﷺ ذهب إلى الصحراء لمواجهة العدو في محله ومكانه وهي الصحراء، فقال: "-المسيح- لا يحرّش العدو بتحديه بكلامه، ولكن يستثيره بهذه الخطوة -أي بالذهاب إلى الصحراء- لأن الشيطان يحب الصحراء ولا يتحمل المدن حيث الاجتماع بالسكان الذي هو سبب للحزن"[٥].

وهل هذا يعني أن الرهبان يعملون مثل عمله (أي المسيح) أم أنهم مثل الشيطان لا يحبون الاجتماع

---

[١] سفر يوحنا: (١٥: ١٩)

[٢] سفر متى: (٦: ٦)

[٣] *Chaîne d'Or:* Thomas d'Aquin, (http://docteurangelique.free.fr/)

[٤] تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تادرس يعقوب:
(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/luka٦.htm)

[٥] *Op. cit*, T. d'Aquin.

بالسكان! ثم نسألهم كيف يعتقدون أنه الرب -جلّ وعلا- أو ابنه -تعالى الله- ويجرّ ويمتحن!؟

والثاني: هي مقابلة لما حصل من إخراج آدم من الجنة، والمسيح أرجع آدم إلى الجنة، يقول القدِّيس كيرلس الكبير: "يقدِّم لنا مقارنة بين تجرِبة آدم في الفردوس، وتجرِبة آدم الثاني في البرِّيَّة"[١].

والثالث: عداوة الشيطان لأولياء الله.

ثالثا: ذكر بولس أنبياء بني إسرائيل واصفا حالهم "تائهين في براري و جبال و مغاير و شقوق الأرض" وهو يخاطب العبرانيين أي النصارى الذين كانوا من أصل يهودى. والسياق كله تصبير وتثبيت المضطهدين ليعلموا أنهم ليسوا وحدهم الذين تعرضوا للإضطهاد والآلام وأنها سنن الأنبياء من قبل. ومن هذا الاضطهاد فرارهم إلى البراري والجبال... كما حصل لإلياس عليه السلام وغيره[٢].

فنخرج بهذا أن هذا النص لا يشتمل على مدح مثل هذه العزلة وإنما هي وصف حال من اضطر إلى الفرار بدينه وأنهم عانوا بسبب ذلك وصبروا على ما أوذوا حتى أتاهم نصر الله.

وأما قول أنطونيوس في تفسيره لقول بولس: "تائهين فى البرارى" حيث قال: "الآباء الذين عانوا من أجل كلمة الحق وكلمة الله وكان إيليا النبى قد حدث معه شئ من ذلك، ومن هؤلاء السواح الأن"[٣]. ولا شك أن المقارنة بين السواح الذين يعتزلون ويغتربون رغبة واختيارا لا ينطبق عليهم هذا الوصف ولا يلحقهم في ذلك مدحٌ لأن أولئك كان ابتلاءً وفتنةً كما قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ لما سأله رسول الله ﷺ : "أَوَ مُخْرِجِيّ هُمْ؟". فقال له ورقة: "نعم، لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عودي"[٤]. وهذه سنة إلهية مضطردة في الأنبياء والمرسلين وكذا من سلك سبيلهم إلى يوم الدين. وعلى هذا فليس المدح هنا لذات الخروج والتيه والسياحة والاغتراب وإنما يقع المدح إن كان ذلك ابتلاء من الله تعالى.

رابعا: إن يوحنا المعمدان وهو يحيى عليه السلام، وقد كان كما تشهد نصوص العهد الجديد مهيئا من الله تعالى ليكون داعيا في بني إسرائيل مجددا فيهم، فقد جاء في نفس السفر: "لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى

---

[١] تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين،
(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/luka٦.htm)

[٢] مقدمة تفسير الرسالة إلى العبرانيين: لأنطونيوس فكري:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Hebrews/Intro)

[٣] تفسير أنطونيوس فكري،
(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Hebrews/١١)

[٤] أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي (١)، باب (٣)، رقم:٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً"[١].

يقول أوريجين عن سبب عزلة يوحنا المعمدان إلى البرية: "اعتزل يوحنا المعمدان في الصحراء فرارا من صخب المدن وضوضاء الاجتماعات. "وكان في البراري" حيث الهواء النقي والسماء المفتوحة وقرب الإله، وذلك إلى حلول تعميده ودعوته. وكان ملازما للصلاة، يحدِّث الملائكة، يدعو الربّ..."[٢].

ويقول تيوفيلاكت: "أو ظل في البراري ليتربى بعيدا عن خبث العالم ليقدر يوما من إخراجه من الجرائم من غير خوف... كان يعيش مخبوءا في الصحراء إلى أن شاء الله إظهاره لشعب إسرائيل: "إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ""[٣].

ونخلص بهذا أن عزلته كان هدفها تحقيق أمرَيْن هما:

١ -تهيئة الله له نفسيا وروحيا ليقوم بمهمته العظيمة وهي دعوة بني إسرائيل الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وضلوا كثيرا وأضلوا،

٢ -البعد عن مواطن الفساد والأجواء الملوّثة بمعصية الله التي كان يعيشها بنو إسرائيل.

وهذه العزلة هي ذاتها التي ذكروها عن بولس بعد زعمه أنه جاءه روح القدس، يقول أنطونيوس فكري: "وهذه هى الخلوة المطلوبة لكل واحد منا، ولذلك يوصى بولس تلميذه تيموثاوس بالتعليم"[٤]. وأشير هنا أن هذه الخلوة التي قضاها بولس لمدة ثلاث سنوات طويلة لم يذكر بولس عنها شيئا سوى أنها كانت "في العربية" وهي إما مدينة جنوب دمشق أو الجزيرة العربية كما قال بعضهم. وحري بالتساؤل عن هذه الرحلة التي زعم فيها البعض أنه بدأ بالدعوة مباشرة أو أنها كانت فترة تأمل وصلاة[٥]، وأنه بعدها رجع داعيا إلى دين جديد...

وعلى كلٍّ فإن هذه نصوص لا يمكن أن تدل على تفضيل العزلة مطلقا فضلا عن وجوبها لأمور:

أولا: جرت العادة في الأنبياء والمرسلين أن الله تعالى يهيئهم تهيئة خاصة تشتمل على العزلة والتعبد في أماكن هادئة كالصحاري والجبال تيسيرا لجو الاستئناس بمناجاة الله والتفرغ للتحنُّث، فهي إذا وسيلة لا غاية، وتعتبر من إرهاصات البعثة كما حصل لنبينا ﷺ لما كان يختلي في غار حراء حتى جاءه الوحي.

---

[١] سفر لوقا: (١: ١٥-١٧)

[٢] *Op. cit.* T. d'Aquin.

[٣] *Loc cit.*

[٤] تفسير أنطونيوس فكري، (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/Hebrews/١١)

[٥] تفسير تادرس يعقوب، (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/ghalatya١.htm)

ثانيا: العزلة بسبب الفتنة والبعد عن المعاصي وأهلها أو لمصلحة محققة أمر مشروع ومطلوب لكن بتفصيل سيأتي بيانه.

خامسا:والنوع الأخير من النصوص التي استشهدوا به على العزلة هو أن العالم ليس منهم؛ بمعنى أن المؤمن ليس له أي علاقة بهذا العالم الذي شره أكثر من خيره حتى قال تادرس يعقوب: "حياة المسيحي الحقيقي تدين العالم الشرير في صمت"[١]. والشاهد أن من صور بغض العالم الزهد فيه والاعتزال منه.

المطلب الثالث: نقد العزلة

لقد تبين من جهة النصوص التي استدلوا بها أنها لا تدل على ما زعموا، ولزيادة تفنيد العزلة عند الرهبان نذكر هنا وجوها في النقد:

الوجه الأول: يمكن الجزم بأن حياة المسيح ﷺ حسب روايات العهد الجديد ليس فيها فئة مستقلة منعزلة عن الحياة باسم النصرانية لا المسيح نفسه ولا حوارييه ولا أحدا من تلامذته، كما أنه لم يدعُ إلى العزلة المطلقة لا قولا ولا إشارة[٢]. وعلى هذا يذكر *أنطوان جيومون* تأثير الفلسفة الرواقية وهي فكرة "ضرورة الفيلسوف أن يغترب عن الأهل والأوطان"[٣]، وكذلك ما عند البوذية إذ المرحلة الأولى عند الرهبان البوذيين الانطلاق والخروج من العادات السابقة. وهو ما قام به بوذا كأول خطوة، ويعتبرونها شرط لنيل لسلامة.[٤]

وهذا لا ينفي أن العزلة إنما انتشرت في القرن الثالث إثر الاضطهاد المتتابع كما ذكرنا سابقا ويعترف بهذا بعض النصارى مثل الأنبا يو أنس إلا أنه يقول أن هذا الظرف التاريخي إنما أعاد الاقتداء بالمسيح ﷺ في عزلته.[٥] وقد ظهر بطلان هذه الدعوى.

الوجه الثاني: أقوال المسيح ﷺ تخاطب أقواما منخرطين في الحياة العامة مثل[٦]:

-" طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ... أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجاً وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ.... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ

---

١ المرجع السابق،

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/john١٥.htm)

٢ *Op. cit.*,Hocart, p.٣٠

٣ <u>*Aux origines du monachisme chrétien*</u>, p.٩١

٤ *Ibid*, p.١١٥-١١٦

٥ <u>مذكرات في الرهبنة المسيحية</u>، ص٢٢

٦ *Op. cit.*,Hocart, p. ٢٩-٣٠

مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ.... وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ."[١]

- يقول المسيح مخاطبا حوارييه مودعا إياهم فيقول:
" لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ.... كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ"[٢].

فالمسيح لا يدعو حتى يأخذ الله أرواح تلامذته وحوارييه من العالم بعد رفعه ولكن يدعو ليحفظهم الله من الشر عموما، وهذا يدل على ضرورة وجودهم في العالم أي في المجتمع ليدعوا ويكونوا قدوة للناس لا منعزلين مختبئين، يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "من المهم وجودهم في العالم، وإن كانوا لم يعودوا بعد ينتسبون إليه"[٣]. ويقول توماس الأكويني: " الرسل أرسلوا ليقوموا بنفس مهمة يسوع المسيح"[٤].
فالملحوظ أن ما اعتمدوا عليه لا تقوم به الحجة، وسيأتي تأكيد هذا المعنى بالحديث عن أنشطتهم وكذا في العصر الحديث حيث ابتعدوا كثيرا عن معنى العزلة و لم يرعوها حق رعايتها مع أنها تعد أساسا في الرهبانية.

---

[١] سفر متى: (٥ : ٥-١٦)
[٢] سفر يوحنا: (١٧: ١٥، ١٨)
[٣] تفسير تادرس يعقوب، (http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/john١٧.htm)
[٤] *Chaîne d'Or*, (http://docteurangelique.free.fr/)

المبحث الثالث: الصمت

المطلب الأول: التعريف

-**الصمت لغة**: يقول ابن فارس:" الصاد والميم والتاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إبهام وإغلاق. من ذلك صَمَتَ الرّجُل، إذا سَكَتَ، وأَصْمَت أيضاً"[١].

-**الصمت اصطلاحا**: المقصود به عند الرهبان إما الامتناع عن الكلام مطلقا، وإما عما يشغل عن هدف الراهب. فالصمت ليس واجبا في جميع الأديرة وإن كان هو الطابع العام حتى أثر عنهم: "قلة الكلام أُمّ جميع الفضائل".[٢] ولا يخلو قانون ديري من فصل مخصص للصمت. ولما كان وضع الطعام والعمل واستقبال الضيوف مدعاة للأحاديث الجانبية جاءت القوانين تتحدث عن الصمت في هذا الوضع خصوصا:

- ففي قانون باخوم (ت٣٤٦م): "فلا يتكلّمنّ أحد وهو يَعجِن في المساء؛ وكذا المكلفين بالطهي ولا الذين في الحراثة في الصباح؛ ولكنهم يتلون جماعة حتى ينتهوا من العمل. وإذا احتاجوا لشيء فلا يتكلمون ولكن ليضربوا بعقل"[٣].

ويبدو أن هذا النص أصل لغة الإشارة التي أحدثها الرهبان في القرن العاشر للميلاد، وانتشر في الأديرة التابعة لجماعة السيسترسيان، فقد كان لهم ٣٥ إشارة تتعلق بالطعام و٣٧ تتعلق بالتعامل مع الأشخاص وأخرى للباس والصلوات، فإذا أراد أحدهم حليبا مثلا فإنه يضع أصبعه على فمه، والخبز برسم دائرة بالسبابة مع الإبهام والوسطى... وهكذا لكل دير لغته في ذلك. وكان في الأصل للتعامل فأصبح لغة للتخاطب لكن في الالتزام بهذه اللغة تجاوزات حتى اندثر في القرن الثامن عشر[٤].

-في قانون باسيل القيصري اعتدال نسبي في ذلك حيث يقول: "حاجة الصمت حسب الحالة والأشخاص"[٥].

-وفي قانون أوغسطين (ت٤٣٠م): "على الطاولة نصمت مستمعين إلى التلاوة... وبعد الصلاة الثالثة فيذهبون للعمل، ولا يتحدثون مع بعضهم إلا لحديث مفيد للروح. وإذا قعدوا للعمل ليصمتوا إلا إذا

---

[١] معجم مقاييس اللغة، (دار الفكر)، ج٣، ص٣٠٨

[٢] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle*, p.٥٤-٥٥

[٣] *Le monachisme primitif*, p.٢٥٣

[٤] *Ibid*, p.٥٦

والموقع الرسمي للجماعة السسترسيان في أوروبا:

(http://www.cister.net/FR/historique/l-organisation-de-la-vie-dans-une-abbaye-cistercienne.aspx)

[٥] *Silence*: Pierre Miquel, *Dictionnaire de spiritualité*, tome XIV, p. ٨٣٧

اقتضاه العمل"[١].

-وفي قانون بندكت (ت٥٤٣م) الذي ساد في الغرب خُصّص الفصل السادس للصمت؛ ذكر فيه نصوصا من العهد القديم وأن الرئيس هو الذي يتكلم، وأن المبتدئ لا يتكلم إلا بإذن، وأخيرا النهي المطلق عن اللغو والنكت[٢].

وجاء في بعض القوانين الصمت المطلق في أوقات محددة من الصلاة الأخيرة كُمْبلِي ***complies*** والتي هي بعد الغروب، إلى صلاة بريم ***primes*** التي في ٧ صباحا، كما في قانون الكرمليين المكتوب في بداية القرن الثالث عشر للميلاد[٣].

وفي أديرة ***Fontevrault*** في القرن الحادي عشر للميلاد – وهي لا تتبع أي جماعة لكنها تعمل بالقانون البندكتي- أضافوا إلى النذور الثلاثة نذر الصمت، وقد ذُكِر عن مؤسسها قوله: "الصمت الكامل والتلاوة الدائمة وقهر الجسد"[٤].

وعند جماعة الكارتوزيين الذين يعيشون في وحدة شبه دائمة وصمت كامل، يسمح للرهبان بما يسمونه سَباسْيامَن ***spaciement*** وهي مأخوذة من اللاتينية سَباسْيُم ***spatium*** والتي تعني "السعة"[٥]. فيخرجون ثلاث ساعات أسبوعيا خارج الدير ويتكلم بعضهم مع بعض بحرية[٦].

والخلاصة أن الصمت عند الرهبان يعني أمور:

١- الصمت عن الكلام مطلقا، إلا فيما يفيد الحياة الرهبانية سواء في الجانب الروحي أو الأعمال التي يقوم بها الرهبان.

ذكروا في غاية الصمت هي "ضبط النفس"، "نسيان الماضي"، "عفة اللسان"، "سبب المعصية"[٧]،

٢ -وعند بعض الجماعات قننوا الصمت المطلق وجعلوه من النذور.

---

[١] *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle*, p. ٧١

[٢] *Règles de St Benoît*, ch.VI, ١-٨, de *Règles des moines*, p.٧٠-٧١

[٣] *Règles primitives de l'Ordre du Carmel*, ch.١٦, ٦, *Ibid*, p. ١٨١

[٤] *Encyclopdie des sciences religieuses*: sous la direction de F. Lichtenberger, (Paris: G. Fischbacher ١٨٨١), t.XI, p.٢٤٤

[٥] *Nouveau petit Larousse*, p.٣٩٢

[٦] قانون الشارطرو، الكتاب الثالث، الفصل ٢٢، الموقع الرسمي لجماعة الشارطرو بست لغات لاتينية:
(http://www.chartreux.org/textes/fr/st-fr-٣.html)

[٧] *Dictionnaire de spiritualité*, tome XIV, p. ٨٣٧-٨٤٢; *Règles primitives de l'Ordre du Carmel*, *ibid*, p.١٨١

المطلب الثاني: أدلة الصمت:

في القوانين الديرية أدلة عامة كثيرة منها:

١) **من العهد القديم:**

- "كَثْرَةُ الْكَلاَمِ لاَ تَخْلُو مِنْ مَعْصِيَةٍ أَمَّا الضَّابِطُ شَفَتَيْهِ فَعَاقِلٌ"[١].
- "اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ"[٢].

٢) من العهد الجديد:

"وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَاباً يَوْمَ الدِّينِ"[٣].

هذه النصوص وغيرها ليست في حاجة إلى تفسير، وهي عامة صحيحة المعنى والمغزى، فقد اشتملت على معانٍ تتفق عليها الشرائع كلّها لما فيها من المصلحة المحققة وهي:

-ضبط الكلام إلا من خير.

-عظم خطورة الكلام وما يترتب عليه.

-كل ما نتكلم به محاسبون عليه يوم القيامة.

وهي وإن دلت على استحباب الصمت عن فضول الكلام كما يقوم به بعض الرهبان فإنها لا تدل على نذر الصمت المطلق كما هو بيّن؛ وليس في سيرة المسيح عليه السلام حسب روايات الأناجيل ما يدل على هذا النذر.

---

[١] سفر الأمثال: (١٠: ١٩)

[٢] سفر الأمثال: (١٨: ٢١)

[٣] سفر متى: (١٢: ٣٦)

المبحث الرابع: اللباس

من المظاهر التي يتميز بها الرهبان عن الغير ملابسهم. وله أهمية عظمى لأنه ضمن الشعائر الأساسية لمن دخل سلك الرهبانية. والمقصود باللباس هنا ما يسترون به أجسادهم من الثياب والأحذية.
من أسمائه في الرهبانية الأرثوذكسية "الإسكيم الرهباني"، وهي لفظة يونانية وتعني "الوجه"[١]. وعند الكاثوليك يسمى "لباس الراهب" كما في الفصل الخامس والخمسين من قانون بندكت[٢].

واللباس في الرهبانية يرمز إلى معانٍ روحية منها الاستغراق في الحياة الرهبانية ، يقول جِلْبِيرْت كرِيسْبِين[٣]: "أخذ اللباس من الطقوس لأنه يشهد أن الراهب يعزم تغيير الحياة، يتحمل بذلك البراءة والتواضع في مهتنته"[٤].
ويذكر أنطونيوس مقار إبراهيم[٥] نقلا عن الأب مبارك الديراني في كتابه: "الدليل الرهباني" رموز ثياب الراهب فيقول: "اعلم يا أخي، أنَّ لكلٍّ من ثيابك معنى فالرداء إشارة إلى رداء إيليا النبي ورداء السيد المسيح. والثوب هو علامة لثوب الرب الذي أنت تابعه، وإن كان لونه أسود فهو إشارة على موتك عن العالم وأمور الدنيا الباطلة. أما القميص الأبيض فهو إشارة على براءة نفسك ونقاء ضميرك وصلاح نيتك. أما الإسكيم الذي تستر به رأسك وظهرك فهو علامة على حماية الله لك ولكنيسته وصبغ النعم"[٦].
يقسم الرهبان الأرثوذكس اللباس على ثلاث درجات، كلما انتقل من درجة إلى أخرى كان أعمق التزاما وأشد التصاقا بالرهبانية وهي[٧]:

---

[١] قاموس المفردات الرهبانية: توما بيطار، موقع عائلة الثالوث القدّوس دوما في لبنان:
(http://www.holytrinityfamily.org/Studies_articles/Spitritual٢٠%Lang٢٠%Dict_١.html)
[٢] *Règles de St Benoît*, ch.٥٥, de *Règles des moines*, p.١١٩-١٢٠.
[٣] *Gilbert Crispin* (١٠٥٥- ١١١٩م): أحد الكتاب والرهبان النصارى في إنجلترا، عين رئيسا لدير *Westminster* في ١٠٨٥م. الموسوعة الحرة ويكيبيديا:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Gilbert_Crispin)
[٤] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle*, p.١٣٢
[٥] راعي كنيسة القديس أنطونيوس للأقباط الكاثوليك في لبنان، موقع كنيسة الإسكندرية الكاثوليكي:
(http://www.coptcatholic.net/section.php?hash=aWQ٩Mjk٥NQ٣%D٣%D)
[٦] الإسكيم الرهباني: رموزه وأبعاده الروحية: أنطونيوس مقار إبراهيم، المرجع السابق.
[٧] الرهبنة الأرثوذكسية: الأب أفرام كرياكوس، (أخويّة نشر الإيمان الأرثوذكسي، ١٩٩١، نقلا من مقالة: الحياة الرهبانية الأرثوذكسية: موقع عائلة الثالوث القدّوس دوما في لبنان:
(http://www.holytrinityfamily.org/monastic_life.html#ref)
والإسكيم الرهباني: من قاموس المف٢ردات الرهبانية ، نفس المرجع:
(http://www.holytrinityfamily.org/Studies_articles/Spitritual%٢٠Lang%٢٠Dict_١.html)

الأولى: للمبتدئ في المرحلة الاختبارية قبل أي نذر يسمح له بلبس الجبّة الرهبانية السوداء تبرُّكا. وعند بعض الجماعات يلبس في هذه المرحلة الحزام.

الثانية: لما يصير المبتدئ راهباً ويؤدّي النذور الثلاثة: الفقر والبتولية والطاعة، ويجيب على أربعة أسئلة: "إذا كان سيبقى في الدير والإمساك إلى آخر نسمة من حياته، وإذا كان سيحفظ نفسه في العفّة والتقوى، وإذا كان سيطيع الرئيس والإخوة حتى الموت؛ وإذا كان سيتصبّر على كل شدّة وضيق لأجل الملكوت". فإن أجاب بنَعَم، أُلْبِس ما يسمى بالإسكيم الصغير.

الثالثة: يجدّد فيها الراهب نذوره الرهبانية تأكيدا لالتزامه فيبلغ الدرجة الرهبانية الأسمى، ويُسْأل هنا خمسة أسئلة أساسية: "إذا كان يتخلّى عن العالم وما في العالم وفق وصيّة السيّد؛ ما إذا كان سيبقى في الدير إلى آخر نسمة من حياته؛ ما إذا كان سيطيع رئيسه والإخوة حتى الموت، ما إذا كان سيتصبّر على كل شدّة وضيق في الحياة الرهبانية لأجل الملكوت، وما إذا كان سيحفظ نفسه في الطهارة والعفّة والتقوى". فإذا أجاب الراهب بـــ"نعم، بمعونة الله"، أُلْبس الإسكيم الكبير الذي يرمز إلى التخلّي عن الدنيا.

ولما كان معنى هذا اللباس الطهر والالتزام فإن إحدى الجماعات كانت تجعل من علامات عقوبة الراهب المخالف للقانون قطع القبعة من الأمام أوالخَلْف[١].

وقد ظهر تميز الرهبان بلباسهم في وقت مبكر في نشأة الرهبنة إذا سلمنا برواية سيرابيون الذي يروي تلمذة مقاريوس للراهب الأول أنطونيوس فيقول:

"فطلب منه أن يُلْبِسه الإسكيم المقدس، فألبسه إياه، فلهذا دعي مقاريوس تلميذ الأب أنطونيوس"[٢].

يصف اليسوعي كلود سيكار[٣] ملابس الرهبان الذين كانوا مع أنطونيوس بالأوصاف التالية[٤]:

١ - قميص من صوف أبيض.
٢ - إزار من صوف بُنِّي.
٣ - معطف طويل الكُمَّيْن أسود من صوف خفيف له رأسه متصل به.

---

[١] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle*, p.١٣٢

[٢] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص٥١

[٣] *Claude Sicard* (١٦٧٧-١٧٢٦م): قس يسوعي فرنسي، زار مصر بين ١٧٠٧ و١٧٢٦م كان مشرفا على الإرسالية اليسوعية في القاهرة، وله بحوث في رصد المعالم القديمة بمصر.

The Discoverers :B.Precourt,

موقع جامعة University of Wisconsin-Milwaukee بالولايات المتحدة:

(https://pantherfile.uwm.edu/prec/www/course/egypt/٠١٠٠/discoverersA.html)

[٤] *Œuvres*, t.I, p.٢٥ de *Le statut des moine*: Ibn Taymiyya, tr. De Nasreddine LEBATELIER, (Beyrouth: El-saffina Editions ١٤١٧-١٩٩٧), p.٢٧

٤ -قلنسوة صوفية حمراء أو بنفسجية اللون مربوطة بعمامة مخططة باللون الأبيض والأسود.

٥ -حزام جلدي أسود.

٦ -أحذية حمراء أو سوداء .

وقد غلب على لباس الرهبان الخشونة، ولذا كان من الصوف أو الكتان؛ أو من وبر الجدي أو الإبل.

ذُكِر اللباس في قانون باخوم، ثم ما من قانون أحدث بعد هذه الفترة إلى القرون الوسطى إلا ويذكر ضوابط لباس الراهب وأكتفي هنا بمثالين: أحدهما من القانون الباسيلي ويمثل الرهبانية الأرثوذكسية، والآخر القانون البندكتي ويمثل الرهبانية الغربية.

-القانون الباسيلي[١]:

مجمل ما يلاحظ في القانون الباسيلي أنه اكتفى بضوابط عامة مبينا غاية اللباس وهو الستر والدفء، وأنه يجب أن يتسم بالتواضع وأن يكون متميزا عن غيره من لباس الناس ليُعرف الراهب من غيره. يستدل بنصوص عامة كثيرة من العهدين خصوصا فيما يتعلق بالحزام وهو يعني عنده ثلاثة أمور:

١ -الاقتداء بالأنبياء والرسل أمثال إلياس ويوحنا وبطرس

٢ -يرمز إلى الرجولة والاستعداد كما جاء عن أيوب: "اُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي"[٢].

٣ -لتسهيل العمل كما فعل المسيح لما اتَّزر ليغسل أرجل الرسل[٣].

-القانون البندكتي[٤]:

مجمل ما نجد في القانون البندكتي في اللباس أنه يجب على الراهب الاكتفاء بأمور:

١ -ثوب داخلي.

٢ -مع ما يشبه البرنس واسع الكمَّين.

٣ -جوارب وحذاء.

٤ -إضافة إلى لباس العمل وهي عبارة عن قطعة قماش يتصل بها رأس توضع فوق البرنس تنزل على الصدر والظهر.

---

[١] القانون الكبير والصغير، سؤال رقم عشرين، من قسم الرهبانية بالموقع الرسمي للكنيسة الأرثوذكسية الإستونية:
(http://www.orthodoxa.org/FR/orthodoxie/monachisme/StBasile٢.htm#q٢٠)

[٢] سفر أيوب: (٣٨: ٣)

[٣] سفر يوحنا: (١٣: ٤)

[٤] *Règles de St Benoît*, ch.٥٥, de *Règles des moines*, p.١١٩-١٢٠



لباس البندكتي





لباس السيسترسيان

ويقتصر كل راهب على اثنين من كل ما ذكر من أجل الغسيل. وإذا سُلّم لباس جديد يُرجع القديم. ونلاحظ عند بندكت سَعَة في لونه وقماشه إذ جعل ذلك حسب المكان والبلاد والمناخ. وهذا يخالف الواقع الذي ذُكِر في القرون الوسطى في الغرب حيث ظهر تشدد وتزمت في هذا الباب إذ ذكروا من التفاصيل والدقائق في اللباس ما وصفه البعض بالهَوْس. وكانت كل جماعة وطائفة لها تفاصيل في اللباس تخالف الأخرى، ووصل الخلاف عند بعضهم إلى رفع قضية عند المحكمة الكنسية[١].

ومما يُبيِّن ما حَظِي به هذا اللباس من قداسة أنه انتشر اعتقاد عند النصارى في القرون الوسطى أن من كُفِّن في لباس الرهبان فإنه يغفر له ذنوبه، بل ذهب البعض أن مجرد تقبيل لباس الرهبان يمسح خمس سنوات من الذنوب! [٢]

---

١ *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle*, p.١٣٥-١٣٨

٢ *Ibid*, p.١٣٢

المطلب الثاني: أدلة لباس الرهبان:

لا أتوقف هنا على عموم الاستدلال من تواضع وبساطة اللباس لأن هذا ليس محل البحث، وإنما العبرة هو البحث في إنزال المعاني التي ذكروها على لباس الرهبانية. و لم أجد دليلا يستحق البحث سواء ما ذكروه عن إيليا وهو إلياس ﷺ لما طرح رداءه على أليشع[١].

يقول تادرس يعقوب: " طرح الرداء عليه يحمل معنى الصداقة القويَّة، فقد حسبه واحدًا معه كجسدٍ واحدٍ يرتدي ذات الرداء. كما أن إلقاء الرداء على الآخر يحمل مفهوم التكريم له كما فعل موسى النبي مع يشوع بن نون (عد ٢٧: ٢٠). إلقاء رداء النبي عليه يشير إلى استلام روح النبوَّة، إذ صار له ثوب النبي، وقوَّته وسلطانه. طرح الرداء عليه يعني أيضًا تقديم الروح الأبوي له، فالأب يقوم عادة بمساعدة أطفاله في ارتداء ملابسهم، وكأن إيليًّا النبي يعلن أبوته الحانيَّة لابنه إليشع. وإلى يومنا هذا يقوم الأسقف القبطي والكهنة القدامى بمساعدة المسام شماسًا أو كاهنًا في ارتداء ملابسه الكهنوتية بعد سيامته مباشرة، ليحمل ذلك معنى قبول الحياة الكهنوتية وأبوَّة الأسقف للكاهن أو الشماس. يمارس بعض الكهنة الأقباط ذات العمل بعد عماد الطفل ومسحه بالميرون ليعلن عن أبوَّته له، وعن قبول المُعمَّد حديثًا الميلاد الجديد والكهنوت العام والحُلة الملوكيَّة"[٢].

ويقول أنطونيوس فكري: " وطرح الرداء يعنى أن إيليا وضع إليشع تحت حمايته وسوف يعلمه ويدربه ويتعهده ويتلمذه، ويصير إليشع تلميذا وخادما له"[٣].

نخلُص أنهم يرون أن طرح إلياس رداءه يعني أمور:

١ - الصداقة القويَّة.
٢ - التكريم.
٣ - استلام روح النبوَّة.
٤ - تقديم الروح الأبوي له.
٥ - يصير إليشع بذلك تلميذا وخادما له.

---

[١] سفر الملوك الأول: (١٩: ١٩)

[٢] تفسير تادرس يعقوب،

(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/١Kings.php)

[٣] تفسير أنطونيوس فكري،

(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/١Kings/١٩)

وإذا تأملنا قصة إيليا في سفر الملوك نجد أنه بعدما أمر بقتل أنبياء بَعْل وهم كهان وطلبت الملكة إيليا لقتله فرّ في البرية يائسا من بني إسرائيل طالبا من الله الموت: " قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ! خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْراً مِنْ آبَائِي "[١].

وبعد ما أرسل الله إليه ملكا بأكل وماء واصل سيره إلى أن وصل مغارة حيث كلمه الرب: " فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "اذْهَبْ رَاجعاً فِي طَرِيقِكَ إِلَى بَرِّيَّةِ دِمِشْقَ، وَادْخُلْ وَامْسَحْ حَزَائِيلَ مَلِكاً عَلَى أَرَامَ، وَامْسَحْ يَاهُوَ بْنَ نِمْشِي مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَامْسَحْ أَلِيشَعَ بْنَ شَافَاطَ مِنْ آبَلَ مَحُولَةَ نَبِيّاً عِوَضاً عَنْكَ. فَالَّذِي يَنْجُو مِنْ سَيْفِ حَزَائِيلَ يَقْتُلُهُ يَاهُو، وَالَّذِي يَنْجُو مِنْ سَيْفِ يَاهُو يَقْتُلُهُ أَلِيشَعُ. وَقَدْ أَبْقَيْتُ فِي إِسْرَائِيلَ سَبْعَةَ آلاَفٍ، كُلَّ الرُّكَبِ الَّتِي لَمْ تَجْثُ لِلْبَعْلِ وَكُلَّ فَمٍ لَمْ يُقَبِّلْهُ "[٢].

فذهب إيليا ولما وجد أليشع طرح عليه رداءه، وقد فهم مباشرة أليشع أن ذلك يعني اتباعه فاستأذن في وداع والديه وأطعم الناس ومضى مع إيليا[٣].

وقد اتصل بهذا الرداء معجزة انفلاق نهر الأردن بضربة إيليا فعبر هو وأليشع، وبعد رفع إيليا إلى السماء رجع أليشع بالرداء وفعل نفس الفعل في نهر الأردن فانفلق[٤].

والذي أخلُص إليه أن هذا الطرح لا يمكن أن يقاس عليه ما سنه الرهبان من طقوس للدخول في الرهبانية، وذلك لأمور:

١ -أليشع خليفة إيليا في النبوة بوحي من الله وأمره.

٢ -طرح إيليا الرداء علامة على طلب اتباعه، ثم استرجع رداءه مباشرة.

٣ -ما ذكر من انفلاق النهر دليل على خصوصية هذا الرداء كما هو شأن عصى موسى عليه السلام.

يضاف إلى ذلك أنه لم يرد دليل عن المسيح عليه السلام أنه كان في لباسه مخالفا لعادة أهل زمنه سوى ما ذكر من ضوابط عامة من تواضع وبساطة، وبين إثبات الطقوس والمعاني التي ألبسوها لباسهم من نصوص العهد الجديد خرط القتاد.

---

[١] سفر الملوك الأولى: (١٩: ٤)

[٢] سفر الملوك الأولى: (١٩: ١٥-١٦)

[٣] سفر الملوك الأولى: (١٩: ١٩-٢١)

[٤] سفر الملوك الثانية: (٢: ٨، ١٣- ١٤).

المبحث الخامس: قوانين الرهبان

سبق في الفصل الأول ذكر مرحلة القوانين الرهبانية من جهة التاريخ، وهنا نطل إطلالة من جهة الواقع والمضمون، فقانون الدير كما سبق يعالج قضيتين: **الجانب المادي والجانب الروحي**، ونذكر هنا بعض الأمثلة لكل من الجانبين.

المطلب الأول: الجانب التنظيمي:

١) البناء والمكان:

الدير مؤسسة متكاملة مستقلة بحيث إنها تكتفي بذاتها وتكون في غنى عن الخروج، ففيها أماكن اجتماع للعبادة، مطعم، مطبخ، غرفة أو غرف نوم، مصحة، مستودعات ومخازن، حدائق ومزارع، معامل للصناعة حسب تخصص الدير.

ومن أجل تنظيم متقن لهذا المبنى فقد كان يتم على يد متخصصين من أجل الاستفادة من جميع ما يحيط بالدير، والأصل أن الدير يُبنى بعيدا عن المدن والقرى ليكون للروحانية والتأمل، كما أن الأصل أن يكون ديرا شبيها بما التزم به أهله من الفقر والزهد عن الدنيا. لكن الواقع يثبت خلاف ذلك -على حدّ سواء- في الشرق والغرب إلا قليلا منهم. ففي الشرق ذكر كوركيس عواد عن الأديرة التي وصفها الشابشتي في كتابه "الديارات" فيقول:

"وقد كان بعض تلك الديارات، على جانب عظيم من فخامة البنيان واتساع الرقعة وحسن الآلة حتى أن بعض الخلفاء والملوك والأمراء وأعيان الناس ووجوههم، كانوا يترلونها. ولا يخرج أحد منهم منها إلا وهو يلهج بطيب الإقامة فيها والثناء على من بها"[١].

ومن تلك الأديرة:

- دير درمالس في بغداد، يقول عنها الشابشتي[٢]:

" وموقعه أحسن موقع، وهو نزه كثير البساتين والأشجار، وبقربه أجمة قصب، وهو كبير، آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه، وهو من البقاع المعمورة بالقصف، والمقصود بالتتره والشرب".

- دير القصير في مصر:

"وهذا الدير في أعلى الجبل، على سطح قلّته، وهو دير حسن البناء، محكم الصنعة، نزه البقعة، فيه رهبان مقيمون به، وله بئر منقورة في الحجر يستقى الماء له منها... فدير القصير هذا أحد الديارات المقصودة لحسن موقعه وإشرافه على مصر وأعمالها".

---

[١] مقدمة الديارات، ص٥٠

[٢] الديارات، ص٣، ٢٨٤-٢٨٥

وفي الغرب كان اختيار الأماكن الخلابة مدعاة لانبهار كثير من الكتاب الذين وصفوا تلك الأديرة. وإلى يومنا هذا لا تزال تلك المباني التي فيها من الجمال والدقة ما تدهش لها العقول، منها الدير الأم لجماعة الكارتوزيين في فرنسا، وهذه صورته[١]:



وتسير هذه الجماعة على نهج الفقر المذقع على حدّ قولهم في قانونهم.

ومن الأمثلة الأخرى دير كلوني الذي لما جددوا بناءه اعتبر أكبر دير أوروبي عرضا وطولا، بدئ في بنائه في ١٠٨٨م وانتهوا منه نهائيا في ١١٣٠م[٢]. ومن إتقان أبنيتها أصبحت بعض الأديرة الأوروبية بعد إغلاق كثير منها في منتصف القرن التاسع عشر: زمن الثورة الصناعية، مقرا للمصانع المختلفة.
ولا شك أن هذا من المفارقات التي أججت في القرن الثاني والثالث عشر الميلادي معارضة شديدة خصوصا ضد جماعة الكلونيين والسيستريين اللّذَيْن كانا يتسابقان في فخامة المباني بجوار الفقر المذقع الذي كانت تعيشه شعوب القرون الوسطى، ووصل ببعضهم إلى الإغراق في ديون بسبب صيانة المباني، فثارت جماعة الفرنسيسكان والكاثار وغيرهما ضد هذا البذخ والإسراف وكانوا يدعون للعودة إلى الفقر الحقيقي[٣].

[١] من الموقع الرسمي للجماعة:

(http://www.chartreux.org/fr/frame.html)

[٢] *Les ordres monastiques et religieux au moyen âge*: Marcel Pacaut, p.١٠٢

[٣] *La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle*, p. ١٨٧-١٩٠

أما النظام فلكل غرفة في الدير مهمة خاصة كما أن الأشخاص لهم أدوار مختلفة منصوص عليها في القوانين في غاية الدقة، من كيفية انتخاب رئيس الدير إلى وقت نوم وتحديد مسؤولية كل من بداخل الدير[١].

٢) الضيافة:

يذكرون أن ضيافة الرهبان ليست في حاجة إلى استدلال، وقد افتتح بندكت في قانونه فصل الضيافة بقوله:

"نستقبل مثل المسيح نفسه أي ضيف يحضر فجأة...ونعطي لكلٍّ قدره المستحق، خصوصا خدام الإيمان والمسافرين"[٢].

كما أن باسيل في الشرق خصص في قانونه الكبير فقرات في سياسة الضيافة. ونشعر منه بحزم وقوة كما يبين لنا أن الضيافة عنده فرصة للدعوة والقدوة، فيقول:

"ولو جاء ضيف فجأة؟ فإن كان من إخواننا الذين يشاطرونا الهدف—أي راهب- فسيذكر طاولته. فما تركه عنده سيجده عندنا، وإن كان متعبا من سفر فنعطيه ما يحتاجه لإنعاشه.

فإن جاء آخر من العالم فليتعلم بالفعل ما لم يدركه بالقول، ولنبين له المثال والقدوة في الاعتدال في الطعام. لِنُذَكِّرَه بطاولة النصارى والفقر المحتمل من غير حشمة من أجل محبة المسيح. فإن لم يفهم ووجد ذلك سخيفا فلن يشغلنا مرة أخرى"[٣]

الضيافة كانت موجهة إلى فئات[٤]:

١ -المسافرين.

٢ -رجال الدين.

٣ -الفقراء.

٤ -الحجاج من قاصدي البيت المقدس أو قاصدي أماكن مقدسة مثل قبور الصالحين.

٥ -المرضى.

كل ذلك نشأ في زمن كانت الضيافة متجذرة في الثقافة اليونانية والرومانية، وقد اعتبرت دائما من الأخلاق العالية عندهم، إضافة أنه لم يكن بعد انتشار الفنادق[٥].

---

[١] *Ibid*, p.٢١٢-٢٢٨

[٢] *Règles de St Benoît*, ch.LIII, ١-٢, de *Règles des moines*, p.١١٦

[٣] القانون الكبير، من قسم الرهبانية من الموقع الرسمي للكنيسة الأرثوذكسية الإستونية:
(http://www.orthodoxa.org/FR/orthodoxie/monachisme/StBasile٢.htm#q٢٢)

[٤] *Hospitaliers*: J. Besse, *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t.VII, p.١٩١

[٥] *Loc cit.*

وكان هذا المظهر منتشرا في الشرق والغرب، فنجد القوانين الرهبانية تضع الضوابط والقواعد تنظيما للضيافة مما يدل على أهميتها وفُشُوِّها، ومنها على سبيل المثال[١]:

-أن يكون المسؤول عن الضيافة مبتسما، أنيقا ذو إحساس، لا يقبل أحد إلا بإذن رئيس الدير أو وكيله.

-يسمح بزيارة أحد أقرباء الرهبان بإذن الرئيس ومع مراقب.

-وعلى الضيف احترام قانون الدير من صمت وأوقات الصلوات بحضورها.

وقد ذكر الشابشتي في كتابه من ذلك الشيء الكثير، ومنه قوله في دير مريحنا النسطوري في العراق: "مطروق مقصود، لا يخلو من المتطربين والمتنزهين ولا من مسافر يترله. ولكلّ من طرقه من الناس ضيافة قائمة على قدر المضاف لا يخلون بها"[٢].

٣) العقوبات:

المقصود بالعقوبات ما نصوا عليه من مخالفات يقوم بها الراهب فيتم تأديبه بأساليب مختلفة يصل في أقصى الحدود إلى الطرد من الدير، وأدناها النصح والاعتراف بالذنب أمام الجميع. ومنها ما سطره المؤرخون فيما شُوهد في الأديرة من العقوبات، ومنها ما جاء منصوصا عليه في القوانين ويكون غالبا في آخرها.

وقد اعتمدوا في مشروعية العقوبة على أدلة منها:

-ما ورد في سفر متّى[٣]:

"وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ . وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ . وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ"[٤].

-ما ورد على لسان بطرس الرسول:

" فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلاِنْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ"[٥].

---

[١] *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle* ,p.١٠٥, ١٣٧; *La Vie quotidienne*, *ibid*, p.٢٢٠-٢٢٢

[٢] الديارات، ص١٧١

[٣] *Le monachisme en occident avant saint Benoît*, p.٣٤-٣٥

[٤] سفر متى: (١٨: ١٥-١٧)

[٥] رسالة بطرس الأولى: (٢: ١٣-١٤)

ونذكر هنا نماذج منها:

–في تطبيق أوامر رئيس الدير:"وسيأتمرون من غير تذمر أو تردد بكل ما أُمروا به كما أرشد الرسول القديس، فإن تذمر ونازع أو اعترض على أي أمر بإرادة تمرّد فسيؤخذ بعدل حسب حكم الرئيس، وسيُجنّب مدة على قَدْرِ عظم خطئه، وحتى يتذلل ويستصلح ويكفر عن ذنبه"[١].

–من دافع عن معاقَب يصير مثله[٢].

–المتأخر عن الطعام بغير عذر يرد فيحرم من الطعام[٣]، والمتأخر عن صلاة لا يسمح له بالالتحاق بالجماعة[٤].

ومن الأمثلة التي فيها قسوة وعنف:

- ما روي عن كلومبانوس (ت ٦١٥م) أنه كان يجلد المذنب، فإن خلى راهب بامرأة جلد مئتي جلدة، ووصل به الأمر إلى فقأ العيون[٥]، ومن شدّته أنه كان يعاقب على مجرد الهم بالذنب كسرقة أو زنا، والعقوبة هي كما في قانونه: "الاكتفاء بالخبز والماء مدة نصف سنة للذنوب الكبيرة وأربعين يوما للصغيرة منها"[٦].

ومن الصور التي يمكن أن نحكم عليها بالغلو أن هناك اجتماع أسبوعي عند الكلونيين والسيستريين يدعى "فصل الأخطاء" *شَبِتْر دِي كُبْل* ***chapitre des coulpes***، يجتمع فيها الرهبان ليعترفوا بأنفسهم عن مخالفتهم للقانون أو يبلغون عمن خالف، صفته أن يقرأ رئيس الدير أو نائبه فصلا من القانون المعمول به كقانون بندكت ثم يعلق عليه، وبعدها يقوم الراهب بعدما يسجد ليفصح عن مخالفته أو مخالفة غيره. والمخالفة قد تكون يسيرة كالتأخر عن الصلاة أو الطعام، وقد تصل إلى أكبر من هذا، والعقوبة مثلها. والعجيب أن أوغسطين وباسيل يشجعون الإبلاغ عن المخالفة إذ ينظرون إلى المخالف كمريض يحتاج إلى شفاء، بيد أن بندكت يفضل الاعتراف الشخصي بدل الإبلاغ[٧].

وفي هذا الباب ضرب من إذلال النفس كثير، منه:

- السجود أمام جميع الرهبان إذا أراد المخالف أن لا يطبّق عليه العقوبة بالصوم[٨].

---

١ *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle* ,p.١١٢

٢ *Le monachisme en occident*, p.٤٩

٣ *Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Ephèse*, p.٢٥٣

٤ *Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle* ,p.١١٣

٥ اضمحلال الإمبراطور ية الرومانية وسقوطها ج٢، ص٣٢٧

٦ *Encyclopédie Théologique*: Jacques-Paul Migne, (Paris: J P Migne Editeur ١٨٦٦), t.XXVII, p.١٠٢١-١٠٢٢; *La spiritualité celtique. Règles et usages*: Georges Briche, (http://wikiwix.com/cache/?url=http://www.chez.com/menarpalud/expansions١c.htm)

٧ *Règles monastiques d'occident*, p.٤٩; *La Vie quotidienne*, p.١٦٦

٨ *Ibid*, p.١٤٩

– مَن طرد من الدير بسبب مخالفة كبيرة وأراد العودة، فعليه بالوقوف أمام باب الدير مستشفعا بمن يعمل في الدير من العلمانيين ليشفعوا له عند الرئيس، حتى يسمح له بالدخول، فإذا دخل وجب عليه الانبطاح على الأرض عاريا عند أقدام رهبان الدير[١].

– من خبأت شيئا من طعام أو غيره عند جماعة القديسة بريجيت، فعقوبتها أن تأكل على الأرض. لا تأخذ سوى الخبز والماء كل يوم جمعة وأن لاتخرج من الكنيسة؛ وأن تسجد صامتة عند أرجل الراهبات الداخلات إلى الكنيسة[٢].

٤) قبول الرهبان:

نلاحظ منذ الأيام الأولى لظهور الرهبانية النصرانية سلوكا نحو المبتدئ، المريد، الراغب في اللحوق بالرهبان. تبدأ القصة في القرن الرابع بأول الرهبان أنطونيوس لما زار بولس الطيبي فأغلق على وجهه الباب و لم يفتحها حتى ألح أنطونيوس في السؤال بالبكاء والعويل حتى قال له إنه على استعداد أن يبقى إلى الموت سائلا السماح له بالدخول ففتح له[٣].

وفي المرحلة الديرية مع باخوم يحدد في القانون المنسوب إليه ما يجب نحو المبتدئ على النحو التالي[٤]: – إذا حضر أمام الباب لا يفتح له الباب أياما.

-يعلّم ما تيسر من الأدعية ومقاطع من المزامير ثم يختبر فيها.

-نختبره حتى نعلم أنه قادر على ترك والديه وأمواله.

-ثم يعلم القانون الديري، وبعد ذلك يقبل فيلبس لباس الرهبان.

ويذكر كاسيان أنه ينبغي ترك الراغب أمام الباب عشرة أيام مع إشباعه السبّ والإذلال، وذكروا أنه يؤمر بالسجود أمام كلّ راهب رائحٍ أو غادٍ[٥].

وقد بقيت هذه الطقوس مع فروق بسيطة هي السائدة في القوانين، ونذكر هنا مثالين: أحدهما من القانون الباسيلي والأخرى للبندكتي.

---

١ *Ibid*, p.٢٤٤

٢ *Loc cit.*

٣ *Œuvres de saint-Jérôme*, *Vie de Saint Paul l'ermite*:
(http://www.abbaye-saint-benoit.ch/saints/jerome/mystiques/٠١٩.htm)

٤ *Le monachisme primitif*, p.٢٤٦

٥ *Le monachisme en occident*, p.٤٩; *Les hommes ivres de Dieu*, p.٨٨

-القبول في القانون الباسيلي:

نلاحظ في القانون الباسيلي أمورا[١]:

١ -تلطف مع المستجد والرحمة به مذكرا بخطورة دفع من يأتي يريد التخفيف على نفسه.

٢ -التفريق بين الناس من جهتين:

أ -من كان متدينا أصلا فيتكلم معه عن الكمال، وأما الآخرون فيسألون عن ماضيهم لينظر صلاحيتهم للحياة الرهبانية، ويدخل في هذا من الجهة الرسمية أي لم يكن هناك عائقا نظاميا كتجنيد أو غيره.

ب -إذا كان عبدا، أو متزوجا، أو طفلا، فلكلّ معاملة وإجراءات.

يعد باسيل مرحلة جديدة لأنه أولا رجل مثقف ودائما ما يحاول ربط هذه القوانين بالنصوص، ثم إن الرهبانية النصرانية في عهد باسيل مرّت عليها أجيال، فنظر فيها نظرة ناقد، وتعتبر قوانينه خلاصة من سبقه مع تعديل، فيبدو على الأقل في التنظير أنه قد ترك الإذلال المعمول به عند البعض. وفي الرهبانية الأرثوذكسية الشرقية كما أسلفنا في الحديث عن اللباس فإن المستجد يقضي ثلاث سنوات قبل أن يتم قبوله قبولا نهائيا[٢].

-القبول في القانون البندكتي:

و نلاحظ في القانون البندكتي أمورا[٣]:

١ -يُترك المريد أربعة إلى خمسة أيام لننظر إلى صبره على الإهانة وصعوبة الالتحاق بالدير.

٢ -يلتحق بعد ذلك بيد متخصص للجدد ليلاحظ فيه كل شيء فيمر بمراحل يتعهد فيها بعد شهرين، ثم ستة إلى سنة.

٣ -بعد سنة إن أصرّ على الالتحاق فإنه يُعْلِن نذره بالالتزام بالقانون أمام الجميع، ويكتب تعهده في ورقة بيده، ثم يسجد أمام أرجل كل راهب سائلا الدعاء، ويعد بعد هذه اللحظة من الجماعة.

ويبقى هناك تفاصيل أخرى ترجع لكل دير ورأي رئيسه أو رئيس الجماعة، وبعضها غاية في الإذلال أو إماتة الذات كما سبق، فمن ذلك مثلا عند راهبات جماعة *vallombrosain*[٤] كانت الراهبات

---

[١] القانون الكبير:

(http://www.orthodoxa.org/FR/orthodoxie/monachisme/StBasile٢.htm#q٢٢); *Le monachisme primitif*, p.٣٥٦-٣٥٧; *Le monachisme orthodoxe*, p. ١٩٨, ٢٠٠

[٢] *Le monachisme orthodoxe*, p.١٧٨

[٣] *Règles de St Benoît*, ch.LVIII, ١-٢٩, de *Règles des moines*, p ١٢٢-١٢٤

[٤] نسبة إلى الدير الأم للجماعة الرهبانية من فروع البندكتيين، نشأت في إيطاليا في القرن الحادي عشر للميلاد على يد أحد القساوسة.

المبتدئات يُطالَبن بتنظيف مرابض الخنازير بأيديهن من غير مجرفة، وعندما يأتي يوم رسامتهن فإنهن يبقين ساجدات بلباس الدير ثلاثة أيام بصمت كامل[١].

والخلاصة أن كل ما سبق ذكره -وقد أومأت ذكر الكثير في هذا الباب- يرجع إلى معرفة صلاحية المتقدم للحياة الرهبانية والديرية لكي لا يتعب نفسه وغيره معه في سلوك طريق هو ليس لها أهلا. وقد استندوا في استحداث هذه التفاصيل كلها إلى دليل لم أجد له ذكر إلا في قانون بندكت، وهو قول منسوب إلى يوحنا الصياد أحد تلامذة المسيح في الرسالة الأولى المنسوبة إليه: "امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟"[٢]. هكذا ذكرها بندكت في افتتاح حديثه عن قبول المستجدين[٣]. والفقرة الكاملة هي: "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ"[٤].

ونقف هنا وقفات يسيرة على النحو التالي:

أولا: إثبات صحة نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا الحواري يحتاج إلى دليل، التحقيق يثبت خلاف ذلك كما هو مقرر في مظانه[٥].

ثانيا: على فرض صحة النسبة فالسياق واضح على أنه دعوة إلى التثبت والتبيّن من الدعاة إلى النصرانية إذ كثروا في عهده، يقول أنطونيوس فكري:"والرسول هنا يطلب أن لا نسير وراء كل عاطفة أو محبة بشرية لشخص أو إعجاب بشخص، أو انفعال وراء شخص، فقد يقودنا هذا للسير وراء هرطقة، فليس كل ما نسمعه صحيحاً"[٦].

ثالثا: على فرض صحة الاستدلال بهذا النص، أنّى لهم تلك التفاصيل والشروط والضوابط المشتملة على إذلال بني آدم الذين كرمهم الله من فوق سبع سموات وأسجد له ملائكته وجعله خليفة في الأرض، ثمّ نسألهم: هل هناك فوق الحواريين منزلة؟ فإن أجابوا بلا كفروا، وإن اجابوا بنعم ولابد فإن المسيح عليه السلام لم يأمر أحدا منهم بكل ما أحدثوه، وعلى فرض صحة ما يروون عنه في العهد الجديد فإنه لم يطلب منهم سوى خالص الاتباع وترك كل شيء من أجله كما سبق الحديث عنه. فلم يبق إلا أنها بدع ومحدثات، وعلى اصطلاحهم فإنها هرطقات ليس لهم فيها برهان.

---

١ *La Vie quotidienne*, p.٤٧

٢ رسالة يوحنا الأولى: (٤: ١)

٣ *Règles de St Benoît*, ch.LVIII, ٢, de *Règles des moines*, p.١٢٢

٤ رسالة يوحنا الأولى: (٤: ١)

٥ انظر مصادر النصرانية: دراسة نقدية، ج٢، ص٦١٧-٦١٩

٦ تفسير أنطونيس فكري، (http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/١John/٤)

وأخيرا أشير إشارة إلى ما أحدثه بعض الصوفية في الإسلام من امتحان المريدين شبيه غاية التشابه بين ما ذكرناه عند الرهبان النصارى، خصوصا رهبان الشرق الذين جعلوا فترة الاختبار ثلاثة أعوام؛ فقد ذُكر عن بعضهم أن الشيخ لا يقبل مريده حتى يخضعه للامتحان والتجربة ثلاثة أعوام، فهذا نيكلسون[١] ينقل عن الهجويري[٢] قوله: "إذا اتصل بهم مريد، رغبة في نبذ الدنيا، أخضعوه ثلاثة أعوام للرياضة والمجاهدة. فإن هو أتم مقتضيات هذه المجاهدة، فحبا وكرامة؛ وإلا أعلنوه بأنه لن يقبل في الطريق. فالسنة الأولى مقصورة على خدمة الخلق؛ والثانية على خدمة الخالق؛ والثالثة على مراقبة قلبه. ولن يستطيع أن يخدم الناس، إلا إذا وضع نفسه في مقام الخدم، ووضعهم في مقام السادة. ومعنى ذلك أن يرى الناس قاطبة خيرا منه، وأن يعتقد أن عليه أن يخدم الناس على السواء"[٣].

٥) العمل:

اعتنى غالب الرهبان النصارى بالعمل، و لم يشذّ عن هذا إلا فئام منهم وهم "السياح". وقد ردّت عليهم مجامع، أوّلهم مجمع مدينة سيدي ***sidé*** في جنوب غرب تركيا حاليا عام ٣٩٠م، وممّن كتب في هذا الموضوع أوغسطين الذي صنّف رسالة في ثلاثة وثلاثين فصلا عن "عمل الرهبان" مفنّدا الشبهات النقلية التي احتجّوا بها[٤]، لكن الكثرة الكاثرة منهم اهتمت بالعمل، ويمكن أن نلخص الأهداف التي من أجلها اهتموا به إلى نقاط[٥]:

أولا: الاستغناء عن الناس.

ثانيا: التصدّق وإكرام الضيوف.

ثالثا: محاربة الكسل والخمول.

وهذا الهدف الأخير كان كما يزعمون بسبب رؤيا رآها أنطونيوس أبو الرهبان إذ أصابته وساوس فرأى

---

[١] **رينولد أليين نيكلسون** *Reynold Alleyne Nicholson* (١٨٦٨-١٩٤٥م): مستشرق إنجليزي درس في كل من جامعتي لندن وكامبردج. ومن إنتاجه العلمي: ترجمة وشرح ديوان "مثنوي معنوي" للشاعر الفارسي الأكبر جلال الدين الرومي؛ "تاريخ العرب الأدبي"، ومقالات في دائرة معارف الإسلام وغيرها. موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣ ١٩٩٣م)، ص٥٩٣-٥٩٤

[٢] **أبو الحسن علي بن عثمان بن أبن علي الجلابي الهجويري الغزنوي** (ت٤٦٥هـ): إمام من أئمة الصوفية صاحب كتاب " كشف المحجوب" الذي يعد من أقدم الكتب الفارسية في التصوف. انظر مقدمة تحقيق "كشف المحجوب" لإسعاد عبد الهادي قنديل، (الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية ١٣٩٤- ١٩٧٤م)، ص١٥-٧١

[٣] الصوفية في الإسلام، تعريب وتعليق نور الدين شريبة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢ ١٤٢٢- ٢٠٠٢م)، ص٤٣

[٤] وهي مطبوعة ضمن مؤلفاته المترجمة إلى الغة الفرنسية:

Œuvres complètes de St Augustin, tr. sous la direction de M. Raulx, (BAR-LE-DUC,١٨٦٦), tome ١٢, p. ٢٤١-٢٧٠; *Le travail manuel dans le monachisme ancien*: A. Guillaumont, de: *Aux origines du monachisme chrétien*, p.١١٨

[٥] *Ibid*, p.١١٧-١٢٦

في المنام رجلا جلس بجواره يعمل، ومن حين لآخر يقوم فيصلي، وهكذا يعمل من غير انقطاع. ثم سمع أنطونيوس صوتا يقول له: "هكذا فافعل وستنجو"، فأصبح على هذا عندهم يعرف الراهب عند الرهبان المصريين هو الذي "يتعب ويكدّ"[١].

وقد عمل الرهبان المتوحدون وشبه المتوحدين في جنوب مصر في مجال الزراعة أيام الحصاد، واشتهروا بصناعة السّلاّت من أغصان القصب، وأما الدّيريون في الشمال فقد كانت أديرة باخوميس شبيهة بالمصانع موزعة على تخصصات مختلفة حسب ميول الرهبان وتخصصاتهم[٢].
وأما في الغرب فإن القانون البندكتي أَوْلى أهمية كبرى للعمل اليدوي؛ حتى كان شعارهم *أَرَا إِي لَبُرا* *"ora et labora"* أي "صلِّ واعمل". فقد جعل للعمل اليدوي –غالبا الزراعة– في البرنامج اليومي للراهب: ثمانية ساعات في الصيف، وست ساعات في الشتاء.
والأدلة التي استندوا إليها كثيرة منها قول بولس المشهورة: "من لا يعمل فلا يأكل أيضا"[٣].

وأخيرا فإن عمل الراهب قد أظهر إشكالَيْن:
الأول: ما ذا يعمل الراهب بما يصنعه؟ فالراهب هو المنقطع عن الدنيا المقاطع لأهلها، فإذا أنتج أي شيء فلا بد له من بيعه أو استبداله. فظهرت طرق مختلفة لإنفاذ ما ينتجه الرهبان منها:
- استبدال السلعة المنتَجة مع السكان المجاورين بما يحتاجه الرهبان من طعام.
- تولي نصارى علمانيين يخدمون الرهبان لبيع إنتاجاتهم في الأسواق.
- بعضهم كان يتولى بيعها في السوق بنفسه لكنه لا يناقش السعر ولا يفاوض ولا يجادل، ما أعطي أخذ وانطلق خشية الفتنة.

لكن الأديرة الكبيرة في الغرب أصبحت مصانع متخصصة في حرف شتى لا يضاهيهم أحد في تخصصات منها: إحياء الأرض الموات، قلع الأشجار، زراعة شتى صنوف الخضروات والفواكه، واستحدثوا في هذا الباب ألوانا من أساليب الزرع والحصاد. واشتهروا أيضا بصناعة الجبن، والخمور وغير ذلك كثير، وسيأتي ذكر المزيد في نشاطات الرهبان. ولزم من ذلك أنهم كانوا كبار التجار فأضحَوْا الروح الاقتصادي الأوروبي في القرون الوسطى.

الثاني: كيف الجمع بين الانقطاع للعبادة والعمل؟
ولحل هذا الإشكال فإنهم يرون عملهم عبادة، ولذا فإنهم يعملون في صمت كامل إلا ما اضطروا إليه لمصلحة العمل مع مواصلة التلاوة بما يحفظونه عن ظهر قلب أوالذكر.

---

[١] *Ibid*, p.١٢٣
[٢] *Loc cit.*
[٣] رسالة إلى تسالونيكي الثانية: (٣ : ١٠)

المطلب الثاني: الجانب الروحي

يتفق الرهبان على أن حياتهم إنما نذروها كما قالوا من أجل التعبد والتأمل، ولذا فإن البرنامج اليومي للراهب يرتكز أساسا على عبادات مختلفة أساسها "الصلوات" ثمّ "الصيام" وغيره.

١) الصلوات:

يجتمع الرهبان الديريون سبع مرات (أو ثمان) في اليوم والليلة للصلاة، والمقصود بالصلاة إنما هو المعنى العام أي الدعاء. وهذه الصلوات هي الصلوات القانونية وهي قراءة جماعية لسفر المزامير المنسوب لداود عليه السلام[١]. ويختلف التوقيت إذا كان الشتاء من نوفمبر إلى عيد الفصح، وفصل الصيف من عيد الفصح إلى نوفمبر؛ وكذا باختلاف الجماعات حسب برنامجها اليومي. وأذكر كمثال برنامج رهبان جماعة كلوني وهي على القانون البندكتي[٢]:

١ - ٠٠,٣٠ ليلا: صلاة السهر *فِيجيل* ***Vigiles***

٢ - ٤,٠٠ صباحا: صلاة الصبح *لَود* ***Laudes***

٣ - ٦,٠٠ صباحا: صلاة الساعة الأولى *بريم* ***Prime***

٤ - ٩,٠٠ صباحا: صلاة الساعة الثالثة *تَيِرْس* ***Tierce***

٥ - ١١,٣٠ صباحا: صلاة الساعة السادسة *سَكْست* ***Sexte***

٦ - ٢,٠٠ ظهرا: صلاة الساعة التاسعة *نُون* ***None***

٧ - ٤,٣٠ عصرا: صلاة الغروب *فِيْبِر* ***Vêpres***

٨ - ٦,٠٠ مساء: صلاة النوم *كُمْبلِي* ***Complies***

ونلاحظ هنا ثمانية أوقات لإضافة صلاة الليل المدعوة بصلاة السهر إلى السبعة، فقد أخرجها بندكت من السبعة فيقول في قانونه: "لنَهَب في هذه الأوقات تحميداتنا إلى خالقنا على أحكام عدله؛ أي في الصباح؛ في الأولى؛ في الثالثة؛ في السادسة؛ في التاسعة؛ وفي الليل وآخر النهار. وبالليل لنقم تارة أخرى لنحمده"[٣].

ويستدل بندكت في قانونه على هذه السبع بما ورد في المزامير[٤]: " سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتُكَ عَلَى

---

[١] *__Dictionnaire de théologie__*: Nicolas Sylvestre Bergier, (Paris: BESANÇON, CHALANDRE FILS IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR ١٨٢٦), t.IV, p.٣٢

[٢] *__La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle__*, p. ٢٨-٢٩

[٣] *__Règles de St Benoît__*, ch.XVI, ١,٤, de *__Règles des moines__*, p.٨٥

[٤] *Loc cit.*

أَحْكَامِ عَدْلِكَ"[١]، ولصلاة الليل: "فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّك"[٢].
ويضاف إلى هذا ما يقوم به الراهب وحده من قراءة الكتاب المقدس أو غيره، في الأوقات الخاصة به وهو في دير *La pierre-qui-vire* مثلا بين صلاة الساعة الأولى والساعة الثالثة أي بين ٦,٣٠ تقريبا والتاسعة[٣].

٢) الصيام:

يلتزم الرهبان عموما بالصيام المشروع عند النصارى، ويختلف باختلاف الكنائس[٤]. ولم أجد منهجا مرسوما واضحا في هذا الباب غير أن الصيام عندهم يعني الاكتفاء بوجبة واحدة تؤخذ في الشتاء بعد صلاة الساعة التاسعة، أو بعد صلاة الغروب، أو بعد صلاة النوم في أيام صيام الميلاد حسب القانون المتبع، وقد تَفْرُض بعض القوانين الصيامَ المستمرّ إلا يوم الأحد كما عند أوغسطين وغيره إلا من لا تسمح له صحته. وعلى كلّ ففي هذا اختلافات كثيرة حسب الجماعات والقوانين[٥].

وهناك أفراد من المتوحدين وغيرهم فرضوا على أنفسهم صياما حسب حماس زهدهم، فقد ذكروا عن مقاريس الإسكندراني أنه كان يصوم أربعين يوما متواصلة سوى من ورقة كرنب كل يوم أحد[٦]. ولعلهم في ذلك يقتدون بصيام موسى عليه السلام أربعين يوما لما ذهب إلى ميقات ربه، وصيام عيسى عليه السلام أربعين يوما في البرية قبيل إعلان دعوته كما ذكر قاموس الكتاب المقدس[٧].
وهذا يجرنا إلى معرفة جانب مما يأكله الرهبان، أو التغذية عند الرهبان.

أما بالنسبة لما ذكر عن المتوحّدين الأولين فنقف على أطياف من الغلو والتقعر في تعذيب النفس، فمما ذكروه:
-بيئور أو بيهور: وهو أحد تلامذة أنطونيوس الأول، ظل ثلاثين سنة يشرب من بئر ماؤه مُرّ مكتفيا بخبز جاف وخمس زيتونات يوميا[٨].

---

[١] سفر المزامير: (١١٩: ١٦٤)
[٢] سفر المزامير: (١١٩: ٦٢)
[٣] الموقع الرسمي للدير:
(http://www.abbaye-pierrequivire.asso.fr/contenu/frames_horaires.htm)،
[٤] انظر دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، ص٢٨٩؛ وموقف ابن تيمية من النصرانية: مريم عبد الرحمن زامل، (مكة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧-١٩٩٧م)، ج٢، ص٧٨٥-٧٩٤
[٥] *Règles monastiques d'occident*, p.٤١-٤٢; *La Vie quotidienne*, p.١٠٠-١٠١
[٦] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص٢٠٤
[٧] قاموس الكتاب المقدس:
(http://popekirillos.net/ar/bible/dictionary/read.php?id=١٥٢٩)
[٨] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص١٩٦

-وُجد في بلاد الشام ما عرف برهبان "الرعاة" بُرُوتُر *brouteurs*، أي يرعون كما ترعى الأنعام السائبة، طعامهم حشيش الأرض والماء[١].

-يوحنا المصري في القرن الرابع الميلادي ظلّ خمسين سنة في كوخ يأكل حبوبا كما تأكل الطيور[٢].

وهذه النماذج وغيرها كثير ذكرت في أدبياتهم بهالة من التعظيم والتبجيل كالقول بأنهم "عمالقة الروحانية"، مع أننا لا يمكن إلا أن ننظر إلى أنهم خرجوا من كرامة الإنسان إلى بهيمية الحيوان، أو أنهم فقدوا عقولهم بعد رشد بسبب غلوهم وظلمهم لأنفسهم. ولذا فحتى الكنيسة قد حاربت الرهبان السائحين وحكمت عليهم بالخروج من رحمة الكنيسة.

أما الرهبانية الجماعية فقد ضبطت موضوع الطعام يختلف ذلك أيضا باختلاف الجماعات والأزمنة، فمن أهم ما يظهر في هذا الباب ما يلي[٣]:

تكاد تتفق القوانين الديرية على منع اللحوم إلا للمرضى، وبعضها حتى للمرضى مخافة تصنع المرض من أجل اللحم، والمقصود باللحم لحوم ذوات الأربع. أما لحوم الطيور والسمك فقد أجازتها قوانين. تعليلهم في ذلك أمرين:

الأول: أن أكل اللحوم مخالف لمظهر الفقر الذي يزعمون الالتزام به.

والثاني: أنه يؤجج الشهوة.

هذا من جهة التنظير، لكن الواقع قد أفرز مفارقات غريبة؛ فمنهم - كما يحكيه لِيُو مُولِين عن جماعات رهبانية في القرون الوسطى - من تدرّج في الأعذار والاستثناءات المختلفة مثل حلول ضيف، أو في عيد من الأعياد، ثم يوم الأحد فقط، وهلم جرا؛ إلى أن أصبحت قوائم طعام جماعة الكلونيين على سبيل المثال دَسِمَةٌ يأكلون الأحد والثلاثاء والخميس اللحم البقري؛ والاثنين لحم خنزير! و آخرون منهم من شدة حرصهم على السمك وحاجة الدير إلى كميات كبيرة أنهم مع سماحهم لجيران الدير بالصيد في الأنهار المجاورة إلا أنهم لا يسمحون لهم بصيد الأسماك الكبيرة، فإن صادوها وجب عليهم إرجاعها حية وبهدوء في الماء!

وفي شرب الخمر يظهر أن غالب القوانين الديرية الغربية تجيزه باعتدال –على حدّ قولهم-! فنجد في منتصف القرن الخامس الميلادي في قانون القديس فيريول (ت٥٨١م) يقول: " أرى من نافلة القول أن

---

[١] *Les moines d'Occident depuis saint Benoît jusqu'à saint Bernard*, t.I, p.٩٧; *Les hommes ivres de Dieu*,p.١١٣

[٢] *Ibid*, p. ١١٥

[٣] *Règles monastiques d'occident*, p.٤٢ ; *La Vie quotidienne*, p.٦٩-٩٩

أحذِّر راهبا من السُّكر: فإذا قَبِلَ الشُّرْب مهما قَلّ فإنه يبتعد عن التقشف. ولكن ما دام أن الرهبان لا يجهلون ما قاله الرسول: "لاَ تَكُنْ فِي مَا بَعْدُ شَرَّابَ مَاءٍ، بَلِ اسْتَعْمِلْ خَمْراً قَلِيلاً مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ"[١]، فسيعطى لهم يوميا قدرا من خمر، حسب قدرة الدير، يحدده الرئيس من غير أن يسألوا الزيادة"[٢].

والعجب من هذا النص الذي يعترف تارة بأن شرب الخمر مهما قلّ يناقض التقشف، وفي نفس الوقت يشرب منه قليلا لأنه فيه نفع حسب قول الرسول بولس. فالذي يُفهم من هذا أن أيّ راهب يشرب خمرا ولو قليلا فقد خرج من التقشف. وإذا خرج من التقشف فقد خرج من حقيقة الرهبانية. وهذا أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه تلاعب واتباع الهوى. بيد أن القديس بندكت (ت٥٤٣م) والذي قانونه أطبق أديرة الغرب كما سلف فإنه كان أصرح في تبريره حيث أرجع جواز شرب الخمر للراهب بسبب ضغط رهبان زمانه وعدم قدرتهم على الاستغناء عنه فيقول: " نقرأ فعلا أن الخمر لا يصلح للرهبان مطلقا، ولكن لما كان لا يمكن إقناع رهبان زماننا بالفكرة، فلنتفق على أن لا يشرب منه إلى الشبع، لأن الخمر يسبب الردة حتى لدى الحكماء"[٣].
ومن ثاقب معرفته بحالهم وأنهم قد يتذمرون، فإنه يُطالب بعد ذلك في حالة عدم قدرة الدير على إيجاد ذلك القدر أو عدم الإيجاد مطلقا فيختم بقوله: "فعلى الرهبان أن يشكروا الله ولا يتذمروا"[٤].
وقد اختلفوا في المقدار المحدد شربه يوميا فكان يتراوح بين نصف لترات يوميا إلى أربعة لتر يوميا في القرون الوسطى[٥]. وسيأتي الحديث عن نشاط الرهبان أنهم كما أطلقوا عليهم "آباء الروحانية" فقد أطلق عليهم أيضا "آباء الكرمة" حيث كانوا كبار زراع العنب وصناع أنواع من الخمور عبر القرون الوسطى، وإلى يومنا هذا.

وكل ذلك مؤدّي ضرورةً إلى تجاوزات فمما يدل على أن هناك ظاهرة السُّكر عندهم أن أحد القوانين قرر أن أي راهب مُسك سكرانا فسيحكم عليه بالحرمان من القربان المقدس ثلاثين يوما أو بالجلد على غرار قرار مجمع *Agde* [٦] في ٥٠٦م ضد رجال الدين الذين يسكرون[٧].

---

[١] رسالة تيموثاوس الأولى: (٥: ٢٣)

[٢] *Règle de Saint Ferréol*, (٣٩: ٢٤-٢٧), *de Règles monastiques d'occident*, p.٣٣٦

[٣] *Règles de St Benoît*, ch.XL, ٦-٨, de *Règles des moines*, p.١١٦

[٤] *Loc cit.*

[٥] *La Vie quotidienne*, p.١١٨

[٦] نسبة إلى مدينة في جنوب شرق فرنسا. الموقع الرسمي للمدينة:
(http://www.ville-agde.fr/index.php/services/comment_venir/plans_de_la_ville)

[٧] *Règles monastiques d'occident*, p.١٥٤

وقد ذكر الشابشتي كثيرا من الأديرة المقصودة لشرب الخمر، فمنها:

-دير الشياطين الذي قال عنه: "والناس يطرقونه للشرب فيه، وهو من مطارح أهل البطالة ومواطن ذوي الخلاعة. وللخباز البلدي، فيه:

رهبان دير سقوني الخمر صافية مثل الشياطين في دير الشياطين

مشوا إلى الراح مشي الرُّخّ وانصرفوا والراح تمشي بهم مشي الفرازين"[1]

-دير زُرارة في العراق، وذكر فيه خبر عجيب فقال: "خرج يحيى بن زياد ومطيع بن إياس حاجَّيْن. فلما قربا من دير زرارة، قال أحدهما لصاحبه: "هل لك أن نقدم أثقالنا ونمضي إلى زرارة، فنشرب في ديرها ليلتنا ونتزود من مُرُدها وخمرها ما يكفينا إلى العودة، ثم نلحق بأثقالنا؟" ففعلا وسار الناس، وأقاما. فلم يزل ذلك دأبهما إلى أن انصرف الحاج. فلما وصل إلى الكوفة حلقا رؤوسهما وركبا بعيرين ودخلا مع الحاج. فقال مطيع:

ألم ترني ويحيى إذ حججنا وكان الحاج من خير التجاره

خرجنا طالبي حجّ ودينٍ فمال بنا الطريق إلى زراره

فآب الناس قد غنموا وحجّوا وأبْنا موقِرين من الخساره"[2]

وأخيرا فإن اجتماع الرهبان للطعام طقوس مطبقة يترتب على الإخلال بها عقوبات، فمنها[3]:

أ -الصمت المطلق: وهي عادة قديمة، ذكرها باخوم في القانون المنسوب إليه، وكاسيان (ت٤٥٨م) في مصنفاته، ولكن عند البندكت لا بد من وجود قارئ يقرأ كتابا يختاره الرئيس والآخرون يأكلون. عللوا ذلك بأنه لما كان الأكل نزعة حيوانية فلا بد أن يصاحبها أكل الروح، وهي بسماع ما ينفع من سير القديسين أو غيره.

ب -يبدأ الطعام وينتهي بإذن الرئيس أو نائبه.

ت -لا يرفع الراهب رأسه، ولا ينظر إلى طعام جاره، ولا يرد طعاما قدم إليه.

وذكرت بعض القوانين أنهم يقدرون حال الراهب السابقة، فإن كان شريفا من طبقات المجتمع العليا فلا يطعم كما يطعم سائر الرهبان، وكذا في فراشهم ولحافهم ولباسهم. ويدعو أوغسطين في قانونه أن لا يُظنّ أن ذلك ظلم وإنما يُرْجِع ذلك إلى نسبية التقشف قائلا: "لا بد أن يقدروا أن المستوى المعيشي

---

[1] الديارات، ص١٨٤-١٨٥

[2] الديارات، ص٢٤٧-٢٤٨

[3] *La Vie quotidienne*, p.٩٧-٩٩; *Note sur la règle de St Benoit*: Dom Guéranger, chap.٣٥, p.٥٧٦ de *Moines aujourd'hui*: *une expérience de réforme institutionelle*: Olivier Du Roy, (Paris: Epi éditeurs ١٩٧٢), p.٤٠

الذي تركه إخوانهم لهذه الحياة –أي حياة الرهبنة– حتى ولو لم يصلوا إلى تقشف الأقوياء"[١].

٣– إماتة الذات ***mortification***:

المقصود بالإماتة هو "كبح الشهوات" أو يمكن إدخاله تحت عموم التقشف[٢]؛ وهو مظهر ملازم للرهبانية النصرانية عبر تاريخها الطويل، وهي مأخوذة في العهد الجديد من قول بولس : " فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ"[٣].

يقول القديس كيرلس السكندري: " الذين صاروا تابعين حقيقيّين للمسيح مخلِّصنا جميعًا يصلبون أجسادهم ويميتونها، وذلك بانشغالهم دائمًا في أتعاب وجهادات لأجل التقوى، وبإماتتهم شهوة الجسد الطبيعية"[٤].

لكن تفسيراتهم مع تأكيدهم على معنويَتِها فإننا نجد هذا المفهوم عند الرهبان النصارى قد شمل ألوانا من الإهانات الحسية والمعنوية المقننة وغير المقننة، وقد جعلها متّى المسكين إحدى دعائم التنسك لدى من سماهم ب"كبار آباء القرن الرابع المصريين"[٥]، يقول عنها القديس مقار:

"اسع لكل نوع من الإماتة، فإذا لم يكن لك الإماتة التي بالروح فاسع إلى إماتة الجسد..."[٦].

ومن صور هذه الإماتة ما ذكرنا من تقليل الطعام، مواصلة الصيام، وكذا منع الضحك في الأديرة، وبعض القوانين ترتب عقوبة الجلد والإهانة لمدة أسبوعين[٧]. أما قانون بندكت فيدعو إلى عدم الإكثار من الضحك إلا أنه في الحديث عمن يُضحك الآخرين فإنه لا يقبل فيها وتعتبر كبيرة عظيمة على أي حال كانت[٨].

ومن نماذج الغلو في هذا الباب:

–أسس باخوم ما يسمى ب"طريقة الطوب"، وقد سلكها بعض أهل الحماس من الرهبان المصريين من بعده، وهي أن يقف الراهب على طوبة مصليا فيبقى على حالته إلى ذوبان الطوبة بدموع البكاء![٩]

---

[١] *Règle de Saint Augustin*, III, ٤, *de Règles monastiques d'occident*, p.٧٧

[٢] انظر ورود لفظة الإماتة بهذه المعاني في الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، ص٨٣، ٨٦

[٣] رسالة إلى كولوسي: (٣: ٥)

[٤] التفسير: تادرس يعقوب،

(http://www.arabchurch.com/newtestament_tafser/colocy.htm)

[٥] الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار،ص ١٣٣

[٦] المرجع السابق، ص٨٥

[٧] *Règle des IV Pères*, XV, ٤-٨, *de Règles monastiques d'occident*, p.١٠٧

[٨] *Règles de St Benoît*, ch.IV, ٥٥; ch.VI, ٨, de *Règles des moines*, p.٦٧, ٧١

[٩] *Les hommes ivres de Dieu*, p.١٥٠-١٥١

-هذا شنودة الملقب برئيس المتوحدين شد نفسه على صليب وظل مصلوبا لمدة أسبوع[١].

-أحد الرهبان في القرن الرابع عشر الميلادي لما مرّ بأرض كانت له قبل ترهبه تعرّى وأمر أصحابه أن يجروه بعنف مكبلا بالحبال صارخين: "هذا الذي أراد موتكم بالجوع و لم يرحم الفقراء".[٢]

-ذُكر عن بعضهم أنه كان يجلد نفسه وهو يقرأ المزامير[٣].

-ذكروا عن مؤسِّسة جماعة البْرِيجِيتِين الرهبانية أنها كانت تُقطِّر الشّمع المغلِي على جسدها قطرة قطرة لتطبع على نفسها العذاب الذي ناله المسيح –حسب معتقدهم بأنه مات مصلوبا–[٤].

وهذا من الغلو الذي لا يدل عليه شرع ولا عقل سليم، فالله ﷻ غنيّ عن تعذيب المرء نفسه. فقد رأى النبي ﷺ رجلا يهادى بين رجلين، فقال: "ما هذا؟" قالوا: "نذر أن يمشي إلى بيت الله"، قال: "إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه، مره فليركب"[٥].

---

[١] *Loc cit.*

[٢] *Op. Cit.,* La Vie quotidienne, p.٢٣١

[٣] *Ibid*, p.٢٣٠

[٤] *Ibid*, p.٤٧

[٥] أخرجه النسائي في السنن، كتاب الأيمان والنذور (٣٥)، باب ما الواجب على من أوجب على نفسه نذرا فعجز عنه (٤٢)، رقم: ٣٨٦١؛ وأخرجه البخاري مختصرا في كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٣١)، رقم: ٦٧٠١؛ ومسلم، كتاب النذر (٢٦)، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة (٤)، رقم: ١٦٤٢.

المبحث السادس: نشاط الرهبان

من المفارقات البينة في تاريخ الرهبانية النصرانية ما قام به جماعات رهبانية من أنشطة مختلفة في مجالات شتى أصبحت سمة من سماتها ومظهر من مظاهرها خصوصا في الغرب. اخترت منها خمسة رئيسة بذكر مثال أو أمثلة حسب المتاح، ثم نعلق عليها على ضوء أصولهم وهي على النحو التالي:

أولا: النشاط العلمي[١]:

سبقت الإشارة أن الأديرة أصبحت تمثل مراكز أساسية للحياة العلمية في غرب أوروبا في القرون الوسطى، ولعلّ ذلك بدأ في القرن السادس مع الراهب كاسيدور (٤٨٥-٥٨٠م) الذي زوّد الديرَيْنِ الذيْن أسسهما بمكتبات غنية بالكتب اللاهوتية وكتب التاريخ والجغرافيا والموسيقى والعلوم. ومن أهم ما نشط فيه الرهبان وعرفوا به في العلم أمور:

- **نسخ المخطوطات:** فقد كان الاهتمام الأول إلى القرن الثالث عشر الميلادي، واعتبروه أهم ما ينبغي الاعتناء به لتغذية العقل والروح، وما من دير في الغرب إلا ووجد فيه غرفة نسخ المخطوطات المسمى سْكِيْبْتورِيُوم *scriptorium*. وُجِدت أديرة تخصَّصَ أهلها في المخطوطات مثل الدير البندكتي للقديس غال في سويسرا الذين كان ثلثا رهبانه متفرغين لهذه المهمة.

وبذلك ساهموا في الحفاظ على التراث اليوناني نسخا وصيانة، واشتهرت بهذه المهمة الأديرة الإنجليزية والإيرلندية. تعدّ الأديرة المصدر الأساس في نشر الكتاب المقدس حيث تنسخ اشتهر في ذلك الدير البندكتي مونت كاسينو *Mont Cassin* وغيره، كما ساهمت الاديرة في نشر علوم الآلة التي لا يستغني عنها رجال الدين النصارى من نحوٍ وخطابة ومنطق. وكانت المكتبات في القرون الوسطى على قلتها أغلبها في الأديرة؛ حتى قيل إنه لا يتصور دير بلا مكتبة.

-**إنشاء المدارس:** أنشأت كثير من الأديرة مدارس للأطفال، وإن كانت أساسا للتعليم الديني الداخلي للدير وللكنيسة عموما، لكن مع ذلك احتضنت هذه المدارس أطفالا لأغراض أخرى كتعليم أبناء الأشراف والملوك. وفي القرن الثالث عشر للميلاد شارك العديد من الرهبان في نشأة الجامعات في فرنسا.

---

[١] معالم تاريخ الإنسانية: ولز، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧-١٩٥٦م)، ج٥، ص٧٣١-٧٣٣؛ تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٣٨-١٣٩؛ والمرجع السابق، ص٧٣٣-٧٣٤

Les orders monastiques et religieux au Moyen-âge, p.١٩٠, ١٩٣, ١٨٧; *Histoire des ordres religieux*, p. ٥٢-٥٣

يمكن القول أن جماعات المتسولين: الدومنيكان والفرنسيسكان أحدثوا في القرن الثاني عشر فما بعده مطا جديدا في الحياة الرهبانية. وقد تنبه مؤسس جماعة الدومنيكان كما أشرت سالفا إلى أهمية التعليم إذ مهمة الجماعة الأولى كانت مواجهة الهراطقة والتي تحتاج إلى علم لاهوتي غزير لنقد الشبهات ودحضها. أما الفرنسيسكان فقد كان المؤسس لا يرى التعمق في الدراسة التي يراها عائقا أمام التقوى والقر المنشود لكن سرعان ماتغير الحال بعد وفاته مما كان سببا في شقاق واختلاف داخل الجماعة فغلب أنصار الدراسة والبحث العلمي على المعارضين.

ومن الخطوات التي اتخذها الدومنيكان والفرنيسسكان هي أولا التعليم داخل الأديرة، ثم إرسال المؤهلين للدراسات إلى الجامعات المرموقة في باريس، بلونيا، أكسفرد، كمبردج وغيرها.

وبعد فترة وجيزة استلموا كراسي تدريس اللاهوت في كبرى الجامعات الغربية فأصبح في باريس مثلا بين ١٢٢٤و١٢٣٦م أربعة من اثنى عشر كرسي للفرنسيسكان والدومنيكان. ولمع من الأسماء في علم اللاهوت وغيرها من العلوم أسماء كثيرة منها:

- القديس بُونَفَنْتُور ***Saint Bonaventure*** (١٢١٧-١٢٧٤م): تخصص في اللاهوت وأخذ الدكتوراة من جامعة السربون في ١٢٥٧م مع توماس الأكويني. لاهوتي لقب بدكتور الكنيسة درّس في السوربون وخلّف مصنفات في التفسير والروحانيات وغيرها. أصبح رئيسا جماعة الفرنسيسكان بين ١٢٥٧م إلى عام وفاته ١٢٧٤م. عين رئيس الأساقفة في بريطانيا في ١٢٦٥م ثم كاردينال في ١٢٧٣م.
- القديس ألبيرت الكبير ***Albert le Grand*** (ت١٢٨٠م): دومنيكي ألماني لاهوتي وفيلسوف وعالم طبيعة. اشتهر بإدخاله في الجامعات الأوروبية علوم اليونان وأرسطو على وجه الخصوص، وكذا العلوم العربية من ابن الهيثم وابن سينا وغيرهما. درّس في جامعة باريس وكلونيا حيث تتلمذ على يديه توماس الأكويني، وكذا في جامعة سترازبورج وغيرها. خلّف مصنفات ضخمة في العلوم الطبيعية.

ولم يزل نشاطهم العلمي إلى يومنا هذا في خصوصا في المجال اللاهوتي والتاريخي وغيرهما. وعلى سبيل المثال فإن جماعة الدومنيكان لهم مراكز بحث في عواصم مختلفة منها[١]:

- اللجنة الليونية في باريس: أسست في أواخر القرن التاسع عشر وهدفها الأساس تحقيق تراحث توماس الأكويني.

---

[١] الموقع الرسمي لجماعة الدومنيكان في فرنسا:

(http://www.dominicains.fr/fre/menu/nav_institut/que_faisons_nous/nos_institutions/les_centres_de_recherche)

-مدرسة الكتاب المقدس وعلم الآثار الفرنسية بالقدس: أسست في ١٨٩٠م من أجل تفسير الكتاب المقدس في ضوء البيئة التي عاش فيها المسيح ﷺ.

-معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان في القاهرة: أسس في حدود ١٩٥٠م من أجل دراسة الإسلام عن قرب. لهم مكتبة غنية بالمراجع يستفيد منها طلاب العلم.

ثانيا: النشاط الديني[١]

أشرنا من قبل أن علاقة الرهبان بالكنيسة كانت في أوقات كثيرة علاقة مساندة لأهدافها ومهماتها. وقد كان للرهبان والأديرة والجماعات الرهبانية دور كبير في المجال الديني نوجزه في نقاط:

-في مجال التنصير ذكرت من قبل أن أول راهب تقلد البابوية وهو غريغوريس الكبير الذي أرسل مجموعة من الرهبان لتنصير إنجلترا ونجحوا في تلك المهمة. وواصلوا التنصير فحملوا النصرانية في القرن السابع إلى مناطق جنوب جرمانية (بلجيكا الشمالية وألمانيا).

وقد كان للجماعات الرهبانية دور بارز في تنصير البوادي في القرون الوسطى، فهذه جماعة كلوني في القرن التاسع والعاشر نشطت في تنصير البوادي الفرنسية والإيطالية. والتجربة مماثلة في الرهبانية الأرثوذكسية الروسية حيث ذكر مؤرخون أن انتشار الأديرة أواخر القرن الرابع عشر صاحب انتشار النصرانية وعودة النصارى إلى دينهم[٢].

- تولى رهبان جماعة كلوني بناء الكنائس حتى سموهم "الرهبان البناة" فزرعوا في غرب أوروبا كنائس في كل المناطق متعاونين مع الأساقفة والأمراء. كما تولوا إدارة الكنائس في المناطق النائية وكان لهم الأثر البالغ على العوام.

- ساهم الرهبان الكلونيين في تعميق الخوف من النار لدى العوام ونشروا ثقافة شراء المغفرة بالعطايا خصوصا للأديرة والكنائس.

- شارك الرهبان فيما عرف بالإصلاح الغريغوري في النصف الثاني من القرن الحادي عشر إثر تولي غريغوري السابع كرسي البابوية (١٠٧٣-١٠٨٥م). وقد كان الإصلاح المزعوم يتركز على ثلاث مهام: الأولى: تأكيد استقلال رجال الدين وتعيينهم، الثاني: إصلاح رجال الكنيسة ومحاربة

---

١ *Les orders monastiques et religieux au Moyen-âge*, p.٥١-٥٤, ١١٠, ١٥٥, ١٨٧; *Histoire des ordres religieux*, p. ٥٢-٥٣

٢ *La diffusion de la foi en Europe cemtrale et en Russie ١٤-١٧ ^{è} siècle*: Pierre Gonneau, *Annales HSS* ١٩٦٦, *n*٠٢, p.٤٧٢-٤٧٣

الفساد الذي دب فيهم، الثالث: تأكيد دور البابا وهيمنته. ولم يجد البابا ومن سار على نهجه أحسن من رهبان جماعة الكلونيين والسيسترسيان الذين تم ترشيح كثير منهم ليكونوا أساقفة وقساوسة.

- البابا ألكسندر الثالث (١١٥٩-١١٨١م) في أوقات وجود أكثر من بابا والخلافات بينهم وبين الحكام يستعمل رهبان سيسترسيان لمفاوضات سرية.

- إنوسانت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) يولي السيستريان لجدال الهراطقة ثم الدومنيكان.

- في القرن الثالث عشر فما بعده أحيا الفرنسيسكان والدومنيكان النشاط التنصيري الموجه إلى الأرثوذكس في الشرق والمسلمين. فقد ذهب فرانسوا الأسيزي للملك الكامل سلطان مصر ١٢١٩م لدعوته إلى النصرانية كما أرسل وفودا إلى بلاد المغرب. وفي القرون اللاحقة كانت الوفود من الجماعتين يصحبون الاحتلال الأوروبي الظالم حيثما حطوا رحالهم.

- في ١٢٣١-١٢٣٢م يتولى الدومنيكان رئاسة محاكم التفتيش في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وثم ساندهم الفرنسيسكان. وأثر عنهم ألوانا من التعذيبات والانتقام والحكم على المخالفين من غير براهين.

وأختم بالجهود الاستشراقية من أجل تنصير المسليمن التي شارك فيها الرهبان، فالراهب الدومينيكاني الإسباني ريمون دي بينيافور (ت١٢٧٥م) الذي أنشأ في ١٢٥٠م مدارس في الأديرة الدومنيكانية لتدريس اللغتين العربيَّة والعبريَّة. كما اقتدى به الراهب الفرنسيسكاني الإسباني ريمون لول (ت١٣١٥م) الذي وافق له مجمع فينا عام ١٣١١م في إنشاء مدراس تعليم اللغات ومنها العربية.

والتنصير في أنشطة الرهبان ترجع إلى ما قررناه سابقا من أن الرهبانية كانت في تاريخها مؤسسة كنسية في الدرجة الأولى، فمنح هذا الكنيسة في كل مهامها جنودا متفرغين على أهبة الاستعداد للقيام بكل المهام التي تنوطها الكنيسة بهم ولو كان على حساب المقاصد العليا للرهبانية وهي العزلة والتفرغ للعبادة. وقد تأكد هذا الأمر في العصر الحديث كما سيتبين في الفصل الثالث إن شاء الله.

ثالثا: النشاط الاقتصادي:

النشاط الاقتصادي لدى الرهبان النصارى لم يكن مقصودا في الأصل ولا أظن أنهم حسبوا له حسابه يوما من الدهر، لكن الاهتمام بالعمل في البداية وإن كان من أجل إعمار الوقت بالمفيد والاستغناء عن الناس ومعالجة الخمول والكسل الذي يصيب الرهبان المتفرغين للعبادة أصبح في النهاية مصدرا غير هين من المصادر الاقتصادية. ولعل هناك أسباب أخرى من أهمها[١]:

١ -انتشار الأديرة العامرة أنتج ضرورة كثرة إنتاج وفائض كبير،

٢ -صيانة الأديرة الضخمة التي تحتاج إلى أموال طائلة،

٣ -التسابق والتنافس بين الجماعات الرهبانية المختلفة في فترة من الفترات.

وليس التناقض في كون الأديرة لها نشاط تبادل تجاري لتكون لها موارد ذاتية فتبقى مستقلة، وإنما التناقض في أن تصبح الأديرة مراكز اقتصادية ضخمة تدرّ أموالا طائلة وتكتز الذهب والفضة كما حكى الله عنهم وهي تنذر الفقر وتعلن التقشف والزهد. وبعد ما كان رئيس الدير هو رئيس روحي أصبح مستثمرا إداريا ورجل أعمال لكثرة موارد الدير وسعة أملاكه.

وإن الواقع التاريخي يثبت هذا التناقض المكشوف خصوصا في القرون الوسطى وفي الغرب، فلسنا في حاجة إلى بحث وتنقيب فما من مؤرخ للرهبانية إلا ويذكر ذلك خصوصا في أوج تاريخها بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر. وقد أصبحت المؤسسات الدينية النصرانية عموما في تلك الحقبة والرهبانية خصوصا "قوات اقتصادية" كما يقول فيليب رسيني[٢].

هذه الأمثلة التي أذكرها هنا غيض من فيض، ولو خُصِّص لها بحث مستقل لاحتار الباحث في اختيار مادته لوفرتها، وهي الآتي[٣]:

- تعد الجماعات الكلونية من أكبر رؤساء الإقطاع في القرون الوسطى وتشرف على أراضيها الواسعة مباشرة أو بواسطة أجراء.
- أديرة جماعة السيستريان في النصف الأول من القرن الثالث عشر هي الموزِّعة الأساسية للقرى المجاورة لها في المواد الخام.
- وفي الزراعة أحدثوا نظام الاستئجار فيتولون زراعة أرض مقابل دفع مبلغ لصاحبها.
- اشتهرت أديرة إنجلترا في تجارة المواشي والصوف كما أشرت من قبل، ومع أنهم ليسوا وحدهم في

---

[١] <u>*La vie quotidienne*</u>, p.٢٥٢-٢٥٣

[٢] أستاذ في التاريخ بجامعة Picardie Jules Vernes في فرنسا.

<u>*Moines et monastères en Occident au Moyen-Âge*</u>*:* Phillipe Recinet, *collection: Initiation à…*, (Paris: Editions ellipses ٢٠٠٧), p.١٨٩

[٣] *Ibid*, p.١٨٨-١٩٩; <u>*La vie quotidienne*</u>, p.٩٦, ٢٦٠-٢٦١

هذا السوق لكنهم تصدروا في تصدير الصوف من بريطانيا إلى بلجيكا وإيطاليا وغيرهما.

- اشتهرت بعض الأديرة الغربية بتربية الأسماك، فقد وجد بجوار كثير من الأديرة بحيرات مصنوعة من أجل ذلك، وهذا دير *وَمْلَدَسن* ***Wamldassen*** في ألمانيا يجاوره ١٦٠ بحيرة يبيع الدير إنتاجه بالجملة.

- ولملكهم الأموال الطائلة كانوا بمثابة بنوك يقرضون الأموال إلى شتى طبقات المجتمع كما كان لهم دور في تمويل الحروب الصليبية.

- وفي وسائل النقل يملك دير *سَنْت جَان أَنْجِلِي* ***Saint Jean d'Angely*** سفنا لنقل الملح، ودير *كُلْرُس* Culross في بريطانيا يملك في ١٢١٧م ١١٧ سفينة لنقل الفحم.

- من جهة الأراضي ظلت الأديرة الغربية في القرون الوسطى ملاك أراضٍ واسعة يصلحونها للزرع وتربية المواشي، فهذا دير بندكتي في بلجيكا يملك عشرة آلاف من الأراضي تبلغ هكتارا، ومتوسط ما يملك دير *تابع* للسيسترسيان ألفا هكتار.

-الأسماء والأعلام المشهورة في الخمور من صناعة الأديرة من القرون الوسطى إلى يومنا هذا، ومنها في الشرق دير أحويشا في العراق الذي كان يحمل منه الخمر إلى المدن الأخرى، يقول الشابشتي عنه: " وحوله بساتين وكروم. وهو في نهاية العمارة وحسن الموقع وكثرة الفواكه والخمور .ويحمل منه الخمر إلى المدن المذكورة"[١].

- ولكثرة حركات الرهبان في التجارة فقد كانت كبار الجماعات البندكتية تملك بيوتا في المدن يأوي إليها الرهبان حالة التجارة.

ومما ساعد الأديرة الغربية على هذا الغنى الفاحش مما أعجز التجار الأحرار على الوصول إلى مستواهم جملة من الأمور منها[٢]:

-أنهم كانوا معفيين من الضرائب من قبل الحكام لأنهم رهبان.

-العمال في مصانعهم هم الرهبان فلا يأخذون رواتب.

-العطايا السخية من قبل الأمراء والحكام الذين يشترون صلوات الرهبان مقابل أراضٍ واسعة.

-استلام الدير لأموال الراهب عند ترهبه خصوصا إذا كان من الأغنياء والأشراف.

ولم يزل من النصارى أنفسهم من كان ينادي بهذا التناقض ويدعو إلى عودة الرهبانية إلى ما كانت عليه في العهد الأول من التقشف والزهد في الدنيا حقيقة؛ فهذا نيل مايكوف (١٤٣٣-١٥٠٨م) ينتقد في آخر مجمع محلي عقد في مدينة موسكو عام ١٥٠٣م بقوله:

---

[١] الديارات، ص١٩٨

[٢] ٢٧١, ٣٠٦-٣٠٧

"إن الأديرة لا ينبغي أن تملك قرى بكاملها. الرهبان ينبغي أن يعيشوا في وحدة بعمل أيديهم"[١].

وفي هذا الزمان مفارقات التجارة لدى الرهبان أن ديرا بندكتيا في فرنسا بعد إفلاسه أصبح يصنع القارورات مخصصة *للفُودْكا* لشركة روسية[٢].

رابعا: النشاط الاجتماعي

نجد من أرخ للرهبانية الغربية يذكرون ما لعبه الرهبان من دور ملموس في القرون الوسطى نحو الفقراء والمساكين. وهذا يبدو طبيعيا من ناحيتين: من ناحية ضخامة الأموال التي تكتنزها الأديرة، ومن ناحية أخرى فإن الصدقة ورحمة الفقراء من أهم ما وصّى به المسيح عليه السلام حسب ما يروون في العهد الجديد؛ ولذا فالمجتمعات الغربية في القرون الوسطى لم تكن تعرف سوى الأديرة ملجَأً للفقراء والمساكين حتى قال الإمبراطور لويس البار عن الأديرة إنها: " خيرات الفقراء".

كما أن التاريخ يشهد لهم بعض المواقف المشرفة في رفع الظلم عن الضعفاء والمساكين الذي أوجد النظام الإقطاعي. ففي بداية القرن الحادي عشر للميلاد دعّم رئيس جماعة الكلونيين ووقف مع بعض الأساقفة لإلزام رؤساء الإقطاع على رفع الظلم عن الضعفاء وأن يكفوا عن الهجوم والحروب التي كانت تدور فيما بين الأمراء في بعض أيام الأسبوع والأيام المقدسة.

ويمكن تقسيم الدور الاجتماعي إلى نوعين: الأول في إيجاد فرص العمل، والثاني في توزيع الصدقات من طعام وغيره للمحتاجين.

أما الأول فكما سبق ضخامة الأراضي والأعمال والأنشطة الواسعة التي تمارسها الأديرة خلقت فرصا للعمل كثيرة.

وأما الثاني فلم يخل دير كبير من الأديرة البندكتية مثلا من خدمة مخصصة للمحتاجين وابن السبيل وضيافة الحجاج وقد كانت المساعدات تختلف اختلافا، فالحفلات والأعياد مناسبة لتوزيع أعداد كبيرة من اللحوم إلى أكبر عدد ممكن من الفقراء، فقد سجلوا في ١٠٧٠م يوم أحد الأعياد توزيع ٢٥٠ فخذا من الخنازير إلى ١٧٠٠٠ فقير. وفي أوقات المجاعات كانت بعض الأديرة توزع الشُّرْبة يوميا على الناس.

ولكن رغم ذلك وبشهادة مؤرخين غربيين متخصصين في تاريخ الرهبانية منهم *فيليب رسِيني* و *لِيو مُولِين* فإن هذا التوزيع لا يمثل حسب ما وصل إليه باحثون بالنسبة للأديرة الإنجليزية مثلا إلى أكثر من

---

[١] *Dictionnaire de spiritualité*, t. X, p.١٥٩٦

[٢] *Les bosses du commerce:* Solenne Durox, ١٧/٠٨/٢٠٠٦

http://www.lexpress.fr/informations/les-bosses-du-commerce_٦٧٤٨٩٥.html

٢% من موارد الأديرة. وفي دير St Denis في فرنسا يوزعون بوضوح ١٠% من موارد الدير كل يوم أحد. فأين الباقي؟ وهذا مصدَّق بشهادة علاّم الغيوب –سبحانه وتعالى– الذي يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة: ٣٤).

خامسا: النشاط العسكري[١]

يتعجب المرء تارة أخرى كيف الجمع بين الرهبنة أي العزلة للتنسك، وبين حمل السلاح وإراقة الدماء وخوض الحروب. وصورة هذا النشاط يتمثل في أمرين:

الأول: إنشاء جماعات رهبانية عسكرية والتي أشرنا إلى بعضها في الحديث عن الجماعات. وبعض هذه الجماعات نشط أولا في حراسة قاصدي القدس من الحجاج وتقديم خدمات المأوى والتطبيب ثم تحولوا إلى مشاركين في شن الحروب ضد المسلمين ومن حكموا عليهم بالهراطقة كما هو حال جماعة فرسان مَلْطَة (١١١٣م) وجماعة الهيكليين أو فرسان الهيكل (١١١٨م). وهناك عدد من الجماعات الأخر محلية كان دورها الأساس هو استعادة الأندلس من أيدي المسلمين أمثال جماعة كَلاَتْرَافَا *Calatrava* (١١٥٨م) والقَنْطَرَة *Alcantara* (١١٧٦م).

ولا ننس موقف رئيس جماعة السيسترسيان برنارد دي كليرفو الذي دعا إلى الحرب الصليبية الثانية فألقى خطبة مدوية في يوم عيد القيامة عام ١١٤٦م ووعد من حمل الصليب وشارك في الحرب بمغفرة الذنوب جميعها، فأجج العواطف وأيقظ الهمم فاستجاب كثير من الأمراء والحكام فضلا عن عوام النصارى. وساهمت الأديرة التابعة للجماعة بالدعم المادي للفرسان فكانت تقرض الفرسان لإعداد العدة للحرب مقابل رهان من الأراضي والبيوت والتي غالبا ما كانت تصبح ملكا للأديرة إذا مات الفارس أو لم يقدر على استرجاع ما أقرض. وكان رئيس جماعة كلوني بطرس لي فينيرابل *Pierre le vénérable* يستحث الفرسان في المشاركة في الحروب التي شنوها لاستعادة الأندلس.

---

[١] *Les orders monastiques et religieux au Moyen-âge*, p.١٣٧-١٣٦; *Histoire des ordres religieux*, p. ٣٤-٣٦

سادسا: نقد أنشطة الرهبان:

يلاحظ أن أنشطة الرهبان كانت محل مفخرة أنصار الرهبانية، وما من أحد يذكرهم بإعجاب إلا ويضع في المقدمة "الخدمات الجليلة التي قدموها للبشرية".

يقول جيمس هوكارت مجيبا على هذه الدعوى: "ليس كل من قدم خدمات يلزم أنه خيّرٌ طيّبٌ على الإطلاق. قد يخرج الخير من الشر نفسه. أليس أحد آباء الكنيسة الذي قال وهو يتحدث عن خطيئة آدم: "نِعْمَ الخطيئة التي أكسبتنا فاديا عظيما""[١].

وهذا يعني أن أصول الرهبانية ليست السبب في الأنشطة، وهذا الإنتاج الذي كان له الأثر البالغ عبر التاريخ. فالأصل في الرهبانية رفض الدنيا بالكلية والوحدة والانقطاع! إن أي عمل حضاري قام به الرهبان لم يكن قط مقصودا لذاته[٢]، فترجع هذه الأنشطة إذاً إلى سببين رئيسين هما:

الأول: الظروف التاريخية من حروب، مجاعات، أوبئة؛ أو حتى الأموال التي أُغدقت عليهم من كل جانب فاستثمروها.

الثاني: فطرة الإنسان "الحارث والهمّام"، فقد قال النبي ﷺ: "أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمّام..."[٣]. ذلك أن كل إنسان كاسب عامل، وهو معنى الحارث؛ وكل إنسان همّام، أي كثير الهمّ؛ فلا مناص لأي إنسان من أن يكون متحرّكا بإرادة في حق أو باطل، في نافع أوضارّ[٤]، فغلبت عليهم الفطرة إذاً فأشغلوا أنفسهم بهذه الأنشطة المتنوعة.

وهذا السبب الأخير إن دل على شيء فإنما يدل على بطلان الرهبانية وشذوذها عن الفطرة البشرية. يقول هوكارت في هذا الصدد: "وباختصار ليس الزهد الرهباني هو الذي يستحق المدح على الخدمات المقدمة وإنما الإنسانية التي كانت في الرهبانية"[٥].

ومن الإشكالات الواردة على كثير من الرهبان التناقض بين دعوى طلب الوحدة والانعزال وبين القيام بأنشطة في مجالات شتى من تنصير، تعليم، تجارة. وقد سبّب هذا انشقاقات حيث ظهرت جماعات اختارت العودة إلى حياة التوحد. فأجاب بعضهم على هذا الإشكال بما ملخصه:

---

[١] *Op. cit.*, J. Hocart, p.٨٧-٨٨

[٢] *Catholicisme. Hier, aujourd'hui, demain*, t.٩, p.٥٢٧

[٣] أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي وهب الجشمي ﷺ، كتاب الأدب (٣٥)، باب في تغيير الأسماء (٦٩)، رقم: ٤٩٥٠؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: ١٠٤٠

[٤] انظر مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج٧، ص٣٢

[٥] *Op. cit.*, J. Hocart, p.١٠٩

الوحدة كما تعني المفارقة الجسدية فإنها تعني أيضا "وحدة الروح والقلب" كما فسرها أوغسطين[١]، أَوْ "وحدة القلب والاتجاه". فلا ينشغل الراهب إلا بخدمة الإله ولا يكون له "قلْبان" أو "قلب منقسم"[٢].
ويشهد لهذا التفسير نصوصا منها: "علمني يا رب طريقك أسلك في حقك. وحِّد قلبي لخوف اسمك"[٣]؛ "...والمتزوج يهتم بأمور العالم وكيف يرضي امرأته، فهو منقسم"[٤].
وجاء في سيرة الراهب الرائد أنطونيوس التي رواها أثناسيوس أنه باع كل ما يملك إلا قليلا من أجل أن لا يكون هناك سببا للهمّ، والشواهد على ذلك كثيرة[٥]. فليست الغاية إذاً هجر الراهب الحياة ومفارقة الناس وإنما الغاية وحدة الروح والقلب وتوحيد سلوكه نحو غاية واحدة. وهذه الدعوى منقوضة بما سبق بيانه إذ لو كان كذلك فلا حاجة إذا إلى النذور ولا إلى الأديرة ولا القوانين. وإنما هي إجابة مفلسفة لتبرير هذا التناقض.

وخلاصة هذا الفصل ما يلي:

١ -أصل النذور الرهبانية الثلاثة مبنية على "نظرية الكمال" أو "الوصايا الإنجيلية المأخوذة من نص متى: "إن أردت أن تكون كاملا..."

٢ -تشمل الوصايا الإنجيلية جميع صور الحياة الدينية عند النصارى.

٣ -مصطلح النذور الثلاثة لم يظهر ويقنّن إلا في القرن الثالث عشر الميلادي، فلم يكن معروفا بهذه الصورة لدى الرهبان قبل ذلك الوقت.

٤ -ينقسم النذر عند الرهبان باعتبار ماهيته إلى مؤقت وأبدي، والأبدي لا يجوز التراجع عنه إلا بقرار بابوي.

٥ -أصل نظرية الكمال منقوضة من وجوه:

١) لم يثبت صحة النص، وقد وصل إلى ذلك بعض البروتستانت.

---

[١] *Le monachisme primitif*, p.٥٣٤

علما بأن أوغسطين قد خالف معاصريه في تفسيره فهو يرى أن أصل الرهبانية مستنبطة من نص المزامير: " ما أجمل أن يسكن الإخوة معا" فربط بين كلمة الراهب-*monachos* التي أصلها *monos* أي واحد وكلمة "معا" في النص الذي ترجم باللاتينية بكلمة ***in unum*** التي معناها واحد أيضا، فذهب إلى أن الحياة الرهبانية انطلقت من هذا النص فيقول: " فقد دوّى في الكون[أي النص] والذين تفرقوا اجتمعوا"[١]. وذكر DeVogüé Adalbert أن قوله هذا بسبب ظروف تاريخية حيث إن أوغسطين سطر هذا في حدود عام ٤٠٧م وكان وقتئذ يواجه فرقة نصرانية تدعى *Donatistes* لهم رهبان من السائحين المتوحِّدين فجاء هذا التعريف في معرض الرد عليهم للتدليل على أن الرهبان السائرين على نهج صحيح إنما هم من يعيش جماعة لا السائحون المتوحِّدون أمثالهم. انظر:

Le monachisme en occident avant saint Benoît, p.٤٠

[٢] *Aux origines du monachisme chrétien*, p.٢١٩

[٣] المزامير: (٨٦: ١١)

[٤] الرسالة الأولى إلى كورنثوس: (٧: ٣١-٣٤)

[٥] *Op. cit*, A. Guillaumont, p.٢٢٠-٢٢٣

٢) مفهوم الكمال حسب نصوص العهد الجديد أوسع مما ذكروا.

٣) الدعوة إلى الكمال بمفهومها الواسع ليس مخصوصا لفئة دون فئة.

٦ -تنقسم النذور باعتبار جنسها إلى ثلاثة أنواع: البتولية، الفقر والطاعة.

٧ -تعريف نذر البتولية هو "الامتناع عن كل تلذذ جنسي"، وقد تبين من أدلتهم أقصى ما تدل عليه هي تفضيل البتولية على الزواج مع ملاحظة أمرين الأول: أنها عامة ولا تقصد فئة دون فئة، ثم هي مقيدة لمن يقدر عليها. وقد كان الرهبان الأولون على هذا الأمر حتى فرضت الكنيسة ذلك فرضا فأصبح ملزما لا يجوز التراجع عنه، وهي من أبرز المظاهر التي لم تُرْعَ حق رعايتها فسقط كثير منهم في أرذل الفواحش والفسق.

٨ -تعريف نذر الفقر هو "الرفض المطلق للملكية الفردية"، وقد تبين من الأدلة التي يستندون إليها أنها لا تدل على ذلك لأمور:

١) ذكر بولس أن تحريم الطيبات خروج عن منهج المسيح، وأن الأصل شكر نعمة الله لا رفضها

٢) ما قام به الرسل بعد رفع المسيح من "الشركة" كان لاعتقاد عودته ولم يكن واجبا.

وقد ظهر أن نذر الفقر لم ترعه الجماعات الديرية التي كانت من أغنى مؤسسات الكنيسة في القرون الوسطى.

٩ -تعريف نذر الطاعة هو "الالتزام بطاعة رئيس الدير طاعة مطلقة حتى الممات"، وقد تبين أن الأدلة التي يستندون إليها عامة لا تدل عليها، ثم إن الطاعة لا علاقة لها بذات الرهبانية وإنما هي لتنظيم الحياة الجماعية.

١٠ -العزلة عند الرهبان هي "الابتعاد عن الناس حسا وفكرا من أجل التعبد"، وهي نوعان: كاملة للمتوحدين، ونسبية للديريين وشبههم، وقد تبين أن الأدلة المستند إليها لا تقوم بها الحجة. واتضح في النقد أن المسيح إنما أرسل إلى الناس وعاش بين الناس وكذا حوارييه كما حكته الأناجيل.

١١ -يعد الصمت مظهر عام للرهبانية يختلف باختلاف الأديرة، وبعضهم يضيفه إلى النذور الثلاثة. وقد اتضح أن أدلته عامة تدل على حفظ اللسان وأن الناس محاسبون على حصاد ألسنتهم.

١٢ -اتخاذ الرهبان لباسا محددا يرمز إلى تغيير الحياة والطهر والتواضع. وتبين أن الأدلة المستندة لا تقوم بها الحجة.

١٣ -تعالج القوانين الديرية جانبين: المادي والروحي. فالمادي يُعنى بتنظيم الدير وتسييره، والروحي ما يتعلق بالعبادات.

١٤ -تنوعت أنشطة الرهبان تنوعا، وقد ظهر أن ما عدا النشاط العلمي فإن الأنشطة الأخرى مضادة لدعوى العزلة والوحدة، وتمدُّحهم بالخدمات التي قدموها إلى المجتمع ترجع أساسا إلى الفطرة وإلى الظروف التاريخية والاجتماعية وليس لذات الرهبانية.

الفصل الثالث:

الرهبانية عند النصارى في العصر الحديث

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الرهبانية عند الكاثوليك في العصر الحديث

المبحث الثاني : الرهبانية عند الأرثوذكس في العصرالحديث

المبحث الثاث: الرهبانية عند البروتستانت في العصر الحديث

المقصود بالعصر الحديث ما بعد انتهاء القرون الوسطى أي بعد القرن السادس عشر للميلاد إلى يومنا هذا.

المبحث الأول: الرهبانية عند الكاثوليك في العصر الحديث

هناك جملة من المحطات تُجسِّد حال الرهبانية في العصر الحديث أُلخِّصّها في النقاط التالية[1]:

الأولى: **مع ظهور الإصلاحيين البروتستانت في القرن السادس عشر للميلاد.** وقد أقضَّت مضجع الرهبان الكاثوليك في الدول الغربية، انتشر التشكيك في أصل الرهبانية وشرعيتها من جهة النصوص المقدسة؛ وكان ذلك سبب في خروج كثير من الرهبان إلى الحياة العامة وإغلاق العديد من الأديرة خصوصا في الدول التي كثر فيه الإصلاحيون.

الثانية: **الثورة الفرنسية في ١٧٨٩م** وما حملت من مبادئ إلحادية وعلمانية، ولا يزال تأثيرها إلى يومنا هذا، وهذه الثورة استهدفت فئتين هما الملوك ورجال الدين. ولما استهدفت الكنيسة كان للرهبانية نصيبها لكونها مؤسسة من مؤسساتها، فتحوّل النظر إليها من إجلال وإكبار لأن الرهبان هم أهل الروحانية والزهد إلى احتقار وازدراء لعدم جدواهم للمجتمع المدني.

ومن إفرازات الثورة في فرنسا جاء قرار في ١٧٩٠م بإلغاء النذور الأبدية وإغلاق الأديرة التأمّلية أمثال جماعة الشارترو وغيرها لعدم فائدتهم للمجتمع، ولم يبق إلا الأديرة التي كان لها نشاط تعليمي. وأُثر عن نابليون (ت١٨٢١م) قوله:

"لا أريد رهبانا! أعطوني أساقفة جيدين وقساوسة لا غير...الذل الرهباني هدّام لكل قيمة ولكل جهد ولكل قيادة"[2].

وفي الإمبراطور ية الجرمانية تحت قيادة جوزيف الثاني (ت١٧٩٠م) سلكوا نفس المنهج، فأَغلقت أديرة كثيرة أبوابها في ألمانيا. وفي إسبانيا والبرتغال جاء قرار بمنع الرهبانية مطلقا.

فأنتج ضرورة انحصارا ملحوظا، فالأديرة البندكتية التي هي الغالب في أوروبا كان عددها يربو الألف في ١٧٥٠م لم يبق منها في ١٨١٥م إلا أربعين ديرا. وظهرت محاولات لتجديد الرهبانية في الغرب في القرن التاسع عشر، ففي فرنسا أُنْشئ دير سولزم في ١٨٣٣م الذي اشتهر باهتمامه بالدراسات التاريخية، وفي إيطاليا نشأت جماعة صوبياكو التي اهتمت بتنصير البوادي، وفي ألمانيا تم تجديد دير بورون

---

[1] *Dictionnaire de spiritualité*, t.x, p.١٥٨٧-١٦٠٧; *Histoire des ordres religieux*, p.١٢٤-١٠٠

[2] *Ibid*, p.١٠٩

على نفس نهج أديرة سولزم الفرنسية.

ومن مظاهر التجديد في أواخر القرن التاسع عشر أن جماعة البندكتيين ساندوا الكنيسة في الدول المستعمرة فشاركوا المنصرين حتى ولو كانوا ينتمون إلى جماعات تأملية.

الثالثة: مجمع الفاتيكان الثاني

انعقد مجمع الفاتيكان الثاني في الستينات من القرن العشرين (١٩٦٢-١٩٦٥م)، اجتمع فيه ٢٥٠٠ أسقفا من حول العالم، وكان أساس انعقاده والهدف من إقامته إعادة النظر في كثير من المسائل المتعلقة بالكنيسة وموقفها وسياساتها في ظل الأوضاع العالمية المختلفة. والرهبانية كانت تحت الحديث عن "الحالة الدينية" التي كان يراد تجديدها وإعادة تحديدها وتعريفها في ضوء التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية في العصر الحديث.

وقد وقفت على القرارات المتعلقة بالحياة الدينية، وقد طبعت ضمن جميع قرارات المجمع باسم : "تجديد وتكييف الحياة الدينية"

La renovation et l'adaptation de la vie religieuse – "Perfectae caritatis"[١]

وأُلخّص في نقاط ما يهم البحث:

-تأكيد شرعية الحالة الدينية عموما، ومنها الرهبانية، وأنها الاقتداء الكامل بالمسيح ﵇ من خلال النذور الثلاثة والتي سبق ذكرها.

-التأكيد على أن الجماعات الرهبانية تابعة للكنيسة ومؤسساتها، ولا بد أن تكون متحدة مع الكنيسة في مشروعاتها ومقاصدها؛ سواء ما يتعلق بالجانب الشرعي والعقدي أم المنهج الدعوي وهو من أهم مهماتها من أجل توسيع ملكوت الله في الأرض.

-ضرورة انفتاح الجماعات على العالم، وذلك من خلال المعرفة الكافية عن التوجُّهات الفكرية التي يعيشون في بيئتها مع مراعاة العقلية والمكان والحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ليكون التأثير مضمونا وذا فاعلية.

-ولتحقيق هذا الانفتاح فلا بد للمسؤولين أن يجتمعوا لدراسته مع إقرار البابا.

-تجديد القوانين الديرية وحذف ما لا يصلح لهذا العصر من العقوبات والإماتات والموقف من المرأة.

-وفيما يتعلق بالنذور فقد أكد المجمع ما سبق تقريره في النذور لكن الجديد أنهم أوصوا بأمور:

١) ترك أسلوب الترهيب والتحذير فيما يتعلق بنذر البتولية وبدلا من ذلك إقامة الدورات التدريبية قبل قبول الرهبان لتظهر قدرة المتقدم العقلية والنفسية على تحمله هذا النذر.

---

[١] *Concile œcuménique Vatican II*, (Paris : Edition du centurion ١٩٦٧), ٤٦٩-٤٩٠

٢) مع جواز امتلاك الأديرة وما تحتاج إليه من أثاث، وما يحتاجه الرهبان ويخدم أهدافهم، فيجب اجتناب الرفاهية وكل ربح غير معتدل أو اكتناز الأموال.
٣) إعادة النظر في نذر الطاعة بإعطاء مجال للحرية الشخصية وتأكيد جانب المبادرة والتطوع بدل الأمر والنهي.

هذا أهم ما قرّره مجمع الفاتيكان الثاني والذي يعد تحولا جذريا في الكنيسة الكاثوليكية لا في أصل العقيدة كما قد يتوهم البعض وإنما في استراتيجية جديدة تراعي التغيرات الفكرية السائدة. ومن أهم ما قنعت به الكنيسة الكاثوليكية التنصير في هذا العصر ما يعرف ب"الحوار بين الأديان". وقد حمل هذه الأهداف فئام من الرهبان ورؤساء الأديرة.

والآن لنضرب الأمثلة على التغيرات التي انبثقت في عالم الرهبانية بعد مجمع الفاتيكان الثاني وهي:

-تجديد أشكال الرهبانية:

ظهور أنماط من الحياة الديرية يمكن وصفها بالليبرالية أي ليس لها ضابط، وقد تعددت تعددا ملموسا فمن ذلك مثلا:

١- "جماعات الرهبانية بيت لحم " *Les communautés monastiques de Jérusalem"* والتي أسست في وسط مدينة باريس عام ١٩٧٥م، وانتشرت في عواصم أوروبية مثل بروكسل، روما وغيرهما، ينتسب إلى الجماعة التي في باريس فقط ما يقارب مئتي راهب وراهبة غالبا من الشباب، يعيشون منفصلين لكنهم مجتمعون في أوقات الصلوات الثلاثة، ولم يعهد هذا الضرب من الاختلاط فالأصل في الأديرة الرهبانية الفصل التام. وقد وصل الأمر أن قرارات مجمعية أمرت بمنع المجاورة فضلا عن مثل هذا الاختلاط.

ومن جهة النذور فإنهم ينذرون النذور الثلاثة: البتولية، الفقر والطاعة إلا أنهم لا ينذرون الاستقرار إذ يعملون كسائر الناس في المجتمع خارج أسوار الدير نصف دوام، وبعضهم يدرس في الجامعة. والشاهد أنهم ليس لديهم مانع من مخالطة المجتمع، ولهم أنشطة متنوعة منها مساعدة المحتاجين، التوجيه، إقامة أنواع من الاعتكافات سنويا لعموم الناس[١].

وسبب انجذاب بعض شباب النصارى إليها أنها جمعت بين حياة زهد يستقي من تقليد الرهبانية مع عدم مقاطعة العالم الحديث، فهي تجمع بين الحياة التعبدية والحياة النشطة "رهبانية مصبوغة بصبغة عصرية".

يقول مؤسس هذه الجماعة *بِيار مَارِي دِلفُيو* ***Pierre-Marie Delfieux*** معللا:

" أعتقد أن شباب اليوم يرغب في أن يقدم له متطلبات تتسم بالصرامة، لكن مع إمكانية أن يعيشها

[١] *Messager du silence*: Michel Cool, p. ٢٠٨-٢٠٩

بانفتاح وحرية. فبمرجعية واضحة إلى القيم التي اختبرها التقليد مع بعد حداثي. يريدون، في آن واحد، الاستجابة إلى الراديكالية الإنجيلية كالتقيد بالنذور الثلاثة، والاستجابة إلى عالم اليوم وكنيسة هذا الزمان"[١].

٢- أحد الرهبان البلجيكيين ينشئ في ٢٠٠٥م شبكة من الشِّبه المتوحِّدين بطريقة عصرية، يعملون في النهار، وفي الليل يعيشون متوحّدين في غرفة. يصومون فقط يوما في الأسبوع، ويقومون كل ثمانية ليالي ليلة واحدة. يتواصل بعضهم ببعض عن طريق الانترنت ورسائل الجوال القصيرة. يجتمعون في أحد الأديرة لتبادل التجارب والقراءة الجماعية والتدريب، عددهم أربعة لكنهم يتواصلون عن طريق الرسائل الالكترونية بأكثر من مئتَيْ شخص[٢].

-تدريب الرهبان في مؤسسات متخصصة:

أنشأت جماعة البندكت في ١٩٩٧م مؤسسة تدعى: "الجمعية اللاهوتية الرهبانية" – *ستُودْيَمْ تيُولُوجكْ إِنْتِرْ مُنَاسْتِيك* ***Studium Théologique InterMonastique (STIM)*** هدفها تدريب المتقدمين من الشباب إلى الحياة الرهبانية من خلال ثلاث سنوات من خلال دروس منهجية مقرونة بحياة قريبة من الحياة الرهبانية في الأديرة. يتولّى تقديم البرنامج مجموعة من الأكاديميين الكاثوليك من جامعات أوروبية مختلفة. ليس لها مقرّ معين وإنما ينتقل الطلاب خلال تدريبهم في أربعة أديرة فرنسية وبلجيكية تحتضن الطلاب في فترات مختلفة. تم تسجيل ما يزيد عن ثلاثين راهب وراهبة من عشرين ديرا مختلفا للعام الدراسي ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

-مشاركة الأديرة والرهبان في الحوار بين الأديان:

تأسست جمعية "الحوار بين الأديان الرهباني" - *دِيَالُوجْ إِنْتِرْ رلِيجْيَون* ***(DIM)*** ***Dialogue Interreligieux Monastique*** في أوروبا ومقره في بلجيكا[٣]، و"مجلس أمريكا الشمالية للحوار بين الشرق والغرب" –*مُنَاسْتِيك إِنْتِر رِلِيجْيوز دِيَالُوجْ* ***(M.I.D.)Monastic Interreligious Dialogue*** في أمريكا الشمالية والذي أصبح منذ ١٩٩٣م باسم "الحوار بين الأديان الرهباني"[٤].

الهدف من إنشاء هذه الجمعيات أساسا كما يقولون هو: " تبادل تجارب الصلاة، والتأمل والإيمان لدى

---

[١] *Ibid*, p.٢٠٩

[٢] *Ibid*, p.٢٤٧

[٣] الموقع الرسمي للجمعية بسبع لغات ولهم فيه مجلة تصدر شهريا:

(http://www.dimmid.eu)

[٤] الموقع الرسمي: (http://www.monasticdialog.com/)

أطراف الحوار... من أجل التفاهم والتعايش"[١].

وأطراف الحوار هم رهبان آخرون أساسا من البوذيين والهندوس. وقد عقدت لقاءات ومؤتمرات منها المؤتمر الأسيوي في بنكوك في تايلند في ١٩٦٨م، كما تم تبادل التجارب بزيارات من رهبان بوذيين إلى أديرة نصرانية والعكس.

ولا شك أن هذا الحوار من غير تصريح إنما يأتي ضمن الأنشطة التنصيرية التي تولت الجماعة البندكتية التخصص فيها، وهو لا يخرج عن هدف الحوار الذي رسمته الكنيسة التي تقول عنه:

" الحوار بين الأديان من مهمات الإرساليات الإنجيلية التابعة للكنيسة. التبشير والحوار في الحقيقة، كلاهما يمدّان لإيصال الحق المُنْجِي... وكذلك على المعلّمين الذين مهمّتهم المقدَّمة هي التبشير بالإنجيل أن يكونوا متفتّحين، مستعدِّين وملتزمين بهذا الحوار، يجب مساعدتهم لفهم قدره وتحقيقه، مع الالتزام بإرشادات القيادة..."[٢].

-فتح الأديرة أبوابها:

مع أن القوانين الديرية قد شرعت الضيافة ولا تغلق الباب في الأصل أمام أحد بحدود ذكرناها؛ إلا أنه ليس الوضع الحالي من هذا الضرب من الضيافة. فقد أضحت كثير من الأديرة مزارات سياحية مقصودة لكل من يريد استشارة روحانية، توبة نصوحة، عزلة مؤقتة، أو مجرد فضول سياحي لما يتمتع به المكان من طبيعة خلابة.

وقد أصبح هذا الضرب من السياحة مصدر مهم من مصادر الأديرة، فهذا دير *جَامُونَا* و*مَجْدَلا* في إيطاليا يمرّ بها ثلاثة آلاف من الزوار سنويا، ودير *تَامْيِي* يزوره أكثر من مئة ألف زائر في الإجازة الصيفية فقط، ودير *لِيرَان* يزوره ثمانين آلاف سنويا[٣]. والأديرة تهيأت لمثل هذه الزيارات بإجراء تعديلات في البناء والحجز عن طريق الإنترنت والفاكس وغير ذلك. فقد أجرت الجريدة الكاثوليكية الفرنسية *La Croix* بتاريخ ٢٠٠١/٧/١١م دراسة عن الظاهرة في مقال عنونت له: "الفرنسيون يقفون في الأديرة"[٤] حيث تراسلت مع ٣٢٤ ديرا فرنسيا وأجاب ٦٧ منهم عن استبانة الزيارات خلال سنة وجاء

---

[١] *Ibid*, p.٨١-٨٠

[٢] من توصيات اجتماع الأساقفة الخاص لتنصير الشعوب الذي انعقد في مدينة الفاتيكان عام ١٩٩٣م تحت عنوان: "توجيهات إلى المعلّمين المسيحيين". الموقع الرسمي للفاتيكان:
(http://www.vatican.va/roman_curia/congregations/cevang/documents/rc_con_cevang_doc_١٩٩٧١٢٠٣_cath_fr.html)

[٣] *Ibid*, p.٢٠٨, ٢٣٩; *Guide de la vie monastique*, (Editions Perrin ٢٠٠٥), p.١١٨

[٤] *Revue la croix.com*:
(http://www.la-croix.com/archives/filtreArchive.jsp?id=٢٠٠١٠٧١١-٠١EDITO.xml&base=b&qid=&n=١)

فيها:

-٣٠% منها يزورهم أكثر من ١٠٠٠٠ زائر.

-٣٠% يزورها بين ألف وعشرة آلاف زائر.

-٢٢% يزورها بين مئة وألف زائر.

-١٨% يزورها بين واحد إلى مئة زائر.

وكانت مجموع الزيارات ٥٤٠٠٠٠ خلال سنة، ٨٩٠٠٠ منها لا يقل عن قضاء ليلة، و٥٤% من الأديرة لاحظت زيادة أو استقرار هذا النوع من الزيارات خلال السنوات الماضية.

وأما عن الزائرين فهم من أطياف شتى ويغلب عليهم البحث عن الهدوء الذي يخيم على الأديرة النائية. إضافة إلى أن فئام من الغربيين في بحث عن الروحانية خصوصا أغلبهم فوق الخمسين والنساء أكثر من الرجال، فلا يجدون مكانا يرحب بهم سوى بعض الأديرة. وفي الدراسة السابقة ذكروا أن ٤٦% من الزائرين يشارك في الصلوات التي يقيمها الرهبان، و٢٨% فقط أرادوا لقاء خاصا مع الرهبان لاستشارة روحية[١]. ويشعر الرهبان بدورهم الذي أناطه بهم مجمع الفاتيكان الثاني ليسدوا الفراغ الروحي التي تعيشه المجتمعات الغربية بابتعادها عن الدين مخافة ذهابهم إلى أديان أخرى كما صرّح بذلك البابا يوحنا الثاني.[٢]

-الأنشطة عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت):

ففي ظل انتشار وسهولة الحصول على الإنترنت أصبح التعامل معه ليس شيئا غريبا خصوصا في الغرب حيث تذكر آخر الإحصاءات أن ٥٢% من سكان أوروبا يستخدمون الانترنت، والأمر في ازدياد[٣]؛ مع العلم أن الفاتيكان قد دعا في ١٩٧٣م خصوصا الرهبان المتأملون -وقد سبق التعريف بهم- إلى المساهمة في مجال الاتصالات والإعلام مذكرا إياهم أن هذه المهمة "في صميم مهمتهم" للدعوة والإرشاد، ثم في ٢٠٠٢م جاء بيان عن دعم الكنيسة للنشاط على الانترنت[٤]. وعلى هذا نجد الأنشطة الديرية على الشبكة متنوعة منها:

---

[١] *Guide de la vie monastique*, p.١٣٠

[٢] *Ibid*, p.١٣٣

[٣] موقع إحصاءات الإنترنت العالمية:

(http://www.internetworldstats.com/stats٤.htm)

[٤] موقع الفاتكان:

- (http://www.vatican.va/roman_curia/pontifical_councils/pccs/documents/rc_pc_pccs_doc_٢٠٠٢٠٢٢٨_church-internet_fr.html)
- (http://www.vatican.va/roman_curia/pontifical_councils/pccs/documents/rc_pc_pccs_doc_٠٣٠٦١٩٧٣_contemplative-religious_fr.html)

-موقع حصر الأديرة بعناوين مواقعها الرسمية: *www.abbayes.fr*، وقد اشتمل على عنوان ٧٢ موقعا للأديرة الفرنسية، و٤٢ موقعا لأديرة حول العالم.

-المواقع الرسمية للجماعات الديرية مثل:

- موقع جماعة البندكت في سبع لغات، واحتوى على دراسات عن الجماعة في لغات مختلفة: *http://www.osb.org/*
- موقع جماعة الكارتوزيين في ست لغات:

http://www.chartreux.org/

-مواقع لأديرة تحتوي على مكتبات ضخمة فيها مصادر تراث الكنيسة والرهبانية المرتبة على المصنفين، وقد تم إدخالها إلكترونيا من قِبَل الرهبان على الطبعات المحققة مع إمكانية التتريل، فمن ذلك موقع دير القديس بندكت في سويسرا:

http://www.abbaye-saint-benoit.ch/frame.html

وموقع دير "جماعات الرهبانية بيت لحم" في فرنسا:

http://abbayedumontsaintmichel.cef.fr/bbth/bibliothequeperes.php

- مواقع لأديرة تبيع الكتب عن طريق الإنترنت، منها موقع دير *Notre Dame de Bellefontaine* وأسسوا دارا لطباعة التراث الرهباني ومصنفات علمية في الرهبانية استفدت منها لإعداد هذا البحث:

http://www.bellefontaine-abbaye.com/

http://www.editionsdebellefontaine.com/

ومنها موقع دير القديس مارتن الطوري:

http://www.abbaye-liguge.com/index.php?r=presentation&p=magasin

ولا تخلو هذه المواقع من مقالات علمية ووعظية، وبرامج دعوية عبر الإنترنت كقراءة الكتاب المقدس بإشراف ومتابعة، وكالتسجيل لاستقبال رسائل تشمل مواعظ وفوائد، وغير ذلك كثير يصعب حصره وعدّه.

وبقي أن يشار إلى حال الرهبانية الكاثوليكية في الغرب عبر أرقام التعداد الحديثة، والنتيجة تُظهر تقلصا ملموسا؛ فمع هذه الأنشطة والتغيرات والمحاولات التجديدية فإن الأديرة الغربية التابعة للجماعات الرهبانية العتيقة السائدة أمثال البندكت -بشتّى فروعهم- تعيش إفلاسا ملحوظا في جذب راغبين جدد. ولم يبق وراء جدران الأديرة إلا شيوخ فوق الستين والسبعين، ففي فرنسا مثلا أصدرت "محاضرة أساقفة فرنسا" إحصائيات في ٢٠٠٦م عن عدد الرهبان والراهبات الموجود في الأديرة الفرنسية فجاء

فيها[١]:

-الأديرة الرجالية التي يبلغ عددها ١٢٥ ديرا، وفيها ١٣٧٨ راهبا، لم يتجاوز عدد المتقدمين الجدد ٥٤ متقدم.

-الأديرة النسائية التي يبلغ عددها ٢٧٣ ديرا، وفيها ٤٥٧١ راهبة، لم يتجاوز عدد المتقدمات الجديدات في جميع الأديرة ١١٢ متقدمة.

ونقارن بين هذه الأرقام وأخرى ذكرها *بيار شَاُفو* قبلها بسنوات فقد ذكر أن عدد الرهبان في فرنسا في ١٩٩٨م بلغ ١٧٧٢ راهبا، وفي ٢٠٠٣م ١٥٨٨[٢]. ونلاحظ أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال لكن "القحط والجفاف" كما وصفه ناقل هذه الأرقام غير خافٍ على الجميع.

وفي الأديرة البلجيكية، دير *مَرِيدْسُو* ***Maredsous*** المشهور حيث كان عدد الرهبان قبل خمسين سنة يبلغ ١٢٠ راهبا، ودير *لاتْرَاب* ***La Trappe*** كان فيه ٦٠ راهبا. وبعد مرور خمسين سنة قل عدد الأول إلى الثلثين، والثاني إلى النصف، أما دير القديس أندرواس البندكتي فلم يأته متقدم جديد منذ عشرين سنة[٣].

ولذا فإن كثيرا من الأديرة أفلست وأغلقت أبوابها، والباقية تنتظر دورها.

ولا يشذ عن هذه الظاهرة إلا أديرة معدودة؛ ويفسر هذا الأب أَرْمَنْد فِيُو قائلا:

"حياة الراهب البندكتي ترتكز على ثلاثة أسس: الجماعة، القانون والرئيس. وهذا الضرب من الحياة يتلقى نقدا من الأفكار السائدة والتوجهات العصرية: الفردية، عدم الاستقرار و النسبية... فالمثالية البندكتية غير مرغوبة تحت السيطرة الليبرالية الغالبة"[٤].

لكنه يبقى متفائلا إذ يرى أن الرهبانية مع الكنيسة صعودا ونزولا، فمتى صعدت الكنيسة صعدت الرهبانية وامتلأت الأديرة، ومتى هوت تهوي معها. والوضع الحالي عنده فرصة للتجديد، فيقول:

" حالة الرهبانية تتفق مع حالة الكنيسة حيث كانت؛ ففي فترات سيطرة الكنيسة كانت الأديرة مزدهرة وغنية. والآن قد أغلق هذا القوس الطويل حيث رجعت الكنيسة إلى حالتها الطبيعية مثل ما عاشها أجدادنا في العهود الأولى، جماعاتنا رجعت إلى الأعداد القليلة، أصغر وأفقر، لكنها قد تكون أكثر عملا وحماسا. وهذه الأزمة قد تصبح مثمرة إذا استطاع النصارى عموما، والرهبان خصوصا، أن يجددوا ويبدعوا، فيعطون نَفَساً جديدا لإيمانهم"[٥].

---

[١] *Ibid*, p. ٢٢٦

[٢] *Guide de la vie monastique*, p.١٧٣

[٣] *Messagers du silence*, p.٢٢٦, ٢٤٦

[٤] *Ibid*, p. ٢٢٧

[٥] *Loc cit.*

وقد أجابني نفس الإجابة حين التقيت به في صيف ٢٠٠٨م وأضاف أنه لايرى سيطرة الكنيسة كما كانت في العهود السابقة وحكمها على الناس؛ ولذا هنا أشار إلى رجوع الكنيسة إلى حالتها الطبيعية، فهو يرى أن هذا ليس مهمة الكنيسة ولا هدف من أهدافها السيطرة والتسلط على رقاب الناس. ويظهر جليا أن هذا الرأي شخصي لا يمثل الكنيسة الكاثوليكية ككل، إلا أنه مع غيره من رؤساء الأديرة المتأثرين المتشبعين بالثقافة العصرية يمثلون جيلا جديدا يتمتع بالمرونة والتجديد.

ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى القحط في الموارد البشرية الجديدة في الأديرة الغربية ما يلي:

أولا: فقدان الثقة بالدين عموما والنصرانية خصوصا:

إن الثورة الفرنسية بإقصائها طغيان الكنيسة عن الحياة العامة خلّفت وراءها نظريات إلحادية تولّى كبرها كبار الفلاسفة والمفكرين الغربيين أمثال أوجوست كونت[١]، وداروين[٢]، وفرويد[٣] وغيرهم.

فكانت الثمار المحصودة إلحادا ليس بالنصرانية فحسب بل بالدين جميعا أيا كان، وفي هذه الأزمنة نضجت هذه النظريات وتوغلّت في أجيال العصر من العوام وغيرهم فأصبحت من المسلمات القطعيات التي لا ينبغي التشكيك فيها، فلا يزال التدين في الدول الغربية في تقهقر ملموس، وعلى سبيل المثال فإن الإحصائيات تقول أن من لا يؤمن بدين في هولندا ٥٤% من السكان، وفي فرنسا ٤٣%، وفي بلجيكا ٣٧%[٤].

وإن كان النقص ملحوظا في عدد الرهبان فإن النقص قد لحق رجال الدين أيضا، فهذه فرنسا كان يبلغ عدد القساوسة الكاثوليك في ١٩٦١م ٤٩٨٣٨ قسا، وفي عام ٢٠٠٠ أصبح عددهم ٢٤٢٥١ مما يوصل نسبة التناقص إلى ٥١%[٥].

وهذه شهادة قسّ بلجيكي، في ٢٠٠٧م، منشورة في مجلة *Le Vif/L'Express* البلجيكية، يصف الحالة المزرية لحالة التدين ويشتكي حتى من السلطات الكاثوليكية المحلية لعدم تفاعلهم في تغيير الأساليب لجذب الناس فيقول:

---

[١] *Auguste Comte* (١٧٩٨-١٨٥٧م): رياضي وفيلسوف فرنسي. مؤسس الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع. دعا في ١٨٤٤م إلى دين جديد سماه "دين الإنسانية". من أشهر كتبه "مباحث في الفلسفة الوضعية". موسوعة أعلام المورد، ص٣٧٧

[٢] *Charles Robert Darwin* (١٨٠٩-١٨٨٢م): عالم طبيعة بريطاني. من أبرز علماء الطبيعة في القرن ١٩م وأكثرهم أثرا في التفكير الديني والعلمي في الغرب. اشتهر بنظريته التطويرية المعروفة بالداروينية. من أشهر كتبه "في أصل الأنواع". المرجع السابق، ص١٨٢

[٣] *Sigmond Freud* (١٨٥٦-١٩٣٩م): طبيب أمراض عصبية يهودي نمساوي. يعتبر مؤسس التحليل النفسي. كان له الأثر البالغ ولا يزال في الفكر الحديث بتأسيسه طريقته التحليل النفسي حيث يرجع كل سلوك الإنسان إلى دافع وحيد في كيانه هو الدافع الجنسي. المرجع السابق، ص٣٢٢.

[٤] *Guide de la vie monastique*, p.١٧٣

[٥] *Loc cit.*

"ينبغي أن نكون واقعيين: نحن نقوم بالقدّاس[١] في بلدنا في قاعات شبه خاوية، المتقدمون للوظائف الدينية لا يتزاحمون على أبوابنا، ولو أدّى هذا إلى اعتراف الكنيسة لنفسها بالفشل، فإنه ينبغي على الكنيسة أن تبيع جزءا من أملاكها وأن تستثمر رؤوس أموالها فيما تحتاجه المجتمعات بإلحاح. وعلى سبيل المثال في الشباب"[٢].

ثانيا: طغيان الحياة المادية والفردية:

وهنا ملحظان:

أما الأول، فهو التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته وتشهده الدول الغربية ولّد التسابق نحو الاستهلاك والإغراق في الحاجيات والكماليات.

والثاني يلزم الأول إذ أصبح العمل والوظيفة هَمّ الجميع لشدة الارتباط بالاستهلاك والديون السهلة من البطاقات الائتمانية إلى القروض الميسرة لشراء كل شيء، فيعتبر عند غالب الناس أولويته في الحياة العمل ثم العمل ثم العمل.

فهذان العنصران مع تصور مشوه عن الدين وأهله عموما والنصرانية خصوصا أين سيجد الناس وقتا ليفكروا في الحياة الروحي،ة فضلا عن نذر حياة بأكملها في جماعة رهبانية.

ثالثا: اضمحلال الحياة القروية

من الأسباب التي أثرت على الموارد البشرية في الأديرة هجر سكان البادية إلى المدن الكبيرة. وسكان البادية عموما أكثر تدينا من أهل المدن، ثم إن غالب الأديرة في البوادي، وعمل الرهبان كان في الحراثة مع أهل البادية؛ فكانت هناك علاقة وطيدة بالكنيسة والأديرة، و لم تكن تخلو البيوت من أحد الأقارب ترهّب أو أصبح قسّا.

وفي مقابل هذه الحالة في الدول الغربية يلاحظ أن الأديرة في آسيا وأفريقيا تشهد ازدهارا –على حد قولهم–، إذ يعدون إنشاء خمسة إلى ستة أديرة سنويا بين ١٩٦٧و١٩٩٧م في كل من القارة الأفريقية والآسيوية وأمريكا الجنوبية كما أفصحت عنه جمعية "اتحاد الأديرة"

---

[١] المقصود به هنا الطقوس المقامة يوم الأحد عند الكاثوليك، وتشتمل على خطبة فيها تفسير لمقاطع من الكتاب المقدس، أدعية منشودة وعملية العشاء الرباني.

الموسوعة الكاثوليكية الإلكترونية:

(http://www.newadvent.org/cathen/١٠٠٠٦a.htm)

[٢] *Périls en la sainte demeure*: Philippe Lamotte, *Le Vif/L'Express* , ٢/٣/٢٠٠٧

(http://levif.rnews.be/magazine/archives/)

Alliance Inter Monastère[١]. ومن الإحصائيات[٢]:

- ٩٧ ديرا في أفريقيا (كونغو، تنزانيا، مغدشقر، نيجيريا، الكاميرون وجنوب أفريقيا...)
- ٩٠ في آسيا (الهند، سريلانكا، الفلبين...)
- ١٢٣ ديرا في أمريكا الجنوبية (أرجنتين، البرازيل، المكسيك...)

لكن لا بد من ملاحظة أن هذه الأديرة المصدَّرة تأتي في سياق السياسة التنصيرية الجديدة للكنيسة الكاثوليكية، وليس لها علاقة حقيقة بأصل الرهبانية. يدل على ذلك أولا: القرب من المدن والمناطق المسكونة، ثم إن الأنشطة الإغاثية والاجتماعية التي تقوم بها هذه الأديرة مستقلة أو بالتنسيق مع جمعيات تنصيرية. وهذا رئيس اتحاد الأديرة الأب *نَايْت* يقول مبينا سبب نجاح الأديرة في أفريقيا: "إرادة القرب من الشعوب أمر مستقر، والأمثلة الحالية هي سبب في إيجاد أجيال جديدة من الرهبان والراهبات الذين يواجهون المصائب واستغاثات المحتاجين من الشعوب الأفريقية"[٣].

وقال البابا الراحل يوحنا الثاني أثناء زيارته لأساقفة المغرب في ١٩٨٥م أن معنى وجود المؤسسات النصرانية هو شهادة للكنيسة حتى ولو كانوا متأملين رهبانا، فيقول:

" وجودكم آية لتكونوا شهداء، لستم مطالبين أن تكثروا أعدادكم ولكن لتكونوا آية"[٤].

ويقول البابا بندكت السادس عشر موجها أساقفة شمال أفريقيا:

"هذه الحياة المكرسة هي قبل كل شيء شهادة انتماء إلى الله بقوة...وهذه الشهادة للاقتداء بالمسيح تأخذ معنى أقوى في شهادة الرهبان والراهبات..."[٥].

فيلاحظ هنا تحول في المقصود الأول من إنشاء الأديرة الذي هو جمع الراغبين في العزلة والتعبد إلى جمعيات إغاثية تنتهز مصائب القوم من أجل تنصيرهم، والذي عهدناه في القرون الأولى للرهبانية أن الأديرة كان إنشاؤها يأتي من رغبة جمع الزهاد الموجودين لا إيجاد الدير من أجل ملئه. فتصدير الرهبانية هنا بإنشاء أديرة للبحث عمن سيملؤها من المنكوبين والمحتاجين يذكِّرنا بما حصل في القرن الرابع من

---

[١] جمعية أسست من أجل نشر وتمويل ومتابعة الأديرة في غير أوروبا، من الموقع الرسمي للجمعية:
(http://www.aimintl.org/index.php?option=com_content&task=view&id=٩&Itemid= ٧)

[٢] *Loc cit.*

[٣] *Loc cit.*

[٤] *Contemplation : une Mission Le message de Tibhirine, ١٠ ans après…*
(Conférence prononcée le mardi saint ٢٠٠٦ devant tout le presbyterium par le père abbé d'Aiguebelle (Drôme))
(lyon.catholique.fr/.../Contemplation_Mission_-_Tibhirine_Lyon_٢٠٠٦.rtf)

[٥] خطبة ألقاها في يونيو ٢٠٠٧م في مجمع محلي لأساقفة شمال أفريقيا. من موقع الإذاعة الرسمية للفاتيكان،
(http://www.radiovaticana.org/espanol/Articolo.asp?c=٣٢٧٩١٤)

هروب الفقراء والمحتاجين إلى الأديرة إذ "يربحون في أديرهم أكثر بكثير مما ضحوا في دنياهم" كما قال المؤرخ إدوارد جيبون[1]. ومن يجد المشرب والمأكل والمبيت المضمون، فما ذا سيفعل بحياة النكد التي يتعرض لها لو بقي في الحياة العادية.

وما سبق يبين بيانا لا مرية فيه أن كثيرا من الأديرة في هذا العصر تحولت بقوة إلى حلقة من حلقات التنصير، وذلك بصور:

١ -إقامة المحاضرات والندوات في الأديرة التي يُكثِر السياح زيارتها.

٢ -لا يخلو دير من مكتبة تبيع الكتب والمجلات والمنشورات حتى عن طريق الإنترنت.

٣ -مشاركة رؤساء الأديرة وبعض المتخصصين في اللاهوت الكاثوليكي في المجلات والجرائد النصراينة، وكذا جمعيات نصرانية مختلفة.

٤ -مجرد الحضور في الدول الإسلامية كما هو الحال في بلاد المغرب إذ يعتبرون أنفسهم شهودا للمسيح في صمتهم.

ومن مظاهر ضعف الكنيسة واستغلالها الوضع بأي ثمن أنهم يشجعون مسايرة حال الرهبان من جهة الثقافات المحلية، ويعدّون المرونة الشديدة في فرض الأنظمة الرهبانية لتبقى متناسقة مع العادات والثقافات الموروثة المحلية من حكمتهم وحسن سياستهم.

وقد لاحظت هذا في زيارتي صيف ٢٠٠٨م، في دير القديسة مريم التابع للجماعة البندكتية في مدينة ميدلت في الأطلس المغربي، أن الحياة الديرية ليست كما قد يتبادر إلى الذهن؛ يحضرون أفراح جيرانهم، لهم طباخة مغربية تتولى طعامهم، كما أنهم يحضنون زيارات الجمعيات التنصيرية التي تأتي تحت ستار مساعدة المحتاجين والمعوزين. وهناك بعض الجماعات الديرية في الدول العربية كلبنان وغيرها تتبع الكنيسة الكاثوليكية، وتعيش نفس التحولات من "الحياة التأملية إلى الحياة الرسولية" أو التنصيرية كما هو حال الجماعة الأنطونية المارونية في لبنان، و"رهبانية الوردية المقدسة" والتي تعد ٢٨٠ راهبة عربية موزعة على ٥٤ ديرا في بلاد الشام ومصر[2].

---

[1] اضمحلال الإمبراطور ية الرومانية وسقوطها، ج٢، ص٣٢٥

[2] موقع جمعيّة الراهبات الأنطونيات:

(http://www.marantonios.com/congreg.htm#_Toc٢٠٠٣٩١٣٤٦)؛

وموقع مطرانية السريان الكاثوليك بحلب:

(http://www.syrcata.org/index.php?module=subjects&func=viewpage&pageid=٣٠)

والخلاصة أمور:

١ -شهدت الرهبانية الكاثوليكية في العصر الحديث ضغوطات متتابعة منذ عصر النهضة من جهة البروتستانت والحكام.

٢ -كان للثورة الفرنسية أثر في إغلاق الأديرة ومنع الرهبانية في بعض المناطق.

٣ -شهد القرن التاسع عشر نهضة نسبية؛ إذ أعادت الجماعات المشهورة فتح الأديرة المغلقة.

٤ -ومنذ تلك الفترة غَيّرت الرهبانية بضغوط كنسية أساليبها فاقتربت إلى الجمعيات التنصيرية في أعمالها.

٥ -أكّد مجمع الفاتيكان الثاني هذا النهج الجديد وقرره ونظّره؛ فأنتج أساليب جديدة تواكب التغيرات الاجتماعية والثقافية.

٦ -لا تزال الرهبانية النصرانية عند الكاثوليك قائمة في غالب الدول الأوروبية ولعل أكثرها فرنسا مع إفلاس ملحوظ للأسباب التي ذكرت.

المبحث الثاني: الرهبانية عند الأرثوذكس في العصر الحديث

الحديث عن الرهبانية الأرثوذكسية في العصر الحديث ينقصه الدراسات الشاملة والعميقة؛ ولذا لم أقف إلا على كتاب الراهب إيميليانوس تيميادس الذي تناول الرهبانية الأرثوذكسية بشمول في كتابه عن "الرهبانية الأرثوذكسية: أمس وغدا"[١]، لكنه لم يتناول العصر الحديث بالتتبع والأرقام.

وكذا مقالات في بعض الدوريات والموسوعات لكنها خاصة بأماكن كروسيا مثلا.

وقد لاحظ هذا النقص الأستاذ *جِبْرُومُون* أن ليس هناك كتابات تتبعت النهضة الرهبانية في الكنيسة الشرقية، وإنما هناك مقالات منشورة في مجلات متخصصة.[٢]

وعلى كل حال فقد حاولت جمع ما تيسر فيما سبق وفي مواقع الأديرة، والمجلات والمقالات لإعطاء صورة مقتضبة عن حال الرهبانية الأرثوذكسية في العصر الحديث وبالله التوفيق.

إن القاعدة العامة التي يمكن القول بها أن الرهبانية الشرقية لم تتطور كما تطورت الرهبانية الغربية، حتى كادت أن تغيب مطلقا في القرن الخامس عشر للميلاد مع غياب الإمبراطور ية البيزنطية بيد أن في الغرب كانت متجذرة في كل مكان، وفي العصر الحديث لم تنسجم مع العلمانية إضافة إلى ما واجهته في شرق أوروبا في العهد الشيوعي الذي حارب كل مظاهر الدين. وهناك جهود حاولت إحياء ما اندثر، وهناك انتعاش نسبي في العقود الأخيرة[٣].

وهنا نذكر نموذجين معبرين هما الرهبانية الأرثوذكسية التابعة للكنيسة القبطية في مصر، ثم

الرهبانية الأرثوذكسية التابعة للكنيسة القسطنطينية في روسيا. ففي مصر ذكر متّى المسكين من تقارير رحّالة أجانب ذكرو أعداد الرهبان في كل من دير: أنبا مقار، أنبا بيشوي، السريان، البراموس؛ وذلك بين ١٦٨١ إلى ١٩٢٤م. ويظهر منها أن قبل القرن الثامن عشر هناك أعداد قليلة بين ٤ إلى ٢٥ راهبا في الدير. أما بعد ١٨٤٣ إلى ١٩٢٤م فنلاحظ ازدياد الأعداد تصل في الدير الواحد إلى ٦٨ راهبا[٤].

أما اليوم فإن الموقع الالكتروني للكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت في مصر يصف حال الأديرة المصرية اليوم بهذه الكلمات: "كثير من هذه الأديرة مازالت مزدهرة، ويأتيها العديد من طالبي الرهبنة وبها مئات الآباء الرهبان حتى هذا اليوم"[٥].

---

[١] *<u>Le monachisme orthodoxe : hier, demain</u>, collection : Deux milliards de croyants*, (Paris : Bucher/Chastel ١٩٨١)

[٢] *<u>Catholicisme. Hier, aujourd'hui, demain</u>*, t.٩, p.٥١٥

[٣] *Loc cit.*; et <u>*Le monachisme chrétien en Orient*</u>: Ivan Gobry, (http://www.eglise-armenienne.com/Articles/Spiritualite/Monachisme_Orient.pdf)

[٤] <u>الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار</u>، ص٧٨٣

[٥] (http://st-takla.org/Coptic-church-١_.html)

وتقول أيضا أن البابا الأنبا شنودة[١]، والذي كان راهبا، قد دعّم الديرية في الكنيسة القبطية "مما أدى إلى انتعاشها حيث تم في عهده سيامة المئات من الرهبان والراهبات... وكان أول بطريرك يقوم بإنشاء العديد من الأديرة القبطية خارج جمهورية مصر العربية وأعاد تعمير عدد كبير من الأديرة التي اندثرت"[٢].

وذكرت جريدة "الشروق الجديد" المصرية تلك الأعداد وأنه ارتفع عدد الأديرة من ٩ أديرة، "حسب أول تعداد رسمى يصدر عن المجمع المقدس فى ١٩٨٩م، إلى ٢١ ديرا، بمعدل دير جديد كل عام"[٣]. وأما إنشاء أديرة خارج مصر فهناك ديران في أمريكا الشمالية، واثنان في ألمانيا، وواحد في بريطانيا[٤].

أما في روسيا فإن الرهبانية لم تنج من رياح شبيهة برياح فرنسا وثورتها، فقد أصدرت الكنيسة الروسية مدعومة من الحكام في ٢٥ يناير ١٧٢١م و ١٧٦٤م قرارات تصدير الأراضي التابعة للجماعات الرهبانية لصالح الدولة إلا ثلث القيمة الذي يعاد إلى الأديرة التي فيها نفع اجتماعي من أجل الصيانة. وأجبرت الحاكمة كاثرينة الثانية (ت١٧٩٦م) الرهبان على التجنيد[٥].

وفي القرن التاسع عشر لم يتغير الوضع إلا في ١٨٨١م حيث سمح المجمع المحلي في روسيا بفتح أديرة شريطة أن لا يطلبوا أي تمويل، فكانت جهود مبذولة لتجديد الحياة الرهبانية وذكروا أن عدد الأديرة في الإمبراطور ية الروسية في ١٩١٤م بلغ ١٤٩٨ ديرا[٦].

لكن سرعان ما تغير الحال مع ثورة ١٩١٧م حيث لم يبق من الأديرة الكبيرة إلا ثلاثة[٧]:

-دير الثالوث المقدس في زاغورة Zagorah.

-دير باتشايف في أوكرانيا.

-دير بسكوف-بتشسكي.

---

[١] هو البطريرك رقم ١١٧ على كرسي الإسكندرية للأقباط الأرثوذكس، تمت رسامته في ١٩٧١م ، ولا يزال إلى يومنا هذا. من مقال بعنوان: سيرة حياة قداسة البابا شنودة الثالث، من الموقع الرسمي لمطرانية طنطا وتوابعها:

(http://popekirillos.net/forum/index.php?topic=٢٥٧٨.٠)،

[٢] قداسة البابا شنودة الثالث: بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية في مصر وسائر بلاد المهجر: الموقع الرسمي للكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القِس – الإبراهيمية في الاسكندرية

(http://st-takla.org/Pope-١_.html)

[٣] مقال بعنوان: الأنبا شنودة ٣٨ عاما على (السدة البابوية): يوسف رامز، بتاريخ ١٧/١٠/ ٢٠٠٩م،

(http://www.shorouknews.com/print.aspx?id=١٣٩٩٩٦)

[٤] انظر دليل المواقع القبطية من موقع الكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت:

(http://st-takla.org/Links/Coptic-Links-٠٤_Monasteries_.html)

[٥] *Dictionnaire de spiritualité*, t. X, p.١٥٨٨

[٦] *Loc cit.*; *Le monachisme orthodoxe, hier demain*, p.١٩٦-١٩٧

[٧] *Loc cit.*

فيلاحظ الفرق الكبير بين روسيا والدول الغربية في التدين فتذكر الإحصاءات أن من بين ١٥٦ مليون منتسب للأرثوذكسية في روسيا فإن الثلثين منهم تعمد في الكنيسة[١]، ومن مظاهر هذا التدين أن تغيير مباني رسمية إلى كنائس أصبح ظاهرة في السنوات الأخيرة[٢].

وذكروا أيضا في رهبانية الكنيسة الأنطاكية انتعاشا حيث أعادوا في القرن العشرين تعمير اثنى عشر ديرا في لبنان وسوريا على يد "حركة الشباب الأرثوذكسية اليونانية ببطريركة أنطاكيا"[٣].

ويبقى أخيرا السؤال المطروح وهو: هل التغيرات والانفتاح الذي أصاب الكنيسة الكاثوليكية مع مجمع الفاتيكان الثاني أصاب الكنيسة الأرثوذكسية؟ ومن ثم فلا بد أن يصيب الرهبانية.

فالذي وصلت إليه من خلال المقالات المنشورة عن الكنيسة الأرثوذكسية والرهبان أن الانفتاح والتطور يختلف عن الكنيسة الغربية لاختلاف التاريخ وطبيعة البلاد؛ فهناك مثلا جمود ورفض في صفوف الرهبان وغيرهم لدعوات الكاثوليك للحوار والتقارب. وبعد الزيارات المتبادلة بين البابا بندكت السادس عشر في مقر الكنيسة الأرثوذكسية في استانبول في نوفمبر ٢٠٠٦م، وزيارة رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية في الفاتيكان في ديسمبر من نفس العام، أصدرت قيادة جبل آثوس التي تمثل عشرين ديرا في الجزيرة بيانا تدين هذه اللقاءات وأبدت "حزنها العميق" لهذه اللقاءات، وعللوا ذلك بأن البابا لم يغير من مواقفه شيئا ولا يزال التنصير على أشده في دول شرق أوروبا ودول في الشرق الأوسط والتي النصارى فيها من الأرثوذكس.[٤]

لكن يبقى أن الجو العلماني والليبرالي العام الذي يسود عالم اليوم أصاب الكنيستين غربية وشرقية هذا مجمل ما توصلت إليه، وقد أصبح من الصعب حتى على من يطلق عليهم بالمحافظين والمتطرفين من النصارى عدم الانصهار ومسايرة الوضع من أجل البقاء والاستمرار بأي ثمن.

---

[١] *La Russie orthodoxe aujourd’hui* :Nicolas Lossky,
(http://www.portstnicolas.org/La-Russie-orthodoxe-aujourd-hui.html)

[٢] *L'Église orthodoxe investit les bâtiments soviétiques*: Vladimir Paperny, France ٢٤, ٥/١١/٢٠٠٩, (http://observers.france٢٤.com/fr/content/٢٠٠٩١١٠٥-eglise-orthodoxe-investit-batiments-sovietiques-religion-urss-russie-uni)

[٣] موقع المعلومات الأرثوذكسية:
(http://orthodoxie.typepad.com/Fichiers_٢/Chroniques_١٩.pdf)

[٤] *Service Orthodoxe de Presse*, *Num ٣١٥ Février ٢٠٠٧*,
(http://www.orthodoxpress.com/index.php?group=display&action=breve&numero=٣١٥&page=٧)

المبحث الثالث: موقف البروتستانت من الرهبانية في العصر الحديث[١]

سبق بيان الموقف العام الرافض للرهبانية لدى أتباع الكنيسة الإصلاحية البروتستانت بجميع فروعها؛ فقد أصبح الرد والنقد والنقض للرهبانية تراثا من تراثهم يتناقلونه منذ القرن السادس عشر، علما بأن قِيَم الرهبانية من الزهد والتعبد والروحانية قد جعلها البروتستانت عامة على كل نصراني أن يتمثلها لتكون جزءا لا يتجزأ من تدينه، وليس شيئا خاصا بفئة مسورة من وراء جدران وملتزمة بقوانين وطقوس محدثة.

أما في العصر الحديث وبدءا من القرن التاسع عشر فقد تغير الموقف ليس على مستوى جميع البروتستانت لكن على فئات أكثرها نسائية. بدأت الظاهرة في ألمانيا عام ١٨٥٣م على يد أحد القسيسين حيث كوّن جماعة نذرت نفسها للعبادة والخدمة الاجتماعية في المدارس والمستشفيات وإيواء المعوزين، ثم ظهر في فرنسا وسويسرا جماعات أشهرها *بُومِرْيُول* ***Pomeryol*** في ١٩٢٩م، و *فَالْرُوج* Vallerauge في ١٩٨٠م وغيرها. وقد وضعت بعضها قوانين على غرار القوانين الديرية و الجميع ينذرون النذور الثلاثة: البتولية، الفقر والطاعة، باختلاف نظرتهم إليها.

وأما ما يتعلق بتسميتها فإنها لا تنتمي إلى كلمة "الرهبانية" فإنهم يطلقون على أنفسهم جماعة *دِيَاكُونِيس* *Communauté diaconnesse*. وهي كلمة أصلها يوناني مأخوذ من *دِيَاكُونْيَا* ***diakonia*** الذي يدور معناها على "الخدمة". وهي كلمة تطلق في اصطلاح الكتاب المقدس على "خدمة القديسين"[٢]، "مهمة التكريس والدعوة"[٣]... لقيت هذه الظاهرة معارضة منذ البدايات حيث كتبت *دِي جَسْبَرَان* في منتصف القرن التاسع عشر عن "جماعات رهبانية في البروتستانتية"، أو "تجديد الرهبانية في أرض كالفينية". واعتبروا أن هذا مناقض للدعوة الإصلاحية ومعول هدم للجهود التي بذلت في نقض الكاثوليكية عموما والرهبانية خصوصا[٤]؛ بيد أن أنصار هذه الجماعات كتبوا وبينوا أنهم يختلفون في الجوهر عن الرهبانية الكاثوليكية وإن كانوا يتفقون معها في بعض المظاهر. وأستند هنا إلى الدراسة التي كتبها الأستاذ الدكتور *مِيشِيل كلِمَنْت*[٥] عن هذه الجماعات في فرنسا وقوانينها[٦]، حيث استند على الكتابات الصادرة من الجماعات نفسها.

---

[١] *Luther et le monachisme aujourd'hui*, p.١٨-٢٢

[٢] رسالة إلى رومية: (١٥: ٢٥، ٣١)

[٣] رسالة إلى رومية: (١١: ١٣)، والرسالة الثانية إلى كورنثوس: (٣: ٦، ٩)

[٤] *Luther et le monachisme aujourd'hui*,p.١٩

[٥] أستاذ في جامعة كيبيك في كندا.

[٦] *Quelques règles monastiques protestantes*: Michel Clément, (Montréal: Université du Québec ٢٠٠٢), ١-٦٧, (http://www.er.uqam.ca/nobel/k٣٣٤٤٠/rp.html)

وملخص ما أفادنا به أن هذا النوع من الحياة الجماعية في أوساط بروتستانتية يختلف عن الرهبانية الكاثوليكية من وجوه:

١ -تحافظ الجماعة على رفض الطبقية الكاثوليكية التي تفرِّق بين العوام ورجال الدين، وتُفرِّق بين فئة "الكُمّل" من الرهبان وغيرهم. فيرون أن الحياة الروحية والزهد ليس منقبة تعطيهم ميزات على غيرهم بل هو سبيل ونهج كل نصراني. يقول في ذلك *سِجْوَالْت*:
"كل الكنيسة النصرانية مدعوة لحياة إنجيلية بقوة، ليس هناك طريق يسلكه أهل القوة وآخرون ليسوا كذلك. فالحياة الرهبانية سبيل قوة كما أن الحياة النصرانية في العالم سبيل قوة أيضا؛ فالكلّ على نفس المستوى ما داموا في المسيح كلهم"[١].

٢ -غايتهم الرجوع إلى العهد الأول بعد رفع المسيح كما وُصف في أعمال الرسل، وهو اشتراك الأموال، تنظيم الكنيسة، جمع الصدقات، وخدمة الفقراء على ما ورد في سفر الرسل كما بينت سالفا. فهي بذلك تبقى كما يقولون "مفتوحة على العالم" غير معزولة عنه، ووصف *مِيشِيل كلِمَنْت* ما تقوم به هذه الجماعات بأنها "عَلْمَنَة الرهبانية"[٢].

٣ -وفيما يتعلق بالنذور التي يلتزمون بها فإنهم أولا لا يعنون بها ما سبق ذكره في اصطلاح الكاثوليك، فهي عموما من باب "العهد والالتزام" وداخلة في عموم النذر الذي هو مشروع في الكتاب المقدس، فالبتولية عندهم ليس أفضل من الزواج كما يقول الكاثوليك؛ والفقر بمعنى "الشركة" التي قام به الرسل من أجل حياة جماعية مشتركة، والطاعة إنما هي مبنية على المحبة وليس إلغاء الذات. وتعليل هذه النذور ثانيا، فكما تقول مؤسِّسة دير *بومِرْيول*:
"هي عهود ضرورية للاستقرار، الثقة المتبادلة، التجذر في مهمة هذا النوع من الحياة التي اخترناها وما يلزم منها"[٣].

إضافة إلى تأكيد حرية هذه النذور وليس فيها أغلال الكاثوليك بمعنى حرية الالتزام بها دخولا وخروجا. وأخيرا فإنهم يؤكدون أن نشأتهم جاءت لتغطية حاجة ونقص ملح في حياتهم الروحية فأنشؤوا هذه الجماعات المحصورة مع نشاط تنصيري بصور شتى وتنسيق مع الجمعيات التنصيرية المحضة.
ويمكن أن نقول أنهم أقرب إلى الجماعة الدينية كالفرنسيسكان والدومنيكان في الكاثوليكية. بل يعدون قوانينهم من المصادر التي استقوا منها قوانينهم؛ أما الجماعات الرهبانية المحضة فلا يعتمدون على مصادرها لبعدها عن الأهداف التي يَصْبون إليها.

---

١ *Dogmatique pour la catholicité évangélique*: Gérard SIEGWALT, Tome II, vol. ١, (Paris, Labor et Fides/Cerf, ١٩٩١à, p.٢٣٠-٢٣١ de

٢ *Op.cit*, Michel Clément, p.١٣

٣ "*La Communauté de Pomeyrol*", *Foi et Vie*, no ٦, (Paris, décembre ١٩٧٧), p.٢٩

والخلاصة في هذا الفصل أمور:

١ -حصل للرهبانية عند الكاثوليك في العصر الحديث تغيرات جذرية، كانت المقدمة بضربات البروتستانت التي شككت في شرعية الرهبانية من خلال نصوص الكتاب المقدس، ثم بالثورة الفرنسية التي أُغْلق على إثرها كثير من الأديرة إلا ما كان فيها نشاط يعود بالنفع على المجتمع، فاضمحلّت الأديرة إلا قليلا. وآخرها بعد مجمع الفاتيكان الثاني الذي نظّر هذا التغيير وأطّره ليتفق مع التغيرات الفكرية العصرية.

٢ -من أهم التغيرات أمور:

١) ظهور أشكال جديدة من الحياة الرهبانية، تدريب الرهبان في مؤسسات متخصصة؛ الانفتاح على العالم بالمشاركة في الحوار بين الأديان، فتح الأديرة أبوابها للزوار، المشاركة في النشاط التنصيري في أرض الواقع بإنشاء أديرة في الدول الفقيرة وما يسمى بالعالم الثالث أو عبر الإنترنت.

٢) إفلاس الأديرة بعدم وجود من يخلف القدماء، وذلك لعدة أسباب أهمها فقدان الثقة بالدين عموما وبالنصرانية خصوصا.

٣ -أما الرهبانية الأرثوذكسية في العصر الحديث فمع قلة المصادر التي تناولت الموضوع يمكن القول أن الرهبانية في الشرق الإسلامي لم تتطور مثل الرهبانية الكاثوليكية لانحصارها بدخول كثير منهم في الإسلام، وأما في الشرق الأوروبي فقد انحصرت بسبب العلمانية التي وصلت إليها ثم بانتشار الشيوعية التي حاربت الدين ككل.

٤ -وفي العقود الأخيرة هناك انتعاش نسبي في مصر تحت رعاية البابا شنودة. وفي روسيا هناك عودة إلى الدين عموما.

الفصل الرابع:

موقف الإسلام من الرهبانية عند النصارى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف الإسلام المجمل

المبحث الثاني : موقف الإسلام المفصل

نأتي هنا إلى بيان موقف الإسلام من الرهبانية جملة وتفصيلا من خلال نصوص القرآن والسنة وما يستخلص منهما من أقوال أهل العلم من السلف والخلف سائلين المولى تبارك وتعالى التوفيق والسداد.

المبحث الأول: موقف الإسلام المجمل

المطلب الأول: الموقف المجمل من الرهبانية عند النصارى في القرآن الكريم

ذكر الله الرهبانية في آية واحدة آخر سورة الحديد، يقول الله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٧)

وفي هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾

اختلف المفسرون في إعراب كلمة ﴿ رَهْبَانِيَّةً ﴾ على وجهين اثنين من الإعراب هما:

الأول: منصوبة بفعل مضمر على الاشتغال، إما بنفس الفعل المذكور على قول الكوفيين والتقدير: "وابتدعوا رهبانية ابتدعوها" كما تقول: "رَأَيْت زَيْدًا وَعُمَرًا أكرمته""[١]، وإما بمقدَّر محذوف مفسر بهذا المذكور على قول البصريين: أي وابتدعوا رهبانية. وعلى هذا يكون الوقف تام عند قوله: ﴿ وَرَحْمَةً ﴾، ثم الابتداء من: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾.

وقوله: ﴿ ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ صفة أولى لرهبانية، وقوله: ﴿ مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ صفة ثانية، أي لم نكتبها عليهم ألبتة، ويجوز أن تكون مستأنفة مقرِّرة لنفس المعنى.

---

[١] معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م)، ج٥، ص١٣٠؛ إعراب القرآن: النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م)، ج٤، ص٣٦٧-٣٦٨

وذهب إلى هذا المعنى أكثر المفسرين كمقاتل بن سليمان، الطبري، السمعاني، البغوي، ابن العربي، الزمخشري، الرازي، القرطبي، ابن كثير، السيوطي، الشوكاني وغيرهم[١].

وقد ذهبت المعتزلة كأبي علي الفارسي والزمخشري إلى هذا الإعراب تعزيزا لمذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فالآية أشكلت عندهم من جهة أن ما يجعله الله لا يبتدعونه هم[٢].

الثاني: رهبانيةً معطوفة عَلَى ﴿ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾، يقول الزمخشري –يرحمه الله-: "ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها، وابتدعوها صفة لها في محل النصب، أي: "وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم". واختار هذا الإعراب من أهل التفسير أبو حيان الأندلسي[٣]؛ ومن أهل اللغة ابن هشام الأنصاري حتى جعله هو القول المشهور، فقال –يرحمه الله-: "والمشهور أنه عطْفٌ على ما قبله، و"ابتدعوها" صفة..."[٤].

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م)، ج٣، ص٣٢٧؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج٢٢، ص٤٢٧؛ تفسير القرآن، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم و أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، الطبعة الأولى١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م)، ج٥، ص٣٧٩؛ معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م)، ج٨، ص٤٢؛ أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ج٤، ص١٨٣؛ الكشاف، ج٤، ص٦٩؛ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠١-١٩٨١م)، ج٢٩، ص٢٤٦-٢٤٧؛ الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة ١٤١٧-١٩٩٧م)، ج١٧، ص١٧٠؛ تفسير ابن كثير، تحقيق محمد إبراهيم البنا، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج٨، ص ٣٤٤٣؛ تفسير الجلالين، (بيروت: دار المعرفة)، ص٧٢٣؛ فتح القدير، تعليق ومراجعة هشام البخاري وخضر عكاري، (بيروت: الكتبة العصرية، الطبعة الثالث ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ج٥، ص٢٢١-٢٢٢

[٢] ومذهب المعتزلة في خلق أفعال العباد مبني على أصلهم الثاني من أصولهم الخمسة وهو العدل. فزعموا أنه يلزم من صفة العدل أن لا يكون الله قدّر شيئا مما يفعله العباد إذ فيها الخير والشر؛ والله لا يريد الشر ولا يحبه فلا يقدره. وقد أبان أهل السنة والجماعة بطلان هذا المذهب ومخالفته لنصوص القرآن والسنة والإجماع؛ ذلك أن الله تعالى خالق كل شيء بما في ذلك الخير والشركما قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الزمر: ٦٢)، ويقول النبي ﷺ: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة". قال:" عرشه على الماء". [أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، كتاب القدر (٤٦)، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٣)، رقم: ٢٦٥٣]. فالكفر والفسوق والعصيان داخل في هذا العموم لكن لا يلزم من الخلق المحبة، فالله يكره الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضى لعباده الكفر. فلا بد من التفريق بين الإرادة الكونية والشرعية، إذ الأولى تسير عليها النواميس الإلهية في هذا الكون لحكمة بالغة ففيها ما يحب وما لا يحب وما أراده وقدره كونا واقع لا محالة؛ وأما الإرادة الشرعية فتختص بما يحب وهي أمره ونهيه، وقد تقع وقد لا تقع. انظر المعتزلة بين القديم والحديث: محمد العبده وطارق عبد الحليم، سلسلة درسات في الفرق (٢)، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٦م)، ص٦٠-٦٣

[٣] البحر المحيط، ج٨، ص٢٢٦

٤ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، (الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، ج٦، ص٢١٠

ولعل الإعراب الثاني أولى لأن الإعراب بالظاهر من غير تقدير أولى من التقدير، وعدم الإضمار أولى من الإضمار. ثم لا إشكال في المعنى بأن تكون الرهبانية من جعل الله تعالى، لأن الجعل منه الشرعي ومنه الكوني، فهي من الكوني الذي لا يلزم منه المحبة والرضى عنه، يقول ابن تيمية –يرحمه الله-:"...فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة، ويكون هذا جَعْلاً خَلْقيا كونيا، والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ (القصص: ٤١) وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية بجعلها في القلوب، فثبت على التقديرَيْنِ أنه ليس في القرآن مدح للرهبانية"[١]. فكونه من جعل الله لا ينفي أنه من كسب أتباع النصارى وفعلهم، فهي مجعولة له وفعل لهم[٢].

إضافة أن هذا الإعراب لا يتعارض مع المعنى الذي اختاره أكثر المفسرين من أنها بدعة هم ابتدعوها و لم تكتب عليهم لا بَدْءا ولا إقرارا لكن هذه المعاني محتملة في المسألة الثانية.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾

يحتمل هذا المقطع أيضا وجهين من الإعراب:

الأول: الاستثناء متصل، فتكون مفعول له، أو بدل من الضمير في كتبناها، والمعنى "ما تعبدناهم بها إلا على وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى"[٣].

يقول الزمخشري: "بمعنى: وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب، على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه"[٤].

ومن الإشكالات الواردة على هذا الإعراب أن النصب على المفعولية لا يستقيم؛ إذ لم يتقدم في الآية لفظ الفعل ليعمل فيه بل تقدم لفظ الكتابة، ولتكون مفعول له يشترط أن يكون علة لفعل الفاعل

---

[١] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، (الرياض: دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، ج٣، ص١٦٩-١٧٠

[٢] انظر للمزيد شفاء العليل لابن القيم الجوزية، تحقيق عمر الحفين، (الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٠-١٩٩٩م)، ج١، ص٢٠٦-٢٠٧

[٣] التفسير الكبير، ج٢٩، ص٢٤٦-٢٤٧؛ تفسير أبي السعود: محمد بن محمد العمادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م)،ج٨، ص٢١٣؛ وانظر مدارج السالكين، تحقيق: رضوان جامع رضوان، (القاهرة: مؤسسة المختار، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج١، ص٤٧٨

[٤] الكشاف، ج٤، ص٦٩

المذكور معه فيتحد السبب والغاية نحو: "قمت إكراما"، فالقائم هو المكرم وفعل الفاعل المعلل ههنا هو الكتابة، وابتغاء رضوان الله فعلهم لا فعل الله فلا يصلح أن يكون علة لفعل الله لاختلاف الفاعل[١].

ويرد على الإعراب بالبدل أن ما بعد "إلاّ" مثبت وما قبلها منفي، والأصل في البدل أن يتبع المبدل منه إيجابا ونفيا.

الثاني: الاستثناء منقطع، والتقدير: " لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان اللّه"؛ أو "لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله" وهو اتباع ما شرع واجتناب ما نهى.

وهذا المعنى قال به سعيد بن جبير وقتادة وجماعة، واختاره الإمام الطبري وغيره[٢].

فهنا نرى الفرق في المعنى بناء على اختيار أحد الإعرابين، إذ القول بأن الاستثناء متصل يلزم منه أنها كتبت عليهم بشرط ابتغاء مرضاة الله. وعلى القول بأن الاستثناء منقطع يلزم منه القول بأنها لم تكتب عليهم وإنما ابتدعوها ابتغاء مرضاة الله.

وخلاصة القول أن جمهور المفسرين سلفا وخلفا على أن الرهبانية مبتدعة و لم تكتب عليهم ألبتة. وهو قول لا اعتراض عليه لغة ومعنى، ولذا انتصر له أئمة أمثال ابن العربي وابن تيمية وابن القيم. وقد رد هذان الأخيران على القول الثاني بأوجه كثيرة.

يقول ابن العربي:

"وقد زاغ قوم عن منهج الصواب فظنوا أنها رهبانية كتبت عليهم بعد أن التزموها، وليس يخرج هذا من قبيل مضمون الكلام، ولا يعطيه أسلوبه ولا معناه، ولا يكتب على أحد شيء إلا بشرع أو نذر، وليس في هذا اختلاف بين الملل"[٣].

ويقول ابن تيمية بعد الاعتراضات على الاحتمالات الأخرى:

"فعلم أن القول الذي ذكرناه هو الصواب، وأنه استثناء منقطع فتقديره "وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله"، فإن إرضاء الله مكتوب على الخلق وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينه عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر به وترك ما لم ينه عنه"[٤].

ويقول ابن القيم:

---

[١] أحكام المستثنى بإلاّ أخذا وردا: السيد إبراهيم المنسي، مجلة كلية الآداب-جامعة المنصورة، العدد ٤٢، يناير ٢٠٠٨م، المجلد الثاني، ص١٩٤؛ وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٢٠٠؛ مدارج السالكين، ج١، ص٤٧٨

[٢] تفسير الطبري، ج٢٢، ص٤٢٧؛ تفسير ابن كثير، ج٨، ص ٣٤٤٣

[٣] أحكام القرآن، ج٤، ص ١٨٣

[٤] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٢٠٠

"فالصواب: أنه منصوب نصب الاستثناء المنقطع؛ أي لم يفعلوها و لم يبتدعوها إلا لطلب رضوان الله. ودلّ على هذا قوله "ابتدعوها" ثم ذكر الحامل لهم والباعث على ابتداع هذه الرهبانية، وأنه هو طلب رضوان الله، ثم ذمهم بترك رعايتها؛ إذ من التزم لله شيئا لم يلزمه الله من أنواع القرب لزمه رعايته وإتمامه... والقصد أن الله –سبحانه وتعالى– ذمّ من لم يرع قربة ابتدعها لله تعالى حق رعايتها. فكيف بمن لم يرع قربة شرعها الله لعباده، وأذن بها وحث عليها"[١].

ويتأكد هذا الرأي بما سبق بيانه من أن نشأة الرهبانية لم تظهر إلا في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع للميلاد. ثم إن الأدلة التي استدل بها النصارى على الرهبانية لا يسلم لهم من جهة مدلولها فضلا عن كونها مشكوك في صحة نسبتها إلى المسيح عليه السلام. يقول البروتستانتي جيمس هوكارت في هذا: "إذا كان المسيح قد أوصى وأدخل الرهبانية في الكنيسة فَلِمَ لم تكن ظاهرة الزهد إلا في أواخر القرن الثاني، والتنظيم الديري الذي ظهر متأخرا في القرن الرابع والسادس؟ ولماذا النصارى الأولون وهم أعلم الناس بمراد المسيح كانوا متجاهلين إلى هذا الحدّ؟"[٢].

وذكر أن هناك من خالف هذا الرأي من الكاثوليك مثل لويس بُرْدَالُو[٣] الذي أقر بعدم وجود ما يسمونه بالحالة الدينية قائلا: "في القرون الأولى للكنيسة لم يكن هناك حاجة لوجود متدينين. لماذا؟ لأن النصارى كانوا نصارى حقا، فعلى الأقل كانت قلوبهم مهيأة أكثر من المتدينين"[٤].

وهذا اعتراف يحسب له إلا أنه يلزم من كلامه أمران:

الأول: النصارى الأولون إذا كانوا على أحسن حال ممن خلفهم ولم يعرفوا شيئا اسمه الرهبانية،

الثاني: إن ما أُحدِث بعدهم في القرن الثالث والرابع بدعة على غير مثال سابق في النصرانية فهو من البدع والهرطقات.

وأما القول الثاني –فعلى فرض صحته من جهة اللغة– فيمكن توجيهه إلى معنيين هما:

الأول: البدعة المقصودة لغوية وليست شرعية، فليست على هذا مذمومة، وإنما أوجبوا على أنفسهم أمرا كان مشروعا أي مباحا أو مستحبا في أصله. وقد استشهد ابن عبد البر –يرحمه الله– بالآية في سياق الحديث عن قول عمر بن الخطاب عن اجتماع الناس لصلاة التراويح "نعمت البدعة هذه" فقال:

---

[١] مدارج السالكين، ج١، ص٤٧٨

[٢] *Op. cit*, Hocart, p.٢٢

[٣] *Louis Bourdaloue* (١٦٣٢-١٧٠٤م): يسوعي فرنسي عرف بالوعظ والخطابة حتى قيل عنه "ملك الخطباء وخطيب الملوك" لأنه أصبح خطيبا في البلاط الملكي. من الموقع الرسمي للآباء اليسوعيين في فرنسا:

(http://www.jesuites.com/histoire/bourdaloue/index.html)

[٤] *Œuvres III*, ٣١ (Didot), de *Ibid*, p.٢٢-٢٣

"وأما قول عمر: "نعمت البدعة" في لسان العرب اختراع ما لم يكن وابتداؤه. فما كان من ذلك في الدين خلافا للسنة التي مضى عليها العمل فتلك بدعة لا خير فيها وواجب ذمها والنهي عنها والأمر باجتنابها وهجران مبتدعها إذا تبين له سوء مذهبه. وما كان من بدعة لا تخالف أصل الشريعة والسنة فتلك نعمت البدعة كما قال عمر لأن أصل ما فعله سنة. وكذلك قال عبد الله بن عمر في صلاة الضّحى وكان لا يعرفها، وكان يقول: "وللضحى صلاة؟" وذكر بن أبي شيبة عن بن علية عن الجريري عن الحَكَم عن الأعرج قال سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال: "بدعة، ونعمت البدعة". وقد قال –تعالى- حاكيا عن أهل الكتاب ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾"[1] .

وعلى هذا يكون المقصود بالكتابة الوجوب بالنذر، لأن من ألزم نفسه بطاعة مستحبة فيجب عليه إتمامها، يقول الفخر الرازي: "لم يَعْنِ الله –تعالى- بابتداعها طريقة الذم، بل المراد أنهم أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها..." [2].

الثاني: المقصود بابتداعهم البدعة الشرعية المذمومة هو الإخلال بشرطها، إذ الإحداث في العبادة في كيفياتها، شروطها، عددها... يُعدّ ابتداعا؛ فتكون مكتوبة أي مشروعة لكنهم غيّروا فيها فَوُصِفُوا بالابتداع من هذا الوجه، وهو توجيه الشاطبي إذ يقول: "والجواب أنه يسمى بدعة من حيث أخلوا بشرط المشروع، إذ شرط عليهم فلم يقوموا به. وإذا كانت العبادة مشروطة بشرط فيعمل بها دون شرطها لم تكن عبادة على وجهها صارت بدعة"[3].

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾

اختلف المفسرون فيمن وُصِفوا بالتقصير وعدم الرعاية على قولَيْن:

أ/ الذين ابتدعوها:

وهو قول منسوب إلى ابن عباس في رواية، والضحاك وقتادة وأبو أمامة الباهلي[4].

ب/ قوم جاؤوا بعدهم:

يُرْوى هذا القول عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود[5].

[1] الاستذكار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (دمشق-بيروت: دار ابن قتيبة، الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٣م)، ج٥، ص١٥٢-١٥٣

[2] انظر التفسير الكبير، ج٢٩، ص٢٤٦

[3] الاعتصام، ج١، ص٢١٢

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٢٢، ص٤٣٣

[5] المرجع السابق: ج٢٢، ص٤٣١

ورجّح الطبري في تفسيره أن كلا الطائفتين يمكن أن تكون من التي لم ترعها حق رعايتها فالعرب تقول: "لم يرعها القوم" والمراد بعضهم[1].

وعدم الرعاية كان بمخالفتهم لنذورهم من وجه، وهذا متواتر في تاريخ الرهبان منذ الجيل الأول كما سبق في النصوص المثبتة وحتى يوم الناس هذا.

وهنا معنى أشارت إليه الآية وهو أن من آمن برسول الله ﷺ بعد بعثته فهو من الذين رعوها حق رعايتها كما في المسألة الرابعة والأخيرة.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾

هذه الآية الكريمة لا تخلو إما أن تكون خاصة في ذكر الذين ابتدعوا الرهبانية ورعوها حق رعايتها لمّا آمنوا بالله ورسله، فآتاهم الله أجرهم، أو تكون عامة في الذين اتبعوا المسيح عليه السلام كما في بداية الآية.

فالاحتمال الأول مروي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما[2].

والاحتمال الثاني: أتى الله أجر أتباع المسيح عليه السلام الذين آمنوا بالله ورسله، وهذ أقرب إلى السياق — والله أعلم- وهو المعنى العام، وذلك إذا قلنا بأن قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡ ﴾ فرع عن قوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾، وما بينهما استطراد. فيكون المراد بالذين آمنوا المتّصفين بالإيمان بالله ورسله خلافا للذين ضلوا فاعتقدوا إلهية عيسى عليه السلام أو أنه ابنٌ لله أو الذين فسقوا. وقد ذهب إلى هذا المعنى الطاهر ابن عاشور في تحريره[3].

---

[1] المرجع السابق: ج٢٢، ص٤٣٣

[2] انظر تفسير الطبري، ج٢٢، ص٤٣١-٤٣٤

[3] التحرير والتنوير، ج٢٧، ص٤٢٦

المطلب الثاني: الموقف المجمل من الرهبانية عند النصارى في السنة النبوية

هنا جملة من الأحاديث ذكر فيها الرسول ﷺ الرهبانية، ونلحظ أن منها أحاديث تنفي الرهبانيـــة نفيـــا مطلقا في الإسلام، وأخرى تثبتها. فنذكر منها طرفا مثبتين المعنى المراد بإذن الله –تعالى– لكلّ من المنفي والمثبت.

أولا: الأحاديث النافية للرهبانية:

- "لا زمام لا خزام، لا رهبانية، لا تبتل، لا سياحة في الإسلام"[١].

- حديث عثمان بن مظعون الذي ورد أنه "اتخذ بيتا فقعد يتعبد فيه" وترك امرأته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فنهاه عن ذلك كله بقوله: "يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك في أسوة؟ فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده"[٢]؛

وفي رواية: " يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية، أرَغِبْتَ عن سنتي"[٣]؛

وفي أخرى: "يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية، (مرّتين أو ثلاثا) وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة"[٤].

- "تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى"[٥].

-"لا رهبانية في الإسلام"[٦].

---

[١] أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث، (١/١٠٢/١)؛ قال الألباني: "وهذا إسناد رجاله ثقات وهو مرسل". السلسلة الصحيحة، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤١٥-١٩٩٥م)، رقم: ١٧٨٢، ج٤، ص٣٨٧

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عائشة رضي الله عنها، رقم: ٢٥٨٩٣؛ قال الألباني: "إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين"، السلسلة الصحيحة، ج،٤، ص٣٨٧، رقم: ١٧٨٢

[٣] أخرجه الدارمي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، كتاب النكاح (١١)، باب في النهي عن التبتل (٣)، رقم:٢٢١٥؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٤، ص٣٨٦-٣٨٧، رقم: ١٧٨٢

[٤] أخرجه ابن سعد في الطبقات، تحقيق علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الاولى ١٤٢١-٢٠٠١م)، ج٣، ص٣٦٧. وقال الألباني: "وهذا إسناد مرسل لا بأس به في الشواهد، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير الجرمي هذا، فقد ترجمه ابن أبي حاتم في كتابه (٤ / ١ / ٣٨٠) و لم يذكر فيه جرحا و لا تعديلا ، و قد روى عنه ثلاث من الثقات". المرجع السابق.

[٥] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٢٤-٢٠٠٣م)، كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح (٥٩)، رقم: ١٣٤٥٧، ج٧، ص١٢٥؛ قال الألباني: "وبالجملة فالحديث بهذه الشواهد صحيح عندي"، السلسلة الصحيحة، رقم: ١٧٨٢، ج٤، ص٣٨٥

[٦] قال ابن رجب عنه أنه من مراسيل طاووس، فتح الباري، تحقيق محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٦م)، ج١، ص١١٠؛ وقال ابن حجر:" لم أره بهذا اللفظ"، فتح الباري، ج٣، ص٣٥٧١

ثانيا: الأحاديث المثبتة للرهبانية:

-"لكل نبي رهبانية" وفي لفظ: "لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل"[١].

– عن عثمان بن مظعون أنه قال: "يا رسول الله ائذن لي في الترهب ، فقال: " إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظار الصلاة"[٢].

والخلاصة أن الأحاديث التي تنفي الرهبانية في الجملة إنما تنفي الرهبانية بالمفهوم الذي اصطلح عليه النصارى من تبتل وفقر وعزلة وغير ذلك مما في معنى الانقطاع الذي يمكن وصفه بالسلبي أو البدعي عن الدنيا.

ولذا جاء النهي المطلق عن مثل هذا الغلو في التعبد الذي نجد الإسلام –بأصوله وقواعده، وفروعه وتفاصيل أحكامه– ينهى عنه. ففي الصّحيحين من حديث أنس بن مالك ﵁ أن ثلاث رهط جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ. فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: "أين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر". قال أحدهم: "أما أنا فإني أصلي الليل أبدا"؛ وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[٣].

والمعنى المهم الذي ختم به النبي ﷺ قوله هو بيان المنهج الذي عليه المؤمنون حقا ألا وهو اتباع ما أنزل الله والسير على هدي رسول الله ﷺ، وهو نفس المعنى الذي نهى به النبي ﷺ عثمان بن مظعون في الحديث السابق لما اعتزل وانقطع للتعبد تاركا أهله فقال له ﷺ: "يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية، أرَغِبْتَ عن سنتي". فالرسول ﷺ هو أخشى العباد من الله وأخوفهم منه لا يمكن أن يكون أحد أحسن منه وأعبد، ومن زعم غير ذلك فقد ضل ضلالا مبينا.

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك ﵁، رقم:١٣٨٠٧، ج٢١، ص٣١٧؛ وأبو يعلى في مسنده، مسند أنس بن مالك ﵁، رقم: ١٤٤٩؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "وفيه زيد العمي وثقه أحمد وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح"، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (بيروت: دار الفكر ١٤١٤-١٩٩٤م)، ج٥، ص٥٠٦؛ وقال الألباني عن لفظ "لكل نبي رهبانية": "ضعيف جدا"، السلسلة الضعيفة، رقم: ٢٤٤٢، ج٥، ص٤٦١؛ أما الجهاد فقد ثبت لفظ: "وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام"، السلسلة الصحيحة، رقم: ٥٥٥، ج٢، ص٩٤

[٢] أخرجه البغوي في شرح السنة، كتاب الصلاة، باب فضل القعود في المسجد لانتظار الصلاة، رقم:٤٨٤؛ قال الألباني: "لم أقف على سنده لكن نقل الشيخ القاري (٤٦١/١) عن مبروك أنه فيه مقالا"، مشكاة المصابيح: التبريزي، تحقيق الألباني، (بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م)، رقم: ٧٢٤، ج١، ص٢٢٥؛ وضعفه محققو شرح السنة لضعف راويين، ج٢، ص٣٧١

[٣] البخاري، كتاب النكاح (٦٧)، باب الترغيب في النكاح (١)، رقم: ٥٠٦٣؛ ومسلم، كتاب النكاح (١٦)، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١) رقم:١٤٠١

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان يخطب فإذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: "أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي ﷺ: "مُرْهُ فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه"[١] .

فنلاحظ أن النبي ﷺ أبطل نذره إلا ما كان منه مشروعا وهو الصيام مما يؤكد أن الأصل في العبادات التحريم إلا ما جاء به النص، وأن الغلو مرفوض بكلّ صوره.

ثم إن الإسلام جاء بالميزان والاعتدال الموافق للفطرة البشرية التي خلقها الله وهو بها أعلم وأخبر بما يَصلُح لها ويُصلِحها.

وأما الأحاديث المثِبتة فلفظ "لكلّ نبي رهبانية" لم يثبُت نسبته إلى الرسول ﷺ، وإنما الثابت من تلك الأحاديث قوله ﷺ "وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام". ومعنى هذه الرهبانية المثبَتة هو كما يبدو يعني الانقطاع لله تعالى ببذل كلّ ما يملكه المؤمن في سبيل الله، وأغلى ما يملكه هو نفسه فيبيعها لله سبحانه كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (التوبة: ١١١)

فأعلى مرتبة يمكن أن يصل إليه الراغب في الانقطاع إلى الله -تعالى- هو إعطاء نفسه وماله إلى الله ﷻ، ولذا كان الجهاد ذروة سنام الإسلام كما ثبت عن الرسول ﷺ أي القمة[٢].
يقول المناوي -يرحمه الله- في شرح الحديث: "فإذا زهد الرهبان الدنيا وتخلوا للتعبد فلا تخلّي ولا زهد للمسلم أفضل من بذل النفس في سبيل الله"[٣].

ونأخذ من هذا أيضا التأكيد أن العمل الذي يتعدى نفعه في الشريعة الإسلامية أحسن وأكثر أجرا من الذي يلزم نفعه صاحبه وفي كلّ خير. ومن الأمثلة على ذلك:

---

[١] البخاري، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٣١)، رقم: ٦٧٠٤

[٢] أخرج الترمذي في السنن وغيره من حديث معاذ بن جبل ﷺ، كتاب الإيمان (٤١)، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٨)، رقم:٢٦١٦، وقد جاء فيه: " ...ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه". قال معاذ ﷺ: "بلى يا رسول الله". قال: "رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد..."؛ وقال الترمذي عقبه: "هذا حديث حسن صحيح"؛ وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: ٢٦١٦.

[٣] التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين عبد الرؤوف المناوي، (الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ج١، ص٧٨٣

-قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (النساء: ٩٥)

وذلك لما يترتب على ذلك من نصرة المظلوم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان كما قال تعالى قبل ذلك بقليل:

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (النساء: ٧٥)

– الأجر المترتب على نشر العلم وتعليم الناس الخير أكبر وخير من التعبد والتنسك، قال رسول الله ﷺ :" من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[١].

– نفع الناس وخدمتهم من أحب الأعمال إلى الله، فقد قيل: "يا رسول الله ﷺ من أحب الناس إلى الله؟" فقال ﷺ: "أحب الناس أنفعهم للناس؛ وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن تكشف عنه كرْبا، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا؛ ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن اعتكف شهرين في مسجد، و من كفّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضاً، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل"[٢].

فالرهبانية المثبتة في الإسلام هي بالمعنى المذكور وما كان على نحوه من الانقطاع لله باتباع ما شرع وسلوك طريق خيرِ مَنْ عَبَدَ الله وأتقاهم وأخشاهم له ﷺ، وليس بالابتداع كما فعل النصارى.

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه وغيره من حديث كثير بن قيس عن أبي الدرداء ﷺ، كتاب العلم (٢٤)، باب في فضل العلم (١)، رقم:٣٦٤١؛ صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٦٤١

[٢] أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وغيره، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٣م)، ص٤١، رقم: ٣٦؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: ٩٠٦

وهنا أذكر دعوى ادّعاها المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون[١] كما نقلت عنه "دائرة المعارف الإسلامية" فتقول:

"وعلى أن بعض المفسرين يقولون إن عبارة "وجعلنا تتعدى إلى الرأفة والرحمة والرهبانية جميعا. ومن ثم تكون الرهبانية نظاما من صنع الله. ويشير الأستاذ ماسينيون إلى أن هذا التفسير هو تفسير القدماء. أما المحدِّثون فيجنحون إلى استنكار الرهبانية، وهذا الجنوح من جانبهم أدى إلى وضع الحديث الذي يقول "لا رهبانية في الإسلام". ولم يرد هذا الحديث في كتب الصحاح، على أنه قد مهد له فيها..."[٢].

وكأن الدائرة تريد أن تقول لنا إن الرهبانية ليست مذمومة في القرآن والإسلام وإنما الذم والاستنكار من صنع ووَضْعِ المحدّثين.

وقبل الحديث عن هذه الدعوى فجدير أن نلاحظ تغييرا لهذه الألفاظ، والتي أستبعد أن تكون صدفة، ففي "موجز دائرة المعارف الإسلامية" التي أثبتت المقالة بألفاظها في مواضع حساسة التي هي محل النقد، فقد جاء فيها:

"أما المحدثون فيجنحون إلى استنكار الرهبانية، ويحتجون بالحديث الذي يقول "لا رهبانية في الإسلام" "[٣].

ولا شكّ أن هذه العبارة الأخيرة ألطف من الأولى وأقرب إلى الصواب. ويبدو أن هذا التصرف من قبل المترجمين والمشرفين على الموجز حيث ذكروا في المقدمة أن هناك تصرف وحذف لبعض المواد، إضافة أنهم أثبتوا الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ التي لم تكن موجودة في الترجمة القديمة. ومن الشواهد على هذا التصرف أنهم في نفس مادة "الرهبانية" غيروا ما جاء في الترجمة الأولى في حديث: "لكلّ نبي رهبانية..." والتي كان فيها: "وهو حديث منسوب إلى النبي في مسند أحمد بن حنبل"[٤]. فجاء في الموجز: "وهو حديث في مسند أحمد بن حنبل..."[٥]

وعلى كلّ حال فإن دعوى الإعراب ووضع الحديث وما يتبعهما من محاولة تقديم الرهبانية على أنها ليس في الإسلام ما يرفضها دعوى مرفوضة كما سبق:

---

[١] *Louis Massignon* (١٨٨٢-١٩٦٣م): من أشهر المستشرقين الفرنسيين. تخرّج من قسم العلوم الدينية بجامعة السربون بباريس في ١٩٠٤م، تعلم العربية والفارسية وغيرها من اللغات. وُلِّيَ مناصب عديدة لصالح وزارة المستعمرات الفرنسية، ودرّس في الجامعة المصرية القديمة، له مشاركات في العديد من المؤتمرات الاستشراقية، ومقالات في دائرة المعارف الإسلامية. تخصص في التصوف في الإسلام فكانت رسالته للدكتوراة عن الصوفي منصور الحلاج حيث بعنوان: "عذاب الحلاج، شهيد التصوف في الإسلام". موسوعة المستشرقين، ص٥٢٩-٥٣٠

[٢] دائرة المعارف الإسلامية، تعريب محمد ثابت الفندي وآخرين، (بيروت: دار المعرفة)، ج١٠، ص٢٨١-٢٨٢

[٣] موجز دائرة المعارف الإسلامية، (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨م)، ج١٧، ص٥٢٢١

[٤] دائرة المعارف الإسلامية، ج١٠، ص٢٨١

[٥] موجز دائرة المعارف، ج١٧، ص٥٢٢٢

أولا: القول بأن الإعراب الثاني وهو عطف "رهبانية" على "الرأفة والرحمة" تبين بما سبق أنه ليس هـــو تفسير القدماء، بل الأكثر على أنها منصوبة بفعل مضمر، وعلى فرض صحة هذه الدعوى فإنه لا يلـــزم منها أن تكون "من صنع الله" بمعنى أن الله شرعها وأحبها كما ذكرنا أيضا فيما سبق.

ثانيا: حديث: "لا رهبانية في الإسلام" ليس حديثا بهذا اللفظ لكن معناه صحيح كما تبين.

ثالثا: مضمون الرهبانية كما سبق لا يدل عليه شيء في شرعنا على الإجمال والتفصيل، وما يمكـــن أن نتفق معهم عليه هو مبدأ الانقطاع لله –تعالى– لكننا نختلف معهم اختلافا في تفاصيل وتطبيق هذا المبدأ وهو أن الحياة الدنيا في الإسلام هي مجال التسابق والفتنة والاختبار لا الفرار منها في الصوامع والأديرة.

المبحث الثاني: موقف الإسلام المفصل

نحاول هنا بيان موقف الإسلام المفصل من بعض المظاهر الأساسية للرهبانية النصرانية فمن ذلك:

المطلب الأول: مفهوم الكمال في الإسلام:

إن أصل دين الإسلام -وهو الدين الذي أرسل الله به جميع الرسل- هو توحيد العبادة لله -تعالى- وإخلاص الدين له. ولا يتحقّق ذلك إلا باتّباع ما أنزل الله على رسوله الخاتم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم. يقول الله تعالى:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (البينة: ٥)

فالآية تقرر أصل المطلوب من البشرية جمعاء وهي عبادة الله وحده "متحنِّفين عن الشرك إلى التوحيد" كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل: ٣٦)[١]

وأعظم تلك العبادات الصلاة التي تصل بين العبد وربه، والزكاة التي تحقق العدالة الاجتماعية. وذلك كله بعمومه وشموله هو دين القيّمة أي "الملة المعتدلة" أو "الأمة المستقيمة المعتدلة"[٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٣)
وهنا أيضا خطاب عام للجميع باتباع ما أُنزل إلى النبي الأمّيّ ﷺ من رب العالمين، وأن لا يخرجوا عما أُنزل إلى الرسول إلى غيره فيكونوا قد عدلوا عن حكم الله إلى غيره[٣].

وقال الله ﷻ : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف: ١١٠)
يقول ابن كثير -يرحمه الله-: "وهذان ركنا العمل المتقبّل، لا بد أن يكون خالصا لله، صوابا على شريعة رسول الله ﷺ"[٤].

---

[١] تفسير ابن كثير، ج٨، ص٣٨٣١
[٢] انظر المرجع السابق
[٣] انظر المرجع السابق، ج٣، ص١٤٠٦
[٤] المرجع السابق، ج٥، ص٢٢٠١

وهذا الأصل العام الكليّ من كان به أعلم وأعمل كان إلى الكمال أقرب. فالناس إزاءه متفاوتون تحقيقا وتطبيقا كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فاطر: ٣٢)

فالذين اصطفى الله من عباده هم مؤمنو هذه الأمة، وهم على ثلاث مراتب:

١ -**الظالم لنفسه:** من يقترف الآثام ويرتكب المعاصي.

٢ -**المقتصد:** "وهوغير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيها".

٣ -**السابق بالخيرات:** "وهو المبرز في طاعة الله الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما ألزمه من فرائضه، فسبقهم بصالحات الأعمال"[١].

وهذه المراتب على قدر إيمانهم وتقواهم إذ الإيمان يزيد وينقص، وزيادته كماله، يقول النبي ﷺ: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"[٢].

ويقول ﷺ: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. وخياركم خياركم لنسائهم"[٣].

يقول ابن القيم- يرحمه الله-: "فإن الإيمان علم وعمل، والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان: عمل القلب حبا وبغضا، ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلا وتركا، وهما العطاء والمنع. فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى كان صاحبها مستكمل الإيمان. وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه"[٤].

فالكمال إذاً هو كمال الإسلام والإيمان، وكمال الهدى والتقوى، وهي الولاية لله –تعالى- وما يدور حول هذا المعنى؛ وعلى هذا يمكن إجمال أوصاف أهل الكمال في أمور، منها:

١ -**محققون لمعنى التقوى** التي خلاصتها "أداء الفرائض واجتناب النواهي"، يقول الله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس: ٦٢-٦٣)

فأخص أوصاف أولياء الله وهم أهل الكمال "الإيمان والتقوى"[٥].

---

[١] تفسير الطبري، ج١٩، ص٣٧٤-٣٧٦

[٢] أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة ﷺ، كتاب السنة (٣٤)، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (١٦)، رقم:٤٦٨١ ؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: ٣٨٠، ج١، ص٧٢٨

[٣] أخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الرضاع (١٠)، باب حق المرأة على زوجها (١١)، رقم: ١١٦٢؛ وأبو داود في سننه، كتاب السنة (٣٤)، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (١٦)، رقم: ٤٦٨٢ من غير الجملة الأخيرة. وقال الترمذي عقبه: "حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح".

[٤] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد سيد كيلاني، (القاهر: مكتبة دار التراث)، ج٢، ص١١٩-١٢٠

[٥] انظر تفسير الطبري، ج١٢، ص٢١٣-٢١٣

٢ -الإسراع إلى التوبة

فأهل الكمال ليسوا ملائكة مطهَّرين، فإن من حكمة الله تعالى أنه خلق بني آدم مركوب فيهم النقص وغير معصومين من الخطأ، ولذا يقول النبي ﷺ: "كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون"[١].

فالكمال في حقهم الإقرار بخطئهم وسرعة عودتهم إلى ربهم الذي وعد التائبين بقبول توبتهم ومغفرة ذنوبهم. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠١)

يقول الإمام الطبري:

" إذا ألَمَّ بهم لَمَمٌ من الشيطان، من غضب أو غيره مما يصدّ عن واجب حق الله عليهم، تذكروا عقاب الله وثوابه، ووعده ووعيده، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم، وتركوا ما فيه طاعة الشيطان"[٢].

٣ -المداومة على ذكر الله

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤١)، وقال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٥)

يقول ابن القيم -يرحمه الله-: "ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما. وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء. فإذا تُرِك الذكر صَدِئ؛ فإذا ذُكِر جلاه. وصدأُ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصداؤه بحسب غفلته..."[٣]

يبقى القول أن هذا الكمال لا يتناقض مع الأخذ بنصيب من الحياة الدنيا والاستمتاع بالحلال منها. بل يعتبر المستمتع بما أحل الله في حدود شرع الله شاكرا لأنعم الله من أكمل عباد الله كما كان الأنبياء والصالحون. وفي مقابل ذلك يعتبر تحريم الطيبات من الرزق قدح في الكمال. يقول الله تعالى:

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك ﷺ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٣٨)، باب (٤٩)، رقم: ٢٤٩٩؛ وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد (٣٧)، باب ذكر التوبة (٣٠)، رقم: ٤٢٥١، واللفظ له؛ قوّى إسناده ابن حجر في بلوغ المرام من أدلة الأحكام، كتاب الجامع، باب الزهد والورع، رقم: ١٥٠٦؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود وغيره، رقم: ٢٤٩٩

[٢] تفسير الطبري، ج١٠، ص٦٤٦-٦٤٧

[٣] الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع)، ص٩٢

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٣٢ – ٣٣)

ويقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (المائدة: ٨٧)

فالآية الأولى وإن كان نزولها في المشركين الذين حرّموا اللباس في الطواف وغيره بآرائهم، فإن عموم اللفظ على أن الطيّبات من الرزق للذين آمنوا في الحياة الدنيا. ولما كان الكفار والمشركون يشاركونهم في الدنيا أخبر الله أنها خالصة للمؤمنين في الآخرة لأن الله حرّم الجنة على الكافرين[١].

وأخرج الطبري عن قتادة في قوله: ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ قال: "نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ، أرادوا أن يتخلوا عن اللباس ويتركوا النساء ويتزهدوا منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون"[٢].

ثم إن الأنبياء والمرسلين وهم أهل الكمال وقدوة الكاملين كان منهم الأغنياء والأثرياء، والملوك؛ فهذا سليمان عليه السلام الذي أوتي من كل شيء في هذه الحياة الدنيا ووصف ملكه بالملك العظيم فلم يمنعه ذلك من شكر الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النمل: ١٨ – ١٩)

و لم يمنعه ذلك من أن يكون من خير العباد بل من الأوابين أي كثير الرجوع إلى الله تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (ص: ٣٠).

وقد يعترض معترض فيستدل بالنصوص الوفيرة التي تذمّ الدنيا مثل قوله:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحديد: ٢٠)

---

[١] تفسير ابن كثير، ج٣، ص١٤٢٤

[٢] تفسير الطبري، ج٨، ص٦٠٨

وقول النبي ﷺ : "ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أومتعلم"[١].

وهذه النصوص وغيرها نفهمها على حقيقتها من وجه، ثم بضمّ النصوص الأخرى فتخرج النتيجة واضحة جلية.

فأما الأمر الأول فإن الدنيا لا تعدل شيئا عند الله –تعالى– فقد مرّ النبي ﷺ بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذه بأُذُنِه، ثم قال: " أيكم يحبّ أن هذا له بِدِرْهَم؟ " فقالوا: "ما نحب أنه لنا بشيء. وما نصنع به؟" قال: "أتحبون أنه لكم؟ " قالوا: "والله لو كان حيا، كان عيبا فيه، لأنه أسكّ. فكيف وهو ميت؟" فقال: "فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم"[٢].

وبضم النصوص الأخرى كقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص: ٧٧)

والتي ذكرنا من قبل من أن زينة الحياة الدنيا للمؤمنين وغيرهما كثير.

فالنتيجة أن الدنيا تستحق أن يُزهد فيها وأن يؤخذ منها قدر الحاجة فإن أقبلت أخذت من غير تعلق القلب بها، وإن أدبرت لم يلتفت إليها[٣].

هذا هو منهج الأنبياء ومن تبعهم بإحسان، ذلك أن تمام الابتلاء في وجود المال والتصرف فيه على ضوء الشريعة بإعطاء الحقوق لأهلها، والزهد فيه بالقدرة عليه خير من الزهد فيه لعدم القدرة عليه، فكم من زاهد وراهب لو أوتي الدنيا لانقضّ عليها ولهلك.

وختاما فالمتتبع لأحكام الشريعة يتبين له بجلاء أنها جاءت مراعية الفطرة البشرية، محققة العدل والميزان في جميع الأحكام، هادية للتي هي أقوم. يقول الإمام الشاطبي –يرحمه الله–:

" الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطّرَفَيْن بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال...فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنّة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين؛ كان التشريع رادّاً إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الزهد (٣٧)، باب (١٤)، رقم:٢٣٢٢، وقال عقبه: "حسن غريب"؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٣٢٢.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد (٥٣)، رقم: ٢٩٥٧

[٣] انظر للمزيد البحث القيم لشيخنا الدكتور لطف الله خوجة بعنوان: الدنيا مقابل الآخرة، منشور في موقع الإسلام اليوم وغيره بتاريخ ١٤٣٠/١/١٦:

(http://islamtoday.net/bohooth/artshow-١٠٦٧٠٨-٨٦.htm)

الآخَر ليحصل الاعتدال فيه، فِعْلَ الطبيب الرفيق أن يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته، وقوة مرضه وضعفه؛ حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقا في التدبير وسطا لائقا به في جميع أحواله"[١].

ثمّ ضرب أمثلة على هذه القاعدة العظيمة، فذكر منها:

"بل لما آمن الناس وظهر من بعضهم ما يقتضي الرغبة في الدنيا رغبة ربما أمالته عن الاعتدال في طلبها أو نظرا إلى هذا المعنى؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "إن مما أخاف عليكم ما يُفتح لكم من زهرات الدنيا"[٢]. ولما لم يظهر ذلك ولا مظنته؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأعراف: ٣٢)

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٥١)"[٣]

وأخيرا، فهذه شهادة من غيرنا لكنها تنبئ عن علم ودراية، يقول النصراني الإنجلكاني المعروف بإسحاق تايلر[٤]:

"استبدل الإسلام الرهبانية بالرجولة والشجاعة؛ يعطي الأمل إلى العبد، يجلب الأخوة إلى الإنسانية ويقرّ بالمظاهر الأساسية للطبيعة البشرية"[٥].

والله نسأل أن يفقهنا في الدين وأن يرزقنا خاتمة حسنة على هذا الدين.

---

[١] الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، (الخبر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٧م)، ج٢، ص٢٧٩

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: " **إن مما أخاف عليكم بعدي، ما يُفْتَح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**"، كتاب الزكاة (١٢)، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (٤٠)، رقم:١٠٥٢

[٣] الموافقات، ج٢، ص٢٨١

[٤] *Isaac Taylor* (١٨٢٩-١٩٠١م): لغوي ومتخصص في الآثار، وكان قسا إنجليكانيا تابعا لكنيسة يورك في إنجلترا منذ ١٨٨٥م. له كتابات في تخصصه لكنه اشتهر بخطبه التي أشاد بالحضارة الإسلامية، منها أمام كنغرس مدينة **ولفرهامبتون** *Wolverhampton* وسط غرب إنجلترا في ١٨٨٧م. الموسوعة الحرة وكيبيديا:
(http://en.wikipedia.org/wiki/Isaac_Taylor_(canon))

[٥] *The Preaching of Islam*: T.W. Arnond, (Westminster: Archibald Constable & co. ١٨٩٦), p. ٦٢

المطلب الثاني: موقف الإسلام من البتولية:

نهى الإسلام عن التبتل نهيا صريحا كما في قصة عثمان بن مظعون التي جاء في رواياتها في غير الصحيحين النهي عن الرهبانية. وأما في الصحيحين فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: "ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التّبتّل، ولو أذن له لاختصينا"[١].

وفي التبتل من المفاسد الشيء الكثير منها أنه:

١ -سدٌّ لباب الذرية الصالحة وقطع التناسل وانقراض جنس الآدميين.

٢ -فتحٌ لباب الزنا والفساد والوقوع في الآثام كما هو الواقع عند بعض رجال الدين النصارى من القساوسة والرهبان ومن سلك مسلكهم.

ولذلك حث الإسلام على الزواج وحضّ عليه بأساليب كثيرة منها:

١ -حث الشباب على الزواج:

قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء"[٢].

٢ -الزواج سنة المرسلين:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الرعد: ٣٨) وروي عن رسول الله ﷺ: " أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطُّر، والسواك، والنكاح"[٣].

وما فيه من المصالح الشيء الكثير فمن ذلك:

-إنشاء ذرية صالحة.

-تكثير الأمّة.

-عفاف الزوجين.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح (١٧)، باب ما يكره من التبتل والخصاء (٨)، رقم: ٥٠٧٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح (١٦)، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤَنَه (١)، رقم: ١٤٠٢

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح (١٧)، باب قول النبي ﷺ:"من استطاع منكم الباءة فليتزوح.."(٢)، رقم: ٥٠٦٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح (١٦)، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤَنَه (١)، رقم: ١٤٠٠

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح (٩)، باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه (١)، رقم: ١٠٨٠؛ وقال الترمذي عقبه: "حديث حسن غريب"، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، رقم: ١٠٨٠

ومن الطرائف ما ذكره ابن الجوزي في ضرورة النكاح وفوائده فقال: "وقد أنفق موسى عليه السلام من عمره الشريف عشر سنين في مهر ابنة شعيب"[١].

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الفقر:

الفقر والفقراء في نصوص القرآن والسنة يطلق على معنيين[٢]:

الأول: قلة المال كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

وقوله ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧١)

الثاني: حاجة المخلوق إلى خالقه كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ (فاطر: ١٥)

فأما المعنى الأول فليس فيه مدح ولا ذم بل هو ابتلاء من الله تعالى كما في قوله عز وجل: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الفجر: ١٦). إنما يكون المدح إذا صبر الإنسان على هذا الابتلاء، ولذا مدح الله المهاجرين الفقراء لكونهم يستغنون عن سؤال الناس كما في قوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧٣)

وعلى هذا فإن الفقر بهذا المعنى ليس مقصودا كما أنها ليست منزلة من منازل العبودية كما تزعم الصوفية. وأما الزهد عن الدنيا فالغني الذي قلل من الدنيا قصدا وقدرة خير من الفقير الذي زهد في الدنيا ضرورة لا اختيارا.

---

[١] صيد الخاطر، (المدينة النورة: المكتبة السلفية)، ص١٤. واختلف المفسرون في الذي صاهر موسى عليه السلام هل هو النبي شعيب عليه السلام أم غيره، والراجح أنه لا يمكن الجزم بذلك لأمور منها عدم إمكانية إدراك ذلك إلا بنص وخبر، ولا خبر تجب حجته؛ ومنها أن الله أهلك قوم شعيب إلا من آمن منهم، ولم يكن المؤمنون ليمنعوا بنتَيْ شعيب عليه السلام من السقي ليأتي رجل غريب فيسقي لهما؛ وهناك أمور أخرى. انظر تفسير الطبري، ج١٨، ص٢٢٣-٢٢٤؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن: عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٢م)، ص٦١٥

[٢] موقف الإمام ابن تيمية من التصوف: أحمد بناني، (مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦-٢٠٠٥م)، ص١١٣-١١٥

وأما المعنى الثاني وهو الافتقار إلى الله وحاجة المخلوق إلى خالقه فهو على ضرْبين، يقول ابن القيم –يرحمه الله-:

"إذا عرف هذا فالفقر فقران: فقر اضطرارى، وهو فقر عام لا خروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً. والفقر الثانى: فقر اختيارى هو نتيجة علمين شريفين: أحدهما معرفة العبد بربه، والثانى معرفته بنفسه. فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته"[1].

ويقول أيضا:

"تأمَّل قوله تعالى ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ذكر اسم الله دون اسم الربوبية ليؤذن بنوعَيْ الفقر: الفقر إلى ربوبيته، وهو فقر المخلوقات بأسرها؛ والفقر إلى ألوهيته، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده الصالحين. وهذا هو الفقر النافع"[2].

فالأول إذا ما كان اضطرارا لا اختيارا كما هو حال جميع المخلوقات، فالجميع تحت حكم الله وملكه وقهره لا خروج لهم عن ذلك رضوا أم لم يرضوا، وهي العبودية المطلقة العامة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر: ١٥)

وكون هذا الضرب من الافتقار لا مدح فيه لأنه ليس عن إرادة واكتساب بل هو اضطراري كوني من مقتضى كمال الله تعالى في خلقه وملكه وتدبيره. يقول الإمام السعدي –يرحمه الله– في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر: ١٥):

" يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى اللّه من جميع الوجوه:
فقراء في إيجادهم؛ فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا، فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم [بها]، لما استعدوا لأي عمل كان، فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنعم شيء، فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد؛ فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد؛ فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير. فقراء إليهفي تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم. فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا. فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى،

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق وهبة الزحيلي، (بيروت–دمشق: دار الخير، الطبعة الثانية ١٤١٩–١٩٩٨م)، ص٢٢

[2] المرجع السابق، ص٢٤

وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها"[١].

وأما الثاني، فما كان اختيارا واستشعارا، فهذه حقيقة العبودية ولبّها، وكلما كان العبد إلى هذا الافتقار أقرب كان بحقيقة العبودية أعرف، وكان بذلك غنيا بالله تعالى. يقول ابن القيم –يرحمه الله–: "فأَكمل الخلق أكملهم عبودية وأَعظمهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجته إِلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه ﷺ: "أَصلح لى شأْنى كلّه، ولا تكلنى إِلى نفسى طرفة عين ولا إِلى أَحد من خلقك"، وكان يدعو: "يا مقلّب القُلُوبِ ثَبِّتْ قلبى عَلَى دينك". يعلم ﷺ أَن قلبه بيد الرحمن ﷻ لا يملك منه شيئاً، وأَن الله سبحانه يصرفه كما يشاءُ كيف وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٤)"[٢].

فهذا كليم الله موسى عليه السلام يدعو ربه بلسان الحال معترفا بفقره إلى ربه فيقول بعدما وفقه الله إلى سقي المرأتين: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص: ٢٤)

وقد وصف الله أصفياءه من أنبيائه ورسله بالعبودية في مواضع من كتابه منها:

- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ ﴾ (الكهف: ١)
- ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ (النساء: ١٧٢)

وما أجمع في هذَيْن المعنَيَيْن، أي الفقر الاضطراري والاختياري، في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

" يا عبادي! إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا. يا عبادي! كلّكم ضالّ إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلّكم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلّكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا؛ فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضُرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، ص٦٨٧

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٢٣

نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي! لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي! لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندي إلا كما ينقص المِخْيط إذا أُدخل البحر. يا عبادي! إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه"[١].

فالمدح في طلب الله نعمه الدينية والدنيوية لأنه هو المنعم جلّ في علاه، وليس في ترك المال والعيش تحت رحمة الآخرين أعطوك أو منعوك.

المطلب الرابع: مفهوم الطاعة في الإسلام:

يمكن تقسيم الطاعة في الإسلام إلى نوعين:

الأول: الطاعة المطلقة:

وهذه لا تكون إلا لله ورسوله كما في غيرما آية، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٣٢)

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأنفال: ٢٠)

الثاني: الطاعة المقيدة

وهي الطاعة التابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ، فهي مأمور بها في حدود طاعة الله ورسوله، وهي الطاعة بالمعروف كما في مواضع:

-طاعة الوالدين: وهي من الإحسان إليهما لكن إذا أمرا بمعصية أو كفر فلا طاعة لهما مع بقاء وجوب الإحسان إليهما كما في قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (العنكبوت: ٨)

وقوله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (لقمان: ١٥)

[١] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذرّ ﷺ، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥)، باب تحريم الظلم (١٥)، رقم: ٢٥٧٧

-طاعة العلماء والأمراء: ويندرج تحتها طاعة من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئا من أمراء السرايا وغيرهم. وهي أيضا طاعة بالمعروف، يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء: ٥٩)

ويلحظ عدم تكرار الأمر بالطاعة لولاة الأمر في الآية لكونها تابعة لطاعة الله ورسوله وليست استقلالا. وفي الصحيحين عن علي ﷺ قال: "بعث رسول الله ﷺ سرية، وأمّر عليهم رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: " أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟" قالوا: "بلى". قال: "قد عزمت عليكم لما جمعتم حَطَباً وأوقدتم نارا، ثم دخلتم فيها". فجمعوا حطبا، فأوقدوا، فلمّا همّوا بالدخول، قام ينظر بعضهم بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: "إنما تبعنا النبي ﷺ فرارا من النار، أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذُكِر للنبي ﷺ فقال: "لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا، إنما الطاعة في المعروف"[١]. والأحاديث في هذا المعنى كثير.

- طاعة المرأة زوجها: يقول النبي ﷺ: " إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: "اُدْخلي الجنّة من أي أبواب الجنة شئت"[٢]

والطاعة العمياء المطلقة في الرهبانية النصرانية وهي طاعة رؤساء الأديرة والأساقفة والبابا مما ذمه القرآن أيما ذمّ؛ إذ تعتبر هذه الطاعة مما يُفسد الإخلاص لله تعالى بالتوحيد. ولذا فإن طاعتهم كانت في ميزان الإسلام بمنزلة اتخاذ رؤسائهم أربابا من دون الله لأنهم أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، يقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة: ٣١)

وسمع عدي بن حاتم الطائي ﷺ -وكان نصرانيا قبل إسلامه- النبي ﷺ يقرأ في سورة براءة : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فقال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنّهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه"[٣].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الأحكام (٩٣)، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٤)، رقم: ٧١٤٥؛ ومسلم، كتاب الإمارة (٣٣)، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٨)، رقم: ١٨٤٠

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الرحمن بن عوف ﷺ، رقم: ١٦٦١. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم: ١٩٣٢

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) ، باب ومن سورة التوبة (١٠)، رقم: ٣٠٩٥. حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٩٥

المطلب الخامس: موقف الإسلام من العزلة:

يتفق العقلاء على أن "الإنسان مدني بالطبع"، وللناس مصالح في دنياهم يتعاونون عليها لا تتم إلاّ بالتعاون على جلب المنافع ودفع المضرات. يقول ابن خلدون في مقدمته:

" الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: "الإنسان مدني بالطبع"، أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران. وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله. إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه... "[1].

ودلائل القرآن والسنة تؤكدان هذه الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها، وفي هذا نصوص كثيرة وفيرة منها:

-قول الله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الزخرف: ٣٢)

فعن قتادة يقول: "لِيَسْتَسْخِرِ هَذَا هَذَا فِي خِدْمَته إِيَّاهُ ، وَفِي عَوْد هَذَا عَلَى هَذَا بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ فَضْل ، يَقُول : جَعَلَ -تَعَالَى ذِكْره- بَعْضًا لِبَعْضٍ سَبَبًا فِي الْمَعَاش فِي الدُّنْيَا"[2].

وقال السُّدِّيّ وَابْن زَيْد : " يُسَخِّر الْأَغْنِيَاء الْفُقَرَاء فَيَكُون بِهِ بَعْضهمْ سَبَبًا لِمَعَاشِ بَعْض"[3]

فمن حكمة الله –تعالى– أن الناس ليسوا سواء في الرزق، فهم في حاجة بعضهم لبعض، ولا تستقيم الحياة إلا بهذا التفاوت وهذا الاختلاف، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمخالطة والمشي في الأسواق وأماكن اجتماعات الناس. ولو اعتزل الجميع ونفر الكل بعضهم من بعض لاضطرب نظام الحياة ولم يحقق أحد حاجته. وإن أي مجتمع لا تعاون ولا تماسك بين أفراده مصيره الهلاك والفناء.

هذا في أمور الدنيا فكيف بأمور الدين التي هي أولى وأعظم، والناس إليها أحوج من الماء والهواء. ولو اختلى الأنبياء والمرسلون، والعلماء والوعاظ، والناصحون والمرشدون لما حصل "البيان والتبيين" الذي في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل: ٤) ؛ و"البلاغ" ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النحل: ٣٥)؛

---

[1] مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢١-٢٠٠١م)، ص ٥٤

[2] تفسير الطبري، ج٢٠، ص٥٨٥

[3] تفسير القرطبي، ج١٦، ص٥٦

و"التعليم" ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٩)؛ و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"؛ و"هداية الناس"[١]...

-وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٠)

يقول الإمام الطبري: " وَامْتَحَنَّا أَيُّهَا النَّاس بَعْضكُمْ بِبَعْضٍ، جَعَلْنَا هَذَا نَبِيًّا وَخَصَّصْنَاهُ بِالرِّسَالَةِ، وَهَذَا مَلِكًا وَخَصَّصْنَاهُ بِالدُّنْيَا، وَهَذَا فَقِيرًا وَحَرَمْنَاهُ الدُّنْيَا ؛ لِنَخْتَبِر الْفَقِير بِصَبْرِهِ عَلَى مَا حُرِمَ مِمَّا أُعْطِيه الْغَنِيّ، وَالْمَلِك بِصَبْرِهِ عَلَى مَا أُعْطِيه الرَّسُول مِنَ الْكَرَاهَة، وَكَيْف رَضِيَ كُلّ إِنْسَان مِنْهُمْ بِمَا أُعْطِيَ وَقُسِمَ لَهُ ، وَطَاعَته رَبّه مَعَ مَا حُرِمَ مِمَّا أُعْطِيَ غَيْره... وَقَوْله : ﴿وَكَانَ رَبّك بَصِيرًا﴾ يَقُول: وَرَبّك يَا مُحَمَّد بَصِير بِمَنْ يَجْزَع وَمَنْ يَصْبِر عَلَى مَا امْتُحِنَ بِهِ مِنَ الْمِحَن"[٢].

فالأنبياء والمرسلون يأكلون كما يأكل الناس ويمشون في الأسواق، وهذا يعني أنهم يبتاعون ويخالطون الناس بما فيهم العاقل والسفيه، والعالم والجاهل، والشريف والوضيع، ولو أن الناس اعتزلوا جميعا لما تحقق هذا الابتلاء وهي غاية وحكمة من الله تعالى ليعلم الله من يصبر ومن يجزع.

وأما من السنة فما أدلّ من قوله ﷺ: " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم قال حجاج خير من الذي لا يخالطهم"[٣].

وفي رواية: "خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"[٤].

وهذا الحديث وما سبق بيانٌ على أن الأصل هو المخالطة والمجالسة والاجتماع، فاختلاط الناس وتلاقيهم في المجالس والمجامع والمساجد والطرقات هو الأصل، ويحصل بذلك من المنافع والفوائد الشرعية والدنيوية ما لا يخفى على العقلاء والعلماء، ومن ذلك بذل السلام وإحسان الكلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدلالة على الخير، والتناصح، وإصلاح ذات البين، وإزالة الأذى عن الطريق...

ولما كان ذلك يحتاج إلى صبر لِمَا في الناس من طبائع مختلفة وعادات متباينة إذ يكون في الناس الرفيع والوضيع، والعالم والجاهل، والهادئ والصاخب، والحليم والغضوب، والعاقل والأحمق، والمتواضع

---

[١] هداية بيان وإرشاد لا هداية توفيق التي بيد الله تعالى.

[٢] تفسير الطبري، ج١٧، ص٤٢٤

[٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر ﷺ، رقم: ٥٠٢٢ ؛ وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح"، ج٤، ص٤٨٦

[٤] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٣٨)، باب (٥٥)، رقم:٢٥٠٧؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٥٠٧

والمكابر، رُتّب على الصبر في المخالطة من الأجر ما الله به عليم فقال ﷺ "أعظم أجرا" أو "خير"، ولذا يروى عن الجنيد أنه قال: " مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة"[١].

لكن هذا الأصل لا يعني مطلق الخلطة من غير ضوابط جامعة كما أنه لا ينفي مطلق العزلة من غير ضوابط. فأما ضابط الخلطة فيقول عنها ابن القيم -يرحمه الله-:

" والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات، فإذا دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم فالحذر الحذر أن يوافقهم. وليصبر على أذاهم، فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر. ولكن أذىً يعقبه عز ومحبة له وتعظيم، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين. وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له ومقت وذم منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين. فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلا، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات. فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستغن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه. فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فليسُلّ قلبه من بينهم كسلّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، نائما يقظانا. ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية. وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه. فبين العبد وبينه أن يصدق الله -تبارك وتعالى- ويديم اللجأ إليه، ويلقي نفسه على بابه طريحا ذليلا، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان... ولا ينال هذا إلا بعدة صالحة ومادة قوة من الله ﷻ وعزيمة صادقة وفراغ من التعلق بغير الله تعالى والله تعالى أعلم"[٢].

فخلاصة القول أن الخلطة لا بد لها من ضابط الشرع وهو:

-الخلطة في الطاعات الواجبة والمستحبة.

-وفي حالة لزوم الخلطة مع وجود المعصية فبمراعاة أمور:

١ -عدم الموافقة ظاهرا وباطنا،

٢ -الصبر على الأذى.

---

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر، عناية حسان عبد المنان، (الرياض: بيت الأفكار الدولية)، ج٤، ص٤٥٩٨

[٢] مدارج السالكين: ابن القيم الجوزية، تحقيق رضوان جامع رضوان، (القاهرة: مؤسسة المختار، ط١ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج١، ص٣٧٢

–الخلطة في فضول المباحات بمراعاة أمور:

١ –محاولة التأثير لجعل تلك المجالس طاعة،

٢ –فإن لم يستطع فليكن فيهم حاضرا غائبا، أعمى بصيرا كما قال وهيب بن الورد: "قلت لوهب بن منبه : إني أريد أن أعتزل الناس، فقال لي: لا بد لك من الناس وللناس منك؛ لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعا أعمى بصيرا سَكوتا نَطوقا"[١]

وأما العزلة النسبية في وقت دون وقت، أو التقليل من فضول المخالطة عموما فأمر حسن مشروع بل مرغب فيه، ومن ذلك الاعتكاف في المسجد الذي واظب عليه الرسول ﷺ وأصحابه من بعده، تروي عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده[٢].

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ : " خذوا بحظكم من العزلة "[٣]. وقال مسروق–يرحمه الله–: "إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه، فيستغفر منها"[٤].

يقول الإمام ابن رجب – يرحمه الله –: "فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصاً في شهر رمضان، خصوصاً في العشر الأواخر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله. فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذِكْره، وقطع عن نفسه كلّ شاغل يَشْغَلُه عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربّه وما يقرِّبه منه، فما بقي له همٌّ سوى الله وما يرضيه عنه..."[٥]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكّره، ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره؛ فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه؛ إما في بيته كما قال أبو الدرداء: "نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره ولسانه"، وإما في غير بيته. فاختيار

---

[١] العزلة: الخطابي، تحقيق ياسين محمد السواس، (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، ط٢ ١٤١٠هـ–١٩٩٠م)، ص٢٣٧–٢٣٨

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب الاعتكاف (٣٣)، باب الاعتكاف في العشر الأواخر...(١)، رقم: ٢٠٢٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الاعتكاف (١٤)، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان (١)، رقم:١١٧١

[٣] أخرجه وكيع في كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، باب من كان يحب الخلوة (٣٦)، رقم: (٢٥٣)، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، الطبعة الأولى ١٤٠٤–١٩٨٤م)، ج٢، ص٥١٧؛ وابن سعد في الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الصادر، الطبعة الأولى ١٩٦٨م)، ج٤، ص١٦١؛ وغيرهما. قال محقق كتاب الزهد: "رجاله ثقات وإسناده منقطع بين حفص وعمر بن لخطاب".

[٤] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، رقم:١٦٧٢٠، تحقيق مختار أحمد الندوي، (بومباي: الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣– ١٩٨٣م)، ج١٣،ص٤٠٣؛ وغيره.

[٥] لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تحقيق ياسين محمد السّواس، (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الخامسة ١٤٢٠–١٩٩٩م)، ص٣٤٨

المخالطة مطلقا خطأ، واختيار الانفراد مطلقا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح في كل حال؛ فهذا يحتاج إلى نظر كما تقدم"[١].

ويبقى الآن بيان حكم الشرع في العزلة أو الخلوة كما يراها الرهبان أي العزلة المطلقة أو الجزئية كما هو حال من اعتزل في الأديرة، ولن أبسط الحديث عن أحكام العزلة مطلقا وإلا لطال المقام، ثم لأنها قد عنيت بالبحث بتوسع وتحقيق[٢].

أولا: حكم العزلة المطلقة:

بالنظر إلى نصوص القرآن والسنة يتبين أن العزلة المطلقة لم تشرع إلا في حالات مقيدة غاية التقييد، و لم أخرج إلا بشاهدين اثنين هما:

الأول: قصة أصحاب الكهف:

حكى الله –تعالى– في سورة الكهف خبر فتية اعتزلوا قومهم في كهف بسبب دينهم فألقى الله عليهم النوم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا وكان من خبرهم ما هو معلوم. والشاهد من القصة عزلتهم المطلقة عن المجتمع التي قال الله ﷻ فيها: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ (الكهف: ١٦)

ذكر الطبري اختلاف أهل التفسير في شأنهم على قولين:

١ أنهم فرّوا من دقيانوس أحد الملوك الطغاة الذي ألزم أتباع عيسى ابن مريم بعبادة الأوثان والذبح لها ففروا إلى الكهف اتقاء شرّه. ولما طلبهم الملك وعلم مكانهم فأمر بسد الكهف عليهم انتقاما منهم. وهي رواية عن ابن عباس وغيره عند الطبري وغيره[٣]

٢ أنهم فروا بسبب دعوى جناية على صاحب لهم أنه جناها فآواهم المبيت في الكهف فضرب على آذانهم، فطلبهم الملك فوجدوهم في الكهف نائمين فأمر ببناء باب على الكهف انتقاماً[٤].

وهنا إشكالان:

الأول: كلا الروايتين تشكل من جهة أن أحبار اليهود هم الذين اختلقوا هذه الأسئلة لقريش حتى تسأل

---

[١] مجموعة الفتاوى، ج١٠، ص٢٤٤

[٢] انظر للبحوث المعاصرة: العزلة بين السنة والبدعة–عرض ونقد في ضوء مذهب أهل السنة: مائدة بنت أديب حسين العباسي، رسالة ماجستير تخصص عقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م. مكتبة الملك عبد الله الجامعية، قسم الرسائل العلمية، رقم: ٥٤٣٦؛ العزلة والخلطة: أحكام وأحوال: سلمان بن فهد العودة، سلسلة رسائل الغرباء (٤)، (الدمام: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ) ؛ والمتقدِّمة: العزلة والانفراد: ابن أبي الدنيا، تحقيق مشهور حسن سلمان، (الرياض: دار الوطن، ط١ ١٤١٧هـ–١٩٩٧م)؛ العزلة: الخطابي، تحقيق ياسين محمد السواس، (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، ط٢ ١٤١٠هـ–١٩٩٠م)

[٣] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، تحقيق عبد الله التركي، ج١٥، ص١٦٥–١٧٢

[٤] المرجع السابق، ص١٧٤–١٧٦

النبي ﷺ امتحانا كما جاء في سبب النزول، وما دام أن الخبر عند اليهود فدل أنه في كتبهم، وهم متباينون مع النصارى، فيكون ذلك قبل عهد المسيح عليه السلام. وقد ذهب إلى هذا ابن كثير في التفسير وهو وجيه.[1] ولو كان كما ذكروا أي على دين عيسى عليه السلام، و أن الملك الذي كان يضطهدهم هو دقيانوس أو دوقيوس. فهذا يتفق مع ما ذكره المؤرخون إذ يعتبر عهده من أشدّ عهود الاضطهاد وقد حكم بين ٢٨٤-٣٠٥م[2]. ويتفق هذا وقتئذ يتفق مع نشأة الرهبانية كما سبق في الفصل الأول.

الثاني: ما جاء في الروايتين أن الملك هو الذي أمر بإغلاق الباب وسدها مع العلم أن الله تعالى أخبر أن الشمس كانت تدخل عليهم بالعشي والإبكار كما قال ﷻ: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾ (الكهف: ١٧)[3] .

وعلى كل حال فإن الشاهد من القصة أن العزلة التي قاموا بها كانت فرارا بدينهم وعقيدتهم، و لم يكن أمامهم إلا ثلاث خيارات:

الأولى: أن يتركوا دينهم فيكفروا بعد إيمانهم، وهذه ردة إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.

الثانية: أنهم يصبرون فيقتلون ويصيروا شهداء.

الثالثة: أن يفروا بدينهم وأبدانهم فيحفظوا الدين والنفس.

وقد وقع الاختيار بتوفيق الله –تعالى- على أحسن الحالات الممكنة. وقد شاء الله أن يكونوا آية على البعث، وخلّد ذكرهم في الكتاب، ويقرأ قصتهم المؤمنون كل جمعة. والحمد لله رب العالمين.

يقول الخطابي –يرحمه الله-:

"وكانوا قوما كَرِهوا المقام بين ظهرانيّ أهل الباطل؛ ففرّوا من فتنة الكفر وعبادة الأوثان، فصرف الله –تعالى- عنهم شرّهم، ودفع عنهم بأسهم، ورفع في الصالحين ذكرَهم"[4].

الثاني: العزلة في الفتن :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ:

"يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن"[1]،

---

[1] تفسير القرآن العظيم، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون، (جيزة: مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ج٩، ص١٠٩

[2] تاريخ الكنيسة: يوسابيوس، ص٣٥٣ (الكتاب الثامن، الفصل الثاني، ٤-٥) ولعل ابن عاشور وهم في تفسيره إذ ذكر أنه كان ملكا في حدود ٢٣٧م وملِك سنة واحدة. انظر تفسير التحرير والتنوير، ج١٥، ص٢٦١-٢٦٢

[3] المرجع السابق، ج٩، ص١١٢-١١٣

[4] العزلة، ص٦٢

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان (٢)، باب من الدين الفرار من الفتن (١٢)، رقم: ١٩ ؛ وكتاب الفتن (٩٢)، باب التعرّب في الفتنة (١٤)، رقم: ٧٠٨٨

وفي رواية عنه: "يأتي على الناس زمان..."[١]

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني؛ فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: "نعم". فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: "نعم، وفيه دخنٌ". قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يستنون بغير سنتي، ويَهْدُون بِغير هَدْيِي، تعرف منهم وتنكر". فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها". فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: "نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". فقلت: "فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك""[٢].وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أنه إذا وقعت الفتن وفسد الزمان يستحب ويندب العزلة. وقد فسرت الفتنة بمعانٍ كثيرة منها: العذاب، والشرك، والكفر، والإثم، والبلاء، والمحنة، والقتل، والهلاك، والصدّ عن الصراط المستقيم، والحيرة، والضلال وغيرها[٣].

ذهب جمع من أئمة التحقيق إلى هذا الرأي فمنهم:

-الإمام الخطابي الشافعي -يرحمه الله- حيث يقول: "والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأولياء، وسيرة الحكماء الألبّاء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذرا، لا سيما في هذا الزمان القليل خيره، البكيء[٤] درّه وبالله نستعيذ من شرّه ورَيْبِه"[٥].

- الإمام الشاطبي المالكي —يرحمه الله- حيث يقول عن العزلة المشروعة في آخر الزمان: "وحاصله أن ذلك مشروع، بل هو الأولى عند عروض العوارض، وعندما يصير النكاح ومخالطة الناس وبالاً على الإنسان، ومؤدياً إلى اكتساب الحرام والدخول فيما لا يجوز، كما جاء في الصحيح..."[٦] وذكر حديث أبو سعيد الخدري ﷺ المذكور آنفا.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق (٨١)، باب العزلة راحة من خلاّط السوء (٣٤)، رقم: ٦٤٩٥

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب (٦١)، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥)، رقم: ٣٦٠٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (٣٣)، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٣)، رقم: ١٨٤٧

[٣] فتح الباري، ج٤، ص٥٠٩٠؛ وانظر أيضًا النهاية: ابن الأثير، ص٦٩١

[٤] هي الناقة إذا قلّ لبنها. نقلا عن محقق العزلة.

[٥] العزلة، ص٦٣

[٦] الاعتصام، تحقيق مشهور حسن سلمان، (مكتبة التوحيد ص٢١٥-٢١٦

وحكم هذه العزلة ليس حكما عاما يشمل الناس جميعا كما أنها لا يلزم أن تكون مطلقة، وجماع الأمر يرجع إلى اعتبار أمرين[1]:

١ -**العلم بالواقع:** لأن الحكم الشرعي مبني على معرفة الواقع.

٢ -**المصلحة:** لأنه ليس في كل فتنة تصلح العزلة وليس كل شخص يصلح أن يعتزل لما يترتب على ذلك من مفسدة؛ نقل ابن حجر -يرحمه الله- في هذا قول بعض أهل العلم: "يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح، وليس الكلام فيه؛ بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات. فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا، وإما كفاية، بحسب الحال والإمكان. وممن يترجح من يغلب على ظنّه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع.."[2].

ومن الأمثلة على العزلة في الفتنة ما قام به بعض الصحابة في الفتنة منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري وعبد الله بن عمر وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. وعلى هذا فإنه يتبين أن لا علاقة ألبتة بين هذه العزلة الشرعية المبنية على علم وفقه وجلب المصلحة ودرء المفسدة، وبين العزلة المطلقة المقصودة لذاتها. ولذا فقد اشتد النكير من العلماء على بعض المتصوفة الذين فضلوا العزلة المطلقة كرهبان النصارى وغيرهم.

وأنقل هنا كلام أهل العلم في هذا الضرب من العزلة الدخيلة:

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)-يرحمه الله-:

" كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد؛ إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين. وقد لبَّس إبليس على جماعة من المتصوفة؛ فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده؛ ففاتته الجمعة، وصلاة الجماعة، ومخالطة أهل العلم، وعمومهم اعتزل في الأربطة؛ ففاتهم السعي إلى المساجد، وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب"[3].

سئل ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) -يرحمه الله- سؤالاً هذا نصه:

"مسألة رجل طلب العلم وهاجر إليه من وطنه فسمع داعيا إلى الزهد في الدنيا وله نفس جموح وخاف

---

[1] انظر للمزيد من الضوابط العامة المتعلقة بالعزلة والخلطة: العزلة بين السنة والبدعة-عرض ونقد في ضوء مذهب أهل السنة، ص٢٥-٤٩

[2] فتح الباري، ج٤، ص٥١١٦؛ وانظر العزلة للخطابي، ص٥٨

[3] تلبيس إبليس: أبو الفرج ابن الجوزي، (الإسكندرية: دار ابن خلدون)، ص٢٩٠

أن لا ينجو من آفات الدنيا مع النفس الأمارة بالسوء فما الحيلة في نجاته؟ وبم يكون علاج النفس الجموح؟ وماذا يقربه من الله الزهد أم العلم أو السياحة أو العزلة؟"
فأجاب -يرحمه الله تعالى-:

" أن يزهد في الدنيا ولكن زهد الراشدين العالمين، لا زهد الجاهلين. فيطلب العلم مخلصا لله تعالى متقرِّبا به إليه، ولا يترك التسبب الذي يغنيه عن الحاجة إلى الناس. ولا يعتزل الناس، بل يقيم بينهم صابرا عليهم، مصححا نيته في ذلك؛ فان هذه طريقة الأنبياء عليهم السلام والخلفاء وأئمة المتقين، ويجاهد نفسه بالعلم وآدابه وتسديده وتقويمه، وليس الطريق إلى السلامة من الآفات الهرب من الناس ولا متابعة القوم الذين تظاهروا بالفقر والزهد غير ملتفتين إلى الشريعة وآدابها، معرضين عن ذلك وعما شرحناه، معتمدين على خواطرهم متمسكين برسوم لا أصل لها في الشريعة، معتضدين بأحوال لم يأت بها كتاب ولا سنة، زاعمين أنهم مع الحقيقة وليس عليهم الوقوف مع الشريعة. فإن هذا سبيل المغرورين المفتونين، وطريق المضلين الدجالين. والسالك لسبيلهم قارع باب الإلحاد، وهو والج فيه عن قريب. شهد بما ذكرته أعلام العلوم والمعارف وبراهينها، والله أعلم"[١]

وسئل شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ) - يرحمه الله- "عن رجل منقطع في بيته لا يخرج ولا يدخل، ويصلي في بيته، ولا يشهد الجماعة، وإذا خرج إلى الجمعة يخرج مغطى الوجه، ثم إنه يخترع العياط من غير سبب، وتجتمع عنده الرجال والنساء، فهل يسلم له حاله؟ أو يجب الإنكار عليه؟
فأجاب:

"هذه الطريقة طريقة بدعية، مخالفة للكتاب والسنة، ولما أجمع عليه المسلمون. والله تعالى إنما يعبد بما شرع، لا يعبد بالبدع، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١)، فإن التعبد بترك الجمعة والجماعة، بحيث يرى أن تركهما أفضل من شهودهما مطلقًا كفر، يجب أن يستتاب صاحبه منه، فإن تاب وإلا قتل، فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ألا يعبد بترك الجمعة والجماعة، بل يعبد بفعل الجمعة والجماعة، ومن جعل الانقطاع من ذلك دينًا لم يكن على دين المسلمين، بل يكون من جنس الرهبان الذين يتخلون بالصوامع والديارات، والواحد من هؤلاء قد يحصل له بسبب الرياضة، أو الشياطين -بتقريبه إليهم، أو غير ذلك- نوع كشف، وذلك لا يفيده؛ بل هو كافر بالله ورسوله محمد ﷺ"[٢] .

---

[١] فتاوى ابن الصلاح، تحقيق د. موفق عبد الله عبد القادر (بيروت: مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٧هـ)، ج١، ص١٩٧

[٢] مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج١١، ص٣٣٢ (ط. القاسم ٦١٢/١١)

المطلب السادس: موقف الإسلام من الصمت:

إن نصوص القرآن والسنة بينت المنهج الوسط والعدل بوضوح تام. فكما أن هناك نصوص في استحباب الصمت إلا من خير فهناك نصوص تحذر من السكوت على المنكر. وأخرى تبين عظم مسؤولية اللسان وخطورته. فمن ذلك مثلا:

-قوله تعالى:﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق: ١٧ – ١٨)

-وقوله -تعالى- في النصارى الذين نسبوا إلى الله الولد تعالى الله عما يقولون:

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ (الكهف: ٥)

-وقوله تعالى في اليهود الذين وصفوا الله بالبخل تعالى الله عما يقولون:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ (المائدة: ٦٤)

وقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ آخذا بلسانه : " كفّ عليك هذا" . فقال معاذ : "يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟" فقال ﷺ: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم"[1].

ولذا كان جماع القول في حكم الصمت في الإسلام التفصيل، فهو لا يخلو من أحد هذه الأحكام الثلاثة[2]:

١ -**الصمت الحرام:** عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر الطاقة،

٢ -**الصمت الواجب:** عن الكلام الحرام من ظلم وكذب،

٣ -**الصمت المستحب:** عن فضول الكلام واللغو.

فمن النوع الأول كتمان الحق كما في قوله ﷺ:

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان "[3].

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان (٤١)، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٨)، رقم: ٢٦١٦، وقال عقبه: "هذا حديث حسن صحيح"؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦١٦

[2] انظر الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٨- ١٩٨٧م)، ج٥، ص٣٨٠

[3] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، كتاب الإيمان (٤٩)، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٢٠)، رقم: ٤٩

ومن الثاني قوله ﷺ:
"إن الرجل ليتكلّم بالكلمة ما يَتَبَيَّن ما فيها، يهوي بها في النار أبعدَ مما بين المشرق والمغرب"[١].
ومن الثالث قوله ﷺ:
" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه والسكوت عن الشر خير من التكلم به"[٣]، ويقول ابن رجب –يرحمه الله-: ""فليقل خيرا أو ليصمت" أمر بقول الخير، وبالصمت عما عداه. وهذا يدل على أنه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمت عنه، بل إما أن يكون خيرا فيكون مأمورا بقوله، وإما أن يكون غير خير فيكون مأمورا بالصمت عنه"[٤].
يقول ابن حجر: "فالصمت المرغَّب فيه ترك الكلام الباطل، وكذا المباح إن جرّ إلى شيء من ذلك، والصمت المنهي عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه، وكذا المباح المستوي الطرفين والله أعلم"[٥]

وأما الصمت المطلق كما يفعله بعض الرهبان وكذا بعض المتصوفة فإنه منهي عنه، فقد نهى النبي ﷺ عن نذر الصمت لأحاديث:
١ –عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " بينا النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: "أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم". فقال النبي ﷺ : "مُرْه فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه"[٦].

وتأمّل هذا الحديث كيف أبطل النبي ﷺ نذر القيام وترك الاستظلال والصمت وأمر بإتمام الصيام لأنه وحده المشروع فيما قام به فأقر بالحق وأبطل الباطل.

٢ –وعن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا صُمَاتَ يوم إلى الليل"[٧].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الرقاق (٨١)، باب حفظ اللسان (٢٣)، رقم:٦٤٧٧، ٦٤٧٨؛ ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، رقم: ٢٩٨٨

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الأدب (٧٨)، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٣١)، رقم: ٦٤٧٥ ؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١)، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير (١٩)، رقم: ٤٧

[٣] الفتاوى الكبرى، ج٢، ص١٤٨

[٤] جامع العلوم الحكم، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، (القاهرة: دار السلام، ط٢ ١٤٢٤-٢٠٠٤م)، ج١، ص٣٦٧

[٥] فتح الباري، ج٢، ص٢٧٣٧.

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٣١)، رقم: ٦٧٠٤

[٧] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوصايا (١٢)، باب ما جاء متى ينقطع اليتم (٩)، رقم: ٢٨٧٣؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: ٧٦٠٩

قال المناوي يرحمه الله: " أي لا عبرة به ولا فضيلة له وليس مشروعا عندنا كما شرع للأمم قبلنا"[١].

٣ -وعن قيس بن أبي حازم قال: " دخل أبو بكر الصديق ﷺ على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم فقال: "ما لها لا تتكلم!" قالوا: "حجت مصمتة". فقال لها: "تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا عمل الجاهلية!". فتكلمت.."[٢]

وهذا الأثر دليل على أن الصمت المطلق من سنن الجاهلية التي أمرنا الشارع مخالفتها، يقول الخطّابي: "كان من نسك أهل الجاهلية الصمت، فكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة ويصمت، فنُهوا عن ذلك وأُمروا بالنطق بالخير"[٣] .

وفي هذا الحديث أن من حلف لا يتكلم وجب عليه أن يتكلم ولا كفارة عليه لأن أبا بكر لم يأمرها بالكفارة، فظاهر النص الإلزام والوجوب بقرينة قول أبي بكر: "تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا عمل الجاهلية"، وهو واضح أن فعلها محرم. يقول ابن حجر في فوائد هذا الحديث: "وفيه : أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلا مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة ، كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله ، فلا ينعقد به النذر ، فإنه ﷺ أمر أبا إسرائيل بإتمام الصوم دون غيره . وهو محمول على أنه علم أنه لا يشق عليه . وأمره أن ينقعد ويتكلم ويستظل. قال القرطبي : في قصة أبي إسرائيل هذه أوضح الحجج للجمهور في عدم وجوب الكفارة على من نذر معصية ، أو ما لا طاعة فيه. قال مالك لما ذكره : و لم أسمع أن رسول الله ﷺ أمره بالكفارة"[٤].

وأما القول في نذر مريم عليها السلام كما أخبر الله عنها في قوله:

﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (مريم: ٢٦)

ظاهر الآية صريح في أن مريم ابنة عمران نذرت أن تمسك عن كلام كل إنسي لأن الصوم في اللغة الإمساك، وهو قول جمهور المفسرين، وذهب البعض أن المقصود هو الصوم الشرعي المعروف والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم حرم عليهم الكلام كما يحرم عليهم الطعام[٥].

ثم قيل في سبب نذرها أمور[٦]:

---

[١] عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، الطبعة الثانية ١٣٨٨-١٩٦٧م)، ج٨، ص٧٦

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار (٦٣)، باب أيام الجاهلية (٢٦)، رقم: ٣٨٣٤

[٣] فتح الباري، ج٢، ٢٧٣٧

[٤] فتح الباري، ج٤، ص٤٧٧٢

[٥] انظر أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، (دار عالم الفوائد)، ج٤، ص٣٣٥

[٦] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٨، ٣٨٣-٣٨٤

١ -لأنه لا أحد سيصدقها أنها حملت من غير زوج.

٢ -إنما ذلك آية لمريم وابنها.

٣ -كانت صائمة في ذلك اليوم، والصائم في شرعهم كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس.

وعلى أي حال سواء كان نذر الصمت باستقلال من شرعهم أو أن صيامهم عن الطعام والشراب كان يتضمن الصيام عن الكلام فإنه من المقطوع به أنه ليس من شرعنا كما قال غير واحد من أهل العلم، وذكر ابن تيمية اتفاق أهل العلم على أنه بدعة مكروهة[1].

المطلب السابع: موقف الإسلام من اللباس:

وأخيرا فإن اللباس في الأصل منحة من الله -تعالى- ونعمة منه عظيمة على بني آدم، وهو أيضا زينة وستر، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٦) وشكر النعمة باستعمالها في الطاعة وفي حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ. وترك لباس الفاخر تواضعا لله -تعالى- مع القدرة على غيره أمر مرغب فيه شرعا لقوله ﷺ: "من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"[2].

أما موقف الإسلام من اللباس الخاص بفئة من النساك فنكتفي بإشارتين هما:

أولا: **الاختصاص بلبس الصوف:** فقد أنكر أهل العلم على فئات من المتصوفين لما تميزوا بلباس الصوف زهدا وتقربا إلى الله زعموا ونص بعضهم على بدعية ذلك. وقد اختار كثير من المحققين أن أصل تسمية الصوفية يرجع إلى لبس الصوف منهم ابن تيمية وابن خلدون وغيرهما، ومن المعاصرين أحمد أمين وغيرهم. وذهب البعض إلى أن متصوفة المسلمين تأثروا بالرهبان النصارى في لبسهم. وقد بيّن شيخ الإسلام -يرحمه الله- الحدّ الشرعي في قضية لباس الصوف حيث يقول : " وأما لباس الصوف فقد لبس رسول الله ﷺ جبة الصوف فى السفر، ولهذا قال الأوزاعى: "لباس الصوف فى السفر سنة، وفى الحضر بدعة". ومعنى هذا أن المداومة عليه فى الحضر بدعة. كما روينا عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن أقواما يتحرون لباس الصوف، قال: "أظن هؤلاء بلغهم أن المسيح كان يلبس الصوف، فلبسوه لذلك، وهدى نبينا أحب إلينا من هدى غيره". وفى السنن أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشهدون الجمعة، ولباسهم

---

[1] الفتاوى الكبرى، ج٢، ص٤٧٩

[2] أخرجه الترمذي في سننه من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب ٣٩، رقم: ٢٤٨١، وقال عقبه: "هذا حديث حسن"؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم:٢٤٨١

الصوف[١]. وفى الحديث الآخر: "قدم على النبى ﷺ قوم مجتابى النمار"[٢]، والنمار من الصوف. وقد لبس النبى ﷺ القطن وغيره. ومعنى هذا أن اتخاذ لبس الصوف عبادة وطريقا إلى الله بدعة. وأما لبسه للحاجة والانتفاع به للفقير لعدم غيره أو لعدم لبس غيره، ونحو ذلك فهو حسن مشروع، والامتناع من لبسه مطلقا مذموم، لا سيما من يدع لبسه كبرا وخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فإنه قد ثبت عن النبى ﷺ فى الصحيح أنه قال: "من جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"[٣]. وقال: "بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"[٤]. وقد كانوا يكرهون الشُّهْرَتَيْنِ من الثياب: المرتفع والمنخفض. وليس لأحد أن يجعل من الدين، ومن طريق الله إلا ما شرعه الله ورسوله، لا سيّما إذا كان التقييد فيه فساد الدين والدنيا، فإن لبس الصوف، وترقيع الثوب عند الحاجة حسن، من أفعال السلف. والامتناع من ذلك مطلقا مذموم "[٥].

ثانيا: **طقوس الإلباس:**

هناك تشابه إن لم أقل تطابق بين ما ذكرناه أن لبس الرهبان يتعلق برسامة المريد راهبا بعد اختبار وامتحان، وبين ما يُروى عن بعض الصوفية أنه بعد اختبار المريد وتجاوزه فإنه يلبس "المرقعة" أو "الخرقة" فيحكم حينئذ بأنه متصوف صادق[٦]. وهذا أيضا من البدع التي لم يدل عليها دليل شرعي بل هو أقرب إلى ما كان عليه الرهبان أو غيرهم أيضا ممن كان قبلهم من زهاد الهنود. يقول ابن تيمية يرحمه الله: "وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين"[٧].

---

[١] أخرج أبو داود في سننه عن عكرمة: "أن أناسا من أهل العراق جاءوا فقالوا: يا ابن عباس، أترى الغسل يوم الجمعة واجبا؟ قال: "لا ولكنه أطهر وخير لمن اغتسل، ومن لم يغتسل فليس عليه بواجب. وسأخبركم كيف بدء الغسل: كان الناس مجهودين يلبسون الصوف، ويعملون على ظهورهم. وكان مسجدهم ضيقا مقارب السقف، إنما هو عريش. فخرج رسول الله ﷺ في يوم حارّ، وعَرِقَ الناس في ذلك الصوف حتى ثارت منهم رياح آذى بذلك بعضهم بعضا. فلما وجد رسول الله ﷺ تلك الريح قال: "أيها الناس! إذا كان هذا اليوم، فاغتسلوا وليمسّ أحدكم أفضل ما يجد من دهنه وطيبه". قال ابن عباس: "ثم جاء الله بالخير ولبسوا غير الصوف وكُفُوا العمل ووُسِّع مسجدهم، وذهب بعض الذي كان يؤذي بعضهم بعضا من العرق". كتاب الطهارة (١)، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة (١٣٠)، رقم: ٣٥٣؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم:٣٥٣

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، كتاب الزكاة (١٢)، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٢٠)، رقم: ١٠١٧

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، كتاب اللباس (٧٧)، باب قول الله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾، رقم: ٥٧٨٣؛ ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة (٣٧)، باب تحريم جرّ الثوب خيلاء (٩)، رقم: ٢٠٨٥

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، كتاب اللباس (٧٧)، باب من جر ثوبه من الخيلاء (٥)، رقم: ٥٧٩٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة (٣٧)، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (١٠)، رقم: ٢٠٨٨

[٥] مجموع الفتاوى، ج١١، ص٣٠١-٣٠٢

[٦] الصوفية في الإسلام: نيكلسون، تعريب وتعليق نور الدين شريبة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢ ١٤٢٢- ٢٠٠٢م)، ص٤٣

[٧] منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، (الطبعة الأولى ١٤٠٦- ١٩٨٦م)، ج٨، ص٤٧

المبحث الثالث: حالة الرهبان في ظل حكم الإسلام

وبعد عرض موقف الإسلام على وجه الإجمال والتفصيل فإنه يتحتم زيادة بيان لدفع الشبهة وإقامة الحجة على دعوى يدعيها بعض النصارى عن حال الرهبانية والرهبان في ظل حكم الإسلام.

ذلك أن الرهبان والأديرة كانت منتشرة عامرة لما وصل المسلمون فاتحين بلاد الشام فالعراق وبلاد مصر وغيرها من الأمصار التي أظلها الإسلام. ويعترف الجميع أن حال النصارى عموما في ظل حكم الإسلام كان خيرا وأحسن مما كان عليه تحت حكم إخوانهم النصارى. لكني تعجبت مَنْ بعض من كتب عن تاريخ الرهبان أو الرهبانية؛ حيث وصفوا حكم الإسلام بكارثة على الرهبانية والرهبان في الشرق بما وقع من هدم الأديرة وذبح الرهبان، وذكروا أن ذلك هو السبب الرئيس في انحصار الرهبانية الشرقية وغيابها حسب زعمهم.

فهذا الأنبا يوأنس بعد ما ذكر أسباب اضمحلال الرهبانية المصرية وقد أرجعها إلى ثلاثة أسباب: هجوم البربر البدو على الأديرة؛ والمنازعات الطائفية؛ وأخيرا "دخول العرب مصر"، ثم قال: "أما السبب الأساسي والقوي الذي حطم الرهبنة فهو بلا شك السبب الثالث"[١]. فسرد بعدها وقائع يزعم فيها أن المسلمين كانوا منذ عهد عمرو بن العاص ﷺ أهل هدم وتخريب للأديرة المصرية واضطهاد للرهبان. ويخرج القارئ بصورة سوداء قاتمة للفتح الإسلامي إذ لم يذكر حسنة واحدة.

ولم ينفرد الأنبا يوأنس بهذا النظر السوداوي للفتح الإسلامي، فقد ذهب الراهب الأرثوذكسي إمليانوس تيميادیس إلى مثل هذا فيطلق على ما أسماه باجتياح المسلمين للمناطق الشرقية أي فلسطين وما حولها بكارثة أخفقت رهبانية تلك المناطق.[٢]

وفي مقال عن الرهبانية النصرانية في بلاد المشرق تحت عنوان "مُهَدَّدَة - أي الرهبانية- بمجيء الإسلام" يقول البروفسور الفرنسي إفان جوبري[٣]: "مُحِقَت الأديرة، وقُتِّل رهبان وراهبات، ففضَّل كثير منهم الاحتماء في القسطنطينية والمناطق التي لم تزل نصرانية..." إلى أن قال: "إن زوال الإمبراطور ية البيزنطية آذنت بموت الرهبانية في الشرق"[٤].

وإذا قرأنا مثل هذه الشهادات فإننا نتصور وحوشا وثبت على الأديرة النصرانية تفتك بها حتى لا تبقي

---

[١] مذكرات في الرهبنة المسيحية، ٧٤-٧٥

[٢] *Le monachisme orthodoxe: hier, demain* , p.١٥٩

[٣] *Ivan Gobry*: كاتب ومؤرخ نصراني فرنسي، كان أستاذا متقاعدا من جامعة *Reims* شمال شرق فرنسا والجامعة الكاثوليكية في باريس، له مصنفات تاريخية وفلسفية تربو عن المائة منها: "الرهبان في الغرب" في ست مجلدات طبعت بين ١٩٨٥-٢٠٠٨م
(Paris: Éditions François-Xavier de Guibert)

[٤] *Le monachisme chrétien en Orient*, p.٤, Janvier ٢٠٠١,
(http://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/le_monachisme_chretien_en_orient.asp)

منها شيئا. وهذا غريب جدا بهذا الإطلاق من قبل شخصيات تزعم البحث الموضوعي، ذلك أن شهادات المؤرخين من المسلمين وغيرهم تقرر خلاف ذلك. أما حصول تجاوزات من قبل بعض الحكام المسلمين أو عُمَّالهم غير منفي في أوقات متفرقة، فَهُمْ بشر غير معصومين ولكن تلك التجاوزات التي تحصل في ظروف معينة تحتاج إلى إثبات أولا، ثم إلى توضيح من جميع جوانبها حتى لا يعتدى في الحكم على أحد، وأخيرا لا يمكن أن تؤدي بالباحث إلى الحكم العام المطلق بهذا الأسلوب وكأنه يتضمن أن الإسلام يأمر بهذه المعاملة. ولو أننا سلكنا هذا المنهج لاستخرجنا المذابح البشعة في الحروب الصليبية أو التنصير القسري في الأندلس، وغيرهما من الأمثلة الكثيرة. وكل ذلك وقع باسم الكنيسة والدين وقام بذلك أحيانا "الرهبان"، فلو أنا ذهبنا لنحكم بها على تاريخ الكنيسة والرهبان وتركنا جوانب مشرقة لم يرض بذلك أحد منصف.

ومن الشهادات التي تثبت خلاف ذلك تماما ما قاله غير واحد من المؤرخين والباحثين منهم *وِلْ دِيُورَانْد* فيقول:

"ولقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نظير لها في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء ذي لون خاص وأداء الجزية التي تختلف باختلاف دخل الشخص وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير (٥-١٩ دولارا)[١] ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان[٢] والنساء والذكور الذين هم دون البلوغ والأرقاء والشيوخ والعجزة والعمى والشديدو الفقر، وكان الذميون يعفون في نظير هذه الضريبة من الخدمة العسكرية أو إن شئت فقل لا يُقْبلون فيها، ولا تفرض عليهم الزكاة التي تفرض على المسلمين وقدرها اثنين ونصف في المائة من الدخل السنوي... ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم، وكان تسامح الحكام المسلمين معهم

---

[١] يعادل الدينار ما يزن في الوقت الحالي أربعة غرامات وربع من الذهب. فقه الزكاة: يوسف القرضاوي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٣٩٣-١٩٧٣م)، ج١، ص٢٦٠. ومتوسط سعر غرام الذهب اليوم (٢٠١٠/٤/١٤م) هو ٣٧,١٥ دولار أمريكي. من موقع أسعار الذهب اليوم، (http://saudi-arabia.gold-price-today.com). وعلى هذا فإن قيمة الجزية التي كانت تدفع في ذلك العصر تتراح اليوم بين ١٥٧,٨٨ و٦٣١,٥٥ دولارا أمريكيا، أي ما بين ٥٩٢ و٢٣٦٦ ريالا سعوديا تقريبا.

[٢] هذا الحكم خاص بالرهبان المتوحِّدين في الصوامع منعزلين. أما الذين يخالطون الناس ولا يتميزون إلا باللباس وترك النكاح فتفرض عليهم الجزية كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. انظر مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، عناية عامر الجزار وأنور الباز، (المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦-٢٠٠٥م)، ج٢٨، ص٣٥٩-٣٦١. وعلى طبعة عبد الرحمن بن القاسم، ج٢٨، ص٦٥٩-٦٦٣

يختلف باختلاف الأسر الحاكمة، فكان الخلفاء الراشدون أشداء عليهم[١] وكان الأمويون يعاملونهم باللين بوجه عام، والعباسيون باللين تارة وبالقسوة تارة أخرى..." إلى أن قال: "وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين، إلا أنهم في عهدهم قد فرضت عليهم قيود ولاقوا شيئا من الاضطهاد من حين إلى حين، غير أنهم كانوا يتمتعون على قدم المساواة مع المسيحيين، وأصبحوا مرة أخرى يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وأثروا كثيرا في ظل الإسلام في آسية، ومصر، وأسبانيا، كما لم يثروا تحت حكم المسيحيين. وكان المسيحيون في بلاد آسية الغربية خارج حدود الجزيرة العربية يمارسون شعائر دينهم الدينية بكامل حريتهم، وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشام مسيحية حتى القرن الثالث الهجري. ويحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار. وكان المسيحيون أحرارا في الاحتفال بأعيادهم علنا، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجا آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين..."

إلى أن قال: "ولقد ذهب المسلمون في حماية المسيحيين إلى أبعد من هذا، إذ عين والي أنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرسا خاصا يمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن يقتل بعضها بعضا في الكنائس. وانتشرت أديرة الرهبان وأعمالهم في الزراعة، وفي إصلاح الأراضي البور..."

إلى قوله: "..وعلى الرغم من خطة التسامح الديني هذه التي كان ينتهجها المسلمون اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين وجميع الزرادشتيين والوثنيين إلا عددا قليلاً منهم، وكثير من اليهود في آسية ومصر وشمالي إفريقية..."

---

[١] علق المترجم محمد بدران على هذا المنكر من القول والزور الذي لا يمكن التسليم له بحال يرجع إليه في محله. ويضاف هنا أننا وإن كنا لا ننفي اختلاف تعامل الحكام المسلمين عموما لظروف ما، فإن الأصل الذي ينبني عليه تعامل الحكام المسلمين مع رعاياهم من غير المسلمين هو الشريعة وهدي الخلفاء الراشدين. ولا أحد يختلف من أهل السنة أن الخلفاء الراشدين -وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ- هم أعلم وأعمل الناس بالشريعة، بل الأمر باتباع طريقتهم وسننهم ثابت عن رسول الله ﷺ رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة (٣٩)، باب في لزوم السنة (٥)، رقم: ٤٦٠٧؛ والترمذي في سننه، كتاب العلم (٤٣)، باب ما جاء في الآخذ بالسنة (١٧)، رقم:٢٦٧٦ وغيرهما؛ وصححه الألباني وغيره، انظر السلسلة الصحيحة رقم:٩٢٧، ٢٧٣٥. ثم إن تفريع الخلفاء الراشدين للأحكام العامة المتعلقة بسياسة الحكم وإدارته الواردة في النصوص مصدر من مصادر الفقه الإسلامي في هذا الباب. هذا من الجهة النظرية. أما عمليا، أليس أبو بكر ﷺ الذي روي عنه قوله في وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه أميرا على فتح الشام: "إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له..."، أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجهاد (٢١)، باب ما تؤمر به السرايا في سبيل الله (٤)، رقم: ١٠٦١؛ وأليس عمر بن الخطاب ﷺ فرض للمحتاجين من أهل الذمة ما يكفيهم هم وعيالهم من بيت مال المسلمين؛ ولما فتح القدس أعطى أماناً للنصارى على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وقال: "إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقض منها، ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود". تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية)، ج٣، ص٦٠٩.

إلى قوله:" ...وحيث عجزت الهيلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية و لم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي، في هذه الأقاليم كلها انتشرت العقائد والعبادات الإسلامية وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا له واستمسكوا بأصوله إخلاصا واستمساكا أنساهم بعد وقت معين آلهتهم القدامى"[١].

ويقول الباحث الروسي أليكسي جورافسكي[٢]: "إن ظهور الدين الإسلامي، وترسخه السريع القوي في أراض آسيوية وإفريقية واسعة في أثناء مسيرة الفتوحات العسكرية الدينية للعرب، حدد بصورة حاسمة مصائر المسيحية الشرقية التي قابلت الدين الجديد –الإسلام– دون أي مقاومة، بل بالترحاب في كثير من المناطق. ومَرَدّ ذلك الموقف إلى عدة عوامل، أهمها:

أولا– تسامح الإسلام إزاء القضايا المتعلقة بإقامة طقوس العبادة المسيحية (طبعا، بشرط التعاون السياسي).

ثانيا– بسبب أن المسلمين الفاتحين حموا المسيحيين من تعديات واعتداءات وملاحقات إمبراطورية بيزنطة غير المتسامحة مطلقا فيما يخص التيارات المنوفيزية والنسطورية.

وهناك عامل مهم ثالث يتجسد في حقيقة أن العرب المسلمين اعتمدوا في السنوات الأولى (بشكل خاص) من الفتوحات على أبناء جلدتهم من المسيحيين، وهم قبائل قوية وواسعة التوزع والانتشار، فاستخدموا (في الأوساط المسيحية) اللغات المحلية بدلا من الإغريقية. ولهذا التشجيع العربي–الإسلامي ازدهرت موجة جديدة من الأدب بين القبط في القرنين السابع والثامن للميلاد"[٣].

وينقل جورج قرم عن المستشرق الإنجليزي أرنولد قوله:

"فمن الحق أن نقول إن غير المسلمين نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد معادلا لها في أوروبا قبل الأزمة الحديثة"[٤]

ولو تتبعنا كل من أدلى بشهادة في هذا الصدد لطالت النقول. وما من شك أن الحق هو ما ذكروه خلافا لمن زعم غير ذلك. ثم إنه يوافق التعاليم الإسلامية من نصوص القرآن والسنة التي تأمر بالإحسان والبر والقسط حتى في حالة الحرب.

---

[١] قصة الحضارة، ج١٣، ١٣٠–١٣٣

[٢] باحث روسي متخصص في تاريخ العلاقات الحضارية بين الشعوب، يعمل في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية ، وله عدة دراسات.

[٣] الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، (دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢١–٢٠٠٠م)، ص١٦٩–١٧٠

[٤] المرجع السابق، ص ١٧٦

أما الجواب عن سبب تقليص النشاط الرهباني في العالم الإسلامي بعد الفتوحات فمن تفسيراته أن رهبان كثيرين دخلوا في الإسلام. وقد ورد في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡ ﴾ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ".. يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ... قال: فلما بُعث النبي ﷺ و لم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره وآمنوا به"[١].

وقد سبق أن *دِيورَانْد* أشار إلى ذلك كما وقفت على شهادة نصراني معاصر يُقرّ بذلك بجرأة، ففي معرض حديث د/ رؤوف حبيب عن تاريخ الرهبنة والديرية في منطقة سيناء بمصر يقول:

"وقد تشتت أغلبهم –الرهبان- على أثر الفتح العربي وزوال دولة الروم وسكنوا البادية ودخلوا في الإسلام من زمن بعيد، وقيل أن منهم ما زالوا يقيمون بجوار الدير ويخدمون الرهبان ويحسنون إليهم ويأخذون بناصرهم حتى اليوم..." إلى أن قال: "ومن آثار الفتح الإسلامي التي يعتز بها النساك دير طور سيناء ذلك العهد الذي قيل عنه أن النبي عليه السلام* منح رهبان الدير عهدا مكتوبا لحماية أرواحهم ومتاعهم تحت الحكم الإسلامي...ومهما يكن من شيء فسواء أكان العهد النبوي حقيقيا أو مزيفا فالواقع أنه جُدِّد بطريقة من الطرق، وامتيازات الحماية والرعاية لنساك الدير ظلت قائمة"[٢].

وهذا النص يبين سبب من أسباب تقلص الرهبنة والديرية النصرانية بعد الفتح الإسلامي في مصر، ويشهد بحسن تعامل المسلمين عموما وأضاف أن حتى عوام المسلمين كانوا يحسنون إلى الرهبان.

أما الوثيقة التي ذكرها وهي عهد يزعم رهبان دير طور سيناء أن النبي ﷺ كتبها لأجدادهم فى السنة الثانية للهجرة أمانًا لهم ولعموم النصارى، وأن السلطان سليم العثمانى أخذها منهم وحملها إلى المكتبة السلطانية بالآستانة سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧ م) فإنها لم تصح نسبتها إلى النبي ﷺ، بل هي من اختلاق ووضع الرهبان كما بين الأستاذ حسن محمد قاسم في مقال نشرته مجلة الإسلام[٣]. وعلل ذلك بأمور:

١- لغة الوثيقة تختلف عن لغة عصر النبوة.

٢- أرِّخت في السنة الثانية للهجرة مع أن الهجرة لم يؤرخ بها إلا فى السنة الثانية عشرة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ.

٣- جاء في خاتمة الوثيقة ذكر أسماء الشهود ومنهم الصحابة كأبي هريرة وأسماء مجهولة. وأبو

---

[١] معالم التنزيل: ج٨، ص٤٢. وقال المحقق: " أخرجه النسائي في آداب القضاة، باب: (تأويل قول الله عز وجل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، ج٨، ص٢٣١ – ٢٣٣، وفي التفسير، ج٢، ص٢٨٤- ٣٨٧. وإسناده حسن. وساقه ابن كثير من رواية الطبري، ج٢٧، ص٢٣٩، وقال: "هذا السياق فيه غرابة". ابن كثير، ج٤، ص٣١٧".

* وهذه التسليمة سطرها الكاتب النصراني بنفسه

[٢] تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص١٤١، ١٤٣

[٣] العدد ٤٥ من المجلد الثانى،

(http://islamtime.net/getfatwa.php?id=١٧٣&sub_cat_id=١٠٦&image=fatawa)

هريرة ﷺ لم يسلم إلا مؤخرا بعد فتح خيبر، ثم إن ورود أسماء مجهولة مع شهرة أسماء الصحابة أمر غريب مريب.

٤- لم يذكر مشاهير مؤرخي الإسلام هذه الوثيقة ولم يشيروا إليها، وغاية ما ورد ذكره وصية النبي ﷺ بأقباط مصر.

وأخيرا فإن للرهبان أحكاما تخصهم حالة الحرب لِما ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيوشه يقول: "اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"[١]. والمقصود بأصحاب الصوامع[*] هم الرهبان المتوحِّدون أو الحبساء، فقد ورد أن أبا بكر ﷺ قال في وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه أميرا على فتح الشام: "إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له..."[٢].

قال ابن عبد البر –يرحمه الله–: "فإنه أراد الرهبان المنفردين عن الناس في الصوامع لا يخالطون الناس، ولا يَطَّلِعون على عورة، ولا فيهم شوكة ولا نكاية برأي، ولا عمل"[٣].

وجمهور العلماء على عدم جواز قتالهم لأنهم في حكم النساء والصبيان والشيوخ والعميان، وكل من ليسوا معاونين في القتال، يقول ابن قتيبة –يرحمه الله–: "ونُرى أنه نهى عن قتلهم لأنهم لا يسمعون كلام الناس ولا يعرفون أخبارهم ولا يدلون المشركين على عورة المسلمين ولا يخبرونهم بدخولهم أرضهم، فلذلك نهى عن قتلهم، ولو كانوا يعينون على الإسلام وأهله بشيء ما نهى عن قتلهم"[٤].

وهذا كما تبيّن خاص بالرهبان الذين حبسوا أنفسهم ولا يخالطون الناس حتى قال الإمام مالك –يرحمه الله–: "الذين طيّنوا الباب عليهم، لا يخالطون الناس"[٥]. أما الراهب الذي يقاتل أو يعين على القتال بيده أو لسانه فإنه يقتل اتفاقا كما ذكر ابن عبد البر وابن تيمية رحمهما الله[٦].

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس ﷺ، رقم: ٢٧٢٨. وحسّنه أحمد شاكر في تحقيقه على المسند، ج٣، ص٢١٨.

[*] جمع صومعة، قال ابن فارس: "الصاد والميم والعين أصل واحد، يدل على لطافة في الشيء وتضام. قال الخليل وغيره: كل منضم فهو متصمع. قال: ومن ذلك اشتقاق الصومعة". معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٤٢؛ وقال ابن حجر : "هو منارة الراهب ومتعبده"، فتح الباري، تحقيق حسان عبد المنان، (عمان–الرياض: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٧م)، ج١، ص١٢٣

[٢] أخرجه الإمام مالك في الموطأ، تحقيق سليم الهلالي، (دبي: مجموعة الفرقان التجارية، الطبعة الأولى ١٤٢٤–٢٠٠٣م)، كتاب الجهاد (٢١)، باب ما تؤمر به السرايا في سبيل الله (٤)، حديث: ١٠٦١، ج٣، ص١٧؛ وضعفه المحقق لعلة الانقطاع بين يحي بن سعيد وأبي بكر.

[٣] الاستذكار: ابن عبد البر، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (بيروت–القاهرة: دار قتيبة ودار الوغى، الطبعة الأولى ١٤١٤–١٩٩٣م)، ج١٤، ص٧٠

[٤] غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق حسين محمد شرف، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤١٣–١٩٩٣م)، ج٤، ص١٢٩

[٥] المرجع السابق، ج١٤، ص٧٢

[٦] المرجع السابق ص٧٢-٧٤؛ مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج٢٨، ص٣٥٩-٣٦١، (طبعة عبد الرحمن بن القاسم، ج٢٨، ص٦٥٩-٦٦٣)

وخلاصة هذا الفصل ما يلي،

١ -قسمت موقف الإسلام من الرهبانية إلى مجمل ومفصل. فخرجنا من الموقف المجمل أن أدلة القرآن والسنة دلت على أن الرهبانية عند النصارى بدعة كما أن الرهبانية بمفهوم النصارى في الإسلام مرفوضة. وأما النصوص التي ذكرت أن رهبانية الإسلام هو الجهاد في سبيل الله فمعناها البذل لله - تعالى- بأغلى ما عند الإنسان. ولاحظنا أن الأعمال التي لها المرتبة العليا في الإسلام هي الأعمال التي يتعدى نفعها إلى الغير.

٢ -أما الموقف المفصل فتبين أن مفهوم الكمال في الإسلام مغاير تماما لما عند النصارى. فالكمال في الإسلام هو الاستقامة على دين الله، وأن الكمال ليس وحدة واحدة بل يتفاوت المؤمنون فيه تفاوتا عظيما. ثم إن الكمال الإيماني لا يتناقض مع الأخذ بنصيب من الحياة الدنيا والاستمتاع بالحلال منها. كما أنه لا تناقض مع نصوص الأخذ بالطيبات من الرزق ونصوص ذم الدنيا.

٣ -تبين أن التبتل في الإسلام مذموم للمفاسد المترتب عليها، وأن النصوص تدل على استحباب الزواج وأنه من سنن المرسلين.

٤ -تبين أن الفقر الممدوح في الإسلام هو "استشعار الحاجة إلى الخالق اختيارا وتحقيقا" وهو حقيقة العبودية ولبها.

٥ -الطاعة المطلقة في الإسلام ليست إلا لله ورسوله، وكل طاعة مأمور بها في الشرع كطاعة الوالدين والعلماء والحكام فإنما هي تابعة لهذه الطاعة.

٦ -العزلة في الإسلام فيها تفصيل، فالأصل هو الخلطة والصبر على أذى الناس، وإنما تشرع العزلة بالضوابط الشرعية في حالة الفتن من أجل حفظ الدين.

٧ -الصمت في الإسلام فيه تفصيل، فمنه المحرم، ومنه الواجب، ومنه المستحب. فالمحرم عن كتمان الحق من الأمرر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر الطاقة والحاجة، والواجب عن المنكر من قول الزور والكذب واللعن وفاحش الكلام، وأما المستحب فعن فضول الكلام ولغوه. وتبين أن نذر الصمت باطل أبطله النبي ﷺ لما رأى رجلا نذر الصمت.

٨ -اللباس في الإسلام نعمة وشكرها باستعماله في الطاعة في حدود الشريعة، وترك اللباس الفاخر تواضعا لله قربة من القرب، وأما الاختصاص بلباس معين تعبدا فليس مشروعا.

٩ -زعم النصارى أن المسلمين اضطهدوهم، وهم السبب في انحصار الرهبانية في العالم الإسلامي دعوى. وقد تبين أنه زعم باطل فالحقيقة التاريخية تثبت أن الرهبان نَعِمُوا تحت ظل الحكم الإسلامي بالعدل والسماحة بشهادة المؤرِّخين وغيرهم. أما سبب انحصار الرهبانية فهو دخول كثير منهم في الإسلام كما ذكر غير واحد.

الخاتمة وهي أهم نتائج البحث والتوصيات

وبعد هذا العرض فقد خرجت بجملة من النتائج أهمها:

١ -تبين أن الرهبانية عند النصارى تعد عند فرقة الأرثوذكس والكاثوليك الصورة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه النصراني "الكامل" العامل بالوصايا الإنجيلية كما جاء النص بذلك "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" (متى: ١٩، ٢١) خلافا لفرقة البروتستانت التي تنتقد الرهبانية وتنقضها وتعتبرها هرطقة من وضع الكنيسة.

٢ -وبالنظر فيما استدلوا به من نصوص الكتاب المقدس الذي بين أيدينا وبالرجوع إلى تفاسيرهم المعتمدة يتبين أن الرهبانية بنذورها وقوانينها محدثة لكن يبقى لهم مستندهم الذي يعد من أصول ضلالهم ألا وهو المجامع وتقليد آباء الكنيسة والرهبانية الذين اتخذوهم أربابا من دون الله يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال فيطيعونهم. وقد ثبت في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ والواقع التاريخي إحداث الرهبانية بعد رفع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فلم يشرعها و لم يعمل بها حوارييه من بعده.

٣ -يلاحظ في استدلالاتهم أنهم يلوون أعناق النصوص من أجل تطويعها لما هم عليه، ويرجع ذلك أنهم أحدثوا تلك المظاهر ثم استدلوا لها وليس العكس.

٤ -وظفت السلطات الكنسية الأعداد الهائلة من الرهبان منذ ظهور الرهبانية وبعد تطورها إلى جماعات لنشر عقائدها المحرّفة ومواجهة المخالفين لها.

٥ -يلاحظ أن الرهبانية الكاثوليكية في الغرب اتسمت بتطور سريع وتغيرات جذرية، يتجلى ذلك في كثرة القوانين الديرية ونشأة جماعات رهبانية ابتعدت كثيرا عن أصل الرهبانية وتنوعت أنشطتها من تعليمية وتنصيرية وتمريضية وعسكرية.

٦ -دعوى بعض الكتاب النصارى أن حكم الإسلام اضطهد الرهبان واعتدى عليهم دعوى لا أساس لها من الصحة بشهادات بعض المؤرخين من النصارى أنفسهم.

٧ -لما كانت الرهبانية مخالفة للفطرة فقد وقع الرهبان في تناقض فاضح يتضح في أمور:

أولا: ظهر الانحراف عن البتولية المزعومة مبكرا فقد وقع كثير من الرهبان والراهبان في أرذل الرذائل وأشنع المنكرات. و لم تزل السلطات الكنسية ساترة وكاتمة لهذا الوضع لكن يأبى الله إلا أن يظهر هذا الانحراف ويفضح. ومحاولات الإصلاح لم تنفع لأن الضلال واقع في أصل إلزام البتولية للرهبان ورجال الاكليريوس عموما وليس في مواجهة الشهوة المركوزة في الفطر.

ثانيا: ادعى الرهبان الفقر والتقشف فأصبحت الأديرة والجماعات الرهبانية من أغنى من الملوك والأمراء بكثرة العطايا والنذور التي يجلبونها. وألزمهم هذا الوضع إلى استثمار

الأراضي الواسعة والتجارة فكانوا رؤساء إقطاع في الغرب القرون الوسطى حتى أصبح هذا الوضع مجال تسابق بين الجماعات الرهبانية إضافة انهم لم يعط الفقراء إلا قليلا، وصدق الله إذ أخبرنا عن وضعهم هذا فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ ﴾ (التوبة: ٣٤)

ثالثا: ادعى الرهبان العزلة والانقطاع وباتوا من أكثر الناس تأثيرا خصوصا في غرب القرون الوسطى في المجال الديني والسياسي والاقتصادي.

٨ - وفي العصر الحديث لا تزال الرهبانية النصرانية موجودة حيث وجد النصارى مع تغيرات جذرية إذ سايرت العلمانية الطاغية في كل مكان، ودخل عموم الرهبان في المشاريع التنصيرية للكنيسة حول العالم بأساليب عصرية ومتنوعة.

٩ - يلاحظ أن النصرانية عموما والكاثوليكية خصوصا في إفلاس عظيم حيث فقد كثير من الناس الثقة برجال الدين وجدوى الانتساب إلى دين النصرانية فتغلق الأديرة تلو الأديرة ولا يكاد يتقدم إليهم من أجل البقاء إلا النادر القليل.

١٠ - موقف الإسلام من الرهبانية موقف رافض على وجه الإجمال والتفصيل، ولا يتفق مع الرهبانية سوى في المعنى العام الذي هو بذل النفس لله -تعالى- لكن بمفهوم الإسلام الكامل الشامل الذي يتفق مع الفطرة السليمة ولا يتعارض مع الزهد في الدنيا.

وأما التوصيات فأهمها:

١ -أهمية نشر دراسات تهتم بإبراز ما لدى النصارى من الانحرافات دراسة تحليلية من مصادرهم المعتمدة.

٢ -أهمية نشر دراسات تهتم بإبراز أن الإسلام بكماله وشموله هو الدين الوحيد الذي يَصْلُح ويُصْلِح الزمان والمكان.

٣ -نشر دراسات عن كبار آباء الكنيسة وبيان مناهجهم في تقرير العقائد النصرانية.

الفهارس

الفهارس

١- فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وتفاسيره

١ -أحكام القرآن: ابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)

٢ -إعراب القرآن: النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م)

٣ -أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرأن: محمد الأمين الشنقيطي، (دار عالم الفوائد)

٤ -تفسير أبي السعود: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)

٥ -تفسير أبي السعود: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م)

٦ -تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤)

٧ -تفسير الجلالين: السيوطي، (بيروت: دار المعرفة)، ص٧٢٣.

٨ -تفسير القرآن: السمعاني، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم و أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، الطبعة الأولى١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م)

٩ -تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون، (جيزة: مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)

١٠ -تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق محمد إبراهيم البنا، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

١١ -تفسير الماوردي أو النكت والعيون: الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)

١٢ -تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م)

١٣ -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن: عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣-٢٠٠٢م)

١٤ -الدر المصون في علم الكتاب المكنون: السمين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، (دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م)

١٥ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، تحقيق عبد الله التركي، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع)
١٦ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة ١٤١٧-١٩٩٧م)
١٧ روح المعاني: أبو الفضل محمود الألوسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
١٨ فتح القدير: الشوكاني، تعليق ومراجعة هشام البخاري وخضر عكاري، (بيروت: الكتبة العصرية، الطبعة الثالث ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)
١٩ الكشاف: الزمخشري، (بيروت: دار المعرفة)
٢٠ محاسن التأويل: القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية)
٢١ معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م)

ثانيا: كتب السنة وشروحها

١ الاستذكار: ابن عبد البر، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (بيروت-القاهرة: دار قتيبة ودار الوغى، الطبعة الأولى ١٤١٤-١٩٩٣م)
٢ بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر العسقلاني، (الرياض: دار ابن خزيمة، الطبعة الثانية ١٤١٨-١٩٩٧م)
٣ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، (عمان-الرياض: بيت الأفكار الدولية، الطبعة الخامسة ٢٠٠٧م)
٤ التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين عبد الرؤوف المناوي، (الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)
٥ جامع العلوم الحكم، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، (القاهرة: دار السلام، ط٢ ١٤٢٤-٢٠٠٤م)
٦ غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق حسين محمد شرف، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤١٣-١٩٩٣م)
٧ سنن أبي داود، تحقيق عزّت الدعّاس وعادل السيد، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧م)
٨ سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٢-١٩٦٢م)

٩ -سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٨-١٩٦٨م)

١٠ -سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤١٥-١٩٩٥م)

١١ -سلسلة الأحاديث الضعيفة: الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤١٢-١٩٩٢م)

١٢ -سنن الدارمي، تحقيق حسين الداراني، (الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠م)

١٣ -السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٢٤-٢٠٠٣م)

١٤ -شرح السنة: البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، (بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣-١٩٨٣م)

١٥ -شروح سنن ابن ماجه، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، (عمان-الرياض: بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م)

١٦ -صحيح الترغيب والترهيب: الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠م)

١٧ -صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨-١٩٨٨م)

١٨ -صحيح سنن أبي داود: الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٩-١٩٩٨م)

١٩ -صحيح سنن الترمذي: الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠-٢٠٠٠م)

٢٠ -صحيح مسلم مع شرح النووي، (عمان-الرياض: بيت الأفكار الدولية، الطبعة الخامسة ٢٠٠٧م)

٢١ -ضعيف سنن الترمذي: الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠-٢٠٠٠م)

٢٢ -ظلال الجنة في تخريج السنة: الألباني (بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠م)

٢٣ -فتح الباري: ابن رجب الحنبلي، تحقيق محمود بن شعبان بم عبد المقصود وآخرون، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٦م)

٢٤ -فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر، عناية حسان عبد المنان، (الرياض: بيت الأفكار الدولية)

٢٥ -مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (بيروت: دار الفكر ١٤١٤-١٩٩٤م)

٢٦ -المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، (القاهرة: دار الحرمين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٧م)

٢٧ -المسند: أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، (بيروت-دمشق: دار المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦م)

٢٨ -مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥م)

٢٩ -مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠١م)

٣٠ -مشكاة المصابيح: التبريزي، تحقيق الألباني، (بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م)

٣١ -المصنف: ابن أبي شيبة، تحقيق مختار أحمد الندوي، (بومباي: الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣م)

٣٢ -الموطأ: الإمام مالك، تحقيق سليم الهلالي، (دبي: مجموعة الفرقان التجارية، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣م)

٣٣ -النهاية: ابن الأثير، تحقيق علي حسن الحلبي، (الرياض: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١)

ثالثا: الكتاب المقدس وشروحه

١ -الكتاب المقدس، ترجمة سميث وفاندايك، (موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/ArabicBible)
(http://www.arabicbible.com/bible/pdf_bible.htm)

٢ -الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة (كتاب الحياة)، (موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/ArabicBible/alab/)

٣ -الإنجيل – العهد الجديد، (بيروت: جمعية الكتاب المقدس في لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م)

٤ -إنجيل توما: حجازي السقا، سلسلة الأناجيل المرفوضة (٢)، (المنصورة: مكتبة الإيمان)

٥ -تفسير أنطونيوس فكري: تفسير العهد الجديد: أنطونيوس فكري، (موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/)

٦ -تفسير أنطونيوس فكري: : تفسير العهد القديم: أنطونيوس فكري، (موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/father_antonios/)

٧- المحيط الجامع في الكتاب المقدس و الشرق القديم: للخوري بولس الفغالي، (القاهرة: دار الكتاب المقدس، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م)

٨- من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد القديم: تادرس يعقوب ملطي، (موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/)

٩- من تفسير وتأمُّلات الآباء الأولين: تفسير العهد الجديد: تادرس يعقوب ملطي، (موقع شبكة الكنيسة:
(http://www.arabchurch.com/commentaries/tadros/)

رابعا: المعاجم والدوريات

١ تهذيب اللغة: الأزهري، تحقيق محمد خفاجي ومحمود فرح العقدة، (الدار المصرية للتأليف والترجمة)

٢ دائرة المعارف، (بيروت: دار المعرفة)

٣ دائرة المعارف الإسلامية، تعريب محمد ثابت الفندي وآخرون، (بيروت: دار المعرفة)

٤ دائرة معارف القرن الرابع عشر- العشرين: محمد فريد وجدي، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثالثة)

٥ الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م).

٦ قاموس آباء الكنيسة وقديسيها: موقع الرسمي لمطرانية طنطا وتوابعها

(http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/)

٧ القاموس المحيط: الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ -١٩٩٧م)

٨ قاموس الكتاب المقدس: موقع الرسمي لمطرانية طنطا وتوابعها:

(http://popekirillos.net/ar/bible/dictionary/)

٩ قاموس المفردات الرهبانية: توما بيطار، موقع عائلة الثالوث القدّوس دوما في لبنان:

(http://www.holytrinityfamily.org/Studies_articles/Spitritual٢٠%Lang٢٠%Dict_١.html)

١٠ لسان العرب: ابن منظور، (بيروت: دار صادر ودار بيروت، الطبعة الأولى)

١١ المحيط الجامع في الكتاب المقدس و الشرق القديم: للخوري بولس الفغالي، (القاهرة: دار الكتاب المقدس، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م). الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية:

(http://www.albishara.org/dictionary.php?libro=d١f٢٠٠a٣٧٣a٣cef٧٣٢e٠٣aa٩d٩٨٠c٧eca)

١٢ معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تحقيق د. س. مرجليوث، (القاهرة: مطبعة هندية، الطبعة الثانية ١٩٣٠م)

١٣ معجم أعلام المورد: منير البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)

١٤ معجم البلدان: ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠-١٩٩٠م)

١٥ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل)

١٦ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩م)

١٧ المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وغيره، (إستانبول: دار الدعوة)

١٨ المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية بمصر، (مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥-٢٠٠٤م)

١٩ موجز دائرة المعارف الإسلامية، (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨م)

٢٠ موسوعة الأنبا غريغوريوس، الجزء الثالث: الرهبنة القبطية وأشهر رجالها: الأنبا غريغوريوس، إعداد: منير عطية، (القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس ٢٠٠٣م)

٢١ الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩-١٩٩٩)

٢٢ الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر)

٢٣ موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م)

٢٤ موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م)

٢٥ موسوعة المورد: منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٠م)

٢٦ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤١٨)

٢٧ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م)

خامساً: المراجع النصرانية

١ -بستان الرهبان الموسَّع أو فردوس الآباء: رهبان برية شيهيت، سلسلة: من الآداب الرهبانية في القرون الأولى للرهبنة، (٢٠٠٦م). من موقع السيدة العذراء:
(http://www.stmarylovers.com/vb/showthread.php?t=٣١٧٤)

٢ -بستان الرهبان عن آباء الكنيسة القبطية والأرثوذكسية ، (القاهرة: مكتبة مارمينا، الطبعة الثانية ١٩٥٦م)

٣ -تاريخ الأمة القبطية وكنيستها: ا.ل. بتشر، (الفجاله: مطبعة مصر ١٩٠٠م)

٤ -تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم: رؤوف حبيب، (القاهرة: مكتبة المحبة)

٥ -تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري، ترجمة القمص مرقص داود، (القاهرة: مكتبة المحبة)

٦ -تاريخ الكنيسة الشرقية: الأب ألبير أبونا، (الموصل: المطبعة العصرية ١٩٧٣م)

٧ -الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار: متّى المسكين، (وادي النطرون: مطبعة دير القديس أنبا مقار، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م)

٨ -سيرة أبينا البار أنطونيوس: أثناسيوس، ترجمة ميشال نجم، (منشورات النور ١٩٨٣م).

٩ -قانون الشارطرو: الموقع الرسمي لجماعة الشارطرو:
(http://www.chartreux.org/textes/fr/st-fr-٣.html)

١٠ -القانون الكبير والصغير: باسيل، (قسم الرهبانية بالموقع الرسمي للكنيسة الأرثذوكسية الإستونية:
(http://www.orthodoxa.org/FR/orthodoxie/monachisme/StBasile٢.htm#q٢٠)

١١ -كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها: ا.ل. بتشر، (الفجاله: مطبعة مصر ١٩٠٠م)

١٢ -الكنيسة المسيحية في عصر الرسل: الأنبا يؤانس، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م)

١٣ -مذكرات في الرهبنة المسيحية: الأنبا يوأنس، (الكلية الإكليركية اللاهوتية للأقباط الأرثوذكس:
(http://copticlibrary.١١٠mb.com/y١٤/١.htm)

سادساً: المراجع العامة

١ -أديان الهند الكبرى: أحمد شلبي، مقارنة الأديان رقم:٤، (القاهرة: مكتبة النهضة العصرية، الطبعة الحادي عشرة ٢٠٠٠م)

٢ -الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها: عمر وفيق الداعوق، (مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية: جامعة أم القرى – قسم الرسائل الجامعية، رقم: ١٣٥٤، ١٤٠٧هـ)

٣ -الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: دار نهضة مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م)

٤ -الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، (دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢١-٢٠٠٠م)

٥ -اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة: محمد أبو علي الدرة، سلسلة الألف كتاب الثاني ٢٥٨، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٧م)

٦ -اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها: إدوارد جيبون، ترجمة: لويس اسكندر، (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر)

٧ -الاعتصام: الشاطبي، تحقيق أحمد عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١١-١٩٩١م)

٨ -الاعتصام: الشاطبي، تحقيق مشهور حسن سلمان، (مكتبة التوحيد)

٩ -إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد سيد كيلاني، (القاهر: مكتبة دار التراث)

١٠ -الله: عباس العقاد، موسوعة العقاد الإسلامية، (بيروت: دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٩٧٠م)

١١ -تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح عاشور، (بيروت: دار النهضة المصربية ١٩٥٩م)

١٢ تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية)

١٣ -تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، (بيروت: المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧م).

١٤ -تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الخامسة ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م)

١٥ -تلبيس إبليس: ابن الجوزي، (الإسكندرية: دار ابن خلدون)

١٦ -تلخيص كتاب الاستغاثة "الرد على البكري"، تحقيق محمد علي عجال، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى١٤١٧)

١٧ -تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية: نجيب البلدي، (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٣م)

١٨ -جذور الشيعة وجيش المهدي: تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية: محمود المراكبي، سلسلة الظاهر والباطن (٢)، (الطبعة الثانية ١٩٩٦م)

١٩ -الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، (الرياض: دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)

٢٠ -دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: سعود الخلف، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة)

٢١ -الديارات: الشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، (بغداد: منشورات مكتب المثنى، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦م).

٢٢ -الديانات القديمة: محمد أبو زهرة، محاضرات في الأديان: القسم الأول، (دار الفكر العربي)

٢٣ -الديانة اليونانية القديمة: هـ روز، سلسلة الألف كتاب، ترجمة رمزي جرجس، (القاهرة: دار النهضة ١٩٦٥م)

٢٤ -الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها: أحمد علي عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان رقم٦، (القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م)

٢٥ -شجرة الحضارة: لنتون رالف، ترجمه فخري أحمد، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦١ م)

٢٦ -صيد الخاطر: ابن الجوزي، (المدينة النورة: المكتبة السلفية)

٢٧ -الصوفية في الإسلام: نيكلسون، تعريب وتعليق نور الدين شريبة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٤٢٢- ٢٠٠٢م)

٢٨ -الطبقات الكبرى: ابن سعد، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الصادر، الطبعة الأولى ١٩٦٨م)

٢٩ طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق وهبة الزحيلي، (بيروت-دمشق: دار الخير، الطبعة الثانية ١٤١٩-١٩٩٨م)

٣٠ -العزلة: الخطابي، تحقيق ياسين محمد السواس، (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)

٣١ -العزلة بين السنة والبدعة-عرض ونقد في ضوء مذهب أهل السنة: مائدة بنت أديب حسين العباسي، رسالة ماجستير تخصص عقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. (مكتبة الملك عبد الله الجامعية، قسم الرسائل العلمية، رقم: ٥٤٣٦.

٣٢ -العزلة والانفراد: ابن أبي الدنيا، تحقيق مشهور حسن سلمان، (الرياض: دار الوطن، ط١ ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)

٣٣ -العزلة والخلطة: أحكام وأحوال : سلمان بن فهد العودة، سلسلة رسائل الغرباء (٤)، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط ١ ١٤٢٤هـ)

٣٤ -فتاوى ابن الصلاح، تحقيق د. موفق عبد الله عبد القادر (بيروت: مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٧هـ)

٣٥ -الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٨- ١٩٨٧م)

٣٦ -الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام: نهاد خياطة، (دمشق: دار الأوائل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م)

٣٧ -الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: سعد رستم، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م)

٣٨ -فصول في أديان الهند: محمد ضياء الرحمن الأعظمي:، (المدينة المنورة: دار البخاري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

٣٩ -فقه العصر - المجموعة الأولى: محمد الحسن الدّدو، (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٩- ٢٠٠٨م)

٤٠ -فقه الزكاة: يوسف القرضاوي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٣٩٣-١٩٧٣م)

٤١ -الفكر المصري في العهد المسيحي: رأفت عبد الحميد، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠-٢٠٠٠م)

٤٢ -قصة الحضارة: ولد دِيُورَانْد، ترجمة محمد بدران، (بيروت: دار الجيل)

٤٣ -كتاب الزهد: وكيع، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، الطبعة الأولى ١٤٠٤-١٩٨٤م)

٤٤ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: ابن رجب الحنبلي، تحقيق ياسين محمد السّواس، (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الخامسة ١٤٢٠-١٩٩٩م)

٤٥ -مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، عناية عامر الجزار وأنور الباز، (المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦-٢٠٠٥م)

٤٦ -محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، (القاهرة: دار الفكر العربي الطبعة الثالثة)

٤٧ -مخطوطات البحر الميت: أحمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الشروق ١٩٩٦م

٤٨ -مدارج السالكين: ابن القيم الجوزية، تحقيق رضوان جامع رضوان، (القاهرة: مؤسسة المختار، ط١ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)

٤٩ -المسيحية: أحمد شلبي، سلسلة مقارنة الأديان رقم:٢، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط. العاشرة ٢٠٠٠م)

٥٠ -المسيحية، موسوعة الأديان في العالم: (بيروت: دار *Edito creps int.* ٢٠٠٠م)

٥١ -مصادر النصرانية: دراسة نقدية: عبد الرزاق ألارو، سلسلة الرسائل الجامعية (٦)، (الرياض: دار التوحيد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧م)

٥٢ -مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي: مصطفى العبادي، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٥م)

٥٣ -مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هـ. آيدرس بل، ترجمه عبد اللطيف أحمد علي، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٣م)

٥٤ -معالم تاريخ الإنسانية: ولز، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧-١٩٥٦م)

٥٥ -مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين إبن هشام الأنصاري، تحقيق مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م).

٥٦ مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢١-٢٠٠١م)

٥٧ -ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: حربي عباس عطيهو، (بيروت: دار العلوم العربية الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٢م)

٥٨ -الملل والنحل: الشهرستاني، عناية أحمد فهمي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية)

٥٩ -منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، (الطبعة الأولى ١٤٠٦- ١٩٨٦م)

٦٠ -موقف الإمام ابن تيمية من التصوف: أحمد بناني، (مكة: دار طيبة الخضراء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦-٢٠٠٥م)

٦١ -موقف ابن تيمية من النصرانية: مريم عبد الرحمن زامل، (مكة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧-١٩٩٧م)

٦٢ -المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، سلسلة صفحات من التاريخ (٣٩/١)، (القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٨م)

٦٣ الموافقات: الشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، (الخبر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٧م)

٦٤ -النذر: أنواعه، أحكامه، بدعه: إبراهيم بن محمد، (طنطا: دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٩م)

٦٥ -نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة السابعة ١٩٧٧م)

٦٦ الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع)

٦٧ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلّكان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر ١٤١٤-١٩٩٤م)

٦٨ -يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء...؟ "دراسة مقارنة للمسيحية": رؤوف شلبي، (القاهرة: دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م)

٦٩ -اليهودية: أحمد شلبي، سلسلة مقارنة الأديان (١)، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م

سابعا: المقالات العربية

١ - الإسكيم الرهباني: رموزه وأبعاده الروحية: أنطونيوس مقار إبراهيم، موقع كنيسة الإسكندرية الكاثوليكي:
(http://www.coptcatholic.net/section.php?hash=aWQ٩Mjk٥NQ٣%D٣%D)

٢ - الأنبا شنودة ٣٨ عاما على (السدة البابوية): يوسف رامز، بتاريخ ١٧/١٠/ ٢٠٠٩م،
(http://www.shorouknews.com/print.aspx?id=١٣٩٩٩٦)

٣ - الحياة الرهبانية الأرثوذكسية: موقع عائلة الثالوث القدّوس دوما في لبنان:
(http://www.holytrinityfamily.org/monastic_life.html#ref)

٤ - دعاوى النصارى في مجيئ المسيح ﵇: دراسة نقدية: سعود الخلف، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ج١٤، عدد ٢٣، شوال ١٤٢٢هــ / ديسمبر (كانون الأول ٢٠٠١م).
(http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag٢٣/f٠٥.htm)

٥ - الدنيا مقابل الآخرة: لطف الله خوجة، موقع الإسلام اليوم بتاريخ ١٦/١/١٤٣٠:
(http://islamtoday.net/bohooth/artshow-١٠٦٧٠٨-٨٦.htm)

٦ - سيرة حياة قداسة البابا شنودة الثالث، من الموقع الرسمي لمطرانية طنطا وتوابعها:
(http://popekirillos.net/forum/index.php?topic=٢٥٧٨.٠)

٧ - قداسة البابا شنودة الثالث: بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية في مصر وسائر بلاد المهجر: الموقع الرسمي للكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القِس - الإبراهيمية في الإسكندرية:
(http://st-takla.org/Pope-١_.html)

٨ - قراءة في حياة القديس أنطونيوس الكبير(١): الأب فوزي نصري اليسوعي، موقع جمعية التعليم المسيحي بحلب:
(http://www.talimmasihi.com/ahadis_٢٠٠٢-٢٠٠٣_antonios١.htm)

ثامنا: المصادر والمراجع الأجنبية:

أ) المعاجم والدوريات:

١- Catholicisme. Hier, aujourd'hui, demain: MATHON (G.), BAUDRY (G.-H.), (Paris, Letouzey et Ané, ١٩٩٨-١٩٩٩)

٢- Dictionnaire de spiritualité: Ascétique et Mystique, Doctrine et Histoire: (Beauchesme-Paris : ١٩٨٠): tome X, p.١٥٤٧.

٣- Dictionnaire étymologique de la langue française: B. De Roquefort, (Paris : Decourchant imprimeur-éditeur ١٨٢٩)

٤- Dictionnaire de théologie: M. L'Abbé Bergier, (Liège: La société typographique ١٧٤٠)

٥- Encyclopaedia of religion and ethics: Hastings James and others, (C. Scribner's sons. T. & T. Clark, ١٩٢٤-٢٧)

٦- Encyclopédie Théologique: Jacques-Paul Migne, (Paris: J P Migne Editeur ١٨٦٦)

٧- Encyclopédie des religions, (Paris : Bayard Editions ٢٠٠٠)

٨- Nouveau petit Larousse, (Paris: Librairie Larousse ١٩٧٠)

٩- The New Encyclopaedia Britannica, Micropaedia-ready reference, (١٥th edition, ٢٠٠٣)

١٠- The New Encyclopaedia Britannica, Macropaedia-Knowledge in Depth, (١٥th edition, ٢٠٠٣)

ب) المراجع العامة:

١- L'autre Thomas d'Aquin: Martin Blais, (Les Editions du Boréal, ١٩٩٠)

٢- Aux origines du monachisme chrétien: Antoine Guillaumont, collection : spiritualité orientale n°٣٠, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine ١٩٧٩)

٣- Aux Nations : Tertullien, traduit par E.-A. de Genoude, Livre premier, IX, p.٤٨٢. (http://www.tertullian.org/french/g٢_١٥_ad_nationes١.htm)

٤- La Bible: Segond ٢١, (Genève: Société biblique, ٥ème edition ٢٠٠٨م)

٥- Chaîne d'Or sur les ٤ évangiles : Saint Matthieu- Saint Luc - Saint Marc - Saint Jean: Saint Thomas d'Aquin, (Paris : Louis Vivès Editeur ١٨٥٦)

٦- Commentaire de l'épître de saint Paul aux Romains: St Thomas d'Aquin, traduction par l'Abbé Bralé (Paris: Edition Louis Vivès, ١٨٦٩). (http://docteurangelique.free.fr/)

٧- Commentaire de la première épître de saint Paul aux Corinthiens: St Thomas d'Aquin, traduction par l'Abbé Bralé, (Paris: Edition Louis Vivès, ١٨٧٠). (http://docteurangelique.free.fr/)

٨- Commencer dans la vie religieuse avec Saint Antoine: Christophe Boureux, (Paris : Cerf ٢٠٠٣)

٩- Concile œcuménique Vatican II, (Paris : Edition du centurion ١٩٦٧)

١٠- Dogmatique pour la catholicité évangélique: Gérard SIEGWALT, Tome II, vol. ١, (Paris, Labor et Fides/Cerf٠

١١- L'Egypte monastique: Archimandrite Placide Deseille, (Paris ٢٠٠٥)

١٢- Elie, archétype du moine: pour une resource prophetique de la vie monastique, collection spiritualite orientale n°٦٥, (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٧).

١٣- L'essor du christianisme occidental: Peter Brown, traduit par Paul Chemla, collection « Faire l'Europe », (Paris: Edition du Seuil ١٩٩٧)

١٤- Guide de la vie monastique, (Editions Perrin ٢٠٠٥)

١٥- Les grands écrits réformateurs, tr. Gravier, (Paris ١٩٤٤)

١٦- Histoire critique de Manichée et du manichéisme : Isaac de Beausobre, (Amsterdam: Frédéric Bernard, ١٧٣٩)

١٧- Histoire de l'église du Christ : I. L'église des apôtres et des martyrs: Daniel-Rops, (Paris : Fayard ١٩٤٨)

١٨- Histoire de l'Empire byzantin : Charles Diehl, (Paris: ١٩١٩)

١٩- Histoire des ordres religieux : Henry Marc-Bonnet, Que sais-je ? n°٣٣٨, (Paris : Presse universitaires de France, quatrième éditions ١٩٦٨)

٢٠- Les hommes ivres de Dieu : Jacques Lacarrière, collection sagesses ٣٣, (Paris : Fayard, ١٩٧٥)

٢١- L'idéal religieux de St Antoine et son actualité: Etienne Betancourt, (A M Ermite, ١٩٥٦)

٢٢- L'institution de la religion chrétienne: Jean Calvin, revue et corrigée par Frank Baumgartner, (Genève : E. Beroud & Cie éditeurs ١٩٨٨)

٢٣- Luther et l'expérience sexuelle: sexe, célibat, mariage chez le réformateur: Robert Grimm, collection: Histoire et société n°٣٩, (Genève: Labor et Fides, ١٩٩٩)

٢٤- Luther et le monachisme aujourd’hui: René H.ESNAULT, nouvelle série théologique n°١٧, (Genève: Labor et Fidès ١٩٦٤), p.٦٢.

٢٥- Moines aujourd'hui: une expérience de réforme institutionelle: Olivier Du Roy, (Paris: Epi éditeurs ١٩٧٢)

٢٦- Moines et monastères en Occident au Moyen Âge: Philippe Racinet, collection Initiation à…, (Paris : Editions Ellipses ٢٠٠٧)

٢٧- Moines et moniales : ont-ils un avenir, collection « tradition et renouveau » (٦), (Bruxelles : Editions Lumen vitae ١٩٧٠)

٢٨- Les moines d'Occident depuis saint Benoît jusqu'à saint Bernard: Charles Forbes Montalembert, (Paris : Jacques Lecoffre et Cie Librairies ١٨٦٣)

٢٩- Moines et sibylles dans l’antiquité judéo-grecque: Ferdinand Delaunay, (Paris : Didier et Cie, Librairies-Editeurs, deuxième édition ١٨٧٤)

٣٠- Moines et vies monastiques: Marc Déceneux, (Le grand livre du mois) (Rennes: Editions Ouest-France ١٩٩٩)

٣١- Monachisme et Eglise: le monachisme syrien du VIe siècle au VIIe siècle. Un ministère charismatique, (Paris: Editions Beauchesme ١٩٩٩)

٣٢- Le Monachisme Egyptien: révélateur de l’âme copte: Nagi Athanasios HENEIN, Thèse de Doctorat, (Université de Limoges: Faculté des Lettres et des sciences humaines ٢٠٠٦)

٣٣- Le monachisme en occident avant saint Benoît : Adalbert DE Vogüé, collection : vie monastique n°٣٥, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine ١٩٩٨)

٣٤- Le monachisme en occident avant Saint Benoît: Adalbert DE Vogüé, collection : Vie monastique n°٥, (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٨)

٣٥- Le monachisme orthodoxe : hier, demain: Emilianos Timiadis, collection : Deux milliards de croyants, (Paris : Bucher/Chastel ١٩٨١)

٣٦- Le monachisme primitif: des origines jusqu'au concile d'Ephèse: Vincent Desprez, collection: spiritualité orientale n°٧٢, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, ١٩٩٨)

٣٧- Le monachisme : ses origines païennes, ses erreurs fondamentales, son influence néfaste sur la religion, la morale et la société: James Hocart, (Paris : Librairie Fischbacher ١٩٠٣)

٣٨- Œuvres de Bossuet, (Paris: Librairie Firmin Didot frères ١٨٤٧)

٣٩- Œuvres complètes de St Augustin, tr. sous la direction de M. Raulx, (BAR-LE-DUC,١٨٦٦)

٤٠- Œuvres complètes de Saint-Cyprien: M.N.S. Guillon, (Paris: J.Angé et Cie éditeurs ١٨٣٧)

٤١- Œuvres de Lucien: Le menteur d'inclination ou l'incrédule: Lucian, Jacques Nicolas Belin de Ballu, (Paris: Jean-François Bastien ١٧٨٩)

٤٢- Les Œuvres de Philon d'Alexandrie, n°٢٩, trad. P. Miquel, (Paris : Editions du Cerf ١٩٦٣)

٤٣- Œuvres de St Jérôme: Benoît Matougues, (Paris: Auguste Desrez, imprimeur éditeur ١٨٣٦)

٤٤- L'ordre monastique des origines au XIIe siècle: Ursmer Berlière, collection « pax » vol.١, (Maredsous: Abbaye de Maredsous, ١٩٢٤)

٤٥- Les ordres monastiques et religieux au moyen âge: Marcel Pacaut, série histoire, (Paris : Editions Nathan ١٩٩٣)

٤٦- Origines et évolution de l'intolérance catholique, (Bruxelles: Editions de l'Université de Bruxelles ١٩٨٦)

٤٧- The Preaching of Islam: T.W. Arnond, (Westminster: Archibald Constable & co. ١٨٩٦)

٤٨- Règles des moines: Jean Pie Lapierre, collection Points, série Sagesses (٢٨), (Paris: Editions du Seuil ١٩٨٢)

٤٩- Règles monastiques d'occident IVe-Vie siècle: trad. et notes Vincent Desprez, collection: Vie monastique (٩), (Bégrolles-en-Mauges: abbaye de Bellefontaine, ١٩٨٠)

٥٠- Le renoncement à la chair: Peter Brown, traduit de l'anglais par Pierre Emmanuel Dauzat et Chritian Jacob, (Paris : Editions Gallimard ١٩٩٥)

٥١- La sainte bible: texte de la vulgate, traduction française en regard avec commentaire. Evangile selon S. Matthieu: L. Cl. Fillion, traduction française par M. l'abbé Bayle, (Paris: P. LETHIELLEUX, LIBRAIRE-ÉDITEUR ١٨٩٥)

٥٢- Saints et saintes de Savoie: Jean Prieur et Hyacinthe Vulliez, (Fontaine de Siloé: Editions Le Veil Annecy ١٩٩٩)

٥٣- Saint Jean Cassien: Sa doctrine spirituelle: Soeur Marie-Ancilla, (Marseille : La Thune, ٢٠٠٢)

٥٤- La somme de théologie: Thomas d'Aquin, (Les Editions du Cerf, ١٩٩٩)

٥٥- Le statut des moines: Ibn Taymiyya, tr. De Nasreddine LEBATELIER, (Beyrouth: El-saffina Editions ١٤١٧-١٩٩٧)

٥٦- Vie des pères, des martyrs et des principaux autres saints: Alban Butler, tr. Godescard, (Louvain : Chez Vantlinthout et Vandenzande ١٨٢٨)

٥٧- La Vie quotidienne des religieux au Moyen age: Xe-XVe siecle : Léo Moulin, (Paris: Hachette, ١٩٧٨)

٥٨- Vie de Saint Dominique: V. Lacordaire, (Paris : Librairie de Mme Ve Poussielgue-Rusand, sixième édition ١٨٦٠)

٥٩- Du voile des vierges : Tertullien, traduit par E.-A. de Genoude, XVI, ٣٠١, voir: (http://www.tertullian.org/french/g٣_٠٩_de_virginibus_velandis.htm)

ج) المقالات:

١- Les bosses du commerce: Solenne Durox, ١٧/٠٨/٢٠٠٦

(http://www.lexpress.fr/informations/les-bosses-du-commerce_٦٧٤٨٩٥.html)

٢- La chair, la mort, le diable: Le monachisme dans l'Heptaméon et lq doctrine de Luther, Revue de l'histoire des religions num.(٢١٥-٤) ١٩٩٨, vol.٢١٥

٣- Compte rendus bibliographiques: G.J.M. BARTELINK, Revue des Études Augustiniennes n°٣٧, (Paris: Institut des Etudes Augustiniennes, ١٩٩١)

(http://documents.irevues.inist.fr/bitstream/٢٠٤٢/٢٢٩٤٠/١/AUGUST_١٩٩١_٣٧_١_١٥٩.pdf)

٤- Contemplation : une Mission Le message de Tibhirine, ١٠ ans après…:

(Conférence prononcée le mardi saint ٢٠٠٦ devant tout le presbyterium par le père abbé d'Aiguebelle (Drôme)

(lyon.catholique.fr/.../Contemplation_Mission_-_Tibhirine_Lyon_٢٠٠٦.rtf)

٥- Les Coptes : Richard Lebeau, (http://www.paxchristi.cef.fr/docs/CoptesCMed.pdf).

٦- L'Église orthodoxe investit les bâtiments soviétiques: Vladimir Paperny, France ٢٤, ٥/١١/٢٠٠٩

(http://observers.france٢٤.com/fr/content/٢٠٠٩١١٠٥-eglise-orthodoxe-investit-batiments-sovietiques-religion-urss-russie-unie)

٧- L’étau se resserre autour du capucin pédophile: Patrick Chuard, ٤/١١/٢٠٠٨:

(http://www.٢٤heures.ch/actu/suisse/etau-resserre-autour-capucin-pedophile-٢٠٠٨-١١-٠٣)

٨- Aux frontières du silence: Exploration du dialogue interreligieux monastique: Fabrice BLÉE, Théologiques, vol. ٧, n° ٢, ١٩٩٩, (http://id.erudit.org/iderudit/٠٠٥٠٠٠ar)

٩- Le monachisme chrétien en Orient: Ivan Gobry,

(http://www.eglise-armenienne.com/Articles/Spiritualite/Monachisme_Orient.pdf)

١٠- Monachisme et Gnose: أَرْمَنْد فِيُو ,

(http://www.scourmont.be/wri/mon-gno-fra.pdf).

١١- L'obligation du célibat: Grégor Dalliard,

(http://www.vigi-sectes.org/catholicisme/celibat-obligatoire.html)

١٢- Les origines du monachisme chrétien أَرْمَنْد فِيُو : ,

(http://www.scourmont.be/Armand/arm-fra-١.htm)

١٣- L’orphisme et ses écritures: Philippe BORGEAUD, Claude CALAME et André HURST, Revue de l'histoire des religions, ٤/٢٠٠٠.

١٤- Périls en la sainte demeure: Philippe Lamotte, Le Vif/L'Express, ٢/٣/٢٠٠٧ (http://levif.rnews.be/magazine/archives/)

١٥- Quelques règles monastiques protestantes: Michel Clément, (Montréal: Université du Québec ٢٠٠٢), (http://www.er.uqam.ca/nobel/k٣٣٤٤٠/rp.html)

١٦- La Russie orthodoxe aujourd’hui :Nicolas Lossky,

(http://www.portstnicolas.org/La-Russie-orthodoxe-aujourd-hui.html)

١٧- Service Orthodoxe de Presse, Num٣١٥ Février ٢٠٠٧,

(http://www.orthodoxpress.com/index.php?group=display&action=breve&numero=٣١٥&page=٧)

١٨- La spiritualité celtique: règles et usages: Georges Briche, (http://wikiwix.com/cache/?url=http://www.chez.com/menarpalud/expansions١c.htm)

١٩- Trois liturgistes. Héritage et actualité : Louis Bouyer, Pierre Jounel, Pierre-Marie Gy : Revue La Maison-Dieu n° ٢٤٦, (٢٠٠٦).

تاسعا: فهارس المواقع الالكترونية:

أ) المواقع النصرانية:

١ -الموقع الرسمي للآباء اليسوعيين في فرنسا:

(http://www.jesuites.com/histoire/bourdaloue/index.html)

٢ -الموقع الرسمي لاتحاد الكنائس السفرية المنهجية في فرنسا (*UEEMF*):

(http://ueem.umc-europe.org/)

٣ -موقع الإذاعة الرسمية للفاتيكان:

(http://www.radiovaticana.org)

٤ -أرشيف الموقع الرسمي للفاتيكان:

(http://www.vatican.va/archive/FRA٠٠٣٧/__P١W.HTM)

٥ -موقع الأخبار الكاثوليكي:

(http://news.catholique.org)

٦ -موقع "الأقباط متحدون":

(http://www.copts-united.com)

٧ -موقع البشارة: الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية،

(http://www.albishara.org)

٨ -موقع تجمع للإكلريوس، وهو موقع رسمي من مواقع الفاتيكان مخصص لرجال الإكلريوس يحتوي على أخبار كنسية، تعدادات، ومراجع نصرانية في ست لغات:

(http://www.clerus.org/)

٩ -موقع الكنيسة القبطية الأنبا تكلا هيمانوت في الإسكندرية:

(http://st-takla.org)

١٠ -موقع الجريدة الكاثوليكية الفرنسية *La Croix*

(http://www.la-croix.com/)

١١ -الموقع الرسمي للجماعة الرهبانية السسترسيان في أوروبا:

(http://www.cister.net/FR/)

١٢ الموقع الرسمي للجماعة الرهبانية الشارطرو بست لغات لاتينية:

(http://www.chartreux.org/)

١٣ موقع جمعية التعليم المسيحي بحلب:

(http://www.talimmasihi.com)

١٤ الموقع الرسمي لجمعية "اتحاد الأديرة":

(http://www.aimintl.org/)

١٥ الموقع الرسمي لجمعية "الحوار بين الأديان الرهباني" بسبع لغات ولهم فيه مجلة تصدر شهريا:

(http://www.dimmid.eu)

١٦ موقع جمعيّة الراهبات الأنطونيات:

(http://www.marantonios.com)

١٧ موقع الجمعية "فيجي سكت" *Vigi-Sectes*، وهي جمعية نصرانية دولية تنشر معلومات حول الفرق والحركات الدينية:

(http://www.vigi-sectes.org)

١٨ موقع جمعية "النصارى للسلام" الفرنسي

(http://www.paxchristi.cef.fr)

١٩ موقع دير بير كي فير *Pierrequivire* في فرنسا:

(http://www.abbaye-pierrequivire.asso.fr/)

٢٠ موقع دير القديس بندكت في سويسرا:

(http://www.abbaye-saint-benoit.ch)

٢١ موقع دير سكورمون في بلجيكا:

(http://www.scourmont.be/)

٢٢ موقع دير السيدة العذراء في مصر:

(http://www.almuharraqmonastery.com)

٢٣ موقع دير فُنْتِفْرُو في فرنسا:

(http://www.abbaye-fontevraud.com/)

٢٤ موقع دير لِجُوجِي في فرنسا:

(http://www.abbaye-liguge.com/)

٢٥ موقع "رب المجد" التابع ل"كاتدرائية السيدة العذراء مريم ورئيس الملائكة ميخائيل بالمنصورة" بمصر:

(http://www.rabelmagd.com)

٢٦ موقع رعية منطقة أوتيل –فرنسا– للكنيسة الإصلاحية:

(http://www.erf-auteuil.org)

٢٧ موقع شبكة الكنيسة:

(http://www.arabchurch.com/)

٢٨ موقع السيدة العذراء:

(http://www.stmarylovers.com)

٢٩ الموقع الشخصي الرسمي للأنبا يوأنس:

(http://www.uan.jeeran.com/index.html)

٣٠ موقع عائلة الثالوث القدّوس دوما في لبنان:

(http://www.holytrinityfamily.org/)

٣١ موقع عيسى مريم المجاني: ينشر كتب التراث وتراجم رجال الكنيسة (٨٦٤ مصنف مدخل) وله تزكية من الفاتيكان:

(http://jesusmarie.free.fr/)

٣٢ الموقع الرسمي للفاتيكان:

(http://www.vatican.va)

٣٣ موقع الكنيسة الأرثذوكسية الإستونية:

(http://www.orthodoxa.org/FR/)

٣٤ موقع "الكنيسة الأرمينية"

(http://www.eglise-armenienne.com/)

٣٥ موقع كنيسة الإسكندرية الكاثوليكي:

(http://www.coptcatholic.net/)

٣٦ الموقع الرسمي مجلس أمريكا الشمالية للحوار بين الشرق والغرب:

(http://www.monasticdialog.com/)

٣٧ موقع المعلومات الأرثوذكسية:

(http://orthodoxie.typepad.com/Fichiers_٢/Chroniques_١٩.pdf٠)

٣٨ موقع مطرانية السريان الكاثوليك بحلب:

(http://www.syrcata.org)

٣٩ الموقع الرسمي لمطرانية طنطا وتوابعها:

(http://popekirillos.net)

٤٠ موقع المكتبة القبطية:

(http://copticlibrary.١١٠mb.com/y١٤/١.htm)

٤١ الموقع الرسمي لمجلة "الخدمة الأرثوذكسية للصحافة" *Service Orthodoxe de Presse*:

(http://www.orthodoxpress.com)

٤٢ موقع "الملفات الكاثوليكية" "*Documenta Catholica Omnia*" :

(http://www.documentacatholicaomnia.eu/)

٤٣ الموسوعة الكاثوليكية الالكترونية:

(http://www.newadvent.org)

ب) المواقع العامة:

١ موقع إحصاءات الانترنت العالمية:

(http://www.internetworldstats.com)

٢ موقع أخبار القناة الحكومية الفرنسية الثانية:

(http://jt.france٢.fr)

٣ موقع الأرشيف الأمريكية الذي يضم آلاف المواد المقروءة والمسموعة والمرئية:

(http://www.archive.org/)

٤ موقع "الإسلام تايم":

(http://islamtime.net)

٥ الموقع الرسمي للأكاديمية الفرنسية:

(http://www.academie-francaise.fr)

٦ موقع التحليل والمعالجة الرقمية للغة الفرنسية *A.T.I.L.F* تحت إشراف المعهد الوطني للغة الفرنسية *I.N.A.L.F.* والمركز الوطني للبحث العلمي *C.N.R.S*:

(http://atilf.atilf.fr/)

٧ الموقع الرسمي لجامعة أم القرى بمكة المكرمة:

(http://www.uqu.edu.sa)

٨ الموقع الرسمي للجامعة الحرة ببروكسل:

(http://www.ulb.ac.be/)

٩ الموقع الرسمي للجامعة العبرية بمدينة القدس:

(http://pluto.huji.ac.il)

١٠ -الموقع الرسمي لجامعة "كوليج دي فرنس" الفرنسية :

(www.college-de-france.fr)

١١ -الموقع الرسمي لجامعة كيبيك الكندية:

(http://www.er.uqam.ca)

١٢ - الموقع الرسمي لجامعة لافال الكندية:

(http://www.ftsr.ulaval.ca/)

١٣ –موقع جامعة ليموج الفرنسية:

(http://www.unilim.fr/)

١٤ –الموقع الرسمي لجامعة وسكنسن ميسوكي بالولايات المتحدة:

(http://www٤.uwm.edu /)

١٥ –موقع جريدة "الشروق الجديد" المصرية:

(http://www.shorouknews.com)

١٦ –موقع "الحضارة اليونانية واللاتينية" الذي يضم آلاف المؤلفات الفلسفية القديمة وغيرها مترجمة من اليونانية واللاتينية والعربية إلى الفرنسية:

(http://remacle.org)

١٧ –موقع دار سيرفل للنشر الفرنسية *Editions du Cerf*:

(http://www.editionsducerf.fr)

١٨ –موقع دار النشر *Editions Ouest-France* :

(http://www.edilarge.fr/)

١٩ –موقع جمعية "العلاّمة" *Érudit* يشترك فيه ثلاث جامعات كندية لنشر آخر البحوث العلمية في شتى العلوم:

(http://id.erudit.org/)

٢٠ –الموقع الشخصي الرسمي ل ريموندو بانيكار المترجم بخمس لغات:

(http://www.raimon-panikkar.org/index.html)

٢١ –موقع قناة "فرنس ٢٤" الإخبارية الفرنسية:

(http://observers.france٢٤.com/)

٢٢ –الموقع الرسمي لمدينة قرطاج:

(http://www.municipalite-carthage.tn/ar/carthage.htm)

٢٣ –موقع مجلة تاريخ الأديان:

(http://rhr.revues.org)

٢٤ –موقع مجلة ليفيف إكسبريس *Le Vif/L'Express* البلجيكية:

(http://levif.rnews.be)

٢٥ –موقع مجلة ليكبرس الفرنسية:

(http://www.lexpress.fr)

٢٦ –الموقع الرسمي لمحافظة المنوفية:

(http://www.monofeya.gov.eg)

٢٧ –موقع مشروع تَرتُلْيان: *The Tertullian Project*

(http://www.tertullian.org/index.htm)

٢٨ –موقع مكتبة *google* الاكترونية:

(http://books.google.fr)

٢٩ –مكتبة موقع كليو *clio* للرحلات التثقيفية:

(http://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE)

٣٠ –موقع منتدى الموسوعة:

(http://www.almwsoaa.com/)

٣١ –الموقع الرسمي للموسوعة العربية :

(http://www.arab-ency.com/index)

٣٢ –الموقع الرسمي لموسوعة لاروس الفرنسية *Encyclopédie Larousse* :

(http://www.larousse.fr/)

٣٣ –موقع الموسوعة الالكترونية ويكيبيديا الحرة:

(http://fr.wikipedia.org/)

٢- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة